منبر الإسلام

مع العدد

- كتاب عن الهجرة النبوية الشريفة
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

عدد ممتاز

الثمن ١٥ قرشاً

العدد ١ • السنة ٣٣ • محرم ١٣٩٥ • يناير ١٩٧٥

منبر الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة

كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ١ - السنة ٣٣

محرم ١٣٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- استقبال شعبى حافل لشاه ايران بالقاهرة ١٩٧٥/١/٨
- الرئيس أنور السادات مع أهالى سيناء فى يوم العيد ١٩٧٤/١٢/٢٤
- كلمة السيد الدكتور عبد العزيز حجازى فى حفل افتتاح الموسم الثقافى للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية
- كلمة السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

تفسير سورة البقرة	الاستاذ أحمد حسين
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى
أسماء يوم القيامة	الدكتور أحمد الحوفى
النظم المالية فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس
الحارس الدائم	الشيخ منصور الرفاعى عبيد
التبعة والمسئولية بين العالم والقاضى	الاستاذ عبد العظيم منصور
شعب فى أفريقيا يكافح الاستعمار	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
الفكر الاجتماعى الاسلامى	الدكتور زيدان عبد الباقى
دور الاسلام فى تحقيق صحة الاجسام	الدكتورة ابتسام عبد الحليم
الملبس الاسلامى فى اطار المجتمع الحديث	الاستاذة علية عابدين
بطولة ووفاء [قصة العدد]	الاستاذ على الجمبلاطى

العنوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون ٢٨١٥٦ - تلغرافيا : الاسلام - القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية - ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

معالم الطريق

استقبال شعبى حافل لشاه ايران فى القاهرة

● الرئيس السادات وضيفه الكبير يدخلان القصر الجمهورى بالقبة وقد ظهر خلفه السيدة قرينة الرئيس والشاهبانو فرح ●

● حديث باسم بين الرئيس والشاه فى قصر القبة بعد ساعةوربع الساعة قطعها موكبهما من المطار .

استقبلت القاهرة جلالة الشاه محمد رضا بهلوى أمس استقبالا شعبيا حافلا ، وقدر عدد المواطنين الذين خرجوا الى شوارع العاصمة التى قطعها موكب الشاه والرئيس السادات من المطار الى القصر الجمهورى بالقبة بأكثر من مليون مواطن انطلقت هتافاتهم باللغتين العربية والايرانية تحية للرئيس السادات وضيفه الكبير فى أول زيارة يقوم بها الى مصر منذ عام ١٩٣٩ .

أخترق موكب الرئيس الشاه عشرات من أقواس النصر وكان يسير ببطء شديد لزحام الجماهير ، وقد قطع المسافة بين المطار والقصر الجمهورى بالقبة فى حوالى ساعة وربع الساعة .

وكان الرئيس السادات والسيدة قرينتـه على رأس الاستقبال الرسمى الكبير الذى قوبل به الشاه رضا بهلوى والشاهبانو فرح عند وصولهما الى مطار القاهرة فى الساعة الثانية عشرة والربع ظهر يوم الاربعاء ٨ ـ ١ ـ ١٩٧٥ .

السادات والشاه يتبادلان الكلمات

وقد التقى الرئيس السادات وضيفه أكثر من مرة وتركزت المباحثات بينهما فى ثلاثة موضوعات رئيسية تشمل الموقف الراهن فى الشرق الاوسط ، ودعم التعاون الثنائى بين القاهرة وطهران ، والعلاقات العربية الايرانية بصورة شاملة .

وحضر الشاهنشاه اريامهر فى المساء مأدبة العشاء التى أقامها الرئيس السادات والسيدة قرينته فى القصر الجمهورى بعابدين .

وقد تبادل الرئيس وجلالة الشاه فى هذه المأدبة الكلمات .

وفيما يلى نص هذه الكلمات :

السادات : العودة الى قيمنا الأصيلة هى السبيل الوحيد لانقاذ الانسانية

الشاه : ان قوة مصر الخلاقة ينبوع دائم للالهام ومصدر مثير لبعث الوطنية

● السيدة جيهان السادات والشاهبانو فرح فى الطريق الى حفل العشاء .

نص كلمة الرئيس السادات

صاحب الجلالة العزيز محمد رضا بهلوى
جلالة الشاهبانو فرح بهلوى
أيها السيدات والسادة

ليس هناك ما يسعد شعب مصر أكثر من أن يرحب فى دياره بقائد عظيم ، لشعب شقيق عريق ، وليس هناك من هو أحق بهذا من الشاهنشاه محمد رضا بهلوى وشعب ايران الحبيب . فأنت قائد عظيم ، عظيم بحكم أصالة منبتك وتراثك الحضارى ، عظيم بحكم قيمك وعقيدتك السمحة ، وبحكم وعيك التاريخى ونظرتك المحيطة ، وقدرتك على التعامل مع واقع العصر بأصالة وحكمة وبعد نظر عظيم بحكم تفكيرك الانسانى العميق والامانى ونظرتك تكنها لشعبك وللشعوب الشقيقة التى تشاركه جهاده الكبير لكى يشق طريقه الى عالم يسوده السلام والرخاء والمحبة ، **وانني أتابع الانجازات الملموسة التى استطعتم بها أن تضعوا بلدكم فى مكانه الجدير به ، ليس فى منطقتنا وحدها بل فى العالم أجمع ، وان تمكنوا شعبكم من اللحاق بركب العصر بخطى وطيدة تقف على أرض صلبة من التراث الحضارى والرصيد الانسانى الكبير .**

العودة للقيم الاصلية

أيها الاخ العزيز ، لقد قلتم منذ أعوام قليلة ، حين كنتم تحتفلون بمرور خمسة وعشرين قرنا على الملكية فى بلادكم ، انكم تسعون الى أحياء التراث القديم فى ايران ، حتى تستطيع شعوب المنطقة مجتمعة ان ترفع شعلة حضارة اخلاقية وانسانية ، وان العودة الى قيمنا الاصيلة التى تدعو الى التعاون والتكافل بين الشعوب ، هى السبيل الوحيد لانقاذ الانسانية فى عالم يندفع الى طريق الحرب والدمار .

ولعل شعبنا فى مصر هو أقدر الشعوب على فهم الابعاد الحقيقية لتاريخكم ورصيدكم الحضارى واستيعاب ثراء التجربة التى تخوضونها فى الحاضر وادراك ما يحمله المستقبل للاجيال المقبلة من شعبكم من الامل والرجاء ، فنحن - مثلكم - نقدر قيمة التاريخ العريق والاصالة والعقيدة الحقة ، ونتحمل - برضا وصبر - تبعات الكفاح من أجل تغيير صورة الحياة وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة حتى يتمكن شعبنا فى النهاية من شق طريقه الى المستقبل بنفس السمو الذى كان له فى الماضى العريق .

أيها الاخ العزيز : فى هذا الشهر يكون قد انقضى اثنى عشر عاما سويا على اعلانكم الثورة البيضاء ، ثورة الشاه والشعب التى استهدفتم بها اجراء تغييرات جذرية عميقة فى بنيان المجتمع الايرانى عن طريق تحديد الملكية الزراعية وتأميم الغابات

البقية ص ٢٠٥

السادات : ايران المؤمنة باسلامها نصير قوى للأمة العربية

الشاه : ايران راغبة فى تجديد بناء ماخلفته الحرب

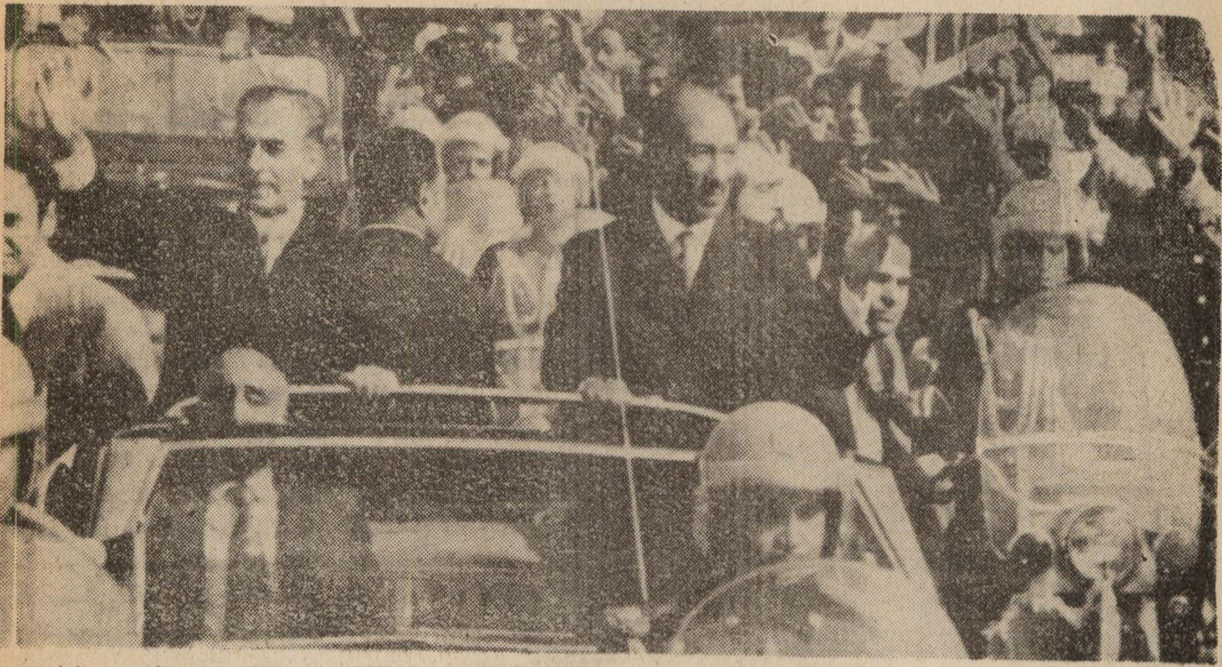

● الوف الايدى تمتد بالتحية الى الرئيس السادات وضيفه الكبير من جماهير قدر عددها بأكثر من مليون مواطن

نص كلمة شاه ايران المعظم

السيد رئيس الجمهورية وأخى العزيز

أشكر فخامتكم خالص الشكر على كلمتكم الودية بالنسبة للشهبانو ولى وبالنسبة لشعب ايران واعتبر هذه الكلمة صورة صادقة ليست عن العلاقات القلبية للشعبين الايرانى والمصرى فحسب بل عن الاواصر النفسية والمعنوية التى تربط كافة الشعوب المسلمة .

وقد لا تكون هناك حاجة للتنويه بأن مثل هذا الشعور لا يعتبر بأمر جديد على تاريخ علاقات شعبينا لان العلاقات القلبية هذه كانت موجودة بين الشعبين منذ قرون عديدة فى التاريخ الاسلامى وقد كانت أراضيكم دوما موطنا لعدد كثير من الايرانيين كما كانت الاراضى الايرانية موطن الكثير من المصريين .

علاقات قديمة بين البلدين

ولقد شهد التاريخ الاسلامى طوال أربعة عشر قرنا تصفح صفحات حياة شعبينا من الناحية النفسية والمعنوية .. ولقد كانت العلاقات العلمية والدينية والثقافية والفنية للشعبين فى الماضى واسعة الى الحد الذى لا يمكن تقدير أهمية التاريخ والثقافة الاسلامية العظيمة دون الاخذ بنظر الاعتبار لذلك التضامن .

ومنذ أكثر من مائة عام طبع عدد كثير جدا من الاثار العربية للعلماء والحكماء والادباء الايرانيين فى القاهرة حيث جعلت هذه المدينة ظهرا للثقافة الايرانية والعربية المشتركة والاسلامية وهناك الكثير من أبرز الاثار العلمية والادبية والفنية الايرانية تحتفظ بها متاحفكم ومكتباتكم وفى الوقت نفسه الكثير من المتاحف والمكتبات الايرانية بمجموعة من الاثار الثقافية والفنية المصرية العربية وكل هذه السوابق تشهد على ارتباط قديم ووثيق بين بلدينا والذى لا يستطيع اى عامل من الاخلال بها أو ايجاد الفرقة فيها .

ولقد أشرتم فى كلمتكم الى عمق وأصالة تاريخ وحضارة بلدى وما لهذا التراث العتيد من دور معنوى فى تطوراته الراهنة وهذا ما أريد أن أشير اليه حقا وتماما فيما يتعلق ببلدكم وشعبكم وأنتم اذ انى ومرافقى حاليا فى بلد شهد اكثر الحضارات أصالة وقدما أوجدتها البشرية وان تاريخ بدء هذه الحضارة يعتبر فى الواقع بدء تاريخ مدنية الانسان .

البقية ص ٢٠٦

الرئيس

محمد أنور السادات

مع أهالي سيناء في يوم العيد

٢٤/ ١٢/ ١٩٧٤

أمضى الرئيس أنور السادات يوم الثلاثاء - أول أيام عيد الاضحى المبارك - مع أهالى سيناء فى مدينة القنطرة شرق ، حيث أدى صلاة العيد فى مسجد المدينة ووسط حشد كبير من أهالى سيناء الذين قدموا للترحيب بقائد العبور ، ثم زار الرئيس ومرافقوه بعد ذلك ساحة الشهداء فى المدينة تحية لـ ٥٨٧ مقاتلا استشهدوا فى معركة تحرير مدينة القنطرة خلال حرب أكتوبر المجيدة .

الرئيس أنور السادات يستمع الى خطبة العيد فى مسجد القنطرة شرق وقد ظهر الى يمينه الدكتور عبدالعزيز حجازى والمهندس سيد مرعى .

كان البيت الذى دخله الرئيس السادات فى ميت أبو خليفة بيت عروسين جديدين ، وفى الصورة العروس تصافح الرئيس مرحبة به والى جوارها العريس .

وخلال الاحتفال الذى أقيم بعد ذلك فى قرية أبو خليفة النموذجية ـ غرب القناة ـ وزع الرئيس السادات عقود التمليك على ١٠ من سكان القرية التى تضم ٢٠٠ بيت نموذجى ، كما تفقد واحدا من هذه المساكن الجديدة وكان لعروسين شابين .

وقد أدى الرئيس السادات صلاة عيد الاضحى المبارك فى المسجد الكبير بالقنطرة شرق ، الذى ازدحم بزعماء قبائل سيناء واعضاء التنظيمات الشعبية والسياسية فيها .

وقد أبدى الرئيس اعجابه ببيوت الفلاحين الجديدة التى تتكون من حجرتين ملحق بهما حظائر حديثة للحيوانات ، وتدخلها لاول مرة المياه والكهرباء والمجارى .

وعندما دخل الرئيس منزل أحد الفلاحين عانقه أفراد الاسرة ، داعين له بطول العمر . وقال الرئيس « ألف مبروك .. كل سنة وأنتم طيبون » .

وأثناء ذلك كانت فرقة [السمسمية] المكونة من أبناء الاسماعيلية تعزف ألحانها الشعبية .

وغادر الرئيس بعد ذلك قرية أبو خليفة وسط مظاهرات شعبية حماسية ، الى مدينة الاسماعيلية حيث ذبحت الذبائح على مشارف المدينة ، ابتهاجا بعودة الرئيس الذى استقل سيارة مكشوفة ، وقام بجولة فى المدينة مخترقا شارع الثلاثينى ـ أكبر شوارع المدينة ـ وسط استقبالات شعبية رائعة .

ثم اتجه ركب الرئيس الى معسكر الجلاء ، حيث تناول طعام الافطار مع الضباط .

وبعد ان صافح سيادته القادة والضباط ، استقل الطائرة الهليكوبتر قاصدا الى قرية ميت أبو الكوم لقضاء أيام العيد .

الدكتور

عبد العزيز حجازى

رئيس مجلس الوزراء

يفتتح

الموسم الثقافى

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٣٠ ذى القعدة ١٣٩٤

١٤ ديسمبر ١٩٧٤

بفضل الله وتوفيقه وهدى من رسوله الامين صلوات الله وسلامه عليه ووسط عشرات الالاف من شباب العالم الاسلامى الذين يمثلون جميع الهيئات والطوائف والمراكز الاسلامية فى ٧٢ دولة يتقدمهم السادة الوزراء وسفراء الدول الاسلامية ورجال الدين وجميع العاملين فى ميدان الدعوة الاسلامية ورجال الصحافة والاعلام والفكر وأساتذة الجامعات المصرية افتتح الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس مجلس الوزراء الموسم الثقافى للمجلس الاعلى للشئون الاسلاميه وقد استمع الجميع فى اعجاب وتقدير الى الاعمال الجليله التى يقوم بها المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه فى كافة المجالات من أجل نشر الدعوة الاسلاميه فى انحاء العالم وغير ذلك من المجهودات التى اشار اليها السيد الاستاذ محمد توفيق عويضه فى كلمه الافتتاح كما أشار سيادته الى الدور البطولى العظيم الذى اضطلع به الرئيس المؤمن محمد أنور السادات تجاه مراكز القوى وحمايته لرسالة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية من عبثهم وبطشهم وغيهم .

ثم تكلم الدكتور عبد العزيز حجازى فأشار الى ضرورة تدعيم المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وركز فى كلمته على مبدأ الثواب والعقاب مؤكداً أن أجهزة الرقابة مهما تعددت فان أكبر جهاز للرقابة مركب فينا نحن البشر وهو الضمير ذلك الصوت الباطن فى نفس كل انسان ، ذلك الهاتف الذى يستلهم القول المتواتر المضىء :

« أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

• • •

وفيما يلى نص كلمة الاستاذ محمد توفيق عويضه الامين العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى بداية الاحتفال :

السيد محمد توفيق عويضه يقدم الى السيد الدكتور عبد العزيز حجازى السادة سفراء الدول الاسلامية وكبار الشخصيات الاسلامية التى كانت فى استقبال سيادته لدى وصوله الى قاعة الاحتفال بالموسم الثقافى للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية

• • •

كلمة الأستاذ
محمد توفيق عويضة
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السيد الاستاذ الفاضل الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس مجلس الوزراء .

السادة الافاضل الوزراء وسفراء العالم الاسلامى وممثلو هيئاته

السادة الافاضل والسيدات والانسات الفضليات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد فانني باسم المجلس الاعلى للشئون الاسلامية أرحب بكم جميعا ترحيبا قلبيا: وأشكر لكم تشريفكم احتفال المجلس بافتتاح موسمه الثقافى لهذا العام .

واحمد هذه المناسبة الطيبة التى أتاحت للمجلس فرصة يعتز بها وهى أن السيد الاستاذ الدكتور عبد العزيز حجازى افتتح موسمه الثقافى الليلة .

والحق أن سيادتك عززت بهذا الافتتاح ما بينك وبين المجلس من صلات روحية ، لانكما تشتركان فى طريق واحد هو الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولانكما تسعيان الى هدف واحد هو العمل لعزة الاسلام وقوة المسلمين ، فى غير ما تحزب ولا تعصب ولا أنانية ولا غمط لجهود العاملين أو انتقاص من أقدار المجاهدين .

ثم ان المجلس يعرف عنك التدين النقى المتدبر ، والتعبد الخالص المتفكر .

ولا يستطيع المجلس أن ينسى أنك حينما كنت وزيرا للخزانة كنت تمد المجلس بتوجيهاتك وأفكارك ، وكنت تدعمه بما يوطد أركانه ، ويفسح ميدانه ، ويعلى صوته .

سيادة رئيس مجلس الوزراء

لقد نشأ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية منذ خمسة عشر عاما ، وجعل ينمو مع الايام وأخذ نطاق أعماله يتسع ، حتى صار الان هيئة لها اسمها المعروف فى العالم الاسلامى وبخاصة فى اوروبا والامريكتين وافريقية الوسطى والغربية وآسيا الجنوبية والشرقية .

ولا شك ان الفضل فى هذا يرجع أولا وأخيرا الى رئيسنا البطل المظفر وقدنا المؤمن السيد الرئيس محمد أنور السادات ، لانه يحفز المجلس الى الجهود المثمرة بكلماته وبأفعاله ويتطلب منا أن نحقق ما يدعو اليه بقوة وحرارة من تقدير العلم والايمان والاهتمام بآثارهما العظيمة فى كل مجال من مجالات العمل الوطنى .

وانى فى هذه المناسبة أعلن سرا ظل خفيا الى هذه اللحظة ، هو أن سيادة الرئيس كان وهو نائب لرئيس الجمهورية يحمى المجلس مما يبيته له خصومه من عدوان ، ويدان يصد عنه هجمات الذين أرادوا بالاسلام شرا وبالمجلس ضرا ، وهم مراكز القوى الذين أنقذ الله الوطن من شرورهم ومن مؤامراتهم .

لهذا يسرنى أن أجهر فى هذا الاحتفال بالتقدير العظيم والشكر العميم لسيادة الرئيس المؤمن على رعايته للمجلس وعنايته بشئونه .

السيد رئيس مجلس الوزراء

اسمح لى أن أعرض فى ايجاز شديد فكرة عامة عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بمناسبة افتتاح موسمه الثقافى ، وبدء لجانه فى أعمالها للعام ٧٤ ـ ١٩٧٥ .

(اولا)

لجانه وأعمالها

يضم المجلس ثمانى لجان ، تتشكل كل لجنة من جهابذة العلماء وكبار الاساتذة الحاصلين على أرقى الدرجات العلمية ، والمتخصصين تخصصا دقيقا فى ضروب العلوم ، ولكل منهم مكانته ومؤلفاته وصيته فى العالم العربى والعالم الغربى ، وهم الذين كانوا فى شرف استقبالكم الان .

وهذه اللجان المتعددة هى :

١ ـ لجنة القرآن والسنة :

مهمتها وضع تفسير سهل للقرآن الكريم ، ثم ترجمته الى اللغات الحية ، وجمع الاحاديث النبوية الشريفة الصحيحة ، وتبويبها وشرحها .

وقد أصدرت اللجنة تفسيرا حديثا هو [**المنتخب فى تفسير القرآن الكريم**) ويقوم المجلس الان بترجمته الى الانجليزية والفرنسية .

كما أصدرت اثنى عشر مجلدا من (**المنتخب من السنة**) وسبعة كتب اخرى .

وجدير بالذكر أن الوزارات والمصالح والهيئات والافراد تطالب المجلس بأن يبيع لها ثلاث مئة ألف نسخة من كتاب (المنتخب فى تفسير القرآن الكريم) ، وأن عمال حلوان والمحلة دفعوا أثمان ستين ألف نسخة ، ولكن المجلس لا يستطيع أن يوافيهم بأكثر من ألف نسخة فى كل أسبوع ، نظرا لظروف الورق والطباعة .

٢ ـ لجنة التعريف بالإسلام :

مهمتها التعريف بالاسلام ، والكشف عن حقائقه وسموه ، وابطال الشبهات التى يثيرها خصومه ، ومقاومة التيارات التى يكيد له كيدا مكشوفا أو مستورا ، وتشجيع الجهود التى تؤيد الدعوة الاسلامية .

وقد أصدرت اللجنة **نحو ثمانين كتابا كبيرا من تأليف أعضائها ومن تأليف غيرهم** ، ترجم كثير منها الى الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية ، والى اللغات الافريقية السائدة وهى الهوسا والسواحيلى والبمبرا والولف والفولانى ، والى اللغة الاردية والاندونيسية وتبين للمجلس تاثيرها المحمود فى تلك البقاع بشهادة هيئة دولية لايتطرق الشك اليها وهى اليونسكو .

٣ ـ لجنة موسوعة الفقه الاسلامى .

مهمتها عرض مباحث الفقه الاسلامى من مذاهبه المتعددة عرضا علميا فى موسوعة تستغرق خمسين مجلدا موادها مرتبة ترتيبا هجائيا ، لارشاد الباحثين الى مصادر الفقه ومواطن بحوثه ، ولتيسير الرجوع الى نصوص الشريعة وأحكامها ، ليتبين الدارسون سموها .

وقد أصدرت اللجنة **ثلاثة عشر مجلدا من الموسوعة .**

وهذا العمل هو الاول فى تاريخ العالم الاسلامى كله .

واننا لنحمد الله تعالى على توفيقه لنا فى الاستمرار المطرد لاخراج الموسوعة كلها . ونتذكر ان شقيقتنا سورية بدأت فى عمل موسوعة منذ ١٩٤٨، ثم توقفت سنة ١٩٦٢ ، وأن الشقيقة الكويت بدات كذلك وتوقفت سنة ١٩٧١ بعد أن رصدت مبالغ ضخمة ، ولكنها لم تسفر عن اصدار شىء من الموسوعة بل أصدرت بحثين اثنين .

وقد اعتمدت سورية والكويت على أن المجلس ينهض بهذا العمل الجليل ، فلا مسوغ لتكرار الجهد .

٤ ـ لجنة الخبراء :

مهمتها ابراز ما فى بعض الايات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة من حقائق علمية تكشف عن اعجاز القرآن الكريم .

وقد نشرت اللجنة كثيرا من تعليقاتها على [المنتخب فى تفسير القرآن الكريم] وكان لهذه التعليقات تأثيرها الحميد عند كثير من الدارسين والمستشرقين فى البلاد الغربية .

واللجنة توشك ان تتم تعليقاتها كلها وتصدرها فى كتاب مستقل .

وقد أصدرت ثلاثة عشر كتابا من تأليف أعضائها وغيرهم .

٥ ـ لجنة احياء التراث الاسلامى :

مهمتها تحقيق بعض كتب التراث الاسلامى ، ونشرها لاحيائها ، وللاشادة بفضل العلماء المسلمين وسبقهم الى كثير من الابداع والابتكار .

سفراء الدول الاسلامية وكبار رجال الدين والفكر والاعلام وأبناء العالم الاسلامى يستمعون فى أعجاب الى الكلمات التى القيت فى الحفل .

وقد أصدرت ثمانية وعشرين كتابا من تحقيق أعضائها أو غيرهم .

وبعض هذه الكتب طلبته جامعات كثيرة وهى جامعة فينا وملبورن وكاليفورنيا والسوربون وهى الان تدرس هناك .

٦ ـ لجنة تجلية مبادىء الشريعة الاسلامية :

مهمتها عرض المواد الشرعية والكنوز الاسلامية ، مع المقارنات بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية .

وقد أصدرت اللجنة كتابا وعدة بحوث ، لانها حديثة التشكيل .

والملاحظ أن الهيئات القضائية ورجال القانون فى الدول العربية والعالم الاسلامى يرحبون بعمل اللجنة ، ويتلقفون انتاجها .

٧ ـ لجنة احياء أمهات كتب السنة :

وظيفتها العناية بكتب السنة ، وشرحها ، وتفصيلها ، وتنسيقها ، ووضع فهارس لها لتعين الراغبين فى استخراج الاحاديث المطلوبة فى اسرع وقت .

وهى تقصر عملها على كتب السنة الستة وهى : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وسنن ابن ماجة .

وقد أصدرت اللجنة سبعة أجزاء من صحيح البخارى ، وثلاثة كتب أخرى متصلة بالسنة .

٨ ـ لجنة القرآن المرتل :

وظيفتها جمع القرآن الكريم جمعا صوتيا لاول مرة فى تاريخ الاسلام ، وذلك بتسجيله فى قراءة مرسلة غير تطريبية برواياته المتواترة .

وقد قامت بتسجيل قراءة حفص وقراءة ورش للقرآن كله .

وقامت بتسجيل قراءة المصحف المعلم للقرآن كله .

وسجلت القرآن المجود بقراءة أربعة من مشاهير القراء .

كما سجلت الاذان وكيفية الوضوء والصلوات الخمس بلغات عدة على سبع اسطوانات .

ويسرنى أن أعلن أن جميع الاذاعات فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية تذيع المصحف المرتل الذى أهدته اليها جمهورية مصر العربية .

ثانيـــا
ضروب أخرى من نشاط المجلس

يمارس المجلس ضروبا أخرى من النشاط وهى :

١ – اصدار مجلة شهرية كبيرة هى [منبر الاسلام] التى توزع مئة ألف نسخة تنفد كلها فى أول يوم من الشهر العربى .

وفى المجلس آلاف الشكاوى من جهات متعددة تطالب بالحصول على المجلة ، وتقترح طبع عدد أكبر ، ولكن الظروف المالية لا تسمح بأكثر مما يطبع المجلس .

كذلك يصدر المجلس مجلة أخرى باسم منبر الاسلام بالانجليزية والفرنسية والاسبانية كل ثلاثة أشهر ، توزع فى البلاد الناطقة بهذه اللغات .

٢ – اصدار سلسلتين من الرسائل فى كل شهر عربى ، احداهما بعنوان [كتب اسلامية] صدر منها مئة واثنان وأربعون كتابا ، والاخرى بعنوان [دراسات فى الاسلام] صدر منها مئة واثنان وأربعون رسالة .

وقد ترجم كثير من هذه الكتب والرسائل الى عدة لغات .

٣ – اشترك المجلس فى المؤتمرات الاسلامية التى انعقدت فى كثير من البلاد الاسلامية وساهم فيها مساهمة فعالة فى بحوثه ومناقشاته وآرائه .

٤ – يشرف المجلس على الطلاب المبعوثين الى مصر ، وعلى الطلاب الذين استقدمتهم مصر فى منح دراسية من أبناء افريقية وآسيا ، ويتيح لهم قضاء فترات من أشهر الصيف بالتناوب فى مدينة للمجلس بالاسكندرية هى مدينة أبى بكر الصديق .

وهم يذهبون الى هناك أفواجا ، ليمارسوا الرياضة ، وليتزودوا بالثقافة الاسلامية وليتعارفوا تحت راية الاسلام .

وهناك يلتقون بكثير من قادة الفكر وعلماء الدين ، ويستمعون لمحاضرات دينية وأدبية وعلمية ، وذلك قبل مغادرتهم مصر الى أوطانهم .

٥ – يقدم المجلس الى السفارات والهيئات الاسلاميه بالعالم آلاف الكتب والرسائل والمصاحف والاسطوانات المسجلة للقرآن الكريم ، هدية باسم الرئيس محمد أنور السادات .

٦ – ويستقدم باسم السيد الرئيس مئات من أبناء المسلمين فى افريقية وآسيا على منح دراسية ليتعلموا بمصر اللغة العربية ويدرسوا الشريعة الاسلامية ويلتحقوا بالجامعات المختلفة ليعودوا الى بلادهم مصابيح نور وهداية .

ولقد جربت مصر مقدار وفائهم لها ، وارتباطهم بها ، ومساعدتهم أياها فى مناسبات شتى من وحى أنفسهم أقربها معركة رمضان المجيدة .

٧ – ويقوم المجلس برحلات متعددة الى أنحاء العالم الاسلامى ، استجابة لدعوات من الحكومات والهيئات يجدد فيها صلات المودة بين مصر وأشقائها المسلمين ، ويساهم فى حل مشكلاتهم ، ويتعرف حاجاتهم ، ويبلغها للدولة فتقوم مشكورة بالاستجابة لها .

٨ – والمجلس يستضيف كبار الشخصيات من العالم الاسلامى ، ويستقبل كبار الوافدين ، ويجمعهم بعلماء المسلمين فى القاهرة ، ليتدارسوا جميعا احوال المسلمين ، ويتعاونون على ما يحقق الخير لهم فى خطوات ايجابية فعالة .

٩ – ويعقد المجلس مسابقات لطلاب الجامعات فى موضوعات اسلامية ، ليتنافسوا فى الكتابة فيها .

والمجلس يتوخى من هذه المسابقات أن يتصل الشباب بالثقافة الاسلامية ، وأن يشغلوا فراغهم فى العطلة الصيفية بعمل نافع .

ثم يقدم المجلس جوائز متعددة مشجعة للاوائل فى كل بحث .

وآخر مسابقة فى عامنا هذا اشترك فيها خمسة آلاف طالب ، كتبوا فى ثلاثين موضوعا هى مسابقة العاشر من رمضان .

١٠ – يزود المجلس المكتبات التى فى داخل الجمهورية بالمطبوعات ، وقد بلغ ما تم توزيعه الى آخر ديسمبر سنة ١٩٧٣ نحو ثمانية ملايين نسخة من المصاحف والكتب والرسائل .

أما الذى تم توزيعه فى الخارج فهو نحو سبعة آلاف مصحف مسجل وأكثر من نصف مليون اسطوانة لتعليم الصلاة وأكثر من مئتى ألف مصحف مطبوع وأكثر من ثمانية ملايين كتاب ومجلة .

وبالمجلس وثائق دقيقة تثبت هذا كله بالتفصيل فى الداخل والخارج .

١١ – ولقد عرف الفاتيكان آثار المجلس فى افريقية وآسيا وعظم قيمتها فوجه الدعوة اليه سنة ١٩٧٠ لزيارته ، وتعتبر هذه الدعوة هى الاولى فى تاريخ العلاقة الاسلامية المسيحية ، وقد اجاب المجلس هذه الدعوة فى حينها ، ولقى هناك ترحيبا وحفاوة وكانت هذه الزيارة تمهيدا طيبا لتفاهم صريح واضح ، فجاء وفد من الفاتيكان الى مصر بدعوة من المجلس منذ شهرين برئاسة شئون غير المسيحيين بالفاتيكان ، وهنا دار حوار بين الوفد والمجلس أسفر عن نتائج طيبة فى توجيه الشباب الاسلامى والمسيحى وجهة صالحة ، وعن نتائج حميدة فى الدعوة الى السلام العالمى والى خدمة الانسانية .

سيادة رئيس مجلس الوزراء

انه ليطيب لى أن أختتم كلمتى بمثل ما بدأتها به من التقدير العظيم وعرفان الجميل للسيد رئيس الجمهورية ، لانه يرعى المجلس ويؤيده ويسدده ، سدد الله خطاه وصانه ونصره وأبقاه .

وأوجه شكرى الجزيل للسيد رئيس مجلس الوزراء ، لانه بتشريفه هذا الحفل يزيد المجلس عزيمة وجهادا . وفقه الله وقواه .

وأشكر لكم جميعا جزيل الشكر

والسلام عليكم ورحمة الله

السيد الدكتور عبد العزيز حجازى وفضيلة الامام الاكبر والسيد محمد توفيق عويضه يستمعون الى تلاوة القرآن الكريم فى بداية الحفل .

كلمة الدكتور عبد العزيز حجازى
رئيس مجلس الوزراء

أيها الاخوة

بسم الله .. وعلى بركة الله .. وبهدى من الله نفتتح هذا اللقاء الطيب الذى يجمعنا بالفكر والوجدان .. على طريق واحد ارتضاه شعبنا الطيب .. ومهده عبر مئات السنين – ذلك الطريق أيها الاخوة – هو طريق العلم والايمان ..

ولقد حرصت الحرص كله ورغم شواغل ومهام عديدة – على أن أشهد هذا اللقاء .. لقاء الايمان والعلم .. فما أحوجنا ونحن نواجه تحديات الحاضر .. ونخطط باذن الله وعونه لآمال المستقبل – ما أحوجنا أن نستقى من نبع الايمان وما أحوجنا أن نستلهم ما وعاه تراثنا العظيم من قيم مضيئة بشرت بها رسالات السماء .. وبلغها من لدن العزيز الحكيم رجال اصطفاهم ربنا سبحانه ليأخذوا بيد الناس الى صراط مستقيم .. فكانت شريعة موسى عليه السلام بالحق وكانت شريعة عيسى عليه السلام بالمحبة ، ثم كانت شريعة العدل والتوحيد التى بشر بها محمد عليه السلام خاتم الانبياء وسيد المرسلين ، **وما جاءت هذه القيم التى حوتها رسالات السماء القدسية الا من أجل شرف الانسان وسعادته وفى سبيل هداية البشر وارشادهم ، ومن أجل أن يعيش الناس سواسية كأسنان المشط لا يتفاضلون الا بتقوى الله واستقامة الخلق وعطاء العمل ونفع الناس كل الناس .. « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض »** صدق الله العظيم ..

ولقد اتى على البشرية حين من الدهر تظالم فيه الناس وكاد الحق بينهم يصير وضيعا وغريبا .. واستقوى الجبارون على الضعفاء .. وفشت الكراهية والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد .. ولم يكن من عاصم لهذا كله سوى الايمان بالله جلت قدرته .. واحدا لا شريك له فى ملكه . ثم الايمان بالانسان .. ذلك المخلوق الرائع الذى صنعه ربنا على عينه وسخر له مافى الكون كله وعلمه الاسماء كلها .. خلقه ربنا فى أحسن تقويم وعصمه من الردة والضعف الا بقوة الايمان وعمل الصالحات **«الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون»** .

أيها الاخوة :

وحين يؤمن الفرد بالله .. ووحدانيته .. تصبح كلمة الله اكبر شعارا له ومنهاجا لحياته وحين تضىء الله أكبر حنايا الفرد المؤمن .. يهون كل صعب وتصغر كل المشكلات .. يقترب الانسان من الله ويدعو فيستجاب له الدعاء ، ويشكو فاذا بيد الرحمن بلسما بالشفاء ويحمد ويثنى فيزيد الله من نعمته عليه .. ويتقى فيجعل الله له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، .. وحين تضىء عبارة الله أكبر حياة شعبنا وأمتنا كما آمن بها المقاتل المصرى فحقق نصر اكتوبر العظيم . فان يوما سوف يأتى بالبشرى ايها الاخوة — يقول لنا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ويقول لنا باليقين كله : « **ان لله عبادا اذا أرادوا أراد** » يوما نعمل ونكد حتى يطالعنا وقد حفل بآمال مستقبل واعد بالنصر المبين : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

صدق الله العظيم .

أيها الاخوة الاعزاء

لقد تعلمنا من تراثنا العظيم ايضا .. ان الايمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل وتعلمنا ايضا أن الاسلام عقيده وشريعة — وأنه منهج للفكر وسلوك ومعاملة بين الناس وفى ضوء هذه التعاليم كلها..

علينا ان ننشد ترجمة القيم الروحية الى سلوك يعيشه الناس وتلمسه جماهيرنا المؤمنة الصابرة . من المسئولين فى دولة العلم والايمان وعلى كل المستويات .

علينا ان نكرس فى نفوسنا ونفوس الناشئين من ابنائنا قيمة الحرية باعتبارها الركيزة الاساسية فى حياة أى شعب .. حرية فى الفكر والعقيدة حرية الراى والحوار ، وانها لظاهرة صحية حقا .. ان يشهد مجتمعنا المصرى فى هذه المرحلة حوارا بين مختلف القوى والسلطات الدستورية حول مصالح الناس ومشاكل الناس .. ونحن اذا أردنا ان نرشد ممارسة هذه الظاهرة حتى تؤتى ثمارها الطيبة — فان لنا فى رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة **حسنة حين يخاطبه القرآن « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »** وحين يزكيه القرآن فيقول : **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ولنا فى السلف الصالح قدوة ومثال حين يقول الصديق ابو بكر للناس غداة توليه الخلافة .

« أيها الناس ان أحسنت فأعينونى
وان عصيت الله فلا طاعة لى عليكم »

من هنا تظل جذوة الحوار حول الصالح العام مضيئة متقدة .. تعلو عن الحقد .. وتنبو عن النفق أو نوازع الخيلاء .

أيها الاخوة

ومن عقيدتنا نتعلم ايضا قيمة العمل **تلك القيمة التى يعدها الاسلام وتعدها سائر الرسالات محورا لحياة البشرية وانى لاوجه الخطاب من فوق هذا المنبر الجليل الى كل فرد عامل من ابناء شعبنا .. ان يحاسب نفسه : ماذا قدم لهذه الامة من عمل** وعمل متقن فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ..ولسوف يقف الخلق جميعا أمام الرحمان يوم الحشر العظيم ..فاذا بالناس لا يجزون الا ما كانوا يعملون — واذا بخير الناس يوم القيامة هم أنفعهم للناس فى الدنيا — واذا بالقول القرآنى يتكشف أمام الافئدة يتجلى أمام العيون .

بسم الله الرحمن الرحيم

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . صدق الله العظيم وهذا أيها الاخوة هو معنى الثواب والعقاب .

أيها الاخوة

كانت هذه المبادىء نبراسا وكانت منهجا للحكومة وهى تعكف على صياغة بيانها حين تقدمت به الى الشعب من خلال مجلس الشعب .. ولقد كانت الحكومة واثقة باليقين كله — ان هذ المبادىء ليست غريبة ولا جديدة على ابناء شعبنا .. بل هى راسخة الجذور فى هذه الارض المباركة التى خطت فوقها أقدام الانبياء . وروت ساحتها دماء الشهداء وعاش أبناؤها كل السنوات الصعبة وكل الازمات المضنية يرتفعون فوق الجراح ويواجهون المحن بصبر المؤمن وعزم الواثق من نصر الله .

ولقد كانت هذه القيم ذاتها هى التى دفعت الحكومة أن تعرض بالامانة كل أبعاد المرحلة التى يختارها النضال المصرى فى الوقت الحاضر وأن تضع كل فردفى كل موقع امام مسئولياته وان تنبه الى مبدأ الطهارة الثورية والنقاء الثورى ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

واذا كانت الحكومة قد صدقت مع الناس فى عرض صورة الموقف بالامانة والموضوعية فان الحكومة سوف تصدق باذن الله مع مبادئها التى نستلهمها من قيمنا وديننا وتراثنا العظيم — سوف تمضى لتحاسب بلا هوادة الذين ينحرفون عن الطريق القويم طريق خدمة مصالح الشعب وسوف تمضى بلا توان كى تنصب ميزان الثواب والعقاب .. على ان تكون الحكومة أول من يأخذ نفسه بميزان الثواب والعقاب . لكن هناك التنبيه قبل المساءلة وهناك التحقق قبل اقرار الجزاء .. وحتى لا يصاب أحد بجهالة وحتى لا يضار انسان قبل ان يثبت عليه جرم او جريرة .

وأود أن اقول أيها الاخوة .. وبالامانة كلها ان أجهزة الرقابة مهما تعددت **فان أكبر جهاز للرقابة مركب فينا نحن البشر وهو الضمير .. ذلك الصوت الباطنى فى نفس كانسان ذلك الهاتف الذى يستلهم القول المتواتر المضىء :**

أعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه .. فانه يراك ..

أيها الاخوة ..

ان هذا البلد بلدنا .. وذلك المستقبل الذى نبنية هو مستقبل ابنائنا .. وذلك الانضباط والحزم الذى

تدعو اليه الحكومة وتأخذ نفسها به قبل الاخرين ليس قيمة نستوردها من خارج حدودنا أو بعيداً عن قيمنا وتراثنا .

وهل أتاكم حديث عمر بن الخطاب وهو يقوم الصفوف ويأخذ الولاة والعمال بحزم مؤمن وانضباط مسئول حتى لتحسب الحزم قسوة وتحسب الانضباط غلظة ــ فاذا بعمر العظيم .. يقوم الليل بالخشوع يتهجد ويسمع لبكائه ازيز فى هدأة السحر ويرسل كلماته التى تتردد أبدا فى سمع الزمان :

والله لو عثرت بغلة فى ارض العراق يسألنى الله عنها يوم القيامة ــ لم لم اسو لها الطريق ؟

ويقول عمر :

« لئن عشت لهم ليأتين راعى الغنم على جبل صنعاء حقه المعلوم فى بيت المال وهو قائم فى مكانه لا يبرحه » .

هكذا ايها الاخوة الاعزاء .. يضرب السلف الصالح القدوة والمثل الطيب أمامنا وأمام الاجيال التى تبنى مصر الامل ــ مصر المستقبل ــ ونحن نعلم هذه القيم وندركها فهما ووعيا ودراسة .

لكن لا خير فى علم لا يصدقه عمل ، ولا خير فى عمل لايمكث فى الارض ولا ينفع كل الناس من هنا ايها الاخوة تتضح امامنا وامامكم مسئولياتنا جميعا .. تلك المسئوليات التى آن الاوان كى نحملها حتى يستقيم أمامنا الطريق .

واذا كانت المسئولية تبدأ باجهزة الدولة ومؤسسات الحكومة .. فان مسئولية الجمعيات والمنظمات الدينية لا تقل عن مسئولية الحكومة شأنا بحال من الاحوال .

هذه الجمعيات عليها ان تستشرف آفاق العصر الذى نعيش فيه ــ عليها أن تفاعل بين الفكر المعاصر وبين التراث المتواتر والفكر الموروث .

عليها **أن تقدم تراثنا لابنائنا فى قالب سائغ مبسط وفى صياغة محببة الى العقول والنفوس وهو ما اسعدنى ان اسمعه اليوم ضمن انجازات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .**

وأود أن اطمئنكم انطلاقا لما التزمت به الحكومة كما جاء فى بيان الحكومة ــ **اننا جادون على طريق تمكين المسجد من أداء رسالته القويمة** ، والتى اداها المسجد فى العهود الاسلامية الاولى بل فى عهود قريبة من تاريخنا المعاصر .

كان المسجد ولابد أن يظل مركزا لاشعاع حضارى وموئلا لاجتهاد فكرى ومصدرا لتعلم القيم والمثل العليا بل كان المسجد كما يشهد تاريخنا المعاصر منبعا يستجمع منه المناضلون ارادة الثورة ضد الاحتلال والطغيان وكان ايضا ساحة تجسدت فوقها الوحدة الوطنية التى يعتز بها الشعب المصرى فى واجهة الاستعمار ومحاولات التفرقة بين ابناء الامة الواحدة .

وليس صدفة ايها الاخوة ان يكون الازهر الشريف وهو منارة الاشعاع الفكرى والروحى فى حياة امتنا هو ذلك الطود الشامخ الذى تخرجت منه أجيال الشيوخ الرواد ــ اولئك الذين نبتوا فوق ثرى الوادى فى الدلتا وفى الصعيد ، وشهدهم صحن الجامع العتيد يقرأون ويحصلون ثم اذا بهم يبعثون الى اوربا على امتداد سنوات القرن التاسع عشر ــ ويعودون الى مصر وقد تزودوا باسباب حضارة عصرهم الحديث . ثقفوا افكاره وقرعوا علومه وتمثلوا ابداعه وفنونه .لكنهم عادوا وقد اتقدت فى حناياهم جذوة التجديد ، عادوا وقد اشتعلت هممهم لخدمة ابناء شعبهم .. لم يذوبوا فى حضارة أوربا وانما تسلحوا بها ولم تبهرهم مظاهر المدنية وانما تعمقوا فى جوهرها ، وهكذا شهدت مصر تلك الزهور المتفتحة على ضفاف وادى النيل .. رفاعة الطهطاوى وتلاميذه .. ومحمد عبده وتلاميذه .. ثم سعد زغلول وتلاميذه .. وكلهم خرجوا من عباءة الازهر العظيم . وشاركوا فى بناء نهضة مصر الحديثة واقفين على ارضية ثابتة من الايمان بالعقيدة والتراث والوطنية والانسان .

حتى لقد اضاءت مشاعل فكرهم وعلمهم جنبات الوادى وامتد شعاعها ليغطى آفاق الوطن المصرى والعالم الاسلامى كله .

وبعد ايها الاخوة

على طريق هؤلاء الرواد ــ المؤمنين نسير ونحمل المسئولية .. بضمير نقى وقلب نبرؤه من الحقد ونزكيه بالمحبة والعمل ونفس مستقيمة تتجه الى الله واثقة فى عطاء شعبنا لا تحدها حدود ..

وعلى بركة الله .. يبدأ موسمكم الثقافى الاسلامى الذى لا أشك فى أنه يلقى فى التربة بذورا مباركة .. سوف يجتنى شعبنا من ورائها أطيب الثمرات .

ايها الاخوة ..

قبل ان اختتم حديثى ارجو ان تسمحوا لى ان احيى الاخوة الاشقاء من الدول الاسلامية كما اشكر الاخ محمد توفيق عويضة على اتاحة الفرصة لى لان التقى بالاخوة فى الاسلام واستمع الى انجازات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الذى يلقى منا جميعا كل تقدير وسوف ندعم خطة عمله باذن الله فى نشر الثقافة الاسلامية ودعمها بحيث تنطلق فى الداخل والخارج تحمل رسالة الايمان والسلام .

أيها الاخوة الاعزاء

لقد كان قائدنا الرئيس محمد انور السادات أول من نادى باقامة الدولة العصرية المصرية على دعامتين أساسيتين هما :

العلم . والايمان

وبهذه الدعوة فتح السادات أمام شعبنا وأمتنا المؤمنة طريقا جديدا ومضيئا للعمل والبناء ، للفكر وللابداع .

وما نشك لحظة واحدة ان لقاءكم هذا سوف يكون علامة بارزة طيبة على نفس الطريق .

لكم التوفيق كله .

والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات قرآنية

سورة البقرة

الآيات من ١٣٥-١٥٠

موضوع القبلة وكل ما دار حوله من الحديث

وصف المشهد الرهيب حول الكعبة

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون • فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم • صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون • قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون • أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون • تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون • سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع أيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم ■ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وأن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون • ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين • الذين آتيانهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • الحق من ربك فلا تكونن من الممترين • ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شىء قدير • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون •

[وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا]

قدمنا ان أرجح الاراء الذى نختاره فى معنى هود اى يهود نسبة الى يهوذا بن يعقوب ومن المألوف عند العرب استبدال حرف الذال بالدال . والنصارى نسبة الى الناصرة مسقط رأس سيدنا عيسى . [تهتدوا] اى انه لا هدى الا لمن كان يهوديا او نصرانيا مع أنه لو صح أحد القولين لبطل الاخر فلوصح كلام اليهود أن الهدى وقف على اليهود لبطلت دعوة النصارى من انهم هم وحدهم المهتدون والعكس بالعكس وليس هذا الزعم بأن معتنقى أى دين هم وحدهم المهتدون ليس وقفا على اليهود والنصارى بل هو مايزعمه لانفسهم معتنقو اى دين مذ عرفت البشرية الاديان ومن هنا ينفرد الاسلام باحدى خصائصه التى تجعله دين البشرية مذ كان دينا الى أن يرث الله الارض ، وهو ما تؤكده الايات التالية من وحدة الاديان السماوية كلها . فما دام الله واحدا وما دام هو الذى يبعث الرسل فلا يمكن الا ان يكون جوهر الرسالات واحد [وهو الايمان بالله الواحد الاحد خالق السموات والارض] وأن اليه المرجع والمآب ليحاسب كل انسان وما يترتب على ذلك من واجب على الانسان ان يعمل الصالح وينبىء عن الطالح فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

هذا هو جوهر الدين أى دين ، وما زاد على ذلك فليس يخرج عن واحد من اثنين :

— اما تعاليم خاصة أريدت لاحوال واجيال محددة كانت هى التى توفر لها الصلاح .

— واما تحريفات وانحرافات طرات على أصل الدين أضافها أشخاص تحقيقا لاغراضهم وشهواتهم .

وجاء الاسلام يطهر الدين مما غشيه من الغواشى وبالتشريع الذى يلاءم البشر بعامته فى كل زمان ومكان فدعا الى التوحيد المطلق والايمان باليوم الاخر وبصالح الاعمال . فأصبح الكفر به هوكفر بالله وبأنه لا يبعث الرسل ، لان مجرد الايمان برسول يستتبع على الفور الايمان ببقية الرسل ما دام جوهر ما يدعون اليه واحد .

[بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين]

والقرآن الكريم قد اعتبر ما دعى اليه ابراهيم هو جوهر الاديان كلها وقد قدمنا أن كلمة « ملة » تعنى شريعة والاصل اللغوى لكلمة « حنيفا » أى مائلا وهى هنا بمعنى أنه مال عن الباطل الى الحق ، وقيل ان حنيفا بمعنى مستقيما . وسمى ابراهيم حنيفا لانه حنف الى دين الله وهو الاسلام دين الفطرة .

[وما كان من المشركين] .

أما لماذا اختص القرآن الكريم سيدنا ابراهيم بالذكر واننا معاشر المسلمين نتبع ملته فذلك لانه الاصل المشترك الذى يعترف به اليهود والنصارى من ناحية والعرب من الناحية الاخرى ، فعند اليهود فان ابراهيم هو جدهم الاعلى الذى انسل اسحق الذى انسل يعقوب [اسرائيل] والنصارى يسلمون بهذا القسم من الكتاب المقدس .

ومن الناحية الاخرى فالعرب يقررون أنهم ابناء اسماعيل بن ابراهيم وانهم انما يدينون بدينه ومن هنا براه القرآن من افكهم [**وما كان من المشركين**] فقد حارب سيدنا ابراهيم الاوثان وبدأ منذ صباه المبكر بتحطيمها ، فأى زور وبهتان أن تعبد الاصنام برغم أن هذا هو دين ابراهيم ، أو أن يزعم اليهود والنصارى أن ما هم عليه هو دين ابراهيم . وانما دين ابراهيم هو دين الفطرة الذى ينطوى على جوهر الاديان كلها وهو ما جاء الاسلام لتبيانه فانكاره هو انكار للرسالات السماوية كلها .

[قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا]

هذا هو صخرة النجاه لكل مسلم ، هذا هو حبل الله المتين يمسك به المسلم فيكون آمنا من كل سوء أو من كل شر وهو الايمان بالله من خلال رسالة سيدنا محمد باعتبارها خاتمة الرسالات وباعتباره خاتم النبيين والرسل فلا يمكن أن تكون رسالته الا اكمل الرسالات واتمها .

[وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل وأسحق ويعقوب والاسباط) .

الاسباط : جمع سبط والسبط فى اللغة تعنى التتابع ولكنها استعملت اصطلاحا على « ولد الولد » فالحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة وكل حفيد فهو سبط والمقصود من الاسباط هنا سلالة سيدنا يعقوب وقد رزق اثنا عشر ولدا أصبح كل منهم رأسا لقبيلة جاء فى القرآن الكريم حكايه عن هذه الواقعة :

« وقطعناهم أثنتى عشرة أسباطا أمما » .

- والاية تفيد انه بعد أن ألزم القرآن الكريم المسلمين أن يتمسكوا بما انزل اليهم فى القرآن فى الكل وادق التفصيل جنب المسلمين أن يترددوا فيما تردى فيه دعاة سائر الاديان وهو أن ينكروا باقى الاديان من أساسها بل أن القران يعلم المسلم ما قدمناه من أن جوهر الاديان لا يمكن الا أن يكون واحدا وتطبيقا لذلك فالمسلم يؤمن بما أنزل على ابراهيم وقد قدمنا بأنه دين الاسلام بالذات ، وعن ابراهيم تلقى اسماعيل واسحق ويعقوب وأولاده [الاسباط] وقد راينا فى آية سابقة [أم كنتم شهداء ...] تعهد الاسباط بعبادة الله الواحد رب ابراهيم واسماعيل واسحق [**الها واحدا ونحن له مسلمون**] .

[وما أوتى موسى وعيسى]

ولما كان لسيدنا موسى وسيدنا عيسى اتباع محددون [اليهود والنصارى] وقد تحدث القرآن عن كتب

سماوية انزلت عليهم [التوراة والانجيل] فقد اختصهم القرآن بأسلوبه البيانى بكلمة « أوتى » .

[**وما اوتى النبيون من ربهم**]

ولما كان القرآن الكريم يحدثنا عن أنبياء آخرين فليس الامر كما يزعم اليهود من أن النبوة قاصرة عليهم ولا تكون الا من بين صفوفهم فحدثنا القرآن عن صالح وعن هود وهما من غير بنى اسرائيل وارسلا الى [ثمود وعاد] بل ولفت القرآن نظر سيدنا محمد الى ان فى تاريخ البشرية رسلا لم ير الله عز وجل ان يذكر اسماءهم [**ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك**] ومن هنا فبعد التخصص فى الاية التى نحن بصددها من ذكر اسماء ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ثم بعد تخصيص التخصيص بذكر موسى وعيسى ، عمد القرآن الكريم الى التعميم المطلق .

« **وما أوتى النبيون من ربهم** » .

فكل مبعوث من السماء عرفنا او لم نعرف ما دام قد تلقى وحيا من رب العالمين فلا يمكن ان يكون جوهره الا واحدا .

لا نفرق بين أحد منهم

ويصل القرآن الكريم فى تربيته المسلمين الى الحد الذى يطالبهم فيه بمغالبة عواطفهم وعدم الانطلاق مع الطبيعه البشرية المألوفة وهو أن يعتز كل انسان بامامه وقائده وبفضله على بقية القادة والائمة فيطالبهم بأن « **لا نفرق بين أحد منهم** » وهو أمر سيتكرر فى ختام السورة « **لا نفرق بين أحد من رسله** » والقرآن الكريم قد وضح هذا المعنى وبين أصوله فما دام الانبياء بعض عبيد الله اختارهم واختصهم فى أداء رسالته فهم جميعا متساوون من حيث تفضيل الله لهم .

لكل مقام معلوم

ولا يتنافى ذلك مع كون الرسل درجات ومقامات . فذلك مثل قولك بلغتنا المعاصرة « **المواطنون سواء لدى القانون** » أى أن لا فرق بين مواطن ومواطن ولكن ذلك لا يتنافى او يتعارض مع كون هذا وزير وله مكانة ومقام وهذا مواطن عادى ، وفى هذه الحدود يجب أن نفهم « **لانفرق بين أحد منهم** » فمن حيث الجوهر فهم صفوة الله المختارة ، اما من حيث اتجاهنا بكل عواطفنا وحبنا لسيدنا محمد فهذا هو واجبنا والاقتداء به وحده هو ديننا والايمان بأن له مقام لا يرقى اليه نبى من الانبياء فذلك ما يتضح من حديث المعراج ولكن ذلك كله لا يعنى بحال أن يغض المسلم من شأن اى رسول آخر فضلا عن أن يتناوله بالذم والقدح ، ذلك هو تربية القرآن لنا معاشر المسلمين ، وما يجب ان نجعله قاعدة فى سلوكنا كله حيال ما هو أقل من موضوع الرسل ، فليس يعنى حبنا لامام من الائمة وتعظيمنا له أن نغض من شأن الاخرين فضلا عن أن نطعن فيهم .

[**ونحن له مسلمون**]

أى ونحن طائعون منقادون لله عز وجل فى كل امورنا ما كبر منها أو صغر ، ما ظهر منها أو بطن .

[**فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا**]

هذه هى عناصر ايمان المسلمين ، فان آمن بها كائنا من كان فقد اهتدى وعرف طريق الصراط المستقيم .

[**وان تولوا**] أى ان اعرضوا وابوا واستكبروا .

[**فانما هم فى شقاق**]

الشقاق : يعنى الخلاف او العداوة . كلا المعنين جائز فى هذا المقام ، فالذين لا يؤمنون بالحق الذى جاء به سيدنا محمد لايمكن الا ان يختلفوا الى ان يعادى بعضهم بعضا .

[**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**] يكفى بمعنى يقى من الوقاية .

اى فسوف يكفى الله رسوله والمؤمنين من بعده ويقيهم شر هؤلاء الاعداء ، وهذا وعد من الله ولن يخلف الله وعده ابدا كل الذى نريد ان نلفت اليه نظر المؤمنين ان لايتعجلوا ويتشككوا وما عليهم الا ان يؤمنوا ويعملوا ثم يصبروا فلا يلبثون أن يروا تحقق وعد الله .

[**وهو السميع العليم**] :

وهو السميع لكل ما يقال أو يهمس به أو حتى يجول فى الخاطر . العليم بما سوف يقع فى مقبل الزمان وقد تحقق هذا الوعد بطريق مباشر وناجز فى ايام رسول الله وكفاه شر المشركين واليهود وكل من تصدى لحرب رسول الله وسوف يتحقق الوعد حتى فى أيامنا هذه وان كنا نحن قد رأينا بشائره فسوف يشهد أبناؤنا تحقق وعد الله بالكامل شريطة أن يصدق عليهم وصف المؤمنين الذين اختصهم الله بوعده .

[**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**]

صبغة : ـ لغة التلوين ولكنها مجازا تعنى الدين وروى ابن كثير فى تفسيره حديثا عن ابن عباس ان بنى اسرائيل قالوا يارسول الله هل يصبغ ربك ؟ فقال لهم : « اتقوا الله » فناداه ربه يا موسى سألوك هل يصبغ ربك ؟ فقال نعم أنا اصبغ الالوان الاحمر والابيض والاسود والالوان كلها من صبغى وانزل الله على نبيه (**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**) ولا تعليق لنا على هذا الحديث الا بما علق عليه ابن كثير من ان الله أعلم . دلنا النص القرآنى وليس ما يمنع أن يكون المراد بالصبغة معناها اللغوى اى التلوين ويكون معنى الاية لفت النظر الى ما فى الكون من جمال وبهاء يضفيه عليه تنوع الالوان وأينا لا ينبهر بجمال الطبيعة ويسبح بآلاء الخالق المبدع وان ما نراه من جمال هو [**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**] ولكن المعنى الذى يقتضيه السياق هنا حيث الحديث عن الاديان والمعتقدات أن تفهمها بمعناها المجازى فيكون معناها ان ما نحن عليه هو أحسن واكمل من اى دين اخر لان مانحن عليه هو [**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**] .

ونحن له عابدون ؟

هذه الجملة وأمثالها مما سبق من مثل [**ونحن له مسلمون**] فهى كما قدمنا الحجر المكين الذى يقف عليه المؤمن المخلص فى أنه فى كل اعماله وحركاته وسكناته طائع منقاد شاكر لانعم الله وفضله عليه

قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم

اتحاجوننا : اى تجادلوننا وتناظروننا مع أن جوهر الديانة اليهودية قائم على التوحيد فليس هناك فى هذا الحون سوى اله واحد ولكنهم ظلوا اسارى المعتقدات الوثنية الفاسدة من أن الله يختصهم لمجرد كونهم يهوداً بمزايا واعفاءات مما مر بنا كقولهم « **لن تمسنا النار ... الاية** » .

فاستمر القرآن الكريم فى تسفه تصوراتهم واحلامهم الفاسدة فيقول لهم كيف يستقيم هذا الذى تدعونه مع كون الله هو **ربنا مثل ما هو ربكم ولنا أعمالنا الصالحة نثاب عليها مثل ما لكم أعمالكم** [**ونحن له مخلصون**] أى أنه فوق أعمالنا التى نجتهد أن تكون خيراكلها وان تكون صالحة كلها فان نوايانا مخلصة صادقة متفانية فى طاعة الله فكيف تجادلوننا أيها اليهود بعد ذلك فى مزاعمكم من أنكم الافضل عند الله مهما اخطأتم واذنبتم وانحرفتم .

- **ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى**] بلغ من مغالطة اليهود ومكابرتهم ان زعموا ان ابراهيم وولديه اسماعيل واسحق ومن بعد اسحق يعقوب واولاده كانوا يدينون باليهودية التى جاءت بها التوراة التى نزلت على سيدنا موسى بعد وفاة سيدنا ابراهيم واحفاده بعدة قرون ومع ذلك فقد زعم اليهود مازعموا واضطر النصارى ان يفعلوا مثل فعلهم فزعموا بدورهم ان هؤلاء الرسل المنوه بهم أنهم كانوا نصارى وليس يهودا فكشفهم القرآن جميعا بالحجة البسيطة القوية من ان سيدنا ابراهيم كان سابقا فى الترتيب الزمنى على نزول التوراه والانجيل .

« **يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده** » **والحقيقة** فى سيدنا ابراهيم انه ما كان : « **يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** » .

فاليهود عندما يزعمون ان جميع الانبياء والرسل السابقين على سيدنا موسى يدينون باليهودية انما هو افك مبين .

انتم أعلم أم الله ، وما كان لكم أن تدعوا أنكم أعلم من الله وقد بين لكم .

ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله

اى وليس أحد أظلم ممن كتم الشهادة وقد كانت التوراة والانجيل يقرران ان ابراهيم واولاده لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، فأى ظلم وافتراء ان يخفى اليهود هذه الحقيقة ويجادلوا سيدنا محمد مدعين مادعو .

وما الله بغافل عما تعملون

وينذرهم القرآن الكريم بعاقبة هذا الاجتراء على الله فالله الذى لا يخفى عن علمه مثقال ذرة فى السماء والارض ما كان ليغفل عن هذه الجريمة والغافل هو الذى لا يفطن للامور . **والغفلة** : السهو والاهمال .

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم

ويعود القرآن الكريم بأسلوبه البلاغى وايقاعه فى موسيقى الالفاظ وجرسها فى تكرار الاية المشتملة على احدى قواعد الاسلام الاساسية وهى أن « **لا تزر وازرة وزر اخرى** » وان كل نفس بما كسبت رهينة ، فليدن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ما كانوا فما هو شانكم أنتم وذاك .

تلك أمة قد خلت أى [مضت] لها ما كسبت أى [عملت] .

ولا تسألون عما كانوا يعملون

المقصود طبعا أنكم ايها اليهود لن تستفيدوا بأعمالهم الطيبه والصالحة فانما يرجع أجرها اليهم وحدهم ، اما انتم فمحاسبون بما تعملون .

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

السفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل من قولهم ثوب سفيه أى خفيف النسج وهى هنا بمعنى كل من أنكر تحول القبلة سواء كان من اليهود المعاصرين او مشركى قريش أو كل من يقول بهذا القول فى كل زمان ومكان وقد ذهب بعض المفسرين بأن القرآن الكريم استخدم صيغة الاستقبال حكاية لما سوف يقوله السفهاء ليكون وقعه خفيفا على المسلمين عند حدوثه بالفعل . [قاله الزمخشرى وآخرون] بينما قال القرطبى « سيقولون بمعنى قالوا جعل المستقبل موضع الماضى دلالة على استدامة ذلك » .

موضوع تغير القبلة

وسواء كانت « سيقول » تعنى الماضى او المستقبل فانه لا شك فيه أن التعبير بصيغة الاستقبال يفيد أن هذا الاعتراض على تحول القبلة كان وسيبقى حديث السفهاء الجاهلين المغرضين من أعداء الاسلام يلوكونه فالمستشرقون فى عصرنا الحاضر [وأغلبهم من اليهود] يتخرصون فيقولون أن سيدنا محمد عندما وصل المدينه أراد أن يتالف اليهود فصلى الى بيت المقدس طمعا فى اسلامهم فلما أن يئس منهم عاد الى قبلته القديمة نحو الكعبة ، فسوف ترى أن هذا القول تهدمه الحقائق الثابتة والايات القرآنية ، ويكون ما حدثه القرآن عن السفهاء فى كل زمان ومكان من انهم سيتخذون من موضوع تغيير القبلة مجالا للقيل والقال هو أحد معجزات القرآن ، والان فلنبدأ بعرض الواقعة مبتدئين بحديث البخارى فى الموضوع .

حديث البخارى عن تحول القبلة

حدثنا البخارى فى صحيحه عن البراء : « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان أول ما قدم **المدينة** ، صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل **البيت** ، وانه

صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صل معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت » .

وقد تعددت الاحاديث بهذا المعنى ويشير بعضها الى ان المسجد المعنى فى حديث البخارى هو مسجد قباء ، على أنه يوجد الان فى ضواحى المدينة المنورة مسجد يطلق عليه اسم مسجد القبلتين . والمهم الان ان الواقعة مؤكدة يرويها القرآن ويذكر لنا سببها وعلتها وملابساتها فأصبح الامر ليس محلا لاجتهاد المفسرين فى التماس العلة ورحم الله بعض كبار قدامى المفسرين فقد كان الايمان والاسلام قويا وعميقا فى انفسهم فترخصوا فىذكرى بعض العبارات دون أن يدور فى خلدهم ان هذه العبارات بالذات سوف تتخذ تكأة للمرجفين والمشككين السفهاء ومن هذه العبارات عبارة أنه صلى الى بيت المقدس فى بادىء الامر تأليفا لليهود كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتصرف فى هذه الامور التعبدية عن امره واجتهاده ، وهو ما لا يجوز تصوره خصوصا ونحن بازاء نص قرانى محدد ينسب اختيار القبلة الاولى [الى بيت المقدس] الى الله عز وجل « **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها ....** » .

فبطل اذن ولم يعد من الجائز القول بأن سيدنا محمد صلى الى بيت المقدس باجتهاده فقد تم ذلك بتوجيه من الله شأنه فى ذلك شأنه فى جميع ما يتصل بالعبادات وسنزيد الموضوع شرحا ونكمله باذن الله فى الايات التالية .

« **قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » .

لا نسخ

واذا كنا قد توقفنا مؤقتا عن استكمال موضوع القبله وتحويلها وسبب ذلك فذلك تمشيا مع منهج القرآن الكريم ذاته والذى أوقف الحديث عنها ليؤكد أولا وقبل كل شىء أن لا علاقة بهذا التحول وبين ما سبق وقرره من أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهه وانه فى كل مكان فقد ذكرنا ونحن بصدد تفسير آيه « **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** » .

ان المعنى الذى انطوت عليه هذه الاية لا يجوز أن ينسخ وها نحن نرى أن الايات التى ستحدثنا عن تغيير القبلة تبدأ أول ما تبدأ بتأكيد الحقيقة من ان لله المشرق والمغرب مستخدمة ذات الالفاظ ليكون أقوى فى التأكيد .

« **يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** »

فالهدى هدى الله والمسلم يتوجه فى كل ركعة من صلاته الى الله طالبا منه الهداية « **اهدنا الصراط المستقيم** » .

فلا تتصوروا أيها المؤمنون الا ان ما حدث فى موضوع القبلة قد تم بهداية من الله نحو الطريق المستقيم .

« **من يشاء** » وتعليق المشيئة بارادة الله هو ما يجب ان يتمثله المؤمن المسلم فى كل لحظة وآن .

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم

الوسط : العدل : الاحسن .

جاء فى القرآن الكريم « قال أوسطهم » أى أعدلهم وخيرهم .

قال الشاعر ، هم وسط يرضى الانام بحكمهم .

وفى الحديث الشريف « خير الامور أوسطها » .

عقبيه : العقب مؤخر القدم ويكون معنى يرتد على عقبيه . أى يرجع الى الخلف كناية لمن يرتد عن دينه بعد ان ختمت الاية السابقة بما يفيد أن التحول عن القبله كان بهداية من الله وأنه الطريق المستقيم [الذى لا عوج فيه] .

جاءت هذه الآية تطمئن قلوب المسلمين الىمكانتهم بين أصحاب العقائد والملل الاخرى وان هذه المكانة هى خير المقامات كلها وعبر عن هذه الافضلية « بالوسطية » لان وسط أى شىء هو أفضله ومحوره ومعقد ارتكازه والوسط هو النقطة التى يتحقق عندها التوازن . فالكون كله قائم على التوازن ، والتوازن لا يتحقق الا نتيجه التوسط .

ولما كان الانسان فردا كان أو جماعة هو بعض ما فى الطبيعة ، فان صلاحه تم من خلال التوسط فى كل أموره مادية كانت أو معنوية ، فالانسان على سبيل المثال اذا اراد ان يحتفظ بصحة جيدة فعلية بالتوسط فى كل اموره من طعام وشراب وسكون وحركه ونوم ويقظه بالنسبة لكيانه المادى ، وكذلك الشأن فى أموره المعنوية ومنذ أقدم العصور والفضيلة هى كما عبر أرسطو « وسط بين طرفين » كل منهما رذيلة ، فالشجاعة على سبيل المثال وهى فضيلة وسط بين الجبن من ناحية والتهور من الناحيه الاخرى . والكرم وسط بين الشح والتبذير وهكذا بقية الفضائل الانسانية ، ليست فى حقيقتها الاوسط بين طرفين .

الاسلام هو الوسط

ومن هنا جاءت تعاليم الاسلام وسط فى كل شىء ابتداء من تصورات العقل حتى طريقة انفاق المال « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » .

ولعله لا يبرز أن التوسط حتى فى العباده هو جوهر الاسلام من الحديث الذى يصف لنا كيف أنكر رسول الله على نفر من الصحابة آلى أحدهم على نفسه أن يظل صائما طول عمره وآلى الثانى على

نفسه أن لا ينام بالليل أبدا وان يقومه متهجدا لله تعالى ، وأخذ الثالث على نفسه أن لا يقرب النساء ، فاستدعاهم رسول الله وأنكر عليهم فعلتهم ، ولم يقف عند حد الانكار ، بل ضرب المثل بنفسه من أنه يصوم ويفطر ويقوم الليل ويرقد ويتزوج النساء ، ثم انزل الجزاء الرهيب على من يخرج على هذه القاعدة بقوله « **فمن رغب عن سنتي فليس منى** » .

ويطول بنا القول اذا مضينا فى تتبع الوسطية فى كل شان من شئون الاسلام والذى يقوم على التوازن الدقيق بين المادة والروح بين الدنيا والاخرة ، وسيعرض لنا هذا الموضوع فى مناسبات شتى ، والذى يعنينا الان تقريره ، أن أمة الاسلام شاءها الله أن تكون بما تقوم به من صالح الاعمال بالاضافة الى عقيدتها السليمة « **خير أمة اخرجت للناس** » . ومن هنا فقد جعلهم شهداء على الناس سواء فى ذلك من عاصرهم أو سبقهم من الامم . روى البخارى فى صحيحه عن سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليهوسلم : « **يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيعول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نزير ، فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الـرسول عليكم شهيدا فـذلك قـوله عز وجل « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » » .

وثمة أحاديث أخرى تضيف زيادات بنفس المعنى الذى أورده البخارى ، وهكذا يشهد سيدنا محمد على أمته وتشهد أمته على بقية الامم بما تعلمته على يد سيدنا محمد من آيات القرآن الكريم .

وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .

فى هذه الاية الكريمة اعلام من الله تعالى عن السر فى تحويل القبلة ، وأن صلاة سيدنا محمد نحو القبلة الاولى [الى بيت المقدس] كان بتوجيه من الله سبحانه وتعالى « **وما جعلنا** » وأنه اريد به الاختبار لصحابة رسول الله وابتلائهم ليعلم سيدنا محمد علم اليقين مدى عمق ايمان أصحابه به ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، ومدى استجابتهم وطاعتهم لاوامره فى غير تردد باعتباره رسول الله ، وقد راينا كيف أن جماعة المصلين بمجرد ان جاءهم الخبر على لسان الثقة الامين ان رسول الله قد حول القبلة حتى لم يضيعوا لحظة واحد فضلا عن أن يتساءلوا عن سر هذا التغير ، بل بادروا بالتحول وسط الصلاة نحو القبلة الجديدة واكملوا الصلاة . وهكذا علم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من هم أصحابه حقا وصدقا ممن يستطيع الاعتماد عليهم فيما هو مقبل عليه من جليل الاعمال فلن يلبث سيدنا محمد أن يمتشق وجماعة المؤمنين السيف دفاعا عن الاسلام ، فكان لا مناص من أن يعرف مقدما « **من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** » ولا يجب أن يستوقفنا طويلا تعبير القرآن الكريم بكلمة « نعلم » فالله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم ماكان وماهو كائن وماسوف يكون ولكنه تعبير طالماتكرر فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى : «وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » أو « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** » . ومثل ذلك كثير ، فلا يجب ان يفهم منه بحال ان الله يعلم بعد ان لم يكن يعلم ، حاشا وكلا ، ويجب فهم المقصود من كلمة « نعلم » فى كل حالة وقد روى القرطبى عدة اقوال ذهب اليها المفسرون :

« فقيل المعنى لنميز أهل اليقين من أهل الشك » حكاه ابن فورك وذكره الطبرى عن ابن عباس ، وقيل المعنى « الا ليعلم النبى واتباعه ، وأخبر تعالى بذلك عن نفسه كما يقال ، فعل الامير كذا وانما فعله اتباعه » ذكره المهدى وهو جيد .

وقيل معناه ليعلم محمد فأضاف علمه الى نفسه تعالى تخصيصا وتفضيلا . انتهى كلام القرطبى .

وقال أشياخنا فى تفسير الوسيط :

« والله سبحانه يعلم ماكان وما يكون فالمراد بالعلم التميز بالاتباع الفعلى » ومن ناحيتنا نرى أن المقصود من هذه القضية كلها هو اختبار المسلمين وابتلائهم وتدريبهم على السمع والطاعة استعدادا لما هو آت من جلائل الاعمال ولذلك فنحن نطمئن الى قول من أول المعنى على أنه « لكى يعلم محمد » .

لا نوافق

بقى ان نثبت هنا رأينا فى قول من قال ان صلاة سيدنا محمد نحو بيت المقدس أول ما وصل الى المدينة كان بقصد تاليف اليهود ، فلما يئس منهم عاد الى استقبال الكعبة ، ورأينا اننا لا نوافق على هذا القول جمله وتفصيلا . فقد كان هذا القول يمكن أن تكون فيه شبهة احتمال لو ان الرسول صلوات الله عليه لم يكن يصلى نحو بيت المقدس فى اول الدعوة بمكة مع أن الثابت المحقق الذى لا مرية فيه ان سيدنا محمد كان يصلى فى مكة بين الركنين [الحجر الاسود والركن اليمانى] ومعنى هذا انه كان يستقبل بيت المقدس فلم تكن الكعبة قبلته وان توسطت بينه وبين قبلته البعيدة ، ولو كانت الكعبة هى قبلته لجازت الصلاة حولها من اى جانب كما هو الشأن الان بعد ان اعتبرها القرآن الكريم هى القبلة فأصبحت بأركانها الاربعة قبله ومن حيث تقع العين عليها فهى قبلة ، فلو كانت هى قبلة سيدنا محمد الاولى لما قيد نفسه باتجاه خاص ، وهو الصلاة بين الركنين لتكون صلاته نحو بيت المقدس .

بقى أن نضيف أن بيت المقدس وكونه مسرى الانبياء لم يكن بعيدا عن سيدنا محمد والقرآن الكريم يقول لنا : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد**

البقية ص ١١٧

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

بقية الكلام عن عناية رسل الله بعقيدة التوحيد ومحاربة الشرك

ـ ٩٧ ـ

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

سبق ان تكلمنا فى العدد الماضى عن سبب جعله تعالى ابراهيم عليه السلام اماما للناس واليوم نتكلم عن أمور أخرى :

اولا : معنى قوله تعالى ان ابراهيم كان امة

ثانيا : انه لم يأمر سبحانه وتعالى نبينا صلى الله عليه وسلم باتباع ملة اى رسول من الرسل الا ملة ابراهيم عليه السلام .

ثالثا : كما لم يأمر سبحانه وتعالى امته صلى الله عليه وسلم باتباع ملة أى رسول الا ملة ابيهم ابراهيم .

اما الامر الاول فقد جاء فى آية ١٢٠ من سورة النحل قال تعالى « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » واصل كلمة الامة : الجماعة الكثيرة والمراد بها هنا انه جمع من الفضائل ما لو تفرق لكفى امة بأجمعها .

والامر الثانى وهو الامر باتباع الرسول ملة ابراهيم فقد جاء فى قوله تعالى « ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » آية ١٢٣ النحل .

أما الامر الثالث وهو الامر باتباع أمته صلى الله عليه وسلم ملة ابراهيم فقد جاء فى قوله تعالى« قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » ٩٥ آل عمران .

وقبل الدخول على ما فى سورتى مريم والانبياء ، مما يتعلق بمحاجة ابراهيم لقومه فى ابطال الشرك بالله نقول أولا : لم خص ابراهيم دون الانبياء بأمر الله للرسول وامته باتباع ملته ؟

ثانيا : لم امر سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يشكره على ان هداه الى ملة ابراهيم فى قوله تعالى « **قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** » ١٦١ الانعام .

والجواب على هذا كله ان ابراهيم عليه السلام هو الرسول الوحيد الذى طلب من الله ان يبعث فى ذريه اسماعيل رسولا منهم وهو الذى سماهم المسلمين . قال تعالى « **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » ٣٧ ابراهيم وقال تعالى« **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم** » آيات ١٢٧ــ١٢٩ البقرة . وكما طلب ابراهيم عليه السلام من ربه أن يرسل رسولا من العرب فكذلك بشر به نبى الله عيسى عليه السلام قال تعالى « **واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة**

ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد » آية ٦ سورة الصف . ومعنى كلمة «احمد» اى الذى يحمد الله كثيرا سواء فى السراء او الضراء. وفى هذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف« **انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ابن مريم** » .

ثم ننتقل الى حوار شديد بين ابراهيم عليه السلام وقومه جرى فى سورتين من سور القرآن الكريم غير ما تقدم ، جاء فى سورة مريم وسورة الانبياء . أما ما جاء فى سورة مريم فقوله تعالى « **واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا . اذ قال لابيه يأبت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يأبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا . يأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا . يأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال أراغب انت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا** » الايات من ٤١ الى ٤٨ من سورة مريم

المفردات

صديقا : اى مبالغا فى المحافظة على الصدق فلم يكذب قط .

لابيه : هو « آزر » المتقدم فى آية ٧٤ سورة الانعام « اذ قال ابراهيم لابيه آزر ... » الاية

صراطا : طريقا ـ **سويا** : مستقيما .

لا تعبد الشيطان : المراد لا تطع وسوسته بعبادة غير الله تعالى كما فى قوله تعالى « **الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين** » آية ٦٠ سورة يس . **عصيا** : شديد العصيان

وليا : قرينا له فى اللعن والعذاب لما بينكما من المودة فى الشر

مليا : زمنا طويلا مأخوذا من الملاوة بفتح الميم وهى المدة الطويلة

حفيا : اى كثير البر واللطف بى . يقول العربى حفى فلان بفلان يحفى . بوزن رضى يرضى اى بالغ فى اكرامه والعناية بأمره .

اعتزلكم : اى افارقكم بالهجرة الى خير منكم انظر آية ٧١ الانبياء « **ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين** » و٢٦ العنكبوت «فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم » و ٩٩ الصافات « وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين » .

المعنى

واتل أيها النبى على قومك فيما تذكره لهم فى القرآن قصة ابيهم ابراهيم أنظر قوله تعالى فى سورة الشعراء من اول اية ٦٩ الى اية ٨٢ قال تعالى« **واتل عليهم نبأ ابراهيم [٦٩] اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون [٧٠] قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين [٧١] قال هل يسمعونكم اذ تدعون [٧٢] أو ينفعونكم أو يضرون [٧٣] قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون [٧٤] قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون [٧٥] انتم وآباؤكم الاقدمون [٧٦] فانهم عدو لى الا رب العالمين [٧٧] الذى خلقنى فهو يهدين [٧٨] والذى هو يطعمنى ويسقين [٧٩] واذا مرضت فهو يشفين [٨٠] والذى يميتنى ثم يحيين [٨١] والذى أطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين [٨٢]** » .

ان ابراهيم كان صديقا نبيا ، اى جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين قال لابيه « آزر » يأبت لم تعبد صنما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا فى جلب نفع أو دفع ضر [انظر آية ٧٠ وما بعدها فى سورة الشعراء المتقدمة]يأبت ان الله قد اعطانى من العلم ما لم يعطك قال تعالى « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه**» ٨٣ الانعام . وقال تعالى «**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين** » ٥١ الانبياء . فاتبعنى ادلك على طريق مستقيم يوصل للنجاة ، يا أبت لا تطع وسوسة الشيطان لانه دائم العصيان للرحمن ، ومن دام عصيانه لا يدل على خير ولا يرشد اليه . ياأبت انى اخاف ان يصيبك عذاب من ربك الذى كان يجب ان تستجلب رحمته بدل غضبه فتكون قرينا للشيطان فى اللعن والشقاء وليس لك ولى غيره . **قال « آزر» بعد هذا الوعظ البليغ الحكيم:** هل انت معرض عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته عن الصد عنها لارجمنك بالحجارة ، فاحذر ذلك واهجرنى مليا . **ومع هذا الرد الغليظ ترفق ابراهيم فى الرد** وقال سلام عليك فلا أصيبك بمكروه ابدا وسأطلب لك من ربى المغفرة بان يوفقك للهداية لان ربى كثير البر بى فلا يخيبنى فى استغفارى لك وقد بر ابراهيم بوعده فاستغفر له قال تعالى « **واغفر لابى انه كان من الضالين** » اية ٨٦ من سورة الشعراء . ثم نهاه الله عن هذا الاستغفار فامتنع عن هذا الاستغفار بدليل قوله تعالى « **وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم** » اية ١١٤ سورة التوبة . ثم قال ابراهيم سأعتزلكم وابتعد عنكم وعما تعبدون من دون الله واتوجه بدعائى الى ربى وحده وادعو ربى عسى الا اكون بدعاء ربى محروما من الاجابة .

وقال سبحانه وتعالى فى سورة الانبياء من آية ٥١ الى ٧٠

« **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذالكم من الشاهدين وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون. ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء**

ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون • قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين » •

المفردات :

رشده : الرشد هو الاهتداء الى وجوه الصلاح فى الدين والدنيا

التماثيل : جمع تمثال ، وهو الصورة المصنوعة على شبه مخلوق

لها عاكفون : اى مداومون على عبادتها . فاللام بمعنى « على » كما فى اية ٧ الاسراء « **ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلهـا** » **اى عليها .**

فطرهن : انشأهن

من الشاهدين: الشاهد هو من عاين الشىء وتحقق منه وبرهن عليه

جذاذا : مأخوذ من الجذ وهو القطع كالحطام من الحطم وهو الكسر . والمراد هنا اجزاء صغيرة

يذكرهم : بانه سيوقع الشر بهم

على اعين الناس : اى على الملا يشاهده الجميع

بل : حرف يدل على ابطال ما قبله واثبات ما بعده .

فعله كبيرهم : اى الصنم الكبير منهم وقال ذلك توبيخا لهم ،

رجعوا الى انفسهم : أى باللوم حيث عبدوا من لا يدفع عن نفسه الضر

نكسوا على رءوسهم: اصل نكس الشىء قلبه وجعل اعلاه اسفله ، والمراد انهم بعد اقرارهم بالخطا فى عبادتهم انقلبوا من تلك الحال الى المكابرة والجدل الباطل .

أف : أصل اف صوت المتضجر من قبح شىء ، ثم صارت بمعنى اتضجر ، واللام لبيان المتضجر لاجله

حرقوه : اى أحرقوه بشدة وقسوة

المعنى

اراد سبحانه وتعالى ان يذكر قوم محمد عليه الصلاة والسلام بما حصل من قوم ابراهيم عليه السلام وانجاء الله تعالى له واهلاكهم لعنهم يريد عون فقال: ولقد آتينا رسولنا ابراهيم الرشد الكامل اللائق به من قبل موسى وهارون وكنا بما فيه من الفضائل التى تؤهله للرسالة عالمين . الهمناه رشده حين قال لابيه وقومه مسفها لهم . ما هذه الاصنام التى ما هى الا مجرد تماثيل نحتموها بايديكم ثم تداومون على عبادتها . قالوا انا وجدنا أباءنا لها وحدها عابدين فسرنا على طريقتهم فمن انت حتى تحولنا عن عبادة اشياخنا . فجابههم ابراهيم عليه السلام بالحق ولم يبال حيث قال : وعزة ربى لقد كنتم انتم وأباؤكم فى ضلال وبعد عن الصواب واضح فظنوا من جهلهم أنه يداعبهم فقالوا هل انت جاد فيما تقول أم انت من اللاعبين الذين يمزحون؟ قال لست لاعبا بل اقرر لكم وابلغكم ان ربكم الحق المستحق للعبادة وحده هو رب السموات والأرض الذى خلقهن وانا على ما أقول من المتحققين المقيمين عليه البراهين .

وقد جاء فى ايات ٨٨ الى ٩٦ سورة الصافات ما يعتبر موضحا لهذا الموضوع قال سبحانه فيما حصل من ابراهيم فى هذا المقام «**فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين • فراغ الى الهتهم الا تاكلون • مالكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضربا باليمين • فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون • والله خلقكم وما تعملون** » ومعنى هذه الايات التسع انه كان لهم فى كل عام عيد يجتمعون فيه خارج المدينة وكانوا يضعون الطعام فى قاعة اصنامهم ، فاذا رجعوا من العيد اكلوه تبركا . فلما أرادوا الخروج للعيد قال « آزر » لابنه ابراهيم : اخرج معنا فادعى انه سقيم . فتولوا عنه فقال بصوت منخفض والله لاكيدن اصنامكم اى احطمها فسمعه بعض الضعفاء المتاخرين منهم فلما رجع الى قاعة الاصنام وكان الصنم الاكبر فى صدرها قال مستهزءا الا تاكلون ؟ ما لكم لا تنطقون ؟ ثم اخذ فأسا وكسرها جميعا الا اكبرها فتركه ووضع الفأس فى عنقه لعلهم يرجعون اليه فيسألونه فلا يجيب فيدركون خطاهم . فلما رجعوا قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه لمن الظالمين لنفسه بتعريضها للهلاك . قال بعضهم سمعنا فتى يذكرها بالشر يقال له ابراهيم . قال كبارهم من كفار بابل فأحضروه على مشهد من الناس لعلهم يشاهدون ما يحل به من الحساب والعقاب . فلما جاءوا به قالوا: هل انت الذى فعلت هذا التكسير بالهتنا ؟ قال : لا . يقصد عليه السلام انه لم افعله عبثا ، بل تسبب فيه جهلكم فى تعظيمكم لها خصوصا الصنم الكبير منها ، فاسألوهم عن كسرها ان كانوا ينطقون ، وفى هذا اقوى تنبيه لهم من غفلتهم . عند ذلك رجع عقلاء منهم الى الصواب . وقالوا انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لكن قوة الزعماء وخدام الاصنام الذين ينتفعون ببقائها نكستهم وارجعتهم الى الباطل بالمكابرة والجدل فقالوا لابراهيم: لقد علمت انهم لا ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ قال : هل وصل بكم الجهل هذا الحد فصرتم تعبدون ما لا ينفعكم اقل النفع ان عبدتموهم ولا يضركم ان تركتموهم ! انى اتضجر لاجلكم انتم وما تعبدونهم . افلا تعقلون ، عند ذلك عمدوا الى ما يعمد اليه القوى الجبار القاسى اذا عجز عن الحجة فانه يلجا الى التنكيل لذا قالوا ابنوا له غرفة مرتفعة الحيطان حتى لا يتمكن من الفرار منها . واملاوها بالاخشاب واشعلوا فيها النار ثم اقذفوه فيها من الاعلى ، وبهذا تنصرون آلهتكم على من اهانها ان كنتم فاعلين لها نصرا . فلما طرحوه فى النار قال سبحانه للنار: **كونى بردا وسلاما على خليلى ابراهيم** وهذا كناية عن حفظه من كل سوء. قالوا ولو لم يقل سبحانه « **سلاما** » لقتله بردها. وارادوا بابراهيم كيدا واضرارا فصيرهم الله هم الاخسرين بظهور حقه ومحق باطلهم.

للبحث بقية

الإعجاز

ذهب بعض المتاخرين من أن وجـه اعجاز القرآن الكريم ،ما تضمنه من المزايا الظاهرة ، والبدائع الرائعة : فى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كل سورة وفى مبادىء الايات وفواصلها والمعول على ثلاث خواص :

١ ـ الفصاحة فى الفاظه كأنه السلسال .

٢ ـ البلاغة فى المعانى بالاضافة الى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر فى الاوامر والنواهى ، وانواع الوعيد ، ومحاسن المواعظ والامثال وغيرهما مما اشتمل عليه ، فانها مسوقة على ابلغ سياق .

٣ ـ صورة النظم . فان كل ما ذكره من هذه العلوم مسوق على أتم نظام وأحسنه وأكمله .

الأستاذ فتحى رضوان

وقد أورد المرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ، هذه الخواص ، ثم لم يعجبه هذا الكلام كله فقال : « ومحصل هذا المذهب أن الاعجاز فى القرآن كله ، لان القرآن كله معجز ، وهو معجز لانه معجز » . ثم قال ، ان هذا القول أشبه شىء بشعر ذلك الشاعر الظريف الذى أراد أن يصف قوما حولهم ماء ، فقال :

كأننـــا والمـاء من حولنـا
قـــوم جلوس حولهم مـــاء

ثم طرح نظرية له فى الاعجاز خلاصتها : أن القرآن معجز بالمعنى الذى يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقه ، حين ينفى الامكان بالعجز عن غير الممكن ، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الانسانيه مبلغا ، وليس الى ذلك مأتى ولاجهة ، وانما هو أثر كغيره من الاثار الالهية يشاركها فى اعجاز الصفة ، وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الالفاظ » .

وهو كما ترى رأى يمكن تلخيصه على طريقة الاستاذ مصطفى الرافعى نفسه ، بأن القـــرآن معجز، لانه معجز ، اى لانه من صنع الله ، وصنع الله ، لا يتأتى لبشر محاكاته ، فضلا عن الاتيان بمثله . فهذا القول مصادرة على المطلوب ، لان محاولة اثبات اعجاز القرآن ، الغاية منها اثبات أنه من عند الله ، فاذا بدأنا القول بأنه من عند الله ، وكان يجب أن ننتهى بهذا ، بعد أن نورد ، ما يؤدى الى هذا الختام ويرتقى اليه وقد قال الرافعى وهو يعلق على كلام ابن حزم فى كتابه [الفصل] :

وهل يراد من اثبات اعجاز القرآن الا اثبات انه كلام الله تعالى » .

وهو حجة نرد بها عليه .

بيد ان الرافعى ، ترسل فى بيان رأيه هذا ، فقال كلاما كثيرا . لا يقف عند اعجاز القرآن الكريم وأسراره ، وانما تناول أثر القرآن فى المسلمين ، وفيما ادى الى عقد الصله بينهم وبين هذا الكتاب ، وفيـما تلا ذلـك ، من نشوء نهضتهم ، وتعاظم قوتهم ، وهو كلام يتصل بحال المسلمين اليوم ، وبما يمكن أن يؤول اليه أمرهم فى المستقبل القريب والبعيد معا . ولما كان المرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ، كاتبا معاصرا يتحدث فى هذا الشان ، ونظره على ما يجرى فى أمم المسلمين اليوم ، اى يوم كتب ما كتب ، فان التأمل فيه ، واستنباط معانيه ، وفهم مراميه ، كما يجب ، لانه يخرج عن الدراسة اللغوية أو التاريخية كما يخرج عن المفاضلة بين المذاهب فى موضوع الاعجاز ، الى الراى الصحيح فى أثر القرآن فى نشأة الامـة الاسلامية ، ودوره الحقيقى ، فى بعث نهضتها ، ورأب صدعها ، ولم شملها ، وتجديد قـواها ، وتسديد خطاها .

ومن ثم ، فنحن سننقل فقرات مما قاله المرحوم الرافعى ، ثم نوضـح مقصده ، ثم نبقى التعليق عليه جملة فى آخر الامر .

بدأ حديثه فقال ما ننقله بشىء من التصرف :

« كل من يبحث فى تاريخ العرب وآدابهم ، وينفذ الى ذلك حيث تنفذه به الفطر فانه يرى كل مما

سبق القرآن من أمر الكلام العربى ، وتاريخه انما كان توطيدا له ، وتهيئة لظهوره ، وليس فى الارض امة كانت تجربتها لغوية غير العرب ، فما كان فهم كالبيان آنق منظرا ، وأبدع مظهرا ، والا كان لهم كذلك البيان ، أزكى فى أرضهم فرعا ، وأقوم فى سمائهم شرعا ، وهذا موضع عجيب للتأمل ، واى شيء أعجب من نشأة لغوية ، تنتهى بمعجزة لغوية . ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الامة ، معا تنطوى عليه هذه المعجزة » .

ومعنى هذا الكلام ، ان العرب ، أمة بيان ، لم يكن لديهم شيء يعشقونه ، ويبذلون فيه الجهد ، ويفرغون من اجله الطاقة ، غيره . فهم يحبون الكلام الجيد ، يؤلفونه ، ويسمعونه ، ويتنافسون فى حلياته ، ويذهبون فى تجـويده ، الى أقصى الغاية . وهم مروا ، قبل ان يسمعوا القرآن ، ويدعوا الى الايمان بما فيـه . والعمل بـأحكامه ونواهيه ، فى أدوار من الترقى التقوى ، حتى اذا وصلوا الى أعظم مراحلهم ، جاء القرآن ، فكان معجزة لغوية لامة رفعت الامة الى أعلى سـواء . وكان ذلك عجبا من العجب ، وأعجب منـه أن هذه الامة عظمت فى شئون الدين والحكم والسياسة ، وكانت المعجزة اللغوية ، منطوية على أسباب هذه العظمة » .

وقد ترى مع الاستاذ الرافعى ، ان هنا ، موطنا للعجب ، ولكننى لا أراه كذلك اذا اخذنا بمقدماته اذ أن هذه النتيجة هى وحدها التى تصح ، ما دام العرب ، قد وقفوا جهدهم على اللغة ، فاستولت على هواهم ، واستبدت بكل قواهم ، فما وجه الغرابة فى أن تكون المعجزة التى ترسل اليهم من نوع ما أحسنوه . وأن تكون هذه المعجزة ، المتفقة مع طبائعهم وفطرتهم ، هى مصدر الهام يبعث فيهم ما يعينهم على اقامة دولة عظيمة ، وسن أسلوب للتحكم محكم ، وحافز لطلب العلم قوى ، وداع الى عقيدة ودين قويمين ، متصل مستمر » .

على ان الـذى يدعو الى العجب حقا ما قـاله الاستاذ من :

[انه — أى القرآن الكريم] انشأهم علـى الكبر . ولم يجر معهم على المألوف من مذاهب تربية الامم ، ولا هو كان طباقا لروح الاخلاق التاريخية فيهم التى تظهرها العادات ، على كل دين وشريعة وسياسة ، اذ كانت ميراث الدهر . فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم ، وأزرى عليهم وعلى آبائهم الاولين ، وقام على رءوسهم بالتقريع والتأنيب ، ثم ذهب بطريقة لهم كانت معروفة ، وعادات كانت مألوفة ، وكأنهم بعد ذلك على آدابه نشأوا وهم أحداث » .

ولعمرك ان هذا عجيب ، وليس أعجب منه ، الا ان أول جيل جاء من هؤلاء القوم كان هو الذى بسط الاسلام على العالم المعمور سيادته ، ورفع فوقه رايته . وهذا الذى قرره الاستاذ مصطفى الرافعى ، صحيح حقا ، فالقرآن ، جاء ليقوض كل ما كان العرب ، يفخرون به ، ويذودون عنه ، وكشف لهم عن بطلانه ، وخلوه من المعنى ، وحضهم لا على هجره فحسب ، بل على الكفر به ، والتبرؤ منه ، والتوبة من العـودة اليـه ، وندد بايمانهم القديم ، وهزا بمنهجهم الموروث وقال عنه انه ذميم وعقيم . فلما صفت له قلوبهم انشأهم . نشأة جـديدة ، فكأنهم قوم آخـرون يخالفون الامة التى سمعت القرآن لاول مـرة فى العادات والطباع ، وفى التقاليد وأساليب الحياة ، وطرائق التفكير ، فاستحسنوا ما كرهوه ، وانتهجوا ما احبوه وهان عليهم ما عضوا عليـه بالامس بالنواجذ ، وعظم عندهم ما عدوه من الوساوس والهواجس .

ولكن الرافعى رحمه الله — أسرع الى نتيجة ، ندع لك أن تتأمل فيها قال :

« لا جرم أن فى ذلك سرا من اسرار الفطرة ، فلولا أن أكبر الامر عندهم كان الفصاحة وأساليبها ، حتى صارت هذه الاساليب كأنها أعصاب نفسية فى اذهـانهم تنبعث فيها الارادة باخلاق من معـانى الكلام . ولولا أن القرآن الكريم قد ملك سر هذه الفصاحة ، وجاءهم منها بما لايقبل لهم بـرده بما يشبه أساليب الاستهواء فى علم النفس ، فاستبد بإرادتهم وغلب على طباعهم ، لولا ذلك لما صار امر القرآن الى أكثر مما ينتهى اليه أمر كل كتاب فى الارض ، بل لما كان له فى اولئك العرب الفتة لانهم قوم اميـون .

« وما جاءهم القرآن بشيء لا يفهمونه ، ولا كان هذا القرآن كتاب سياسة ولا نظام دولة ، ولو كان أمرا من ذلك ما حفلوا به .

« فلو أن هذا القرآن غير فصيح ، أو كانت فصاحته غير معجـزة فى أساليبـها ، التى ألقيت اليهم ، لما نال منهم على الدهر منالا » .

ومعنى هذا الكلام أن القرآن كتاب فصيح جاء لامة فصيحة ، فحصل بينهما من التوافق ، ما جعلـه كتاب هذه الامة ، الذى يمكن أن يحركها ويلهمها ، ويبعثها على العمل ، ويدفعها الى التطور والتسامى ، وكانت هى أمة هذه الكتاب ، لانها اقدر الامم على معرفة قدره والوقوف عـلى فضلـه ، والاحساس بدقائق أسراره .

وقد رأى الرافعى أن من الواجب عليه ، أن يبين كيف تهيأت أمة العرب لهذه الفصاحة ، التى ذهبت فيها الى أبعد الاماد ، ووصلت من درجاتها ، الى أعلى الطبقات ، فقال ان لطبيعة الجزيرة العربية دخلا فى هذا الشأن ، ففى المناطق الامنة ، تهدأ النفوس ويهدأ معها خيالها ، اما فى الجهات ذات الطبيعة المتخوفة ، فان أهلها يكونون اكثر الناس « استسلاما » للوهم والتخيل ، والى الخوف من كل شيء تكون فيه روح الطبيعة كما زعم العرب من البيات مع الغيلان وتزوج السعالى ومجاوبة الهواتف ، والروغان عن الحق الى الجـن ، مـع الحرص على الماضى لانه غيب الطبيعة التى يقدسونها فكان من أخلاق العرب ، ما هو مشهور

عنهم من التفاخر بالاباء والاجداد ، والذهاب مع الوهم كل مذهب وعدم المبالاة الا بما يلحقهم بابائهم ويجعلهم فى عداد الماضين . فجاء القرآن يسفه تلك الطباع منهم ، ويحول بينهم وبين ذلك الماضى ويصرفهم الى العمل . فكيف يمكن أن يكون هذا القرآن مع ذلك كله بما يطابق أرض العرب فى طبيعتها وهى ما علمت ؟ وكيف يمكن أن يكون ذلك من صنعة رجل قد نشأ فيهم ؟ » .

عاد الرافعى بعد هذه التساؤلات العديدة ، الى ما سبق أن قرره ، أن هذه العجائب الخارقه للمألوف ، والخارجة عن المعروف ، مردها كلها انعتاق العرب بالفصاحة ، فهى وحدها القادرة على أن تخرجهم من التوهم والتخيل الى العمل المتصل بالواقع ، القائم على الملموس والمحسوس ، وتنقلهم من الماضى الى الحاضر ، وتصرفهم عن عبادة الاباء والاجداد ، وتوقيرهم ، والفناء فيهم ، الى العناية بالابناء والاحفاد ، فقال :

« وهذا أمر لو ذهبت تتلمسه فى تاريخ الارض كلها ما رأيت أسبابه الفطرية فى غير أولئك العرب » ولا رأيت تحقيقه فى العرب الا من ناحية القرآن واعجازه ، بنظمه واساليبه وافتنانه على هذه الوجوه المعجزة ، التى أقل ما توصف به أنها السحر بل السحر بعضها . ورأى الرافعى ، أن هذا القول فى حاجة الى مزيد من البسط والشرح ، تنقل عنه :

وذلك فيما نرى انما هو وجه الحكمة فى نشأة هذا الدين عربيا واختصاص العرب بالقرآن ، دون غيرهم من الامم ، وافراد قريش بذلك دون غيرها من العرب ، ومن يقرأ صدر التاريخ فى الاسلام ويعتبر حوادثه ، ويتدبر آثار القرآن فى قبائل العرب ، يرى أن شدة الايمان كانت عند شدة الفصاحة ، وان خلوص الضمائر كان يتبع خلوص اللغة ، وان القائمين بهذا الدين ، والذين أفاضوه وصرفوا اليه جمهور العرب وقاتلوهم عليه ، وجمعوا الفتهم وقوموا اودهم انماكانوا اهل الفصاحة الخالصة من قريش الى سرة البادية ، وان الفتن انما استطارت فى الجزيرة استطارة الحريق فبمن وراء هؤلاء الى أطراف اليمن فكانوا قوما من طولين منقوصين ، وما كان ضعف اعتقادهم الا فى وزن الضعف من لغتهم ، وقد اسلفنا فى غير هذا الموضع أن غربة الدين ما تزال تتبع غربة العربية » .

لقد ملكت اللغة العربية ، على كاتب العربية الكبير ، فى النصف الاول من القرن العشرين ، هواه ، واستبدت بكل نفسه ، وهبقات عقله ، حتى أستحال كل شىء عنده ، الى العربية وفصاحتها ، وفصاحة الناطقين بها ، والمتلقين لكل ما يصدر عن رجالها ، ولو كان دينا منزلا من السماء ، وكان الداعى اليه ، نبيا من رب العالمين . فالاسلام دخل الى قلوب العرب ، من باب الفصاحة ، واشتد ايمانهم به ، بقدر فصاحتهم ونشروه أول ما أنتشر ، فى مناطق الفصاحة العربية ، وفى مواقع الفصحاء ، والذين بذلوا فى سبيله المهج ، وأسالوا من أجله الدماء هم الفصحاء . واذا كان الدين ينحسر عن القلوب ، واذا كانت دولته ، ينقضها أعداء الدين ، فلان العربية ذاتها ، تنحسر عن الالسن ، وتزاحمها اللغات الاخرى ، وتتدخل فيها الاساليب الهجينة ، ويصبح من الصعب على المسلم ان يفهم نصا عربيا ، فيصعب عليه ، أن يعى كلماتها وهكذا دواليك ،

ولا شك انه كان فى حاجة لان يشرح لنا ، امرين ، كيف كان الخصوم للاسلام ، هم اعظم رجال قريش ، وهى فى رأيه ، قمة الفصاحة العربية وكيف اسرع أنى الايمان بمحمد ورسالته . الدين الذى جاء به ، ابو بكر ، وعثمان ، وعبد الرحمن وطلحة وعلى وهؤلاء جميعا لم يكونوا ، مما دخلوا الدين الجديد ، واطمانت قلبهم اليه ، فكانوا أعظم شيئا « لانه لم يكن قد نزل منه بعد ، ما تبدو منه فصاحته . حتى تغلبهم على أنفسهم ، وتقودهم، لا يملكون مقاومة ولا تأبيا ، ولا حتى ترددا والامر عندنا ، يختلف كثيرا ، مما رآه الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ، وان كان لا ينتقص فى قليل أو كثير من فصاحة القرآن ، ومن حب العرب لفصاحة القول ، والاكبار من شأن القائل الفصيحة شاعرا أو خطيبا أو متحدثا ، لانه كان — بسبب ظروفهم الحضارية والمعيشية — رياضتهم ومتعتهم ومجال تنافسهم وسبيلهم الى التفاخر والمباهاة ، ووسيلتهم الى اهاجة الحمية ، واثارة العصبية ، والتحضير للمعارك ، والاشادة بالفرسان والمقاتلين ، عند النفير ، والتماس المعاذير عند الهزيمة ، ولم يكن يعرفهم عن هذا ضربمن النشاط الانسانى الذى هو الابداع اللسانى فن آخر ، فلا نحت ولا رسم ولا بناء ولا معمار ولا تمثيل ولا رقص وهو بعد ذلك اقل الفنون كلها واقربها الى عيشة البداوة وايسرها على المبتدئين على سلم الحضارة ولا شك كما نبين أن القرآن علم الاسلام أستظل به المجاهدون الاوائل وكان زادهم وعدتهم فى الدعوة والجدل ومصدر الهامهم فى كل فرع من فروع الحياة وفى كل ضرب من ضروب المعرفة ، ولكن كان الى جانب القرآن وفصاحته ، وبلوغه اقصى الغايات فى الاساليب والالفاظ وأحكام الدين ، وشخصية الرسول ، وصلابة الرجال ، مما سنتناوله فى موضع آخر من الكلام .

وقد ختم الرافعى ، رحمه الله ، هذا الجانب من كتابه ، ببيان اسماء الذين سول لهم شيطانهم ان يدعوا النبوة ، ويحاكوا القرآن ، فذكر مسيلمة يأتينى الكذاب الذى تنبأ باليمامة فى بنى حنيفه ، وقد استفحل شأنه ، وعبهلة بن كعب الذى يقال له اسود العنسى ، والملقب بذى الخمار ، لانه كان يقول يأتينى ذو خمار . وقد قتل قبل وفاة رسول

البقية ص ١٢٤

أهوال البعث ٨

أسماء يوم القيامة فى القرآن الكريم

الدكتور أحمد الحوفى

[١] امكانه

ها هو ذا الكون كله قد أفناه القوى القدير الذى انشاه وابتدعه ، فنسف الكواكب والنجوم نسفا ، وقضى على الاحياء من أناسي وحيوان ونبات قضاء ، وبدد الجماد والماء هباء .

بقدرته انشاه وسواه ، وبقدرته حطمه وافناه ، فلم يبق غير ذاته الكريمة العليا ، ولم يبق الا الاذعان بأنه مالك الملك الواحد القهار .

فماذا بعد هذا الفناء ؟

تدوى النفخة الثانية فتنشر الموتى منذ كانت حياة الى ان دوت النفخة الاولى ، فيهرع الخلق من قبورهم سراعا الى الموقف العظيم [١] .

قال تعالى : ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا » .

وقال سبحانه : « ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون » .

وقال تعالى : « ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » .

وقال سبحانه ، « ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد » .

وقال تعالى : « قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير » .

وقال سبحانه : « فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ! » .

وقال تعالى : « يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة ، يقولون : أئنا لمردودون فى الحافرة » [٢] .

وقال سبحانه : « فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » [٣] .

وليس من شك فى أن الله تعالى هو الذى خلق الكون ودبره وسيره ، وهو الذى يفنيه ، وهو القدير على بعث الموتى واحيائهم

ولا منفذ لاى شك فى مقدرته تعالى على شىء من هذا كله .

---

[١] لا يتعارض هذا وما روى من ان النفخات ثلاث ، فقد ذكر الطبرى ١٧/ ٨٥ ، وابن كثير فى تفسيره ٢/١٤٦ ، انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل ينفخ فى الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لله ، وذكر تفصيلا لهذه النفخات ، لان نفخة الفزع ونفخة الصعق متداخلتان .

[٢] سورة النازعات ٦ ــ ٩ الراجفة : النفخة الاولى ترجف عندها الجبال والارض وتموت الخلائق . الرادفة : النفخة الثانية .

[٣] سورة النازعات ١٣ ــ ١٤ الزجرة : المراد النفخة الثانية التى لا تكرير فيها . الساهرة : الارض .

وقد مثل سبحانه وتعالى للعقل البشرى القاصر العاجز بأن الذى يصنع شيئا اول مرة يسهل عليه ان يصنع مثله ثانى مرة ، فالخلق الثانى أيسر على الله تعالى من الخلق الاول ، قال تعالى : « **وهو الذى يبدأ الخق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الاعلى فى السماوات والارض : وهو العـــزيز الحكيم** » .

وقد ذكر سبحانه وتعالى قبل هذه الاية انه هو الذى يخرج الحى من الميت ، ويخـرج الميت من الحى ، ويحيى الارض بعد موتها ، وعقب على هذا بقوله « **وكذلك تخرجون** ! . وذكر سبحانه أنه هو الذى خلق آدم من تراب فصار بنوه بشرا ينتشرون ، وأنه خلق الادميين ذكورا واناثا ليتحقق السكن والمودة والرحمة بين الزوج وزوجته ، وأنه خلق السماوات والارض ، وجعل اللغات مختلفة والالوان متعددة ، جعل النوم فى الليل واليقظة فى النهار ، وانه خلق البرق مصدر رجاء للمطر والخير ومصدر تخوف من الصواعق ، وان السماء والارض قائمة ثابتة خاضعة لامره ، وعقب على كل آية من هذه الايات بأخص على التعقل والتفكير والاستـماع والعلم .

ثم ذكر سبحانه وتعالى ان جميع من فى السماوات والارض ملك له وعبيد خاضعون لامـره ــ طوعا وكرها .

وكانت النتيجة الطبيعية بعد هذا كله انه تعالى هو الذى بدأ الخلق ، وهو الذى يعيده ، وفى عرف الناس وتجاربهم أن الاعادة أهون وأيسر ، ولكن البدء والاعادة فى قدرة الله سواء وقال سبحانه : **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده ، وعدا علينا انا كنا فاعلين** » .

وقال تعالى : « **وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة** » .

[٢] أهواله

للبعث أهوال شتى تتمثل فى مظاهـر عـدة ، منها :

١ ــ العجز عن الفرار والنجاة :

قال تعالى : « **فاذا برق البصر ، وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ : أين المفر ؟ كلا ، لا وزر ، الى ربك يومئذ المستقر ، ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر** » [٤] .

٢ ــ الذهول الغامر :

قال سبحانه : « **يا أيها النـاس اتقـوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمـا أرضعت ، وتضـع كل ذات حمـل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد** » [٥] .

٣ ــ الاشتغال بالنفس فحسب :

وفى ذلك الهول يشغل كل انسان بنفسه ، فلا يفكر فى أعز من كان يحب فى الدنيا .

قال تعالى : « **فاذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه وأمـه وأبيه وصاحبته وبنيـه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** »

وقال سبحانه : « **فاذا نفخ فى الصور فـلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** » .

وقال تعالى: « **ولا يسأل حميم حميما** »

وقال سبحانه : « **ولا تزر وازره وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى** » أى وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى أن يساعدها غيرها فى حمل شىء من هذه الذنوب لا تجد من يساعد حتى وان كان الداعى أبا أو ابنا أو أخا ، لان كلا فى شغل بنفسه وبحاله .

وقـال تعالى : « **يا أيهـا النـاس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده : ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور** ! .

وقال سبحانه وتعالى : « **يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه** ! .

٤ ــ الحساب :

يومئذ يتحقق الحساب الدقيق العادل الامين الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

قال تعالى : « **ونضع الموازين القسط ليـوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة**

البقيـة ص ٣٧

---

[٤] سـورة القيامة ٦ ــ ١٣ برق البصر : حار وخشع وانبهر ولم يستقر على شىء ، مثل قوله تعالى : « لا يرتد اليهم طرفهم » . خسـف القمر : ذهب نوره . جمع الشمس والقمر : كورا . لا وزر : لا ملجأ ولا مهرب ولا نجـاة . المستقر : المصير والمرجع .

[٥] سورة الحج ١ ــ ٢ من المفسرين من ذهب الى أن هذه الزلزلة تحدث قبل يـوم القيامة فى آخر عمر الدنيا وأول حصول الساعة ، ومنهم من رأى انها تحدث يوم القيامة بعد قيـام الموتى من قبورهم ، ورجـح الطبرى وابن كثـير وغيرهما ، الرأى الثانى تفسير الطبرى ١٧/٨٥ وابن كثير ٣/٢٠٤

من وحي المدينة

ان منازل الوحى وان كانت يد الحضارة قد غيرت صورتها فانها مازالت تحمل المعانى العظيمة التى تستشعرها قلوب المسلمين حين تذكر غدو جبريل اليها بآيات الله البينات ، وحين تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلقى فيها وحى الله ، وانها الذين يتسللون بأخيلتهم وراء زخارف الفنون وطلائعها تستطيع أخيلتهم أن تتلمس الصور الطبيعية لتلك المنازل فى بساطتها التى سعدت فيها بجبريل ومحمد ــ عليهما السلام .

وكم سبح الخيال وأصاخ طويلا بين هذه المنازل وأصوات القراء ترتل آيات الله فيسمع فيها صوت السماء يتدفق ، وتموج فيه الاوامر ، وتهدر النواهى والنذر ، فيتصور الوحى ويتصور رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصبب عرقا ، ثم يتخيله وقد انجلى عنه ما عراه ، فراح يرسل من اشراقات الكلمات القرآنية ما يهدى الضليل ، ويأخذ بيد الحائر ، ويطلق آيات الله نورا يسعى بين أيدى المؤمنين فيملأ قلوبهم أمنا وسكينة وايمانا .

يالله ، كم نزلت هنا من آيات وكم شهدت هذه المنازل من سبب لنزول الايات .

هنا أذن الوحى فى روع محمد صلى الله عليه وسلم « **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم** وعاش صوت السماء يدوى فى تلك الكلمات على الزمن وترددها الاجيال المسلمة ومعها عاشت قصة أبى لبابة الانصارى : حيث حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة وسألوه الصلح على ما صالح عليه بنى النضير على أن يسيروا الى اخوانهم بأذرعات واريحا ، فأبى عليهم الرسول الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا ثم قالوا : ابعث الينا ابا لبابة ، وكان له عندهم أولاد ، فلما جاءهم أبو لبابة ، قالوا له : ما ترى ؟ أننزل على حكم سعد ؟ فأشار أبو لبابة الى حلقه للاشارة الى أنه الذبح ، ثم أدرك أنه خان الرسول ، فنزلت الاية « **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** » ..

فعلم الرسول أن أبا لبابة خان الامانة ، ورجمت صواعق النهى أعصاب أبى لبابة حين سمع الاية ، ودارت به الارض حين راحت أنظار المؤمنين تمزق روحه وماذا يمكن أن يكفر به عن تلك الخطيئة التى

ساعة فى منازل الوحى

الدكتور محمد محمد خليفة

خان بها الله والرسول فأفشى بها سرا من الاسرار كان يحتفظ به الرسول ليطهر المدينة من الغدر اليهودى حين يستأصل شأفتهم منها ويمحو بمحوهم ظل الغدر والاستغلال الذى جثم حينا على هذه الارض التى اختارها الله مهجرا له ومركزا لشريعته التى تنطلق منها فتغمر الدنيا باشراقات الهدى ؟

ولم يجد أبو لبابة ما يكفر به الا أن يشد جسده على سارية من سوارى المسجد ، والا أن يقسم أن لا يأكل ولا يشرب حتى يموت أو يتوب الله عليه لعل فى موته على هذه الصورة ما يمحو وزره أو يخفف من أثقال خطيئته .

وعاش أسبوعا مشدودا على السارية تنهشه خلاله أنياب الجوع ، وتلتهمه حرقة العطش ، وتمزقه أنظار الحانقين على فعله ، وتكاد تقتله نظرات المشفقين ، ولكنه الطامع فى رحمة الله المرتقب قضاءه وما أقسى انتظار قضاء الله على نفوس الطامعين فى عفوه .

ولم يزل ابو لبابه يلتقط انفاسه انتظارا لحكم الله حتى غشى عليه ، وراح فى غيبوبة بين الحياه والموت لا أثر للحياة فيه غير أنفاس يخفق بها صدره ، وتعلقت الانظار برسول الرحمة ترقب حكم الله فيه فكان غفران الله ، ووسعت رحمته من أناب اليه وكفر عن خطيئته بالدمع والندم والاستغفار ، وجنح الناس من حوله يبلغونه قبول توبته ففتح عينيه يشكر ربه حين حملت اليه الاصوات أنباء العفو ، وحاولوا أن يحلوا وثاقه فأبى عليهم الا أن يحله رسول الله بنفسه . وحل الرسول وثاقه .

ووقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن تصدقه بجميع ماله لعل فى ذلك ما يقمع فتنته بالمال والولد ولعله يسترد فى قلب رسول الله المكانة التى فقدها كأنصارى بذل فى سبيل الدعوة ، ولكن الرسول أمره بالتصدق بثلث ماله فحسب كفاره عن خطيئته ، ولعل ابا لبابة هاله موقفه فادرك انه حين اشار الى حلقة لبنى قريظة قد أصبح فى سجل المنافقين الذين ذكرهم الرسول فى حديثه : آية المنافق وبينهم [واذا اؤتمن خان] ورأى أنه ليس بعد خيانة الله ورسوله خيانة ؟ ولا ريب فى أنه عاش حياته ساخطا على نفسه كلما تلا أو ذكر قول الله فيه [**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أما ناتكم**] وكيف تنسى خواطره صيحة النهى التى صعقته وصعقت معه ماضى كفاحه ، وطردته من رحمة الله أسبوعا حطم خلاله سنة ندما ونزف قلبه دموعا وكاد يحرق نفسه بزفرات حسراته ويأسه .

فأين ياترى فى منازل الوحى تلك السارية التى شد عليها جسده أبو لبابة وأين مكانها ؟

لقد ضاعت معالمها بين هذه السوارى الشامخة وبقى المكان وبقيت الكلمات القرآنية تشير الى تلك القصة . أين نحن الان من أبى لبابة وأين منه أو تلك الذين استئمنوا على دين الله فلم يردوا مخالب المتذئبين له بصيحة أو بكلمة مؤمنة بل فتنتهم الدنيا وفتنهم الجاه المزعزع ؟

وأين خيانته من خيانة أعداء الامانات الذين تنكروا للدين وأنكروا تعاليمه بل حاربوه بأقلامهم وألسنتهم ورموا شريعته بالجمود لانها لا تتلاءم مع أهوائهم ؟ ليت الخائنين يذكرون ابا لبابة التائب ويتصورونه مشدودا على السارية تتساقط نفسه خزيا مع أنفاسه كلما استعرضت خواطره خيانته وليتهم يذكرونه وقد مثل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم معترفا بجريرته منتظرا وحى الله فى أمره .

وليتهم يتخيلون صورته والرسول يتلو عليه ما أنزل الله فيه :« **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول** »

ليتهم يذكرون ويتصورون ويتخيلون كل ذلك ليدركوا مرارة سؤالهم بين يدى الله عن خياناتهم وليستشعروا مرارة الندم يوم لا ينفع الندم .

الفاتحة
معجزة القرآن
في حقيقة المعرفة والوجود والمصير

كل ذات : موضوع في علاقتها بغيرها وكل موضوع، ذات في علاقته بغيره .

والعقل البشري في الكثير من اتجاهاته ، في قضية المعرفة يقف ولا يتحرك .

والعقل متحرك في حقيقته ، ولكن المقصود بانه يقف ولا يتحرك ، انه قد يصدر احكاما غير متفقة مع حركة الكون في حقيقتها ، كان نجد بين المفكرين من يحدثنا عن الذات والموضوع ، دون أن يوضح العلاقة بينهما ، وهي علاقة حوار بين متناقضات ، تناقضا شكليا .

والتناقض الشكلي بين كل شيء ، وكل شيء ، تناقض في العلاقات ، يجمعه اتفاق في الغايات .

ثم تظل الغايات ترقى في أسس الاتفاق ، حتى تنتهي العناصر المختلفة في الاشياء ، الى عنصر أساسي ينتظم المخلوقات جميعا في انه هو المادة الموحدة بكسر الحاء ، اي المسبحة بحمد الله .

وهذا التسبيح بحمد الله ، فيه جانب ينتسب الى لغة الحركة والسكون ، من الناحية العملية الخالصة في الاشياء .

• الأستاذ محمد العفيفي •

والتسبيح بحمد الله كذلك ، فيه جانب ينتسب الى الحوار القائم ، على التقاء في شخصيات الاشياء أو الافكار ، وما يؤدي اليه ذلك من ميلاد كل جديد ، في عالم المادة وعالم الفكر .

والتسبيح بحمد الله كذلك ، فيه جانب ينتسب الى الصدق في العلاقات ، والصدق في النتائج .

وهذا الجانب الاخير له علاقة عميقة بالاخلاق ، وله علاقة عميقة بالجمال ، وله علاقة عميقة بالحق ، وله علاقة عميقـــة بالخير .

وهذه العلاقات الاخيرة لها صلاتها كذلك بكل جانب من الجوانب السابقة ، دون شك ، غير أن صلاتها بالصدق أوثق في حقيقتها وأوضح في نفوسنا .

لذلك كله ، قد علمنا القرآن في آياته جميعا ، وحروفه جميعا ، هذا التوحيد الشامل بين الاشياء ، وبين العلاقات ، فكان أساس وجود المعاني هو التوحيد .

والتوحيد هو اعظم نتائج الفكر والعمل جميعا وهو الحقيقة الخالصة التي تجمع تناقضات الحياة كلها ، في وحدة ضرورية وحتمية للاتفاق .

كذلك فان النظريات الفكرية والعملية ، التي أنتجها الفكر البشري بجهده الخاص وعلى مدار التاريخ كله ، ليس لها في علاقتها بحقيقة وحدانية الله الحق ، غير طريقين :

احدهما : ان يكشف «التوحيد» مواطن الخطأ في كثير من هذه النظريات ويبقى هو البديل الحتمي لها، اي لمكانها من الوجود ، بعد أن أحق الحق وابطل الباطل .

وثانيهما : أن يسدد « التوحيد » مواطن الصواب ، في كثير من هذه النظريات ويبقى هو الاساس الحتمي لحقائقها كلها .

ان العلاقات الحقيقية بين كل شيء وكل شيء ، لا ينفصل من هذه العلاقات المعنى ولا المادة ، لها قوانينها المفرقة في المادة على اختلافها ولها قوانينها الموحدة في الفكر على اتفاقه واجتماعه ، هذا في التجربة الواقعية للاشياء من حيث هي كذلك .

أما من ناحية سبق الفكر للمادة واحاطته بها ، فهي حقيقة تجريبية لا شك فيها .

واذا كانت المادة مفرقة فهي مفرقة في مجالات التجربة الانسانية ، التي أراد الخالق سبحانه أن تكون غنية ملأى بالتجدد والعطاء .

ولكن المادة فيها عناصر التوحيد المادية التي سبق ذكرها .

وفيها عناصر التوحيد الفكرية كذلك .

فاما عناصر التوحيد المادية فهي ذرة الايدروجين ، الذي تنتظم الاشياء جميعا كوحدة جامعة لمادة المخلوقات جميعا .

ويقول سبحانه وتعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » الانبياء الاية ٣٠ .

وفى هذه الاية المعجزة أصل التوحيد فى المادة ، وهو الماء أى ما يسميه العلم الحديث « ذرة الايدروجين » .

وفى هذه الاية المعجزة اصل التوحيد فى الفكر أى فى علاقاتنا الفكرية بالاشياء وهذا هو البعد المعنوى فى وجودنا المادى ، ومن هذا أيضا البعد المعنوى فى كل مادة وهو ما يدلنا عليه قوله تعالى « **أفلا يؤمنون** » أى أفلا يهتدون الى حقيقة التوحيد فى المادة ، وحقيقة التوحيد فى المعنى .

وفى هذه الاية المعجزة كذلك ، حقيقة العلاقات بين المعانى والحقائق المختلفة ، طالما كانت متصلة بأجزاء المادة ، والمتفقة طالما اتصلت بالحقيقة الجامعة المطلقة ، وهى حقيقة التوحيد .

فوحدانية الله اذن ضرورة واجبة ـ حتمية ـ لا مفر منها أبدا .

وذلك لان وحدانية الله تعالى ، هى الاساس الموضوعى للعلاقات التجريبية العميقة بين كل مادة وكل معنى ، باعتبار كل مادة مكانا واعتبار كل زمان معنى ، وخضوع ذلك كله للتقسيم القرآنى المعجز بين ما نبصر ، وبين ما لا نبصر كما عرفنا من قبل ، والتقسيم القرآن المعجز بين اشكال العلاقات وحقائق الحركة فى تفصيلات الكون .

ويتبع الاية السابقة من سورة الانبياء ، بعد عدد من الايات قوله تعالى :

« **وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون .**

ومن هذا كله ينتج حتما أن المادة تابعة للفكر ، وليس الفكر تابعا للمادة ، كما تقول المادية الجدلية ، لان العلاقات تبين أن المادة وسيلة للفكر ، ولابد أن يسبق الهدف وسيلته .

هذا هو التجريب الصحيح ، وما عداه هو البعد عن كل علم وكل تجربة .

وكما سبق من قبل أن هذا يضيف دليلا جديدا على أن التزامن ، هو البعد الرابع للمادة ، وليس الزمن كما تقول النسبية .

وما ذلك الا لان دوران الليل والنهار وتكورهما مع حركة الارض حول الشمس ، انما هو ارتباط بين علاقات ، ولا ينتج مثل هذا الارتباط زمنا أساسيا ، وانما ينتج علاقة خاصة بين علاقات مختلفة من التزامن .

اما الزمن فهو البقاء الابدى ، الذى عرفناه فى بداية هذا الكلام والذى يحيط بالليل والنهار فى نظامهما الشمسى والقمرى ، وغير ذلك من النظم التى تحددها أبعاد مختلفة ، وارتباطات مختلفة ، فى علاقات الشموس والكواكب ، التى لم يتمكن العقل البشرى من احصائها عددا ، ولا الاحاطة بأشكال علاقاتها

وهذا فى ذاته ، دليل على سبق الفكر للمادة أيضا ، لان المادة متفقة فى أسسها المادية ، فاختلاف علاقاتها دليل على فكر سابق لها ، هو الذى أحدث فيها هذه الاختلافات رغم اتفاقها المادى .

وكما يكون الحساب تكرارا للواحد الذى لا يتكرر وانما تتكرر الاشياء بخضوعها له ، فكذلك علاقة الاشياء بالبقاء الابدى أى الزمن ، هى علاقة خضوع لهذا البقاء الابدى السابق لكل شىء وهذا من أمر الله .

ثم انه اذا كان هناك من يدعى أن الوجودية أو البرجماتية أو المنطق الوضعى أو المادية الجدلية ، هذه كلها ، لا تقيم شأنا للمعرفة اذا لم تؤد الى عمل ، أو الى نتيجة عملية ، وان ظل بعض هذه الفلسفات بعد ذلك يبحث بلاجدوى عن الغاية الاخلاقية من الفكر والعمل جميعا ، فان القرآن العظيم يجمع كل شىء على مستوى الفكر والعمل والاخلاق والحق ، والجمال ، والخير ، فى أمثال قوله تعالى فى آية من آيات الحمد .

« **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون** » النمل الاية ٩٣

ويضعنا القرآن كذلك فى صميم التجربة العملية بآيتين آخرتين من آيات الحمد .

« **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** » .

« **لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد** » لقمان الايتان : ٢٥ و ٢٦ .

ثم تواجهنا آية من آيات الحمد فى القرآن العظيم ، بضرورة الربط بين الحدس والاستنباط والعقل والتجربة الحسية جميعا ، بكل ما فى هذا الجمع بين هذا كله من توجيه لاراء أصحاب المذهب العقلى ، وآراء التجريبيين ، وأراء النقديين نحو الغاية الصحيحة للمعرفة والسمو الى آفاق الابداع وآفاق الجمال أيضا .

فيقول سبحانه وتعالى :

« **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون** » العنكبوت الاية ٦٣

هذه لمحات مختلفة تبين العلاقات المتصلة ، بين كل كيان مادى وبعده المعنوى فى ذاته ، أو اتصالاته الفكرية والعملية على اختلافها ، ولقد سبق أن تدبرنا معا قوله تعالى :

« **الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** » الانعام .. الاية : ١ .

وبقى أن نضيف الى ما سبق من ان الحمد هنا على الخلق ، ثم على تفصيل الخلق وتشخيصه ، أن العلاقات اذا حجب بعضها بعضا . فهذا عمل المادة ، وهى مختلفة ، لذلك كانت الحجب التى يلقيها بعضها على بعض ، ظلمات وظلالا ، وكان الايمان بما وراء هذه الحجب ، نورا هاديا للفكر ، الذى يريد كشف الحجب واجتلاء الاسرار .

ولقد سبق أيضا أن النور عندما يكون مرئيا تجتليه الابصار ، فهو أعلى درجات الطاقة .

فليس هو بالضوء الذى يسطع لدى أول عناق النار لما يحترق من المادة .

وليس هو بالجذوه التى يذهب عنها الدخان ، فتصفو وتمعن فى الصفاء ، صعودا من النار الى الضوء الى النور .

وأن النور الذى يمكن أن تراه الابصار شىء أبعد من ذلك .

والنور هو أعلى قمة يمكن أن تصل اليها الطاقة متخلصة من حجب المادة ، وراقية فى آفاق التجمع والتوحد ، الذى يكاد يجعلها معنى مرئيا .

والجديد هنا أن الله سبحانه قد جمع بين الحمد ، وبين أعلى درجات الطاقة ، فى مواجهة تفرق ظلال المادة وظلماتها ، تبيينا لان مشارف الحمد لا يبلغها أحد بالقول ، ما لم يكن قوله عمله .

وتوضيحا الى أن مشارف الحمد تهدى الى معرفة الله والى توحيده ، اى تهدى الى الحق كله ، وتعصم من كل باطل وحيرة وضياع .

وذلك أن النور لم يبلغ ذراه العالية التى عرفناها الان ، الا ليكون أقرب ما يكون ، من المعنى الجامع لكل حقيقة ، وهو وحدانية الخالق سبحانه .

ويتداركنا القرآن العظيم بتفصيل هذه الحقيقة ، حيث نقرأ قوله تعالى فى سورة الاسراء .

« تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » .

« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا » .

« وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » .

« نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا » .

« أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » .

« وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا » .

« قل كونوا حجارة أو حديدا » .

« أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا » .

« يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا » الاسراء الايات من ٤٤ الى ٥٢ .

ان هذه الايات المعجزة من سورة الاسراء تعلمنا أن ذرات الكون جميعا داخلة فى الضرورة الكونية وأن هذه الضرورة محكومة بخلق الله لها وعنايته بها ، وأقرب ما يعلمنا سر الخلق والعناية ، صفات الله واسماؤه الحسنى ، التى هى مصابيح الرؤية ، لذى عينين ، ونور المعرفة لذى قلب وذى عقل .

ففى آيات سورة الاسراء ، نضيف الى ما فتح الله به علينا من أسرار قوله تعالى فى سورة الفاتحة .

« الحمد لله رب العالمين » .

ان العالمين جميعا بذراتها وخلاياها بجزئيات هذه الذرات والخلايا ، وما اتصل منها بالمعنى ، وما انفصل منها بالمادة ، كل شىء خلقه الله ، فسبح بحمده ، وفى هذا التسبيح بالحمد سر من أسرار الضرورة الكونية التى تتصل بها الاشياء ، اذا كان فى اتصالها خير ، أو تنفصل بالمادة لتتصل بالمعنى حيث تسلمنا هذه الحقيقة الى حقيقة الحقائق ، وهى وحدانيته سبحانه وتعالى ، لان ضرورة الاتصال المعنوى الجامع للاشياء كلها ، قائمة على وجوب الله الحق ، ووجوب وحدانيته ، لان الاشياء متصلة وليس فى قدرة كل منها وحده أن يتصل بغيره ويتصل به غيره ، بل ان اتصال الكون فى جملته لاكبر من امكانات الاشياء فى ذاتها .

ولما كانت الاشياء متصلة ، رغم ذلك كله ، فهذا هو دليل حتمية وجود الله سبحانه .

وفى آيات سورة الاسراء علمنا أنه ما من شىء الا يسبح بحمده سبحانه ، ولكنه هو الحليم الغفور ، الذى يحلم على استعمال الانسان لنعمة الله عليه ببعض الارادة الحرة ، فيما يناقض الضرورة المهيمنة على مادة جسد الانسان ، من تعطيل للعقل ، عن حمده تعالى بالايمان بوجوده ، أو الايمان بوحدانيته أو تعطيل اللسان أن يكون رطبا دائما بحمد الله ، أو تعطيل للجوارح أن تحمده بحركاتها وسكناتها فيما يعمر الارض ، ويعلى صرح الحضارة الحقة ، وفى هذا مد فى آفاق الحمد ، وغرس فى جناته وفراديسه ، أو صرف للجوارح عن حمد الله بالعبادة ، وهى التى ما كان لها أن تتصل خلاياها فتسلم وتعافى الا وهى مسبحة بحمده تعالى ، نزولا على ارادة الضرورة الالهية ، التى تحكم مادة الجسد الانسانى فيما تحكم من مادة الكون .

ولقد ينكر المنكرون حقيقة البعث ويلحدون فى حقيقته ، نتيجة لان مادة أجسامهم ، تعوق أفهامهم ، بطمس السمع حتى لايكون طريقا ممهدة للحقيقة .

وسواء كان هؤلاء ممن أمعنوا فى الانانية حتى عبدوا الطواطم والاسلاف ، أو لجوا فى شهواتهم وكبريائهم حتى شقوا لهما الكهوف ونحتوا الاوثان .

أو امعنوا فى بغضهم للانسان حتى حفروا تحت قدميه من عثرات الفكر ، ما يهوى به الى سواء الجحيم ، فان القرآن العظيم يقول لهؤلاء جميعا .

« قل كونوا حجارة أو حديدا » .

ونتساءل لماذا يكونون حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدورهم .

والاجابة هى أن ذرات المادة يصل بعضها ببعض ، حمد الله بلغة السكون والحركة والفعل جميعا .

فحمد الله اذن واقع فى الاشياء قبل أن يكون حروفا على الالسنة ومعانى فى العقول .

ولان الاشياء جميعا محكومة بالضرورة المتصلة بفطرة الله تعالى فى خلقه ، فان الموتى يفقدون نعمة الحرية التى أنعم الله عليهم ابان حياتهم ، ويعودون اشياء بين الاشياء .

وهذا مصداق قوله تعالى فى نهاية الايات السابقة من سورة الاسراء .

« **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا** » .

انهم كانوا وهم موتى يسبحون أيضا بحمد الله ، ضمن ما تسبح الاشياء جميعا ، وهى خاضعة لفطرة الله فى خلقه ، ولو كانوا حجارة أو حديدا .

ولكنهم الان قد دعوا مرة أخرى للحياة فما أن فطرهم فاطرهم سبحانه ، حتى عادت لحظة الصدق النادرة لهم ، كما كان من أمرهم ، يوم ناداهم بارئهم عند الخلق الاول .

« **ألست بربكم قالوا بلى** » الاعراف الاية : ١٧٢ ..

ليس ثم من طواطم ولا اسلاف ، ولا كهوف للشهوات ، أو أوثان منحوتة من صخر ، أو أفكار خادعة كاذبة .

ليس غير الحق سبحانه ، وكل ما يملك الناس من التعلق بالحقيقة ، قول الحق سبحانه :

« **الحمد لله رب العالمين** » ..

بقية مقال أسماء يوم القيامة

من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ! . وقال سبحانه : « **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية** » .

فى هذا الهول يتوقع المؤمنون ان يدخلهم ربهم جنات وعدهم بها من قبل ، ووعده الحق ، وقوله الصدق ، قال تعالى : « **فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون** » وانهم لمحبورون، يباهون بما نالوا من ثواب ورضوان جزاء وفاقا على ايمانهم وعلى أعمالهم الصالحة فى دنياهم وعلى يقينهم بيوم الحساب .

قال تعالى : « **فاما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقراوا كتابيه ، انى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية** » .

أما الكفار فيعلمون وهم يبعثون أنهم صائرون الى عذاب شديد ، قال تعالى : « **فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون ، خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون** ! [٦] .

وقال سبحانه : « **ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة** » [٧] . وقال تعالى : « **ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة : أولئك هم الكفرة الفجرة** » [٨] .

وقال سبحانه : « **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا** ! .

وقال تعالى : « **ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون** » [٩] .

ويومئذ يركبهم الندم المر والحسرة المهلكة ، ويودون لو انهم لم يبعثوا ، ويوقنون ان الدنيا ومتاعها من مال وجاه وسلطان وأنصار لا تغنى عنهم شيئا ، قال تعالى : « **وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : ياليتنى لم اوت كتابيه ، ولم ادر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانية** ! .

[٦] سورة المعارج ٤٢ ــ ٤٤يوفضون : يتسابقون أيهم يستلمه قبل الاخر .
[٧] سورة القيامة ٢٤ ــ ٢٥باسرة : عابسة . تظن : تستيقن . فاقرة : داهية وشر هلاك .
[٨] سورة عبس ٤٠ ــ ٤٢ قترة : غبرة الكرب .
[٩] سورة المؤمنون ١٠٣ ــ ١٠٤تلفح : تسفع . كالحون : عابسون .

من أخلاق القرآن

المودة

الدكتور
أحمد الشرباصى

المودة من الود ، وهو محبة الشىء وتمنى كونه ، والتمنى يتضمن معنى الود لان التمنى هو تشهى الانسان حصول ما يوده . ويقال : ود فلان الشىء : أى أحبه وهويه وتمنى وقوعه . وواد فلان فلانا : أى أحبه ومال اليه وألفه . ومن أسماء الله الحسنى اسم « الودود » ، وهو على وزن فعول بمعنى مفعول ، فهو مودود أى محبوب فى قلوب أوليائه ، ويجوز أن يكون على وزن فعول بمعنى فاعل ، أى أنه يحب عباده الصالحين ، بمعنى أنه يرضى عنهم .

وفى سورة هود يقول الحق جلّ جلاله : **« واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود »** ، أى يضاعف الاحسان والانعام لأوليائه ، ويغمرهم برضائه ، وكأن مودة الله تبارك وتعالى ينبغى أن يقابلها استغفار العبد من سالف الذنوب ، والتوبة الى الله فيما يستقبل من الاعمال السيئة ، فالله ودود لمن استغفر وتاب .

وفى سورة البروج : **« وهو الغفور الودود »** ، أى المحب لعباده الصالحين ، كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة . أو الذى يوده هؤلاء العباد ويحبونه : **« رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه »** .

وقد ذكر الرازى لكلمة « الودود » عدة أقوال : أولها المحب ، وثانيها المتودد الى أوليائه بالمغفرة والثواب ، وثالثها أنه محبوب من عباده الصالحين ، لما عرفوا من كمال فى ذاته وصفاته وأفعاله ، ورابعها ، ان الودود هو الحليم . ونفهم من حديث القرآن الكريم أن المودة الطاهرة خلق من أخلاق القرآن وفضيلة من فضائل الاسلام . وها هوذا التنزيل المجيد يخبرنا أن هذه الفضيلة نعمة من الله على الاخيار من خلقه ، فهو يقول فى سورة مريم : **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا »** . أى سيرزقهم محبة فى القلوب ، وذلك بشارة بسعة الاسلام وبسط سلطانه ، ومحق المنافقين الذين يضمرون البغض للمؤمنين ، أو أن ذلك يكون يوم القيامة ، اذ يتآلف المؤمنون ، ولا يكون فى قلوبهم غل .

وقيل ان المراد بالود هنا هو مراعاة الله لهم ، وروى الاصفهانى أن الله تعالى قال لنبيه موسى عليه السلام : **« انى لا أغفل عن الصغير لصغره ، ولا عن الكبير لكبره ، وأنا الودود الشكور »** .

ولكن المعنى الاول أوضح ، لان الله تعالى يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات محبة ومودة فى قلوب عباده الصالحين ، بدليل قول الرسول عليه الصلاة والسلام : **« ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : يا جبريل ، انى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه**

جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يحب فلانا فاحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الارض .

وان الله اذا أبغض عبدا دعا جبريل فقال له : يا جبريل ، انى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يبغض فلانا فابغضوه ، فيبغضه أهل السماء ، ثم يوضع له البغضاء فى الارض » .

ويقول القرآن فى سورة الروم : « **ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** » . اى خلق لكم من جنسكم اناثا يكن لكم زوجات لتسكنوا اليهن ، ويجدوا لديهن الامان والاطمئنان والائتلاف ، وجعل بينكم وبينهم محبة ورافة .

والمودة بين المسلمين امر واجب ، لان الله جل جلاله يقول : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض** » . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » .

وخير من يستحق المودة هم أقارب الرسول عليه صلوات الله وسلامه وهو فى أولهم . ولذلك يقول القرآن فى سورة الشورى : « **قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ، ومن يقترف حسنا نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور** » اى انى لا اسالكم على ما ادعوكم اليه أجرا ، الا أن تودونى لقرابتى منكم ، فانتم قومى ، وأحق من اجابنى واطاعنى ، فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ، ولا تؤذونى ولا تهيجوا على .

اولا اسألكم على الايمان أجرا الا ان تودوا أقاربى .

اولا أسالكم الا أن تودودوا الى الله فيما يقربكم منه ، وذلك من التودد اليه بالعمل الصالح .

ويفتح القرآن أمامنا باب الامل والاطماع فى اصطناع المودة فيخاطب المؤمنين فى شأن الكافرين فيقول فى سورة الممتحنة : « **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم موده والله قدير والله غفور رحيم** » .

وهذه المودة تبدأ او تنشأ بأن يسلم هؤلاء الكافرون فيصبحوا اخوة للمسلمين ، وقد تحقق هذا فعلا حيث اسلم قوم منهم وخالطوا المسلمين ، كأبى سفيان بن حرب ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحكيم بن حزام . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فاسترخت شكيمته فى العداوة ، ولانت منه العريكة ، فكان ذلك تمهيدا لاسلامه عند فتح مكة .

وكذلك فتح الله باب المودة بين المسلمين وغيرهم ممن عرفوا الحق واهتدوا الى نوره ، فيقول القرآن فى سورة المائدة : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** » .

والمودة الذى يباركها القرآن المجيد يجب ان تكون على طهارة واخلاص ، والا كانت نفاقا ومراءاة ، ولذلك يقول القرآن فى سورة القلم : « **فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون** » . فهم من نفاقهم تمنوا لو تلين فيلينون لك ، أو ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك ، أو ودوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم .

ومن هنا تنشأ المودة الحقيقية الصادقة من القلب ومن اعماق الانسان ، ولقد تتباعد الاشباح ويتواد مع ذلك الارواح ، والرسول عليه الصلاة والسلام يشير الى ذلك حين يقول : « **الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** » .

وشوقى يقول :

فان القرب بالروح
وليس القرب بالجسم

ولقد كتب أبو الدرداء الى سلمان رضى الله عنهما ، يقول : « ان تكن الدار من الدار بعيدة ، فان الروح من الروح قريب ، وطير السماء على الفه يقع » . وعبد الله بن عباس رضوان الله عليهما يقول : « القرابة تقطع [يقطعها بعض اهلها] والمعروف ينكر [ينكره بعض الناس] ولم ير كتقارب القلوب » .

وابو تمام الطائى يؤكد أن المودة من شأن القلوب لا الاجساد فيقول :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة
واخوتى أسوه عندى واخوانى
عصابه جاورت آدابهم أدبى
فهم — وان فرقوا فى الارض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت
أبداننا بشآم أو خراسان

والكميت بن معروف يقول :

ما أنا بالنكس الدنىء ولا الذى
اذا صد عنه ذو المودة يقرب
ولكنه ان دام دمت ، وان يكن
له مذهب عنى فلى عنه مذهب
الا ان خير الود ود تطوعت
به النفس ، لا ود أتى وهو متعب

وعبد الله بن عبد الله بن عتبة يقول :

ابن لى ، فكن مثلى ، أو ابتغ صاحبا
كمثلك ، انى مبتغ صاحبا مثلى
عزيز اخائى ، لا ينال مودتى
من القوم الا مسلم كامل العقل
وما يلبث الاخوان أن يتفرقوا
اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل

وكتب صديق الى صديقه يقول له : « انى صادقت منك جوهر نفسى ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لان النفس يتبع بعضها بعضا » .

ومن هنا قال احد الاعراب : « لا يظهر الود السليم ، الا من القلب السليم » . ولذلك كان من شأن المودة الصادقة أن تبقى وتدوم ، كما يقول القائل لصفيه :

فسر وأقم ، وقف عليك مودتى
مكانك من قلبى عليك مصون

وتحتاج هذه المودة — كى تبقى وتدوم — الى المعاتبة ، لان العتاب انما يكون بين الاحبة ، وشوقى الحكيم يقول :

اما العتاب فبالاخبة أخلق
والحب يحلو بالعتاب ويصدق

ويقول آخر :

أعاتب ذا المودة من صديق
اذا ما راينى منه اجتناب
اذا ذهب العتـ... ...يس ود
ويبقى الود ما بقى الكتاب

واذا كان الاخيار يودون لغيرهم الخير ، ويتمنون الكريم من الرغبات ، فان القرآن الكريم قد عرض علينا كذلك أصنافا قد انحرفت رغباتهم ، وفسدت أمنياتهم ، يقول كتاب الله تعالى عن اليهود فى سورة البقرة : « **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمرالف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون** » .

ستجد هؤلاء اليهود أحرص على البقاء فى الدنيا من سائر الناس ومن المشركين ايضا ، كأن الواحد منهم قد اتخذ من هذا التعمير فى الدنيا حبيبا له يوده ويحرص عليه ، وهذا عجيب ، لان هؤلاء يزعمون ان لهم الجنة . فلم لا يتعجلون الرحيل اليها ان كانوا صادقين ؟ .. ان هؤلاء يودون أن يعمروا فى الدنيا الى النهاية مع أن العمر لابد له من الفناء مهما طال . والحرص على طول البقاء فى الدنيا أمر مذموم . الا اذا كان للازدياد من الطاعة وتدارك الفائت بالتوبة والانابة .

ويقول القرآن فى سورة البقرة ، « **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم** » . تمنى كثير من أهل الكتاب — من اليهود — لو يرجعونكم معشر المؤمنين الى الكفر والضلالة ، بعد ان هداكم الله الى الايمان وجماله ، حسدا منهم على ما أعده الله لكم من الخير والثواب .

وقيل ان هذه الاية نزلت فى حيى بن أخطب وأخيه أبى ياسر ، دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم حين قدما الى المدينة ، فلما خرجا قيل لحيى : أهو نبى ؟ فجمجم قائلا : هو هو . فقيل له : فما له عندك . قال : عندى له العداوة الى الموت .

وجاء فى سورة آل عمران : « **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون** » تمنت جماعة من اليهود لو يهلكونكم بادخالكم فى الضلال ودعوتكم اليه ، ولا يرجع وبال اضلالهم الا على أنفسهم . ولا يلحق ضرره الا بهم ، لان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره فيبقى عليهم اثم الكفر واثم الدعوة الى الكفر .

وفى سورة آل عمران ايضا : « **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون** » .

يا معشر المؤمنين ، لا تتخذوا الكافرين أولياء لكم من دون المؤمنين ، فانهم لا يقصرون فى افساد اموركم ، ولا يتركون جهدهم فى مضرتكم ، ولا يتقون الله فى القائكم فيما يضركم ، وهم قد تمنوا ادخال الاذى والمشقة عليكم ، وقد ظهرت امارة العداوة على السنتهم فى فحوى كلامهم وفلتات السنتهم . وما تطويه صدورهم من البغضاء أكبر مما يبدونه بألسنتهم .

ومن هذا القبيل ما جاء فى سورة النساء : **ودوا لو تكفرون كماكفروا فتكونون سواء فلاتتخذوامنهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله** » وما جاء فيها ايضا : « **ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** » .

والقرآن المجيد يؤكد انه لا يجوز انشاء مودة بين المؤمنين والكافرين تؤدى الى الشر والضر ، يقول فى سورة الممتحنة : « **يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياءتلقون اليهم بالمودةوقدكفروا بماجاءكممن الحق يخرجون الرسول واياكم : أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ! » .

نزلت الاية فى شأن حاطب بن ابى بلتعه حينما بعث الى قريش برسالة مع امرأة يخبرهم فيها بأن الرسول فى طريقه الى فتح مكة **يقول** .. : « **أما بعد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم ، وأنجز له موعده فيكم ، فان الله وليه وناصره** » .

فأخبر الله رسوله بأمر الرسالة ، وبعث وراء المرأة من أخذها منها وعاد بها الى رسول الله ، فأحضر حاطبا وسأله : يا حاطب ما هذا ؟

فأجاب لا تعجل على يا رسول الله ، انى كنت امرأ ملصقا فى قريش — أى دخيلا عليهم وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون

بها قرابتي ؟ ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ؟ ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أما صاحبكم فقد صدق .

فقال عمر : دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق .

فقال النبي : انه قد شهد بدرا ، وما يدريك ، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

ويقول الله عز وجل في سورة المجادلة : « **لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ،أولئك كتب فيقلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون** » .

ويعلق الرازى على الاية بقوله : « المعنى أنه لا يجتمع الايمان مع وداد أعداء الله ، وذلك لان من أحب أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه ، وهذا على وجهين :

احدهما : انهما لا يجتمعان في القلب ، فاذا حصل في القلب وداد اعداء الله لم يحصل فيه الايمان فيكون صاحبه منافقا . والثاني : أنهما يجتمعان ، ولكنه معصية وكبيرة ، وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الوداد ، بل كان عاصيا في الله .

فان قيل : أجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم ، فما هذه المودة المحرمة المحظورة ؟ ، قلنا ، المودة المحظورة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا ، فأما ما سوى ذلك فلا خطر منه . ثم انه تعالى بالغ في المنع من هذه المودة من وجوه :

اولها ما ذكر ان هذه المودة مع الايمان لا يجتمعان ، وثانيها : قوله ولو كانوا أباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، والمراد أن الميل الى هؤلاء أعظم أنواع الميل ، ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مغلوبا مطروحا بسبب الدين .

قال ابن عباس : نزلت هذه الاية في أبي عبيدة بن الجراح ، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ، وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وأبى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : متعنا بنفسك . ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير ، وعلى بن ابى طالب وحمزه وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبه يوم بدر ، واخبر ان هؤلاء لم يوادوا اقاربهم وعشائرهم غضبا لله ودينه .. الخ .

ويقول القرآن الحكيم في سورة آل عمران : « **لا يتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** » .

لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء أصحاب مودة لهم ، أو ان يستعينوا بهم أو يلتجئوا اليهم ، ويجب أن تكون المودة والموالاة مع المؤمنين ، الا ان يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعند ذلك يجوز له اظهار موافقتهم بلسانه ومداراتهم تقيه منه ودفعا عن نفسه ، من غير ان يعتقد ذلك .

ولقد ورد ذكر المودة في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ففي صحيح البخارى جاء قول الرسول : « **أن أمن الناس على في صحبته وماله ابو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لاتخذت ابا بكر ، ولكن أخوة الاسلام ومودته** » . وانما لم يتخذ النبي ابا بكر خليلا لانه خلته — أى محبته التي تتخلل القلب فتصير في باطنه — كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة ، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب أو اجتهاد ، وانما يخص الله بها من يشاء من عباده ، مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وينوه النبي عليه الصلاة والسلام بالمودة التي ينبغي أن يقوم بها الولد نحو من كان يودهم ابوه فيقول : « **ان أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه** » . كما يشير الى المودة الطيبة التي تنشأ بين الزوج وزوجته حين يقول : « **تزوجوا الودود الولود** » .

ويتحدث أبو الحسين النورى عن أعلى أنواع المودة وهى محبة الله جل جلاله فيقول : « **من وصل الى ود أنس بقربه ، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد** » .

ويشير هرم بن حيان الى أن حب الله تعالى هو الطريق الى استقامة المحبه مع الناس فيقول : « ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه ، حتى يرزقه مودتهم ومحبتهم » .

اللهم هبنا حبك وحب من يحبك فانك أنت الرحيم الودود .

حول كتاب الله

القرآن هو كلام الله ، الشامل للفظ العربى ، المعجز ، المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب فى المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته وهو اجل من أن يعرف لانه محفوظ فى الصدور والسطور ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . مهيمن على الكتب السماوية المنزلة من قبله ، مستغن به عنها .

وكلام الله منه ما هو معجز ــ كالقرآن وما ليس بمعجز ــ كالحديث القدسى والكتب السماوية الاخرى . والكلام فى نفسه مشترك بين المعنى النفسي واللفظى ــ كالالفاظ المشتركة التى تطلق على أكثر من معنى .

والقرآن هو الوحى الجلى ، الذى أنزله جبريل على قلب النبى منطقة الامان التى لا يقترب منها شيطان [وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون أنهم عن السمع لمعزولون] .

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

ومن أراد أن يتفهم القرآن تفهما صحيحا ، فليسلك سبيل المؤمنين فى بحثهم المستقيم ومنهاجهم المحدد . فهم اذا أرادوا أن يفهموا آية بحثوا عن سبب نزولها ، لان معرفة سبب النزول يعين على فهم المعنى . ولا يجوز القول بسبب النزول الا استنادا الى رواية صحيحة . وقد يتعدد سبب نزول الاية كما قد يتعدد نزولها .. كآية : [**وان عاقبتم**] فى آخر سورة النحل ، فانه تعدد نزولها ، وكذلك سورة الفاتحة على ما قيل ..

ومثال تعدد السبب ــ ما روى فى قوله تعالى : [**والسارق والسارقة**] نزلت فى طعمة وقيل نزلت فى امراة ..

وليس معرفة سبب النزول مجرد معرفة تاريخية ، وانما للتعرف على حكمة تشريع الحكم وتخصيصه عند من يرى التخصيص بالسبب . وان كان الجمهور يرون ان العبرة بعموم اللفظ ، وصورة السبب داخلة فى العام دخولا قطعيا كما هو مبسوط فى علوم القرآن واصول الفقه ..

والقرآن معجز .. ووجه اعجازه لا يحد .. ويختلف احساس الناس فى اعجازه ، ولذلك تنوعت أقوالهم فى وجوه الاعجاز ..

فمنها رقة الاسلوب ، والبلاغة ، والفصاحة ، والتشريع الذى يعالج قضايا البشر بحكمة ، ويستأصل جذور الاجرام من نفس أصحابه . والسلامة من التناقض ، واخبار الماضين ، وصدق اخباره بالغيب ، والاشارات العلمية الدقيقة . واحسن ما يقال عن أوجه الاعجاز انها توصف ولا تعرف ..

واذا كان القرآن معجزا وتعددت وجوه الاعجاز فيه ، وهى لا تنتهى ، فمن واجب الباحثين فيه ان يعرفوا بعض قواعده ، وان يعرفوا تطبيقها حتى لا يقع خلط بين القاعدة والتطبيق ..

لقد قرر القرآن انه بلسان عربى مبين وعليه ، فلا يصح الخروج فى تفهم القرآن عن لغته العربية التى نزل بها ، تشريفا لها ولنا . واعتزازنا بلغتنا ومحافظتنا عليها ــ ركن اساسى من أركان عقيدتنا الاسلامية .

واذا قال القرآن [**كذلك يبين الله آياته للناس**] وقال الله لنبيه فى القرآن : [**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس**] فلا يظن التعارض بين النصين ، لان النص الاول فى القاعدة المشتملة على الاصول الكليه ، والنص الثانى فى التطبيق و التفريع وبيان الجزئيات فلا غنى عن السنة التى هى المذكرة التفسيرية لما أجمل فى القرآن والمشار الى الاستمساك بها فى قوله سبحانه [**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**] ..

وما تردد بين كونه قراءة أو رواية ، فانه يعمل به على أنه رواية ان صحت ..

كقراءة عبد الله بن مسعود : [**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات**] فقراءته كروايته .

واذا لم تثبت متتابعات قراءة ــ فأقل ما يثبت فيها انها رواية عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن الفقهاء من يسقط مثل هذه الرواية لانها وردت على أنها قرآن وهى لم تصح واذا لم تصح

قرآنا – سقطت من أساسها ولم تصح رواية . ولذا اجازوا فى كفارة اليمين صيام ثلاثة أيام متفرقات ..

ونحب أن نلفت النظر الى ان هناك فرقا بين ادعاء القرآنية الممكن اثباته بخبر الواحد ، وبين ثبوت القرآنية الان المشروط فيه التواتر ..

فرواية عبد الله بن مسعود – فيها دعوى القرآنيه لا ثبوت القرآنية ، فان الثبوت لا يتحقق بالاجماع الا بالتواتر . وابن مسعود لم يقل : ان متتابعات متواترة .

والقرآن كتاب عربى ، وفيه كلمات عربت ، فصارت عربية . وحتى لو لم تعرب – لا يقدح وجودها ان يكون القرآن كتابا عربيا ، لان غير العربى الموجود فى القرآن قليل جدا ، وان كان كثير من العلماء لا يسلم ببقاء هذه الكلمات غير عربية ، ويرجح عربيتها ، ونحن نعتقد صواب هذا القول ..

وفى القرآن الكريم المحكم الذى وضحت دلالته ، والمتشابه الذى لم تتضح دلالته . ويجب حمل المتشابه على المحكم ..

هذا ان كانا فى موضوع واحد ..

ومن المنطق حمل الخفى على الواضح ، والرجوع بغير المعروف الى ما هو معروف

أما اذا كان المتشابه فى موضوع مستقل – كالاحرف المقطعة فى بعض أوائل السور – فيحتمل أن يكون [ألم] وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات المعميات بالحروف بين المحبين ، لا يطلع عليها غيرهما . وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام ، فى وقت لا يسمعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ، ليتكلم بها معه على لسان جبريل عليه السلام ، بأسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره .

ويشهد لهذا ما روى فى الاخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقوله تعالى : [**كهيعص**] فلما قال : [كاف] قال النبى صلى الله عليه وسلم [علمت] فقال : [ها فقال : [علمت] : فقال : يا فقال : علمت] فقال :[عين] فقال : [علمت] فقال : [صاد فقال : علمت] فقال جبريل عليه السلام : كيف علمت مالم أعلم ؟

ويحتمل أن يكون السبب فى نزول هذه الاحرف هكذا مقطعة – هو لغو العرب حين نزول القرآن . فأنزلها سبحانه حكمة منه حتى تتوفر دواعيهم لما أنزل الله اذا سمعوا مثل هذا الذى ما عهدوه والنفوس من طبعها أن تميل الى كل أمر غريب غير معتاد ، فينصتون عن اللغو ويقبلون عليها ويصغون اليها ، فيحصل المقصود فيما يسمعونه مما يأتى بعد هذه الحروف النازلة من عند الله تعالى . وتتوفر دواعيهم للنظر فى الامر المناسب بين حروف الهجاء التى جاء بها مقطعة بين مايجاورها من الكلم . وابهم الامر عليهم من عدم اطلاعهم عليها ، فرد الله بذلك شرا كبيرا من عنادهم وعتوهم ولغوهم ، وذلك رحمة منه سبحانه بالمؤمنين وحكمة مع الكافرين .

هذا بعض ما قيل فى هذه الاحرف المقطعة

والمؤكد هنا امران : **الامر الاول** : أنه لا يعلم كل أسرارها الا الله وان أشار الى بعضها بعض الصفوة الاخيار .. **والامر الثانى** : انكار خلوها من المعانى . فمعاذ الله أن ينزل فى كتابه بعض الكلمات التى لا تفهم والتى هى مجهولة من كل وجه . وشتان بين مجهول لا يعرف وغيب يعرف عن طريق الايمان به بعد نقله نقلا صحيحا .

ويجب تأويل المتشابه ان كان ظاهره يعارض المحكم ، أو ان الدفاع عن الاسلام متوقف على تأويل المتشابه . وليس للمتشابه الا تأويل واحد . ومن المعلوم أنه لا تأويل الا بمسوغ . والمحكم والمتشابه – كالحقيقة والمجاز فى لسان العرب .

فمثال ما يجب تأويله بالشروط السابقة – لفظ : اليد ، والوجه ، واليمين . وان لم توجد ظروف تقتضى التأويل – فالتفويض أسلم ..

والمتشابه اما لفظى أو معنوى أو فى اللفظ والمعنى .. فيجب التمييز بين هذه الاقسام المندرجة تحت المتشابه الذى لم يستقل بنفسه وهو محتاج الى البيان .

فالمتشابه اللفظى – اما مفرد لغرابة اللفظ – كلفظ : أبا – فى قوله تعالى « **وفاكهة وابا** » او لاشتراكه – كلفظ : يد – فانها مشتركة بين أطراف الاصابع او الكف ، أو الى المرفق ، او الى المنكب .

واما مركب بالايجاز – نحو : [**واسأل القرية**] أو الاطناب نحو : [**ليس كمثله شىء**] أو المساواة مثل : [**فلا تعجبك اموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا**] **فهم ينعمون بالمال والولد .. والتقدير ، فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها ..**

او متشابه فى المعنى – كصفاة الله ، والجنة ، وما لا يقع عليه حسنا – وهذا يجب الايمان به ، وفهمه على حقيقته عسير ، لانه من الغيب ولا يعلم حقيقة الغيب الا الله سبحانه ..

فنعيم الجنة حقيقة يجب الايمان بها . اما تحديده بلون من الروحيات أو الماديات – فقول على الله بغير علم . وقد قال سبحانه : [**كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأوتوا به متشابها**] . ففى الجنة نخيل وأعناب وفاكهة ورمان . أما الحجم واللون والطعم والرائحة فلا يعلم به الا الله .

وصلى الله على سيدنا محمد

ماذا صنع القرآن ؟

تعودت ابنتى أن تستمع الى خطبة الجمعة . واذا بها بعد عدة أسابيع تسألنى وصوتها يمتزج فيه الالم بالدهشة :

- ألا يوجد فى القرآن الكريم غير ما تقوله خطبة الجمعة التى تكاد تكون مكررة ؟

وهزتنى ملاحظتها من أعماقى . وقررت أن اقرأ من جديد القرآن الكريم من أجل صغيرتى ومن أجلى أنا نفسى . من أجل الطفولة والشبيبة المسلمة فى مصر وفى كل مكان فان كتابنا الاكبر لم ترتفع اليه ، بعد ، خطبة الجمعة أو مناهج التعليم فى شتى مراحله .

الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

ان القرآن الكريم ليس الوعد والوعيد وآيات تصور الجنة وآيات تهول النار .. القرآن الكريم صنع أربعة عشر قرنا بما فيها من اجتماعيات وسياسات .

القرآن الكريم أعاد بناء الانسان على أرض الجزيرة وما حولها .. كتاب فجر كتبا بل مكتبات . ولم يكن الدين موضوعها الوحيد بل الاخلاق والتشريع والاجتماع وسياسة الحكم وتقاليد السلم والحرب .

ويتجدد القلب فتتجدد المعانى فيه ..

وتتمزق الامة الاسلامية من الفرقة والتشتت والهوى والخطأ والخطايا أحيانا ثم لا تموت .. لان هناك شيئا خفيا وقويا يربطها فلا تضيع ، ويمسكها فلا تتهاوى .. هذا الرباط الخفى القوى هو القرآن ..

وقد لا يعرف الناس هذا ولكنه واقعهم وحظهم الكبير .. وهذا الرباط لا يستثنى منه غير المسلمين ممن يعيشون معهم ويلتقون بهم فى جنسية الوطن وعلى أرضه .. فان الخلفية الروحية التى صنعها القرآن الكريم نفحت الحياة فى البلاد التى تتكلم لغته فالتقى الكل على قيمها بالتسليم والاتفاق حتى ولو لم يكونوا متدينين بالمعنى الحرفى فى نظر سدنة الدين .. أو لو لم يكونوا مسلمين .

هذا المعنى الاكبر للقرآن الكريم لم يخطر ببال خطب الجمعة فكانت خطبا .. لقد فات السادة الخطباء الذين يتصدرون لهداية الناس وهم يهددون المخطىء بالويل والثبور وعظائم الامور ، ان القرآن الكريم يقول :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » . اذن الخطأ (جهل) لا جرم .

لقد نفذ القرآن الكريم ، دونهم ، الى ما فى البشر من ايناس .. البشر علامة القدسية والفرح .. شعاع من الرحمة .. عطاء من الحب .. خصب حتى ليقول الشاعر العربى البسيط :

وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

الى هذا البشر ، نسب الله نجاح الدعوة الاسلامية « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » .

ولهذا كان أقصى وأقسى عتاب للرسول الاية : « **عبس وتولى** » .. ولامر ما ، سميت الانسانية ، بشرية .. فليس من الدين ، التنفير والترهيب والجهامة فى الوجه أو العبادة حتى لا ينفض الناس من حول خطبة الجمعة ..

ان القرآن الكريم برؤيته للبشر والسماحة يمنح الحرية والجمال والحب للانسان ..

الانسان الذى كرمه الله حين استهل كتابه الاكبر بفاتحة تقتصر من دون الموضوعات الكبرى على **ما بين الله والانسان** متوجا هذه العلاقة (بالرحمة) تظلل الانسان بالطمأنينة من (الرحمن الرحيم) .

ان الرحمة فى العهد القديم لم تذكر الا نادرا .. ولكنها فى الاسلام وعد من الله اى أمر محقق أو حق كما يقول الدكتور كامل حسين فى كتاب (الذكر الحكيم) وهو شعور يزيد فى طمأنينة النفس المسلمة.

كم من المعانى الكريمة فى الايات الكريمة :

« قم الليل الا قليلا »

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

كان الامام أحمد بن حنبل يحدث ابنته كثيرا عن الشافعى على انه الامل المرجى والرجاء المأمول وذات يوم زار الشافعى ، الامام أحمد بن حنبل وبات عنده فلم تنم الفتاة .. وأطل فضولها كله على الشافعى ترقب حركاته وسكناته .. **وبعد ساعتين قام أبوها من نومه وتوضأ وأخذ يصلى الليل كله .. ونظرت الفتاة الى الشافعى فوجدته نائما أو هكذا يبدو .. وفى الصباح سأل أبوها ، الشافعى :**

– كيف قضيت ليلتك ؟

– على خير ما يقضى الليل .. لقد حللت وانا مستلق على ظهرى مائة مسألة مما يهم المسلمين !!

هذا هو الدين فى قمته التى تعلو كثيرا على القيام والقعود الحرفى .. ومن القيام التأمل والتفكير ..

أما الاية الثانية :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

«الا قليلا » .. هنا الدقة تستريح .

وهنا البحث يتعب .

فبعد النظر فى حقائق الفلك المتناهية الكبر ..
وبعد النظر فى حقائق الذرة المتناهية الصغر ..
وبعد النظر فى علم الحياة ما ظهر منها وما بطن..
وبعد النظر فى التاريخ البشرى بحضاراته ..
وبعد النظر فى القلب الانسانى بفنونه وفلسفاته

بعد النظر فى هذا كله .. يقف الوعى المتفتح أمام ظاهرة الوجود المشتمل على هذا كله موقف المحدود أمام اللا محدود كلما تعمقه تكشف له عن جديد ، من جديد فلا يملك القلب المؤمن الا أن يقول :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

كان القشيرى يعلق على تعريفات الباحثين لاى معنى من المعانى بقوله : (كل تكلم بما سنح له) اى الحقيقة الكبرى علمها عند الله .

وكان ابن سينا حين يتحدث عن أقسام العلوم العقلية يعرف **الحكمة** بانها صناعة نظر يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفس الانسان وما الواجب عليه عمله مما ينبغى أن يكتسب فعلا لتشرق بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الاول وتستعد للسعادة القصوى بالاخرة وذلك **بحسب الطاقة الانسانية اى الحقيقة** الكبرى علمها عند الله .

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا .. »

يقول القرآن الكريم : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق»**

لقد حفظت هذه الاية فى المدرسة الابتدائية والثانوية على انها مفاجأة للرسول . كيف يقرأ من ليس بقارىء .. ولكنى اليوم حين أعيد قراءة القرآن لنفسى أرى كلمة « اقرأ » خطا فاصلا كبيرا بين مرحلتين من شخصية الرسول عليه السلام . فمحمد صلى الله عليه وسلم قبل الوحى غير محمد بعد الوحى ..

محمد قبل الوحى تاجر قرشى يعمل لحساب الثرية السيدة خديجة .. كان أمينا لها .. وكان أمينا لبشريته حين كان يعتكف شهرا فى العام .. فى الغار يتفكر ويتأمل ويتعبد ولكنه حين قرأ باسم الله الذى خلق انتقل الى أفق المعنى وخلف التجارة الى الهدى والحق والتوحيد والسلام وتنمية النفس البشرية بعد المال .. خلف التجارة الى الزراعة .. زراعة النفس لتزكو ..

هنا تكريم القرآن للقراءة والعلم بها ..

كما كرم الكتابة حين أقسم بالقلم وما يسطرون ..

انه العلم الذى يصفى نفس الانسان ويقطر وجوده.

ما معنى **« وعلم آدم الاسماء كلها »**

أى علمه التعاطف مع الوجود كله ..

كما كان الرسول يعطف على الهرة ويسمى الاشياء التى يستعملها بأسماء جميلة .. ان العلم الحقيقى ليس الشهادات ولكن عملية مصادقة للموجودات بهدف تحرير الانسان . ان الانسان فى رحلته الاولى التى بدأت من عصور ما قبل التاريخ بدأ « يتريض » الرياضة العقلية فى حدود ما أتيح له من حقائق .. اى يتكيف داخليا ..

والعلم يحقق انسانية الانسان ويدل عليها .. فمن العسير والمستحيل أن تعلم الثور .. اذن الانسان فى داخله استعداد للعلم وهذه أفضليته .. والافضليات اى القدرات الخاصة هى التى تحرره من الجانب الحيوانى المشترك مع الكائنات الدنيا .. الانسان فيه من النبات والحيوان ولكنه انسان بما يزيد عن الحيوان والنبات ..

انه انسان بالعلويات .

ومن هذا حمله الله الامانة التى فزعت منها الجبال.

هل يليق بعد هذه الاشعاعات التى يهديها القرآن أن نقصره فى عين المتعبد على الوعيد والتهديد ؟ وفى يوم الجمعة ؟

دعوة القرآن الكريم إلى بناء الأمة الإسلامية

الدكتور
أحمد عمر
هاشم

ان دعوة القرآن الى بناء الامة الاسلامية لتتمثل أول ما تتمثل فى حمل الامة كلها على الاضطلاع بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليشيع الخير فى كل جوانبها .. وليكون الجميع فى تعاونهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . وقد وضع الاسلام أسسا لا تطاولها نظريات العالم كله . فلطالما قدم الفكر الانسانى الكثير من النظريات سيرا نحو بناء الامة الفاضلة ولكن معظمها ـ رغم تضلع واضعيها ـ كانت تبوء بالفشل حينا ، أو بالجمود أحيانا أخرى أو بتضاربها مع غيرها وهكذا .. وما ذلك الا لانها من وضع البشر ، والعقل الانسانى معرض للخطأ والصواب ، أما ما وضعه الاسلام لبناء الامة : فهى أسس ثابتة صالحة لكل زمان ومكان ، لا يعتريها تضارب لان طريقها القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة الشريفة التى جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم وحيا يوحى ..

وقد اتجه خطاب القرآن الكريم الى الامة ، حاملا لها رسالتها فى الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وتلك هى اصول الفلاح ، قال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » .

وتلك الاصول هى التى تؤهل هذه الامة لتكون خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

وقد شهد القرآن الكريم بالصلاح لامة من أهل الكتاب تم ايمانهم وحملوا دعوة الخير امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وسارعوا فى الخيرات فامتدحهم القرآن ، مبينا أن أهل الكتاب ليسوا سواء ، فلئن كان منهم من باء بغضب من الله وكفر وعصى ، فان منهم من ثاب الى الرشد وحقق رسالة الايمان والخير ، فقال تعالى : « **ليسوا سواءا من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحن وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين** » .

وهذه الاصول السابقة التى تصل بالامة الى الفلاح فتكون خير أمة أخرجت للناس ، هى فى الحقيقة ونفس الامر تطبيق عملى لمقتضيات بنائها وتكوينها ، هذا البناء الذى أتمه الله تعالى على أسس قويمة ، ومقومات هى غاية ما تتطلع اليه البشرية من طمأنينة وسعادة على مر ادوار حياتها .. « **اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

واذا أردنا بيان هذه الاسس التى يقوم عليها بناء خير أمة مؤمنة ، نجد أول ما يطالعنا هو :

١ ـ الوحدة الانسانية والفطرة الالهية ، وهذا الاساس يتكون من أصلين : الاول : يعنى أن الناس امة واحدة ، يبدأون من اصل واحد وان اختلفت أجناسهم وألوانهم ، وينتهون الى نهاية واحدة بلقاء ربهم وان اختلفوا ثوابا وعقابا ، قال الله تعالى : « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا** » .

والاصل الثانى : الفطرة الالهية الواحدة : وهى التى فطر الله تعالى جميع الناس عليها . قال تعالى : « **فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » . وفيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء – أى تامة الاعضاء – هل تحسون فيها من جدعاء ؟ –أى مقطوعة الاذن أو الانف أو الاطراف – ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** » .

وبهذا يتبين لنا أن جميع أنساب الناس وأجناسهم تنتمى الى أصل واحد ، وهنا تبرز أهمية التعارف وضرورة اتصال الناس بعضهم ببعض ، قال تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » . ولكى تزدهر هذه الوحدة وتؤتى ثمارها ، قاوم الاسلام شر الافات الانسانية التى تستبد بهذه الوحدة أو تعرضها للضياع كافة : الاثرة – مثلا – فنفى الاسلام أخوة الايمان منها ، وفى اطار هذه الاخوة شرع الاسلام التعاون بين الامة ، كأسرة واحدة يكمل بعضهم بعضا ، وعندما يذكر الانسان حاجته الى غيره من الناس ، عليه أن يذكر كذلك حاجة غيره اليه ، وهنا لا تجد تلك الافة بين الامة سبيلا .. ومن هذا المنطلق تتراءى لنا أخوة الايمان بحقوقها وواجباتها ، قال تعالى : « **انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » ان الاسلام اذ يقرر أخوة الايمان لا يقيدها بعلاقة نسب ، فان أخوة النسب تنفصم بمخالفة الدين ، ولكن أخوة الدين لا تنفصم بمخالفة النسب ، وفى الصحيحين ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله اخوانا** » . كما ركز الرسول صلى الله عليه وسلم على حقوق هذه الاخوة وواجباتها فى قوله : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا – ويشير الى صدره ثلاث مرات – بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » . رواه مسلم .

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الايمان الاصلاح بين المسلمين ، وهذا واجب تمليه الاخوة ، وقد مهد الله طريقه بالتزام التقوى ، حتى لا يحيد المصلحون ولا يحابى بعضهم بعضا ، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم ، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهى رحمة الله بالمؤمنين دنيا وآخرى « **.. فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

ويدعو الاسلام الى تطهير البيئة الاسلامية من رذائل شتى : منها رذائل ظاهرة تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالالقاب ، وأخرى باطنة غير ظاهرة كالظن وغيره .. قال تعالى : « **يأأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، يأأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم** » .

وفى تطهير البيئة الاسلامية تنقية للوطن الاسلامى ، وبناء متكامل للامة الاسلامية على شتى بقاعها . وعلى ضوء هذه الاخوة تقوم المساواة فى الحقوق والواجبات ، ويقوم التكافل الاجتماعى بينهم مستضيئا بتلك المبادىء السامية .

واذا كانت الوحدة – بشقيها من ناحية الفطرة والعقيدة السليمة ومن ناحية الوحدة الانسانية – اذا كانت تعنى الاخاء المثمر ، والمساواة الصحيحة ، والتكافل الحق ، فان هذه العوامل تشكل – بمجموعها – أساس المعاملات السليمة ، والعلاقات الانسانية الصالحة أما أساس الحكم السليم فهو الذى يشكله العنصر الثانى من عناصر بناء الامة وهو الشورى .

– والاساس الثانى هو « الشورى » قال الله تعالى : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » ويبين الله تعالى أن فى الشورى ربطا للقلوب وتوثيقا للعلاقة بين الناس وبين الحاكم فيقول : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله** » .

فبالشورى يتجلى وجه الحق ، وتظهر الاراء النافعة ، وتبدو أهمية الشورى كأصل من أهم الاصول فى تنظيم شئون الامم والجماعات اذا نظرنا الى ما منحه الله تعالى لعباده من استعدادات وملكات فطرية ، وما عليه بعض الافراد والجماعات من خبرات واسعة ، ومعارف فسيحة الجوانب ، كل على حسب استعداده ووضعه ، ويتنوع الناس بتنوع مجالات الحياة فهناك المتخصصون فى الشئون الدينية أو الاقتصادية ، أو السياسية ، أو العسكرية .. وما

الى ذلك ، وكل يدلى بدلوه فيما ينفع ويأخذ بيدها الى طريق السعادة والفلاح .

والاسلام اذ يقرر مبدأ الشورى كأساس لبناء الامة ، انما يقضى على تفة من اعتى الآفات التى تؤدى بحياة الامم وهى الاستبداد فى شتى مظاهره وأشكاله : فى التشريع أو فى الادارة أو فى الحكم أو فى الرأى .. ونهوضا بهذا المبدأ أو تطبيقا له حققه الرسول صلى الله عليه وسلم فى سائر حياته فى السلم وفى الحرب ، فكم استشار أصحابه فى كثير من الغزوات ، وكم أخذ فى كثير من الامور ، وكما طبق خلفاؤه من بعده هذا المبدأ ، فترعرعت على أيديهم قيم الحياة وسارت بهم آمنة رخاء .. واذا كانت الشورى قد أتمت حرية الرأى على نحو ما سبق فان الاسلام لم يدع بقية أنواع الحريات بل أولاها عناية هامة وذلك فى الاصل الثالث من أسس بناء الامة ، وهو الحرية ..

٣ ـ الحرية ، وقد منح الاسلام أتباعه الحرية بمعناها المطلق الذى لا قيود عليه ، وهذه الحرية تظل مطلقة مادامت لا تصطدم بالحق أو بالخير ، فان اصطدمت بشىء من ذلك قيدت عند حدود الحق والخير ، وذلك حتى لا ينعكس مفهومها فيتغير الى معنى الفوضى والتدهور فى الاخلاق والمعاملات .. جاء الاسلام فقرر حرية العقيدة ، وحرية التملك ، وحرية التصرف ، وحرية الرأى .. وغير ذلك قال الله تعالى : « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » .

وكما قلنا ان الحرية لا تتقيد الا اذا اصطدمت مع الحق ، فمثلا : حرية التصرف فى الملكية الفردية ، قيدها بقيود تكفل الحق فيها وعدم الاضرار بحقوق الاخرين من ذلك ما قرره الاسلام من الحجر على الصبى والمجنون فيما يملكانه ، لان كل واحد منهما لا يستطيع أن يحسن التصرف فى ملكه ..

وتطبيقا لمبدأ الحرية ، قاوم الاسلام الاستبداد والاستعباد واستغلال النفوذ ، لانها آفات تقضى على مبدأ الحرية ، وقد روى أن ابنا لعمرو بن العاص تنازع مع شاب مصرى عندما كان عمرو واليا على مصر ، فلما سبق المصرى ابن عمرو ضربه بالسوط فأقسم المصرى ليشكونه الى عمر ، فقال له : اذهب فلن ينالنى ضرر من شكواك فأنا ابن الاكرمين ، فذهب الفتى وشكاه الى الخليفة فاستدعى الخليفة الوالى وابنه ، وقال الشاكى مخاطبا عمر : ياأمير المؤمنين ان هذا ـ وأشار الى ابن عمرو ـ ضربنى ظلما ، ولما توعدته بأن أشكوه اليك قال : اذهب فأنا ابن الاكرمين ، فنظر عمر الى عمرو ، وقال : **بم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا** . وبعد بيان صدق الفتى المصرى ، ناوله الدرة وقال له : اضرب بها ابن الاكرمين ، كما ضربك بل ان امير المؤمنين طلب من الفتى المصرى ضرب عمرو نفسه ـ كما ورد ذلك ـ لان ابنه لم يرتكب هذا الذنب الا بجاه أبيه لكن الفتى اكتفى قائلا : « لقد ضربت من ضربنى ياأمير المؤمنين » ولولا صفح الفتى لوقع السوط من شاب عادى على والى مصر جزاء استغلال واحد من أبنائه لنفوذه ، وجزاء عدم مراقبته له .

٤ ـ العدل ، وقد حث عليه الاسلام وعنى به القرآن عناية فائقة حتى مع الاعداء قال تعالى: « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » وقال: « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان** » ، كما نادى بالعدل فى القول أيضا : « **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** » كما نادى به فى القضاء والحكومات : « **واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » وبين سبحانه أن العدل هو الهدف من ارسال الرسل ونزول الكتب : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » .. وبعد ـ فان أسس الامة الاسلامية كثيرة ، ولكن فيما ذكرنا أهم هذه الاسس التى تنبثق منها فضائل كثيرة ، ومبادىء سامية تتفرع الى قيم ومثاليات لو أخذت بها الامة وطبقتها التطبيق الكامل لحققت خيريتها على الارض ودانت لها الدنيا وكانت بحق خير أمة أخرجت للناس والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

تأملات فى البيان القرآنى

الكلمة فى البيان القرآنى

الدكتور ابراهيم عوضين

المتأمل فى البيان القرآنى يقطع بان الكلمة فى بنائه لا تخرج على منهج الاعجاز الشامل فيه ، فهى بوضعها فى هذا البناء البيانى معجزة ، وان كانت فى ذاتها لا تخرج على حد الكلمات العربية التى لا تبعد عن متناول البشر .

ولقد رأينا فيما أسلفنا نماذج متنوعة للكلمة العربية ، وكيف تتحول فى البيان القرآنى من القرب الى البعد ، بل التسامى عن طوق المخلوق ، حتى يسلم بأنها أحد مظاهر الاعجاز ونحن اليوم مع طائفة أخرى من كلمات القرآن الكريم التى يتوهم الناظر فيها أنها على النسق المعتاد القريب التناول . نعيد التأمل فيها لنرى ما اذا كانت على النسق المعجز ام هى - كما يتوهم المتعجلون - لا تسمو على النسق البشرى المعتاد .

فى التأملات السالفة كشفنا ان البناء القرآنى لا يقبل الكلمة الزائدة فى أى تقدير ، وقررنا أنه بيان محكم ، لا تفاوت فيه ولا فطور . ونحن اليوم متعرضون لنموذج آخر من الكلمات التى تلفت النظر وتثير التساؤل .

اقرأ معى قول الله تعالى فى سورة البقرة : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » ، ثم اقرأ فى نفس السورة قوله تعالى : « **تلك حدود الله فلا تعتدوها** » تجد اختلافا فى البناء لا شك يثير التساؤل ، ويستدعى التفكر فى السر الذى من أجله كانت تلك المغايرة فى الجملة المتشابهة ، فهناك اشارة الى حدود الله ونهى عن قربها ، وهنا اشارة الى حدود الله ونهى عن تعديها .

ولو كان الامر مجردا من القصد لصح أن يكون مع الاولى نهى عن التعدى ، وأن يكون مع الثانية نهى عن القرب .

ولو كان الامر فى بناء الجملة مبنيا على الاحكام لاستلزم التماثل فى الجملة تماثلا فى الكلمات ، فكان لازما أن تكون الثانية على غرار الاولى .

وهكذا يثور التساؤل ويدور الحوار حول هذه المغايرة فى الكلمات القرآنية من جملة الى أخرى تحمل ذات المعنى .

ولا نجد فى تأملنا بدا من معاودة النظر الفاحص فنقرأ كلا من الجملتين فى سياقها الكامل لنتعرف الغاية منها ، وابعاد التعبير فيها ، ومدى امكان الوصول الى تلك الغاية من خلال العبارة .

● ● ●

فالاية الاولى يقول فيها سبحانه وتعالى : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها** .. »

أى ان حدود الله المشار اليها فى تلك الاية هى مباشرة النساء من فجر رمضان الى ليله ، ومباشرتهن حال الاعتكاف فى المساجد . وهذا وذاك محرم على المسلم اتيانه ، فهما حدان من حدود الله تعالى ، يتولد عن تخطيهما اقتراف الخطيئة . وتمام النهى عن اقتراف الخطأ انما يكون بالنهى عن الاقتراب من كل ما يوصل اليه ، لان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . فلا يكمل الاحتراز عن الخطيئة اذا الا بالبعد عما يجر اليها مما له بها أدنى صلة .

ومن ثم كان النهى عن المباشرة هنا مقرونا بالنهى عن كل ما يؤدى الى هذه المباشرة من حديث ومخالطة ، فلزم لذلك تذييل الاشارة والمشار اليه بالنهى عن قرب المشار اليه ، دون غيره .

ومن ثم قرن سبحانه وتعالى النهى عن المباشرة فى تلك الاية بالنهى عن القرب ، فقال عز وجل : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » لانه المطابق لما يقتضيه الحال فى كل أبعاده الواضحة والخفية التى لا يطلع عليها الا الخالق جل وعلا .

● ● ●

أما الاية الثانية وفيها يقول الله عز وجل : « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ...** » فالحدود المشار اليها فيها ليست من نوع الخطايا كما رأينا فى الاية الاولى ، وانما هى تقع على مباحات ، اذ هى ترسم الحدود التى يصح للمسلم أن يصل اليها فى تلك المباحات .

فالطلاق مباح ، لكنه محدد ، وأخذ الرجال من مرور النساء مباح فى حدود .. فالمشار اليه هنا مباح فى حال وغير مباح فى حال .

ومن ثم لم يكن مناسبا بأى حال أن يذيل المشار اليه بالنهى عن قربه ، لان العبارة حينئذ سيتناقض مطلعها مع خاتمتها ، ولا يقع فى مثل ذلك من يعلم خائنة الاعين .

وهكذا يتبين للمتأمل ان تذييل المشار اليه فى تلك الاية بالنهى عن تعدى حدود الله وتخطيها هو المطابق لما يقتضيه الحال أتم المطابقة .

ومن ثم يتقرر لدى المتأمل فى هاتين الايتين أنه أمام كلام الله المحكم الذى لا تفاوت فيه ، وأن كل كلمة فيه تحمل فى موضوعها من الاعجاز مايحمله سائر البيان الكريم . فنحن انما عرفنا ذلك بالتأمل والتفحص والبحث والموازنة ، أما بدون ذلك فما كان ليقع فى خاطر مخلوق أن هناك فارقا بين هذه وتلك ، فلا بأس – فى تصور المخلوق – من أن تتبادل الكلمتان موقعهما . وبناء على هذا التصور القاصر يكون التغاير من باب التزيين والتجميل فحسب .

ومن ثم يتقرر انه ليس فى طوق مخلوق رعاية ذلك التناسب وترسمه فيما يكتب أو يقول .

● ● ●

أو قرأ قوله تعالى فى سورة البقرة : « والله غفور حليم » ، ثم فى الاية التالية اقرأ قوله تعالى : « **فان الله غفور رحيم** » حيث تجدوا فاصلتين متجاورتين ، أولاهما تقترن فيها صفة المغفرة بالحلم ، وثانيتهما تقترن فيها الرحمة بالمغفرة .

ولا شك فى ان مثل هذا الاختلاف بين الصفتين القرينتين يثير التأمل والتفكر . وقصير النظر لا يرى فى ذلك اكثر من تقارير لقصد التزيين والتحسين .

ولو أعدنا النظر الى مطلع كل من الايتين لنتعرف على ما يلابسه لرأينا عجبا يكشف عن ذلك الاعجاز البيانى الشامل .

ففى الاية الاولى يقول سبحانه وتعالى : « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم** » .

وفى الاية الثانية يقول عز وجل : « **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فان الله غفور رحيم** » .

ولو تأملنا فى الاية الاولى لوجدنا الله سبحانه يخبر عن ذاته بأنه لايؤاخذ انسانا باللغو فى اليمين ، ولكن يؤاخذ من قصد اليه قصدا لا يشوبه اضطرار ، ولا تلابسه عفوية . ومع ما فى ذلك من رحمة الله بعباده ، يرى المتأمل انه منهج فى الحساب يعتمد على أساس قوى متين راسخ من التدبر فى حال من ارتكب الخطأ قبل أن يلزمه بعقوبة ما ارتكب . وهذا التدبر الذى يقوم عليه الحساب هنا ، يقوم بدوره على الحلم والعقل ، اذ بدون ذلك لا يصح تدبر ، ولا يستقيم عدل .

ومن ثم كانت المغفرة من الله هنا مؤسسة على النظر الشامل فى حال العبد ، فلم يكن يصلح من صفات الله سبحانه سوى صفة [الحليم] لتذيل به المغفرة ، فكانت على ما نرى « والله غفور حليم » اشارة منه سبحانه الى أن المغفرة منه تعالى فى هذا الموقف ليست عملا عشوائيا ، ولكنه يصدر بعد نظر شامل ، وبحث تام يتناول أحوال الانسان ، ليعلم ان كان يستحق المغفرة أو لا يستحقها .

ولو ذيلت المغفرة هنا بالرحمة لما أعطت هذه المعطيات الدقيقة ، ولكانت نشازا فى النظم القرآنى الكريم ، ولبدت غريبة بين كلمات هذا البيان المعجز ، اذ ليس فى الاية غفران مطلق ، وانما هو غفران فى حالة ، ومؤاخذة فى حالة ، فاقتران الغفران بالرحمة اذا لايناسب ، لان السياق لايشير الى صفة الرحمة الربانية بالقدر الذى يشير به الى صفة الحلم الربانى .

واذا وجهنا تأملنا الى الاية الثانية ، وجدنا انفسنا امام اولئك الذين يحلفون ان لا يقربوا زوجاتهم اربعة

أشهر فصاعدا ، وما يجب عليهم اتباعه ح من انتظار أربعة أشهر ، فان رجعوا عن ذلك فى أثناء تلك الاشهر الاربعة غفر الله لهم ، وقبل رجعتهم ، ولم يلزمهم تطليق زوجاتهم . وما ذلك من الله سبحانه وتعالى الا رحمة بهم ، فشمولهم برحمته هو الذى أكسبهم قبول الرجعة ، وغفران الخطأ .

ولا شك فى أن صفة الحلم هنا موجودة ملحوظة ، لكنها ليست كوجود الرحمة ، فلولا رحمة الله بعباده ولولا تقديره لما هم عليه من طبـاع فيها الاندفاع والتهور ، ثم الرجوع والتندم ... لولا تقديره تعالى لذلك فى البشر لما تجاوز عن خطأ ، انما هى الرحمة الشاملة حين يستدعيها الموقف .

ومن ثم لم يكن مناسبا هنا أن تذيل المغفرة بصفة أخرى غير صفة الرحمة .

وهكذا يتقرر من النظر فى تلك الايتين المتجاورتين أهمية الكلمة فى البيان القرآنى ، اذ الكلمة على ما رأينا توضع فى موضعها المناسب أتم المناسبة ، والذى تستدعيه كل الملابسات والمواقف ، بحيث لا يغنى غيرها غناءها ، ولا يمكن أن يستغنى التعبير عنها ، فلا يمكن أن يستبدل بها غيرها ، ولا يمكن أن تسقط من الجملة ، وانما هى بحالتها تلك ضرورة فى التعبير القرآنى المعجز .

● ● ●

او اقرأ قوله تعالى فى سورة غافر : « **فاستعذ بالله انه هو السميع البصير** » ، ثم اقرأ قوله تعالى فى سورة فصلت : « **فاستعذ بالله انه هو السميع العليم** » تجد تشابها فى المضمون مع اختلاف فى الصفة المقارنة ، فهى فى الاية الاولى «البصير» ، وفى الثانية «العليم» ، وهذا التشابه يوهم أن الكلمة توضع فى البيان من غير هدف مقصود ، وانما هى زينة يمكن أن تحل الواحدة منهما مكان الاخرى . وهو من غير شك وهم لا يثبت مع النظرة الفاحصة المتانية .

تعال نقرأ كلا من الجملتين فى آيتها وسياقها ، لنبحث فى سر هذا الاختلاف والمغايرة .

فى الاية الاولى يقول جل شانه : « **ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيـه فاسـتعذ بالله انه هو السـميع البصير** » .

وفى الاية الثانية يقول عز وجل : « **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم** » .

وبالتأمل فى الاية الاولى نجد الخطاب موجها من الله سبحانه وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بعد أن يدعوه الى الصبر على ما يناله من أذى المشركين ، وذلك قوله تعالى فى الاية السابقة عليها : « **فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار** » .

فالله سبحانه يدعو نبيه الى الصبر وانتظار موعود الله اياه من النصر ، ثم يعقبه بالتهوين من شأن هؤلاء المعاندين الذين يبدون مع النظرة العجلى قوة لاتقهر ، وسدا منيعا لا يحطم ، فهم انما يجادلون من غير سند يقوى مركزهم ، فليس لديهم علم ولا قوة حقيقية تسندهم فى موقفهم ذلك - على خلاف ما يراه البشر ويبصرونه - وكل ما يعتمـدون عليه غـرور ينفخ صدورهم ، وكبر يملأ نفوسهم ، لا يحقق لهم أدنى كسب ، فلا تخش منهم شيئا ، واستعذ بالله الذى يراهم على حقيقتهم ، ويبصرهم فى هيئتهم التى تبصرونهم فيها ، انه هو السميع لكل ما يدور ، البصير بكل ما يقع .

ومع أن سمع الله تعالى هناك لا ينفصل عن العلم ، لا تجد الحاجة الى ابراز صفة العلم مجاورة للسمع تساوى الحاجة الى ابراز صفة البصر ، فالبصر هو المناسب تماما لمناسبة السياق ، وما ينشأ عليه من دواعى النفس وحاجة الفكر ، لان مناط الخوف شاخص بارز ، يراه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويخشى ما قد يصدر عنه من عنف وقسوة .

فاذا نقلنا تأملاتنا الى الاية الاخرى ، وجدنا الخطاب موجها كذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيد أن مناط الخوف فيه هو الشيطان : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله .. » فالتوجيه هنا بأن يستعيذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالله من الشيطان حين يحس نزغه ووسواسه يخالج نفسه .

وواضح أن المستعاذ منه هنـــا غير مرئى ، بل وصنيعه كذلك غير مرئى ، فاذا قرن سمع الله بصفة من صفاته فليس أصح ولا أدق من أن يقرن بالعلم الذى يتناول المرئى وغير المرئى .

ومن ثم جاءت فى الاية الاولى : « ان الله سميع بصير » ، وجاءت فى الاخرى « ان الله سميع عليم » لتنبىء كل ذى عقل بأن الكلمة فى البيان القرآنى ليست فى وضعها عملا عشوائيا ، أقيم على المصادفة ، وليست وسيلة من وسائل التحسين والتزيين فحسب ، بل هو نسق مقصود وضع كل حرف فيه فى موضعه ، فالكلمة فيه أيا كان موقعها مقصودة قصدا ، بحيث لا يمكن اسقاطها ، ولا يمكن استبدال غيرها بها ، فهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

القرآن

شبـــــه وردود

عرضنا فى العدد السابق تحت عنوان [القرآن] لكيفية نزول القرآن الكريم وجمعه وحفظ الله له من التحريف والتبديل واللحن والخطأ ، وتحدثنا كذلك عن جهود علماء المسلمين - بتوجيه من الخلفاء الراشدين - فى جمع القرآن ونسخه فى المصاحف وأخذ الاجماع فى كل ما وقع فيه خلاف فى القراءات . وقد كان القرآن موجودا فى صدور الرجال وقلوبهم أخذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بأول ثم مكتوبا بأيدى كتاب الوحى . وقد روجع المكتوب على المحفوظ وأقر بالاجماع ما وافق الاجماع ووصل الينا القرآن الكريم بصورته الحالية نصا ووضعا وترتيبا كما هو مثبوت فى اللوح المحفوظ . وصدق الله اذ يقول [انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

وانتهينا الى أنه من المستحيل أن يقع فى القرآن تحريف أو لحن أو خطأ بعد كل هذه الجهود التىبذلها ويبذلها وسيبذلها المسلمون بتوفيق من الله لحفظ دستور الاسلام وروحه ومصدر التشريع فيه .

ولكننا حينما نطالعبعض الكتبالقديمة [كالاتقان فى علوم القرآن للسيوطى - والمصحف لابى بكر السجستانى] . تصدمنا الجرأة بالجهر بعكس ذلك فقد وردت فيها كلمتا [الخطأ واللحن] لبعض آيات خفى اعرابها على القائل فظنها لحنا أو خطأ ونعرض أولا للاقوال التى وردت فى مثل هذه الكتب .

الدكتور عبد العزيز صالح رضوان

[أ] استبعاد وقوع اللحن فى القرآن الكريم

قال أبو عبيدة فى فضائل القرآن [الاتقان ١ : ١٨٢ - ١٨٥ والمصحف ٦٤) حدثنا معاويه عن هشام بن عمروة عن ابيه قال : سالت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى : « **ان هذان لساحران** [- طه ٦٣ . وعن قوله تعالى : « **والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة** » - النساء ١٦٢ . وعن قوله تعالى : « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون** » - المائدة ٦٩ . فقالت يا ابن أختى هذا عمل الكتاب أخطاوا فى الكتاب ، هذا اسناد صحيح على شرط الشيخين .

وحدثنا الفراء قل : حدثنى أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة انها سئلت عن قوله : « **ان هذان لساحران** » وعن قوله . . . الى أخر ما سبق فـ..ت يا ابن اخى حطا من الكتاب .

وقال [أبو عبيده] حدثنا حجاج عن هارون بن موسى أخبرنى الزبير بن الحريث عن عكرمة قال : لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجدت فيها حروف من اللحن فقال : لا تغيروها فان العرب ستغيرها . أو قال : ستعربها بالسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف . أخرجه ابن الانبارى فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان وابن اشته فى كتاب المصاحف ، ثم اخرج ابن الانبارى نحوه عن طريق عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر القرشى ، وابن اشته نحوه من طريق يحيى بن يعمر قال . لما فرغ من المصحف اتى به عثمان فنظر فيه فقال قد احسنتم واجملتهم أرى فيه شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها . وقد كررت هذه الرواية من طرق متعددة بنفس المعنى والمضمون ، ثم ذكر آخر احداها عن عبد الله بن فطيمة أنه أحد كتاب المصاحف والرواية عنه .

وروى عن عمر بن الخطاب [صحيح مسلم] قوله : انا لنرغب عن كثير من لحن أبى ، يعنى لغة أبى .

وأخرج من طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير انه كان يقرا [**والمقيمين الصلاة**] ويقول هو لحن من الكتاب . وروى الزبير قال : قلت لابان بن عثمان [كيف صارت « **لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة** » ما بين يديها وما خلفها رفع وهى نصب ؟ قال : من قبل الكتاب

[الكاتب] كتب ما قبلها ؟ ثم قال : ما أكتب ؟ قال : [المقيمين الصلاة] فكتب ما قيل له .

وقد عزى الى سعيد بن جبير والزبير بن أبى خالد عن ابان بن عثمان قول كل منهم على حدة : فى القرآن أربعة أحرف لحن هى [والصابئون] و [والمقيمين الصلاة] و [**فاصدق واكن من الصالحين**] - المنافقون ١٠ ، و (**ان هذان لساحران**) .

يقول السيوطى [الاتقان ١ : ١٨٣] وهذه الاثارات مشكلة جدا وكيف يظن بالصحابة **أولا** : انهم يلحنون فى الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء اللد . ثم كيف يظن بهم **ثانيا** : فى القرآن الذى تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه . ثم كيف يظن بهم **ثالثا** : اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته . **ورابعا** : كيف يظن بهم عدم تنبههم ورجوعهم عنه ، ثم كيف يظن بعثمان انه ينهى عن تغييره ، ثم كيف يظن ان القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة .

واذن فالسيوطى لم يكتف بالاشارة الى انكار هذه الروايات ، لانه فى ذلك يدافع عن القرآن حيث تفتح هذه الروايات الطريق الى النيل منه ، بل نجده ينكرها صراحة حيث يقول : [وهذه الامور مستحيلة عقلا وشرعا وعادة] .

ويعرض صاحب مفتاح السعادة [٢٧٧ - ٢٧٨ وكتاب تاريخ القرآن للاستاذ الابيارى) حلولا عدة لهذه المشكلات ملخصها :

١ - ضعف السند فى حديث عثمان من ناحية ، وعدم التصديق من جهة المنطق والفكر . ان عثمان رضى الله عنه يترك للناس اماما يقتدون به ، ثم يترك فيه لحنا لتقيمه العرب بالسنتها من ناحية أخرى .

٢ - قد يكون ما ذكره عثمان رضى الله عنه محمولا على الرمز والاشارة ومواضع الحذف نحو [الكتب] بلا ألف « الصبرين » فى الصابرين بلا ألف ، وما أشبه ذلك .

٣ - وقد يكون محمولا على مخالفة رسم الخط ، لان خط المصحف خالف رسم الخط فى كثير من المواضع .

٤ - وأجابوا عن حديث عائشة فقالوا : انه ليس فى اسناده ضعف لان اسناده صحيح غير انهم قالوا : ان المراد بالخطأ انما هو فى اختيار الاولى من الاحرف السبعة لجمع الناس عليه .

٥ - وأجابوا عن حديث سعيد بن جبير بأن المراد باللحن القراءة واللغة أى انها لغة الذى كتبها وقراءته ، وفيها قراءة أخرى .

والحق أن الحديث الذى روى عن عثمان رضى الله عنه ، لو سلمنا بصحة هذا الحديث ليس فيه اشكال يستلزم هذه الاجابات كلها مع انها غير مقنعة ، ذلك أن رسم المصحف لم يختلف عن رسم الخط المعهود فى زمنهم ، لانهم هكذا كانوا يكتبون . واما **التحسينات الاملائية** ، فقد جاءت بعد ذلك ، وعليه فالاجابة التى تقول : ان الرسم القرآنى خالف كذلك رسم الخط فى كثير من المواضع اجابة لا تستند على دليل .

كذلك فان الاجابة التى تقول : ان عثمان رضى الله عنه رأى فى المصحف شيئا كتب على غير لسان قريش كالتابوه والتابوت فوعد انه سيقيمه على لسان قريش ، فانها لا تقوم على دليل أو سند ايضا . ذلك أن القرآن الكريم - يحتوى على الكثير من لغات العرب العديدة غير اللغة القرشية .

واما اضعاف سند هذا الحديث ، فانه اشتهر عن عثمان فى أكثر من رواية مما يدل على أن أصله قد يكون صحيحا . المصاحف - ٣٢ - ٣٣ .

واذا كان الامر كذلك فما السبيل الى الخروج من هذا الاشكال ؟ أقول : ان عثمان حينما قال ما روى عنه فى الحديث السابق انما يريد أن يقرر الحقيقة التى مؤداها أن القراءة غير الرسم ، وان القراءة مرجعها الروايه والنقل ، وان الرسم قد يختلف مع القراءة ، فالعبرة حينئذ بالقراءة لا بالرسم .

وعليه فان عثمان أطلق عليها لحنا حينما رأى ان هذه الحروف تختلف عن القراءة ولم تقلقه لانه يثق أن العرب لا يقرأون بالرسم ، وانما يقرأون بالرواية والنقل .

والدليل على ذلك قوله : « لو كان المملى من هذيل ، والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا » . وذلك لان النفر الثلاثة الذين أملوا القرآن على زيد بن ثابت قرشيون .

والقراءات التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن وقفا على لغة قريش ،ولهذا كانت هناك قراءات غير قرشية فاذا ما كتبت بلغة قريش ادى ذلك الى مخالفة الرسم للقراءة . ولذلك ترك عثمان رضى الله عنه المصحف على رسمه واثقا أن العرب يقرأون بما رووا .

ويؤكد هذا الاتجاه ما روى من أن عاصما الجحدرى « كان يكتب الاحرف الثلاثة [**ان هذان لساحران**] .. الخ على مثالها فى الامام ، فاذا قرأها قرأ [ان هذين لساحران] وقرأ : [والمقيمون الصلاة] وقرأ [ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين] وكان يقرأ أيضا فى سورة البقرة [والصابرون فى البأساء والضراء] ويكتبها والصابرين .

وانما فرق بين القراءة والكتابة لقول عثمان رضى الله عنه : ارى فيه لحنا ، وستقيمه العرب بألسنتها ، فأقامه بلسانه ، وترك الرسم على حاله » .

وعليه فان اللحن الذى ارتآه عثمان انما هو مخالفة الرسم للقراءة وهذا هو ما ذهب اليه صاحب [مباحث فى علوم القرآن] حيث يقول : ان الملاحن التى يريدها عثمان رضى الله عنه « تتعلق بطريقة الرسم التى لابد أن ينالها التغيير على اختلاف البيئات والعصور » .

اما النص القرآنى نفسه ، فلا يتغير فيه شىء لانه مجموع فى صدور العلماء ، أخذه بعضهم عن بعض بالتلقى والمشافهة وطرق التواتر اليقينى .

وأما حديث ابن جبير فان فيه تأكيدا على المراد باللحن القراءة واللغة أى انها لغة الذى كتبها وبقراءاته وفيها قراءة أخرى .

وأما حديث عائشة رضى الله عنها - وكان لها مصحف - فالرأى عندى انها ربما لم تكتب مصحفها على العرضه الاخيرة ، فلما رأت هذه الاية مختلفة عما فى مصحفها نسبت الخطأ الى الكاتب .

والدليل على ذلك ما ذكره ابن ابى داود ، قال : « اخبرنا هشام عن زيد عن ابى يونس مولى عائشة قال . كتبت لعائشة مصحفا فقالت : اذا مررت بآية الصلاة فلا تكتبها حتى أمليها عليك قال : فأمللتها على : (**حافظوا على الصلوات ، والصلاة الوسطى صلاة العصر** [البقره ٢٣٨] .

وفى رواية أخرى « عن القعقاع بن حكيم عن أبى يونس مولى عائشة أم المؤمنين انه قال : امرتنى عائشة رضى الله عنها أن أكتب لها مصحفا ، ثم قالت : اذا بلغت هذه الاية : [**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**) ، فآذنى ، فلما بلغتها آذنتها فأملت على : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى - صلاة العصر - وقوموا لله قانتين** » ثم قالت : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ونستطيع ان نستنتج من ذلك ان مصحف أم المؤمنين لم يتناوله التغيير الذى قام به زيد فى كتابة المصحف على العرضة الاخيرة .

يدلنا على ذلك ما رواه « ابن أبى حميد قال أخبرتنى حميدة قالت : أوصت لنا عائشة رضى الله عنها بمتاعها فكان فى مصحفها « **ان الله وملائكته يصلون على النبى** » والذين يصلون فى الصفوف الاولى » .

وقد أجاب العلماء عن مقالة عثمان بثلاثة أجوبة :

أحدهما : ان ذلك لا يصح عن عثمان فاسناده ضعيف مضطرب منقطع ، ولان عثمان جعل للناس اماما يقتدون به فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها فاذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم . وأيضا فانه لم يكتب مصحفا واحدا بل كتب عده مصاحف . فان قيل ان اللحن وقع فى جميعها فبعيد اتفاقهم على ذلك . او فى بعضها ، فهو اعتراف بصحة البعض . ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف ، ولم تأت المصاحف قط مختلفة الا فيما هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن .

الثانى : على تقدير صحة الرواية فان ذلك محمول على الرمز والاشارة ومواضع الحذف نحو الكتاب والصابرين وما أشبه ذلك .

الجواب الثالث : انه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها كما كتبوا « لا أوضعوا » ، « لا أذبحنه » بألف بعد لا و [جزاؤا الظالمين] ، والف و [بأييد] بياءين ، فلو قرئ ذلك بظاهر الخط لكان لحنا .

وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن اشتة فى كتاب المصحف .

والحق ان هذه الروايات تحمل فى طياتها ادلة ضعفها ، اذ كيف يترك عثمان خطأ فى مصحف يريد جمع الامة عليه ويدون فيه من الخطأ ما يمكن الاخذ به والطعن فيه ، ثم ماذا يضير عثمان اذا محا الخطأ واثبت الصواب وهذا واجبه الذى حمل نفسه عليه . وفى السبيل يقول ابن الانبارى فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان الاتقان فى الاحاديث المرويه عن عثمان فى ذلك لا تقوم بها حجه لانها منقطعه غير متصلة ، وما يشهد عقل بان عثمان وهو امام الامة الذى هو امام الناس فى زمنه وقدوتهم يجمعهم على المصحف الذى هو الامام فيتبين فيه خللا ويشاهد فى خطه زللا فلا يصلحه كلا ، والله ما يتوهم عليه هذا ذو انصاف وتمييز ، ولا يعتقد انه أخر الخطأ فى الكتاب ليصلحه من بعده . وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه والوقوف عند حكمه . ومن زعم أن عثمان أراد بقوله أرى فيه لحنا :أرى فى خطه لحنا اذا اقمناه بالسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الالفاظ وافساد الاعراب فقد ابطل ولم يصب لان الخط منبئ عن النطق فمن لحن فى كتبه فهو لاحن فى نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخر فسادا فى هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق ، ومعلوم انه كان مواصلا لدرس القرآن متقنا لالفاظه موافقا على ما رسم فى المصاحف المنفذة الى الامصار والنواحى ، ثم أيد ذلك بما اخرجه أبو عبيد ، قال : حدثنا عبد الله بن هانئ البربرى مولى عثمان قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فارسلنى بكتف شاه الى ابن كعب فيها [لم يتسن] وفيها [لا تبديل للخلق] وفيها [فمهل الكافرين] فدعا بالدواة فمحا أحد اللامين فكتب [لخلق الله] ومحا فامهل وكتب [فمهل] وكتب [لم يتسنه] الحق فيها الهاء . قال ابن الانبارى فكيف يدعى عليه أنه رأى فسادا فامضاه وهو يوقف على ما كتب ويرفع الخلاف اليه الواقع من الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم اثبات الصواب وتخليده ا هـ .

وقال السيوطى : ويؤيد هذا ايضا ما أخرجه ابن اشته فى المصاحف قال : حدثنا الحسن بن عثمان انبانا الربيع بن بدر عن سوار بن سبتة قال : سألت ابن الزبير عن المصاحف فقال : قام رجل الى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ان الناس قد اختلفوا فى القران فكان عمر قد هم أن يجمع القرآن على قراءة واحده فطعن طعنته التى مات فيها ، فلما كان فى خلافه عثمان قام ذلك الرجل فذكر له فجمع عثمان المصاحف ثم بعثنى الى عائشة فجئت بالمصحف [بالمصاحف] فعرضناها عليها حتى قومناها ثم أمر بسائرها فشققت - فهذا يدل على أنهم ضبطوها واتقنوها ولم يتركوا فيها ما يحتاج الى اصلاح ولا تقويم .

ثم قال ابن اشته أنبأنا محمد بن يعقوب أنبأنا أبو داود سليمان بن عبد الاشعث أنبأنا أحمد بن مسعدة أنبأنا اسماعيل أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر قال : لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه فقال أحسنتم وأجملتم أرى شيئا سنقيمه بالسنتنا .

فهذا الاثر لا اشكال فيه وبه يتضح معنى ما تقدم فكأنه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته ، فرأى شيئا كتب على غير لسان قريش كما وقع لهم في التابوه والتابوت ، فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئا ، ولعل من روى تلك الاثار السابقة قد حرفها ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان فلزم منه ما لزم من الاشكال فهذا ما يجاب به عن ذلك .

وأما حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : فقد قال السيوطي « اما الجواب بالتضعيف لا يصلح لان اسناده صحيح كما ترى ، وأما الجواب بالرمز وما بعده فلان سؤال عروة عن الاحرف المذكورة لا يطابقه ، فقد أجاب عنه ابن اشته وتبعه ابن جبارة في شرح الرائية بأن معنى قولها اخطأوا أى في اختيار الاولى من الاحرف السبعة لجمع الناس عليه لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز . قال : والدليل على ذلك أن ما لا يجوز مردود باجماع من كل شيء وان طالت مدة وقوعه . قال : واما قول سعيد بن جبير لحن من الكاتب فيعني باللحن القراءة واللغة يعني أنها لغة الذي كتبها وقراءته فيها قراءة أخرى .

الجواب عن الايات موضع الشبهة

ونستطيع الاجابة عن هذه الايات الاربع موضع الشبهة التي وردت في قول عائشة وغيرها أنها لحن في المصحف الامام حسب ترتيبها في المصحف فنقول :

١ — قوله تعالى [**والمقيمين الصلاة ... الخ**] فيه وجوه ذكرها العلماء هي :

[أ] انه مقطوع الى المدح بتقدير [امدح أو اخص] وهو أبلغ .

ب — أنه معطوف على المجرور في (**يؤمنون بما انزل اليك**] أى يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة ، وهم الانبياء أو الملائكة وقيل المسلمون .

جـ — أن يكون معطوفا على الضمير في منهم . اى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة .

د — أنه معطوف على الكاف في قبلك على حذف مضاف والتقدير وما أنزل من قبلك وقيل المقيمين الصلاة .

هـ — أن يكون معطوفا على الكاف في اليك والتقدير وما أنزل اليك والى المقيمين الصلاة .

و — أن يكون معطوفا على كاف قبلك لكن المراد الانبياء . ذكره ابن عطية .

وقال الزمخشري : وفي مصحف عبد الله [**والمقيمون الصلاة**] بالواو . وهي قراءة مالك بن دينار الجحدري وعيسى الثقفي .

٢ — قوله تعالى [**والصابئون**] فيه وجوه ايضا ذكرها العلماء .

أ — أنه رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها والتقدير والصابئون كذلك . وذلك على قول بشر بن ابى خازم :

والا فاعلموا أنا وأنتم

بغاة ما بقينا في شقاق

أى فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك .

ب — أنه معطوف على محل ان مع اسمها فان محلهما الرفع ، وضعف ذلك الزمخشري . وصوب الاول ودافع عنه .

جـ — أنه معطوف على الفاعل في (هادوا) قاله الكسائي وجعله من قوله [**انا هدنا اليك**] الاعراف ١٥٦ ، من الرجوع الى الحق لا من اليهودية . وان جاء التفسير بغير ذلك الوجه .

د — أنه معطوف على الذين ورفع لان عمل (ان) ضعيف وخاصة في الموصول وهذا مذهب الكسائي والفراء [كوفيون] وانشدوا عليه قول ضابىء بن الحارث البرجمي :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله

فاني وقيار بها لغريب

هـ — ان (ان) بمعنى نعم ، فالذين آمنوا وما بعده في موضع رفع والصابئون عطف عليه .

و — انه على اجراء صيغ الجمع مجرى المفرد والنون حرف اعراب وعليه فهو منصوب بالفتحة على النون مثل (هارون) .

٣ — قوله تعالى [**ان هذان لساحران**] فيه وجوه أيضا تبعا لتعدد القراءات فيه .

فقد قرأ نافع وابن عامر وابوبكر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف بتشديد (ان) و (هذان) بالالف وتخفيف النون . وقد وافقهم الشنبوذي والحسن .

وقرأ ابن كثير وحده بتخفيف (ان) و (هذان) بالالف مع تشديد النون .

وقرأ حفص كذلك الا أنه خفف نون (هذان) ووافقه ابن محيصن .

وهاتان القراءتان اوضح القراءات في هذه الاية معنى ولفظا وخطا وذلك أن (ان) المخففة من الثقيلة أهملت وهذان مبتدأ ولساحران خبر واللام للفرق بين النافية والمخففة على رأى البصريين .

وقرأ أبو عمرو (ان) بتشديد النون و (هذين) بالياء مع تخفيف النون — ووافقه اليزيدي والمطوعي . وهذه القراءة واضحة من حيث الاعراب والمعنى لانها على الجهة الظاهرة المكشوفة ولكن استشكلت من حيث خط المصحف . وان كان تواترها ثابت فلا يلتفت لطعن الطاعن فيها .

وباذن الله سوف تستكمل بقية الردود على هذه الاية وما بعدها في العدد القادم ان شاء الله .

السيرة في ضوء القرآن الكريم

٨

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى تكوين المجتمع واقامة الدولة منهج فريد جدير بالتأمل والدراسة . فهو لم ينهج فى تكوين المجتمع المسلم مناهج بناة الدول المعروفة . فلم يحاول الثورة أو احداث انقلاب فى المجتمع المكى يستولى بعده على السلطة ثم يفرض مبادئه بقوة التشريع ، وهو كذلك لم يعتمد فى دعوته على الاساليب المعهودة بالمواعظ والخطب لكسب أنصار ومؤيدين ، ولم يعن طوال العهد المكى بتغيير أوضاع مجتمع مكة أو باصلاح أوجه الفساد المتفشية فيه ، انما قصر جهده كله طوال هذا العهد على الدعوة والتربية ، وكان هدفه الكبير هو تكوين جماعة مؤمنة تصل فى ايمانها وخلقها وسلوكها الى أن تكون ترجمة عملية لمبادىء القرآن الكريم .

الأستاذ محمد رشيد

وانتهى العهد المكى ، وتمت الهجرة العامة ، وانتقل مركز الدعوة الى المدينة ، وبقيت مكة كما كانت تموج بالفساد ، السلطان بيد قريش ، والمجتمع المكى مازال متمسكا بوثنيته كما كان والاصنام فى بيت الله الحرام ماتزال .

أفمعنى هذا أن الدعوة لم يكتب لها النجاح فى العهد المكى ؟

لا . . ان الدراسة المتأنية العميقة لهذا العهد تعطى عدة حقائق :

فالرسول صلى الله عليه وسلم فى سيرته لم يترك مجالا للارتجال ولم يترك أمرا للمصادفة ولم يخضع قط لضغط الظروف ، فقد كان يسير وفق خطة معدة محسوبة الخطوات .

والحقيقة الثانية : أنه صلى الله عليه وسلم كان يعمل على أساس أن دعوته عالمية ، لاخراج الناس – كل الناس – من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام ، ومن هنا كان يعد للقضاء على الجاهلية قضاء مبرما فى كل مكان ، ومن هنا أيضا فلم يكن هدفه اصلاح المجتمع المكى أو المجتمع العربى وحدهما انما كان هدفه أبعد مدى ليشمل العالم أجمع .

والحقيقة الثالثة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل هدفه الكبير طوال العهد المكى الاعداد لمرحلة العهد المدنى ، بتكوين جماعة مؤمنة ليجعل منها الاساس المؤمن القوى لمجتمعه الجديد حين يقوم ، فصبر نفسه مع المؤمنين ثلاثة عشر عاما يسكب فى قلوبهم الايمان ويصوغ نفوسهم صياغة اسلامية ، ويربيهم وفق منهج القرآن الكريم .

والحقيقة الرابعة : أن أحداث السيره فى العهد المدنى قد دلت على أن الذى صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى كان أكبر ضربة وجهت الى الجاهليه كما كان اعظم نصر أحرزه الاسلام عليها فى اولى جولاته معها ، فلم تمض ثمانى سنوات على تكوين المجتمع المسلم حتى تم فتح مكة وأصبحت الجزيرة كلها خالصة للاسلام .

والحقيقة الخامسة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أكد بسيرته المنهج الاسلامى فى التغيير واقامة المجتمع ، فلم يحاول ذلك بسلطان الدولة أو بقوة التشريع ، انما بدأ بالتغيير فى عالم النفس والضمير قبل ان يعالجه فى المجتمع .

والحقيقة السادسة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم بسيرته فى هذا العهد قد وضع الاساس لمنهج تربوى وبين لامته قيمة التربية فى رسالة الاسلام .

ونتأمل خطوات السيرة بعد مضى أربعة عشر قرنا

على العهد المكى فندرك أن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى تكوين المجتمع واقامة الدولة هو المنهج الامثل بل هو المنهج الوحيد بعد أن وضح من تاريخ الثورات وقيام النظم وبناء الدول فى القرن العشرين أن فشل كثير منها فى تحقيق أهدافها واحداث التغيير المنشود كان يرجع فى المقام الاول الى فقد عنصر التربية وعدم اعداد مجموعات من المؤمنين بالمبادىء التى سوف يتكون المجتمع على أساسها أو تقوم عليها الدولة ، أو بلغة العصر اعداد الكوادر المؤمنة بتلك المبادىء أو ذلك النظام .

ومعنى هذا أن الانسانية قد احتاجت الى أربعة عشر قرنا كى تدرك بالتجارب المريرة والتضحيات الضخمة والمصائب الفادحة أن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فى تكوين المجتمع وبناء الدول وتطبيق النظم واحداث التغيير والاصلاح هو المنهج الوحيد الذى يجب الاخذ به والسير على هداه .

ان التقدم المادى سهل ميسور متى توفرت الامكانات المادية ، ولكن ما جدوى ذلك التقدم المادى فى غيبة الانسان المؤمن صاحب الضمير اليقظ والخلق الكريم والايمان العميق الذى يستشعر رقابة الله تعالى ويسلك فى حياته سبيل الاحسان فى كل ما يعمل وفى كل ما يقول .

ما جدوى التقدم المادى بين أيدى ملوثة وضمائر خربة وعقول لا تفكر الا فى النفع الشخصى والكسب الحرام ؟!

وصدق الله العظيم : « **ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** » . [الاعراف : ٩٦] « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** » . [الرعد : ١١] .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « **وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق واستفتحوا على من كل باب . فلن أفتح لهم حتى يأتوا خلفك** » .

ان نظرتنا الى السيرة وفكرتنا عنها ودراستنا لها لابد أن تتغير ، انذ نتعامل مع السيرة على أنها احداث مضت ونمر بها للمتعة او المعرفة العقلية ، كأنما نقرأ تاريخا أو نشاهد آثارا فى أحد المتاحف ، وبذلك نفصل عما فيه من عظيم سيرة وظلم لانفسنا ، لواقعنا وآتينا .

من أين نستمد المثل العليا فى الحياة ؟

من أين نستمد مناهج التربية ومناهج التغيير والاصلاح ؟

من اين نستمد قيمنا واخلاقنا وسلوكنا فى الحياة ؟

انستمد ذلك كله من المدنية الغربية الحديثة : قيما واخلاقا ومناهج وسلوكا فى الحياة ؟

لقد ثبت فشل المدنية الحديثة فى جميع تلك المجالات .

وهنا تعلو اصوات حين تجابه بهذه الحقيقة قائلة ان دعاة الفكرة الاسلامية يريدون أن نطرح التقدم العلمى الحديث وتطبيقاته فى الحياة ونعود الى الخلف أربعة عشر قرنا ، اليست هذه هى الرجعية !!

وليس فى هذا القول شىء من الحق ، فلم يقل أحد أننا نهجر العلم الحديث ونهمل التقدم المادى الذى وصلت اليه المدنية الغربية الحديثة ، فالعلم لا وطن له ولا يمكن ان يحتكره أحد لا فرد ولا دولة ، وقد أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نطلب العلم حيثما كان ، فقال : **اطلبوا العلم ولو فى الصين ، والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أولى الناس بها .**

فرق بين العلم والثقافة ، فرق بين التقدم المادى وطرائق السلوك ، ان تقليد الغرب المتقدم تقليدا مطلقا والاخذ بخيره وشره ، لا يقول به عاقل مخلص لوطنه يحترم تفكيره .

نستطيع أن نأخذمن الغرب كل ما فيه من علوم وكل ما فيه من تقدم وكل ما فيه من تطبيقات العلم الحديث ، مع احتفاظنا الكامل بتراثنا الروحى والعلمى وقيمنا واخلاقنا وطرائقنا فى السلوك .

ان العيب الضخم فى المدنية الغربية الحديثة أنها تقدمت ماديا وانحطت روحيا وأخلاقيا ، فأخرجت الدين عمليا من واقع الحياة ، ولم تخلف فى مجتمعاتها رغم التقدم المادى الكبير ، الا القلق والحيرة والشقاء .

يقول الفيلسوف الالمانى شبنجلر عن المدنية الغربية الحديثة فى كتابه « انهيار الغرب » :

ان الحضارة الغربية طغت فيها المادية على الروح . وهذا بداية النهاية لها ، رغم ما تخدع بها البصر من التقدم العمرانى المادى ، وما مرحلة الحضارة الحالية الا غمرة المدنية المضللة ببهرجها الذى يستر فقرها الروحى ، فهى سائرة بخطى واسعة الى الفناء المحتوم الذى أصاب الحضارات السابقة .

ويقول العالم الطبيب الفرنسى الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى كتابه « الانسان .. ذلك المجهول » :

ان الجماعات والامم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ، هى على وجه الدقة الجماعات والامم الاخذة فى الضعف ، والتى ستكون عودتها الى البربرية والهمجية اسرع من عودة غيرها اليها .

تناول القرآن لظاهرة النسيان

مقدمة
النسيان ظاهرة بشرية ، وسمة أصيلة فى مسلك الانسان ، وقد اختلف اللغويون فى اشتقاق الانسان ، فمنهم من رأى أن أصل الكلمة هو « الانس » وآخرون منهم رأوا أصلها النسيان ، وقديما قال أحد الشعراء :

وما سمي الانسان الا لنسيه ولا القلب الا أنه يتقلب
وهذا يؤكد أصالة هذه الصفة فى سلوك البشر .

ويرى علماء النفس أن النيسان ضرورة بشرية ، لان الذاكرة لها درجة ، تشبع ومن رحمة الله بالانسان انمنحه النسيان لتستطيعبه ان يهمل ما لا يهمه ، ويختزنه فى عقله الباطن وتحتفظ فى منطقة الشعور قبل ما يهمه من شئون حياته .

الدكتور السيد رزق الطويل

والنسيان بهذه الصفة يخرج عن دائرة التكليف ، ويتجاوز حدود المسئولية ، ويعفى للانسان مما يحدث منه ، وهو واقع تحت سلطانه ، خاضع بغير قصد لتاثيره .

أما النسيان المقصود ، وهو تعبير قد نجد فى ظاهره لونا من التناقض ، لكنه فى حقيقة الامر لا تناقض فيه ، اذ فيه نسيان ، وفيه قصد ، ونعنى به الغفلة عن الواجب ، واهمال ما لا ينبغى ان يمهل من حقوق ومسئوليات .

تناول القرآن الكريم لهذه الظاهرة الانسانية .
ولنتجه الان الى القرآن الكريم لنرى : كيف تناول هذ ه الظاهرة ؟!

وباحصاء دقيق للفظ النسيان فى القرآن الكريم فى صوره الاشتقاقية المختلفة نجد أنه ورد فى خمسة واربعين موضعا من الكتاب العزيز .
وبدراسة المواضع التى ورد فيها هذا اللفظ بمشتقاته نرى أن القرآن الكريم قد استخدم بمعنيبه جميعا

- النسيان الحقيقى الذى يلم بالانسان فى غير قصد أو ارادة .
- والنسيان المقصود الذى نعنى به الغفلة عن الواجب واهمال المسئوليات .

النسيان الحقيقى . كيف تناوله القرآن ؟

عندما يكون النسيان قسرا وجبرا ، وعندما يلم بالانسان بلا قصد منه أو ارادة يكون هو النسيان الحقيقى الذى أعطيناه صفة الظاهرة البشرية ، أو السمة الانسانية ، اذ أن أى انسان مهما كان لا يستطيع أن يتجرد منه .

وحديث القرآن الكريم عن هذا النوع حديث اخبارى بحت ، يعرض فيه بعض صوره ، أو ينفيه فى بعض المواضع التى ينبغى ان ينفى منها ؟ لانه تجاوز اطار الظاهرة البشرية ، أو يتناوله فى أسلوب وعاء على لسان المؤمنين يضرعون فيه الى ربهم لا يؤاخذهم بما وقع منهم تحت سلطانه .

وهذا أقصى ما ينبغى أن يتحدث به القرآن عن ظاهرة بشرية جبرية كهذه . فهو اذن لا يحتاج الى تحليل أو تقويم ، أو اصدار أحكام كما سنرى فى النوع الثانى .

وتناول القرآن الكريم لهذا النوع من النسيان بصوره الثلاث [النفى والدعاء والاخبار] جاء فى أحد عشر موضعا .

١ — فى صورة النفى
١ — نفاه رب العالمين عن نفسه [**وما نتنزل الا**

بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا] .

ب - ونفاه عن نبيه فى مجال الوحى وما بين ذلك : وتبيغ الشريعة [سنقرئك فلا تنسى]

جـ - ونفاه عن أم الكتاب [فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى]

٢ - فى سورة الدعاء والالتماس

فى دعاء المؤمن الا يؤاخد بنسيانه [ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا]

وفى التماس موسى من فتاه الا يؤاخذه اذا نسى [قال : لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا] .

٣ - أخبار قرآنية تتصل بالنسيان

ا - تمنت مريم أن قد كانت فى عالم الموتى ، ومحيت من ذاكرة الناس قبل أن تعيش هذه المأساة [كما نراها] باحساسها البشرى ، يقول تعالى على لسانها : [ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا]

ب - فى قرية السامرى ، واتهامه لموسى انه صاحب العجل ، وأنه نسيه معه [فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فقالوا : هذا الهكم واله موسى فنسى]

جـ - فى نسيان موسى وفتاه للحوت الذى يعد نسيانه أمارة للالتقاء بالعبد الصالح [فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا . فلما جاوزا قال لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال : أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ، وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا]

بهذه الصور الثلاث المتقدمة كان تناول القرآن للنسيان الذى هو ظاهرة انسانية لها صفة العموم والانتشار ، والقهر والالزام ، ومن هنا رفع الشرع الحكيم مسئولية البشر عما يحدث فى ظلال هذا النوع من النسيان .

والنوع الثانى : النسيان المقصود

نسيان الغفلة عن الواجب واهمال المسئوليات

وهو أكثر النوعين ورودا فى القرآن الكريم .

تناول أنواعه ، وحلل أسبابه ، وحذر من مغبته ، وبين عقوبته .

وتناول القرآن الكريم له بهذه الكثرة ، لانه ظاهرة بشرية منحرفة تحتاج الى تحليل وعلاج وللشارع الحكيم منها موقف يحتاج الى بيان وتفصيل .

وعلى هذا أولاها الكتاب العزيز اهتماما بالغا ، لما لها من خطورة بالغة تهدد الدين السماوى ، وتنحرف بالبشرية عن هديه وهداه .

ومن هنا ورد الحديث عن هذا النوع فى أربعة وثلاثين موضعا من كتاب الله .

وكل ما ورد فى هذه المواضع من نسيان يحمل طابع الغفلة عن واجب ، والتنصل من تبعة أو الاهمال لمسئوليه لا ينبغى ان تهمل بحكم قضية الايمان التى يدعيها الانسان .

ويمكن أن يصنف هذا النوع من النسيان تصنيفا يجمع من الايات التى وردت فيه موضوعا متكاملا .

١ - مظاهر النسيان المنحرف ، واتجاهاته .

٢ - تحليل أسبابه

٣ - العلاج الذى وضعه القرآن له .

٤ - عقوبته .

يتخذ هذا اللون من النسيان عدة مظاهر ، تؤكد انحرافه عن سنن النسيان البشرى الذى رفعت المسئولية عن صاحبه ، ذلك لان هذه الظواهر تؤكد أن للانسان قصدا وارادة على نحو من الانحاء ، وأن ما يتورط فيه الانسان من أعمال نتيجة له انما هو شىء مراد .

وهذه هى الظواهر .

١ - نسيان الذنوب والخطايا .

نسيان تجربة الذنب ، تدفع المرء الى التروى فيه مرات ومرات ، ولهذا كان دائما ملازما للانحراف .

● يقول تعالى : [ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه]

● ويقول تعالى : [قل : أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ، أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ، وتنسون ما تشركون]

● ويقول تعالى : [يوم يبعثهم الله جميعا ، فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ، ونسوه ، والله على كل شىء شهيد]

ب - نسيان يوم القيامة .

يوم القيامة الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين حيث يجد كل انسان طائره فى عنقه ويقرأ بنفسه صحائف اعماله ، ويرى بعينه مصيره . وهو اليوم الحق حيث يفصل فيه بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون ، وينتهى أمر الباطل الى جحيم ، وينعم المتقون فى دار النعيم .

وطالما كان المؤمن على ذكر لذلك اليوم سيتخذ منه حافزا يدفعه الى الخير ، وينأى به عن الشر ، ويثبته على طريق الهداية .

ولذا نجد فى القرآن الكريم أكثر من آية تدعو الى اتقاء ذلك اليوم ، وما فيه من أهوال وبلاء ، وتعرض أشد تعريض بمن ينسى ما فى ذلك اليوم العظيم .

● يقول تعالى : [فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون]

● ويقول تعالى : [ان الذين يضلون عن سبيل الله ، لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب]

● ويقول تعالى : [**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم ، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون**]

● ويقول تعالى : [**وقيل اليوم ننساكم ، كما نسيتم لقاء يومكم هذا ، ومثواكم النار ، وما لكم من ناصرين**]

جـ — نسيانهم لله

هذان النوعان السابقان من النسيان : نسيان الذنوب ، أو نسيان يوم المصير ، تفتهما ان اولهما يحمل معنى عدم الاستفادة من التجربة ، وثانيهما يحمل معنى عدم الاعتداد بالدافع أما هذا النوع الثالث ، وهو الذى يتعلق بالله فهو الشر بذاته ، لانه دلالة خفوت حرارة العقيدة متبلد عاطفة الايمان ، وصيرورتها مجرد دعوى بلا واقع ؟ اذ أن كل ما فى الانسان من جارحة وما حوله فى السموات والارض من آيات تذكره بالله ، فكيف ينساه ؟ !

وهذا النسيان قد يتعلق بأمر الله أو عهده

وقد يكون تعلقه بذاته

وقد يكون النسيان لذكر الله الذى يجب أن يكون سلاحا يشهره المؤمن فى وجه الشيطان اذا اراد ان يهوى به فى مزالق الخسران .

● اما الاول ففى عهد الله لادم الا ياكل من شجرة بعينها فنسى وأكل : [**ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما**] وان هذا النسيان كان نوعا من الانحراف ، اذ يقول تعالى [**وعصى ادم ربه فغوى**] ثم تاب الله عليه وغفر له [**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**]

● وأما الثانى ففى قوله تعالى فى صفة المنافقين [**نسوا الله فأنساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون**] وقوله تعالى فى التحذير من مسلكهم [**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم ، اولئك هم الفاسقون**]

● وثالث الانواع من هذا النسيان الذى يتصل بالله : نسيان ذكر الله

ومعنى هذا النسيان افتقار سلاح لا يستقيم أمر المؤمن بدونه ، اذ يقيه من الاغواء ، ويثبته فى مواقف الاغراء ، ويحفظه من همزات الشياطين .

والايات التى تتناول نسيان الذكر تعنى بتحليل أسباب هذه الظاهرة ، لذا سأتناول هذه الايات عند تناولى لاسباب هذه الظاهرة بعد قليل .

واقتران نسيان الذكر بتحليل بواعثه وأسبابه دلالة على خطورة هذا النوع الذى يصرف فكر المؤمن عن ربه ، ويدفعه الى مهاوى الضلال .

بواعث النسيان

عندما يكون النسيان مجرد ظاهرة بشرية فبواعثه حينئذاك نفسية بحتة تنبع من داخله وتتمشى مع الفطرة الانسانية فى استواء ليس فيه شذوذ .

وهذه البواعث خارجة عن دائرة هذا البحث ، ومجال دراستها بحوث علماء النفس ولا يعنى القرآن الكريم فى هذه الناحيه الانسانيه الا بتسجيل ظواهرها . اما تحليل الاسباب فأمر لا موضوع له فى كتاب يقوم الفكر ، ويقود السلوك .

النسيان المنحرف — اذن — هو الذى تعرضت الايات لما وراءه من بواعث واسباب لانها تنبع من خارج الانسان أو من داخله الذى حالف عن نداء الفطره القويم . وذكر البواعث حينذاك علامات هاديه للانسان على الطريق .

وهذه هى الاسباب .

فى مقدمها : الشيطان . وقد نسب له القرآن الكريم شغل الانسان عن ربه ، وصرفه عن ذكره، وذلك فى عده مواطن .

● عندما نسى يوسف ربه ، اذ طلب من رفيقه فى السجن عند خروجه ان يذكره عند الملك [**وقال للذى ظن انه ناج منهما : اذكرنى عند ربك . فانساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث فى السجن بضع سنين**]

● وعن المنحرفين الضالين يقول تعالى : [**استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله**]

● وينصح الله رسوله فيقول : [**واذا رأيت الذين يخوضون فى اياتنا . فاعرض عنهم ، حتى يخوضوا فى حديث غيره . واما ينسينك الشيطان ، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**] .

والغرور هو ثانى الاسباب :

وهوان يسىء الانسان فهم نفسه بأن ينسى الاصل الذى منه نشا ، أو ينسىأن الايام تدول ، وان النعم تزول ، وان المتعة قد تصير شقاء ، الجاه قد يتحول الى بلاء .

وسوء الفهم الذى يخلق الغرور هو الذى ينسى الانسان هذه الحقائق الثابتة من سنن الله فى الحياة .

● وممن نسوا هذه الحقائق ابى بن خلف ، قال الله فيه [**وضرب لنا مثلا ، ونسى خلقه، قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**] .

● والانسان بطبعه يغتر بالنعمة فينسى .

قال تعالى : [**واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ، ثم اذا خوله نعمه منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل ، وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله . قل : تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار**]

● وتبرأ المعبودون من عابديهم الذين أنساهم الغرور ذكر خالقهم العظيم [**ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا**]

وثالث الاسباب : **الاستعلاء** على الناس

البقية صفحة ٦٦

تصوير العقيدة في القصص القرآني

سورة الشعراء .

ان تسمية السور القرآنية توقيفية واذا كان الشيء يسمى بابرز مافيه ، فقد جاءت سورة الشعراء توهينا لدعوى المشركين ان ما يسمعونه من الرسول - الصادق الامين - شعر مع ان الكلام المعجز ليس على الصورة الشعرية الاليفة عندهم في ايقاعه ، وصياغته ، وانشاده ، اذ الشعر متغنى به والقرآن الكريم مرتل بمايتفق مع جلاله ، فكيف يمكن التقارب بينهما ؟!

لقد كان الشعراء - وبخاصة الصعاليك منهم - يجاهرون بالرزيلة، والفتك ويوغلون في الاثم ، ويربطون اشعارهم بالدعوة الى الفجور ، ولهم مجالسهم التي يخرجون فيها على الطبائع الانسانية السوية مما يتنافى مع رسالة الرسول الحكيمة الكريمة الموجهة الى الخير .

- ٢ -

الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

○ ان اسلوب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الاقناع كان يتجه الى ان المنزل عليه آيات من لدن العزيز الحكيم . لكن الجاحدين اصروا على العصيان ولزموا البهتان ، فكان لابد من زجرهم ، وجاء صدر السورة مشيرا بالاشارة البعيدة الدالة على مكانة القرآن الكريم بقوله تعالى : « **طسم تلك آيات الكتاب المبين** » -**الايتان ١ ، ٢** - لبيان ان وضوحه يلائم العقل في جلاء الفاظه ، ودقة معانيه ، وجلال اتجاهه فأين هذا كله من دعواهم الشاعرية مع التكذيب ؟.

● وجاء الوعيد لهم مرتبطا بالعقيدة في قوله - جل شأنه - « **فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون** » الاية ٦

وذكر هذه الانباء في قص عجيب دال على صدق الرسول الاعظم فهو لم يكن قارئا حتى يطلع على هذه الانباء - وجاءت « القدرة » العلية دالة على وحدانية الواحد المقتدر في قوله تعالى :

« **اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم** » ؟ ، فالدعوة الى التأمل يراد منها ثبات العقيدة من دون امتهان العقل بالخرافة وخضوع القلب للتقليد ، وحيرة النفس بالتردد !

● ان المشركين قد نصبوا ما عبدوه ، وكان فرعون يصنع آلهة ويدعى انه ربها الاعلى ، وقد تقاربت العبادتان الضالتان الفاسدتان ، ولذلك بدىء بقصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع فرعون لبيان زيف العقيدة من صحتها ، فلم يكن للرسول نزع ملك هذا الفتى لكنه اراد نزع فساد عبادته من صدره . وجاء الاسلوب مقنعا لا دخل فيه للتخيل في تجسيده وتصويره حتى يبتعد عن الاسلوب الشعرى الذى يكثر فيه التوهم !

● ولقد كان تطاول فرعون على موسى بالمن في ايوائه وتربيته اللذين يمنعانه عن المجاهرة بالخروج على طاعته ، مع ان المولى - عز وجل - هو الذى ربى موسى على عين منه، ورعاه ليؤدى رسالته قاضيا على التغرير والغرور وادعاء الالوهية الوهمية !

ولما ساءل المنكر عن الاله العظيم : [**قال فرعون ومارب العالمين**] ؟ - الاية ٢٣ - جاء الرد موقظا

التأمل لانه اصل فى العقيدة بقوله تعالى : [**رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين**] – الاية ٢٤ – وكان الايقان مناسبا الربوبية العظيمة فى الخلق الكونى الذى لا يعارضه الا اعمى البصر ومعتم البصيرة . وجاءت « ان » فى مجرى الشك بالنسبة الى مافى نفوس المنكرين بعد تملك الجحود نفوسهم العاصية .

● ويجىء الدليل المادى فاصلا بين الباطل فى غلوائه ، والحق بعليائه حين يقع اختلاب البصر فى شعبذة متخيلة سحرية واجتذاب القلوب من السماء قدسية من حيث سجد السحرة معترفين بالقدرة العلية حتى فروا بدينهم بعد وضح الدليل الناصع نصوع يد سيدنا موسى وهى تتلالا بيضاء من غير سوء حتى نطقت الالسنة بالعقيدة السليمة بعد الاقتناع [**قالوا : لا ضير انا الى ربنا منقلبون**] الاية – ٥٠ –

وفى هذا القول تمجيد للدين الحق ، واستهانة بالوعيد البشرى مع الهجرة الحبيبة الى النفوس والرجوع الى الخالق الاعظم فعنده حسن المقام ومنه يتبين ان كل عذاب ، وفراق ، واضطهاد تزول امام اطمئنان النفوس بالعقيدة الصحيحة .

● وتأتى معجزة فلق البحر ، وقلق المتابعين من بنى اسرائيل حين خافوا ملاحقة فرعون للقضاء عليهم وهم القائلون فى موطن آخر « **اذهب انت وربك فقاتلا . انا ها هنا قاعدون** » .

على طبيعتهم الخوارة الغدارة الغريرة المغرورة لكن سيدنا موسى قد بين لهم ان ربه يؤيده بروح منه ويهديه سواء السبيل قال : « **كلا ان معى ربى سيهدين** » فمنه وحده العون ، وبه تظهر القوة الروحية التى يعمقها الايمان القوى ولقد آمنت قلة كريمة منها آسية امرأة فرعون ورجل صالح وعجوز وبذلك كانت رسالة رسولنا الاعظم من حيث آمن به زوجه الوفية خديجة وابو بكر ، وعلى – رضى الله عنهم – ، وان القلة لاتمنع صحة العقيدة من ان تشرق فى النفوس الصافية .

سياق القصص :

● وتأتى قصة سيدنا ابراهيم – عليه السلام – تنكر على ابيه وقومه عبادة الاصنام لكن التوجيه فى هذه السورة مرتبط بقوة اليقين فى الاعتراف بفضل خالقه حين خلقه فى احسن تقويم وهداه ، واطعمه وسقاه وشفاه ، وقواه ، وجعله يعترف بالبعث ويطلب الغفران، وعطاء الحكمة ودعاء الاعتراف بالفضل والنعمة ولم يؤمر سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالتعرف على قصة سيدنا ابراهيم الا فى هذه السورة من حيث يقول – جل وعلا – : « **واتل عليهم نبأ ابراهيم** » الاية – ٦٩ » لان فى خيره سلب القدرة عن الاصنام والزام عابديها الحجة عليهم فى بطلان عبادتهم بعد اظهار المعجزة فى صورة واضحة .

● وتتوالى القصص متصلة بالعقيدة مع الوحدة التوجيهية ، فترتبط قصة سيدنا نوح فى الامر بالتقوى، لان بها عصمة الانسان من غضب الديان « **فاتقوا الله واطيعون** » الاية – ١١٠ – ثم يدعو سيدنا صالح قوله : « **فاتقوا الله واطيعون** » الاية ١٤٤ ويتطهر سيدنا لوط من دنس القوم الذى لايتفق مع طهارة التقوى قال : « **انى لعملكم من القالين** » الاية – ١٦٨ – والقلى شدة البغض لشذوذ النفس الاثيمة .

وسيدنا شعيب يردد الدعوة الى الخوف من الله : « **اذ قال لهم شعيب الا تتقون** » ؟ الاية ١٧٧.

● ● ●

ومن رائع السياق تكرار فيه مجال التسلية ، والعبرة ، والراحة النفسية بخلوص العقيدة الى الله وحده « **وما أسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمن** . »

وتكرار التهمة الباطلة « **قالوا : انما انت من المسحرين** » وتكرار اقتران القوة بالرحمة بقوله تعالى : « **وان ربك لهو العزيز الرحيم** » آخر كل قصة مما يدل على ان العقيدة مرتبطة بالعمل وبه يكون الجزاء .

● ● ●

ويأتى التسجيل الرائع فى نهاية القصص بقوله تعالى :

« **وانه لتنزيل رب العالمين ● نزل به الروح الامين ● على قلبك لتكون من المنذرين ● بلسان عربى مبين ● وانه لفى زبر الاولين**» من الاية ١٩٢ – ١٩٦

وهذه الايات الخمس فيها الرد المقنع الذى يخرس الالسنة فى ان القرآن الكريم منزلة آياته بحسب اهواء الرسول الصادق الامين الذى لا ينطق عن الهوى بل نزلت بحسب الاحوال من رب كل مخلوق فى هذا الكون . – وقد نزل به جبريل عليه السلام الموصوف بالامانة فهو امين يوحى الى الامين حتى يدفع الشك عن الشاكين ... ، وكانت الايات على قلب الرسول لحفظها ، والعمل بها ، والدعوة الى ما فيها من شرائع ، ومبادىء ، واحكام ، واخلاق ثم التخويف بها للعاصين بعد ضرب الامثال التى لا يعقلها الا العالمون .

والقرآن الكريم فى زبر الاولين دال على صدقه ،

[البقية صفحة ٦٩]

التشريع الإسلامى

النظم المالية فى الإسلام

■ الدكتور محمد عبد المنعم خميس

لم تكن توجد نظم مالية بالمفهوم الحديث على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . ولم يطل عصر أبى بكر رضى الله عنه فضلا عن انشغاله طوال مدة خلافته القصيرة فى قتال المرتدين ومانعى الزكاة . لذلك ربما يكون عهد عمر رضى الله عنه بداية وضع النظم المالية التى تحكم جمع المال وصرفه فى مصارفه المحددة .

ولم يعن مؤرخو السيرة بمتابعة البحث عن نشأة بيت المال ولا عن النظم التى يدار على أساسها . ولم يتعرضوا له فيما نقل عنهم الاعند ما يتكلمون عن الموارد فى صدر الاسلام كأن يقال مثلا « انها كانت تساق الى بيت المال لتخرج منه الى أربابها » وفيما عدا ذلك من المسائل لم يهتم احد بتحقيقه وكل ما يمكن القطع به ان بيت المال وجد وعرف بهذا الاسم منذ غزوة بدر . أما قبل ذلك فكانت الاموال تحفظ فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم أو فى بيت من بيوت أصحابه رضوان الله عليهم (*) وكان الفىء يقسم على المستحقين من يومه خصوصا ما كان من المناطق كالابل والشياه والخيول والبغال . كما كان المسجد هو المكان الذى يساق اليه المال الذى يجمع من الغنائم ومن فداء الاسرى ثم يذهب ليومه فى مصارفه المختلفة . وهكذا كان الحال على عهد رسول الله صلوات الله عليه فكل مغنم من احدى الغزوات التى وقعت فى ذلك العهد يجىء ويذهب لحينه حتى فرضت الزكاة وكثرت ابل الصدقة .

واستمر الحال كذلك فى عهد ابى بكر وشطر من خلافه عمر حيث ظل المسجد هو المكان الذى يطلق عليه مجازا « بيت المال » الى أن استكمل وجوده فى اخريات خلافة عمر . وتبع ذلك ايجاد نظام مالى يحكم الموارد والمصارف فدون الدواوين وضبط موارد بيت المال ومصارفه وقد ساعد على ذلك اتساع الفتوحات وكثرة الاموال فكان بيت المال يقوم على حفظ الاموال وصيانتها والتصرف فيها لصالح جماعة المسلمين . وقد اوجز ابن تيمية ذلك فى قوله « لم يكن للاموال المقبوضة ديوان جامع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه بل يقسم المال شيئا فشيئا . فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثر المال واتسعت البلاد وكثر الناس فجعل ديوان العطاء للمقاتلة [الجنود] وبهذا كان ديوان الجند أول ديوان أنشأه عمر » .

ويمكن القول بأن الرسول صلوات الله عليه هو الذى وضع الاسس التى يقوم عليها النظام المالى بما كان يقوم به بنفسه أو يدعو اليه فى أقواله . فاذا كان عهد الخلفاء الراشدين زاد الاهتمام بالشئون المالية من ناحيتين :

الاولى : انشاء الدواوين واختيار الجباة ممن عرفوا بالاستقامة والصلاح والنزاهة والصبر .

الثانية : فرض رقابة تامة على جباية الاموال وصرفها .

ومن الملاحظ أن النظم المالية فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وفى عهود الخلفاء رضوان الله عليهم تكاد تكون متقاربة نظرا لتقارب تلك العهود حيث كان الدين لا يزال هو الوازع الحقيقى فى تصرفات الناس .

ومع بداية عهد الامويين أخذت النظم المالية تتطور فكان الخليفة يعين فى كل مقاطعة موظفا مسئولا عن ادارة الدخول والعائدات يسمى « صاحب الخراج » . وكان مسئولا أمام الخليفة مباشرة . وتركوا أمر جباية الضرائب فى أيدى موظفى حكومات المناطق التى اعتنقت الاسلام . وظلت السجلات الخاصة بالموارد تدون باللغة اليونانية ، كما كان فى عهد معاوية - بينما سجلات الضرائب بالعراق يدون فى بعضها باللغة العربية وفى الجزء الاخر باللغة الفارسية .

ولعل العباسيين او من وضعوا النظم المالية بما تشبه الى حد كبير النظم الحديثة . وكانت السياسة المالية على عهدهم تهدف الى تحقيق التوازن الفعلى والحقيقى بين موارد الدولة ونفقاتها . **فقسموا الموازنة العامة للدولة الى قسمين رئيسيين : قسم الاستخدام [الموارد] - وقسم النفقات [المصروفات] كما أنشأوا ثلاثة دواوين :**

الاول : ديوان الخراج - ومهمته أن يراجع ويدقق

فى الاموال التى ترد الى بيت المال . وكان الوزير الذى يرأس الجهاز الادارى بأكمله هو المسئول عن الديوان . كما كان الوزير يعتمد فى ضبط النفقات ومراقبتها على ديوان النفقات وهو الديوان الثانى .

الثانى - ديوان النفقات - ويختص بضبط النفقات ومراقبتها .

الثالث . ديوان الأزمة - ويختص بالاشراف على الحسابات الحكومية - فكل دائره لها سجلاتها الخاصه بالشئون المالية . ويقوم ديوان الازمة بالتفتيش عليها ويقدم تقريره للوزير .

كما كان لكل ولاية ديوان للخراج يتبع ديوان الخراج المركزى أو الرئيسى الذى يوجد فى بغداد أو فى سامراء وينقسم كل منهما الى قسمين يشرف احدهما على الموارد ويشرف الاخر على المصروفات .

واستكمالا لتنظيم الشئون المالية وضع العباسيون أول قانون مالى فى الاسلام ومن أهم ما اشتمل عليه هذا القانون بيان الدفاتر انواع الدفاتر والمستندات الحسابية التى تحكم التصرفات المالية وأهم هذه الدفاتر والمستندات هى :

أولا - الدفاتر الحسابية

أ - الاوارج - وهى كلمة فارسية ومعناها المنقول - ويشبه هذا الدفتر فى المحاسبة الحديثة دفتر المدينين - فيثبت فيه كل ما يستحق على الفرد من خراج وما يؤديه من دفعات حتى يتم استيفاء ما عليه .

ب الروزنامج - ومعناه « كتاب اليوم » ويشبه « دفتر اليوميه العامة » - اذ هو سجل يثبت فيه العمليات تباعا [موارد ونفقات] وحسب تاريخ التوريد او الصرف .

ج - التاريج - ومعناها « النظام » - وهو كحساب يعنى الحساب الاجمالى فيقال أرجت تأريجا . والتأريج يعنى تجميع العمليات المتشابهة فى حساب واحد من ما يثبت فى « الاورج » تحت كل اسم من دفعات حتى يكون مضفوفا [مدونا] ليسهل عقده [ادراجه] بالحساب . فعين التأريج مثلا حساب اجمالى المدينين .

د - العريضة - وهى تشبه التأريج ومعناها سجل الابواب التى يراد معرفة فضل ما بينها [زيادة جانب على آخر] فينقص الاقل من الاكثر فى بابين ويوضع ما يفضل فى باب ثالث وهو المقصود الذى تعد العريضة من اجله فمثلا تعد عريضة للاصل [أصل الاعتماد] والاستخراج [النفقات] ففى أغلب الاصول يقل الاستخراج عن الاصل [النفقات عن الاعتماد] فيوضع فى السطر الاول من أسطر العريضة ثلاثة ابواب - الاول للاصل والثانى للاستخراج والثالث لفضل ما بينهما [الرصيد] ثم يوضع فى الثانى الرصيد ثم الاستخراج ثم الفضل وهكذا فى كل سطر بعد ذلك حتى تنتهى تفصيلات الاصل والاستخراج والفضل . يثبت كل واحد منها بازاء بابه وتثبت جملة كل باب تحته .

هـ - الجريدة السوداء - وهى من دفاتر ديوان الجيش ويثبت به أسماء الرجال وأنسابهم وأجناسهم ومبلغ أرزاقهم وقبوضهم وسائر أموالهم - وتعتبر بمثابة دفتر من دفاتر شئون الافراد . كما تعتبر هى المرجع فى كل ما يخص رجال الجيش .

و - المواصفة - وهى دفتر تثبت به أوصاف الاحوال التى تقع واسبابها ودواعيها وما يعود بثباتها أو زوالها . فهى بذلك تعتبر دفتر حصر وتستخدم فى الرقابة والمتابعة .

ز - الدروزن : وهو سجل يثبت فيه الماسح ما يمسحه من الارضين - وهو ما يقابل دفتر تسجيل الاراضى .

ثانيا : الحسابات الختامية : وتشمل ثلاث قوائم مالية .

١ - الموافقة أو الجماعة : ومعناها الحساب الجامع الذى يرفعه العامل عند فراغه من العمل اليومى وهو ما يقابل « الحسبة اليومية » فى حسابات الحكومة فى الوقت الحاضر .

٢ - الختمة - ومعناها « الحساب الشهرى » - وهى كتاب يرفعه الجهبذ [مراقب الحسابات] فى آخر كل شهر بالاستخراج والجمل والنفقات والحاصل فكأنه يختم به الشهر - ويبين هذا الحساب كافة العمليات الشهرية جملة وتفصيلا .

٣ - الختمة الجامعة : ومعناها « الحساب الختامى » وعقد الختمة [اعدادها] يكون فى آخر كل سنة .

ثالثا - المستندات :

أ - البراءة : ومعناها حجة [سند أو ايصال] يقدمها الجهبذ أو الخازن [الصراف أو أمين الخزنة] للمؤدى [الدافع ان كان نقدا أو المسلم أن كان عينا] بما يؤدى اليه - وهو ما يشبه ايصال دفع أو استلام فى الوقت الحالى .

ب - الرجعة - وهى كشف يرفعه المعطى [الصراف] فى بعض العساكر لطمع واحد [صرفية واحدة] اذا رجع الى الديوان والمطمع والاطماع أوقات قبض الارزاق [المهايا] - وهى تشبه ما هو معروف فى الوقت الحالى باستمارة المهايا الشهرية التى يعيدها الصراف بعد الانتهاء من الصرف الى ادارة الحسابات] .

ج - الرجعة الجامعة - وهو كشف حساب مفصل ببنود الصرف يرفعه صاحب ديوان الجيش لكل طمع [صرفية] من صنوف الانفاق .

د - الصك - وهو كشف عن كل طمع [صرفية] يجمع فيه أسماء المستحقين وعدتهم ومبلغ ما لهم - ويوقع السلطان فى آخره باطلاق الرزق لهم

[اعتماد المهايا] كما يعد الصك كذلك عن أجور السارباتين والجالين ونحوهم فهو يمثل قرار التعيين يحدد فيه الاجر ويعتمد من السلطان .

هـ ـ الاستقرار ـ وهو قرار التثبيت فى الوظيفة فهو كما جاء فى تفسيره « عمل يعمل لما يستقر عليه من الطمع بعد الاثبات والفك والوضع والزيادة والحط والنقل والتحويل ونحو ذلك » .

و ـ المؤامرة ـ وهو بيان يجمع الاوامر الخارجة عن مدة معينة ويوقع السلطان فى آخره باجازتها ـ وقد تعد المؤامره فى كل ديوان بحيث تجمع كل ما يحتاج اليه من استئمار أو استدعاء وترفيع ـ فهى تشبه المقايسات أو الموازنة التقديرية بالمفهوم المالى الحالى .

ز ـ السجل ـ وهو كتاب يحمله الرسول أو المخبر أو الرحال أو غيرهم لمن يذهب اليه باطلاق نفقته حيث بلغ فيقيمها له كل عامل يجتاز به ـ وبهذا يكون بمثابة أمر بالصرف من الجهة التى يتوجه اليها أو يجتازها .

ح ـ الفهرست ـ ويعنى ذكر وبيان وترتيب الاعمال والدفاتر ـ ويكون فى الديوان كما يكون لسائر الاشياء .

ط .. الدستور ـ وهو نسخة الجماعة المنقولة من السواد ـ أى نسخة من الحساب اليومى المنقولة من دفاتر الجيش .

رابعا ـ التأشيرات :

١ ـ الترقين ـ وهى مشتقة من « رقان » ومعناه بالنطية [الفارغ] ـ والترقين خط [علامة أو تاشيره] يخط فى التأريخ [الحساب الاجمالى أو العريضة [سجل بيان الارصدة] اذا خلا باب من السطر لكى يكون الترتيب محفوظا به ـ وهو بمنزلة الصفر فى الحساب الهندى أو حساب الجمل ويكون شكله هكذا [ـ] .

٢ ـ الجائزة ـ وهى علامة المقابلة [المراجعة] دلالة على صحة العملية أو القيد ويكون شكلها [٢]

بقية مقال « تناول القرآن لظاهرة النسيان »

قد يجد المغرور من يستخذى لكبريائه وينصاع لغلوائه ، ويستذل لبغيه ، فيغريه ذلك بمزيد من الطغيان!! ويسمع كلمات الثناء وعبارات التمجيد من افواه العبيد ، فيتصور أنه كبير ، وينسى أن فوقه الكبير المتعال .

وحتى ساحة المؤمنين قد تحرك غرور البغاة وتنسيهم ذكر خالقهم [**انه كان فريق من عبادى يقولون : ربنا آمنا ، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ، فأتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى ، وكنتم منهم تضحكون**] .

فاذا كان الفاتن يصرف المفتون عن دينه ، فالمفتون من ناحية أخرى ينسيه ربه عندما يظن سكوته انصياعا له وذله ، فيغريه ذلك بمزيد من التجاوز والشطط .

عقوبة النسيان نسيان :

قوم القرآن موقف هؤلاء الذين انحرفوا الى ذلك النسيان ، وأوضح عقوبتهم وسنة الله بينة ، وقانونه فى خلقه لا يتغير : الجزاء من جنس العمل فمن نسى ينسى .

ونسيان الله لعبده يعنى أنه فى موقف الطرد من رحمته ، والبعد عن مغفرته ، وأنه موكول الى نفسه ؟ ولذا فشقاء الحياة ينتظره ، وبؤسها سيلاقيه

وهذه هى الايات التى تشير الى عاقبة النسيان الخاطىء [**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**]

[**نسوا الله فنسيهم**]

[**قال : كذلك اتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى**] [**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم**] [**وقيل : اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**] .

هكذا تؤكد الايات السابقة بعبارة واضحة ان عقوبة النسيان نسيان . والنسيان الذى هو عقوبة ليس كالنسيان الذى هو خطيئة ، لكنها المشاكلة فى التعبير ، وهى من خصائص بلاغة القرآن جاءت لتؤكد حتمية القانون الالهى ، واستمراريته ، وهو أن جزاء العامل من جنس عمله .

وخطيئة النسيان علاجها الذكر

اذا ذكرت ربك بصدق طهرت القلب من شواغله ، واخلصته لبارئه ، وانقذته من أدوائه ، وحرسته من بواعث النسيان الضال التى اسلفناها ، وكنت على ذكر دائم لربك تنقشع أمامه بواعث الغفلة مهما كثرت .

ولذا كان الذكر هو العلاج الذى قدمه القرآن لينقذ المسلم من هذه الآفة المدمرة للعقيدة والسلوك .

يقول تعالى : [**واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا**] .

أجل : هذا هو الطريق الذى يقربك من الرشاد ، ويثبتك على نهج السداد ، ويهديك الى الحق والى صراط مستقيم .

الحارس الدائم

فى مساء يوم السبت ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٩٤ هـ افتتح المجلس الاعلى للشئون الاسلامية موسمه الثقافى بالقاء كلمة قيمة من السيد أمين عام المجلس الاستاذ محمد توفيق عويضة شرح فيها باسهاب ما قام به المجلس من خدمات فى الحقل الاسلامى على مستوى الدول بصفة عامة ولجانه المتخصصة فى جميع المجالات والتخصصات .

ثم تكلم السيد الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس مجلس الوزراء الذى أعطانا تصوره للدولة التى ينشدها لجمهوريتنا العزيزة وجاء فى ثنايا كلام سيادته « ان الضمير هو الحارس اليقظ ! .

فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

ووقفت عند سماع هذه الكلمة مع نفسى وتصورت هذا الضمير الذى لا يشاهد بالعين ولا يرى بالمجهر ولا يعرف عن طريق تشريح الاطباء لانه ليس بقطعة من جسم الانسان هذا الضمير قوة معنوية يحس به الانسان فى حناياه ومثله كمثل كشاف فى يد انسان يسير فى ظلام فينير له الطريق وهو عماد الاخلاق لانه الذى يمسك بذمام النفس البشرية فترتدع عن فعل المنكرات وتنطلق فى فعل الخيرات . والمجتمع لا ينتظم ولا يرقى بسن القوانين ووضع الدساتير وتنظيم اللوائح والاكثار من رجال الشرطة وانما المجتمع سعادته ورقيه فى يقظة ضمير ابنائه لانه هو المهيمن على شئونهم ولذلك جاء فى القول المأثور « العدل ليس فى نص القانون وانما هو فى ضمير القاضى والضمير لا يكون يقظا الا اذا تربى على الايمان الصادق . الايمان بالله الذى يشعر الانسان أن الله معه يسمعه ويراه ويعلم ما يفعله ويحاسبه يوم القيامة على ما قدم والانسان منا عندما يعتقد ان الله معه لا يعمل الا ما يرضى الله ولذلك روى أن هارون الرشيد كان له ولدان يحب أحدهما على الاخر فعاتبته زوجته على ذلك فقال لها سأجرى اختبارا أمامك ثم نادى على ولده الذى يحبه وأعطاه فرخة وسكينا ونادى على الاخر كذلك وأعطاه فرخة وسكينا ثم قال لكل منهما أذهب فى مكان لا يراك فيه احد ولا يطلع عليك واذبح الفرخة فجاء أحدهما والفرخة فى يده تقطر دما أما الثانى فقد جاء والفرخة فى يده حيه وهو أصفر اللون وقال يا أبت ما توجهت فى مكان الا ورأيت الله معى فيه ولذلك لم استطع أن أذبح الفرخة امتثالا لامرك وتعظيما لمن يرانى خوفا من أن أكون كذابا أمامك .

والاسلام عنى عناية فائقة بتربية الضمير لدى الانسان لان من مات ضميره لا يستطيع تأدية العبادات على الوجه الاكمل لان المسلم يمارس عبادته وهو يبغى ورائها ثواب الله ويخلف من عقابه ويخشى من مساءلة يوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون وأنه سيجازى على ما يصنع ان خيرا فخير وان شرا فشر وأن ما يصنعه يدون عليه ويسجل فى سجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهذا السجل يحفظ عند الله يتسلم الى صاحبه يوم القيامة ويقرأ ما فيه وصدق الله العظيم « **وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** » وهذا الضمير هو الذى كان يعصم الفرد من التردى فى مهاوى الرذيلة من ذلك ما رواه ان امراة غاب عنها زوجها فترة من الزمن فهاجت فى نفسها صوت الغريزة فقالت فى ظلام الليل .

لقد طال هذا الليل واسود جانبه
وأرقنى الا حبيب اداعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه
لحرك من هذا السرير جوانبه

ان تلك المرأة علمت ان الله معها ويراها فخافت من العواقب الوخيمة التى تنتظرها ان هى أقدمت على الخطيئة وعندما قالت ذلك لم يكن بجوارها شرطى ولا رجل قضاء وانما كان معها الحارس الدائم الذى لا يفارق الانسان .. وعمر بن الخطاب رضى الله عنه أصدر وهو حاكم قانونا يمنع غش اللبن بالماء وفى ليلة من الليالى كان عمر يسير فى شوارع المدينة أذ سمع صوت عجوز تقول لبنتها يا بنتى قومى الى اللبن فاخلطيه بالماء لنربح الكثير ونكسب من وراء هذا ولكن البنت تقول لها يا أما ءأو ما علمت أن أمير المؤمنين عمر أصدر أمرا بمنع الغش فتقول لها الام أين نحن من عمر انه الان يغط فى نومه وهو لا يرانا ولكن البنت ترد وتقول يا أماه ان كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا ولذا يقول **الشاعر الصوفى :**

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ولقد سئل ذو النون المصرى بم ينال العبد الجنة قال بخمس . استقامة ليس فيها روغان . واجتهاد ليس معه سهو . ومراقبة الله فى السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له. ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب ».

رسول الله صلى الله عليه وسلم ربى أتباعه على يقظة الضمير ومراقبة الله ليكونوا قادة فاتحين لكل خير ولذلك روى أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ظلمت نفسى وزنيت وانى أريد ان تطهرنى فيقول له لعلك لامست ؟ لعلك قبلت ؟ لعلك فاخذت ؟ ويرد الرجل بلا وهو مصر على الاعتراف بخطيئته ويطلب أن يطهره الرسول باقامة حد الله عليه وان كان الرجم بالحجر ويأمر الرسول أخيرا باقامة الحد عليه فيتقبله صابرا محتسبا راغبا فى عفو الله لان الدنيا عمرها قصير والاخرة خير وأبقى فمن تأمل فى هذه القصة وما شاكلها مما حفظه التاريخ وتناقله الاخبار ورواه الرواة من نماذج صالحة عاشت فى المجتمع الاسلامى بضمير يقظ تتحرك بين الناس موصولة الصلة بالله الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغيب عن علمه شىء فى الارض ولا فى السماء .. يحدثنا الشعبى أن عليا رضى الله عنه ضاعت منه درع فوجدها عند نصرانى فأقبل الى القاضى شريح يخاصم وقال على هذه الدرع درعى ولم أبع ولم أهب فقال شريح للنصرانى ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين فقال النصرانى الدرع درعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب فالتفت شريح الى على وقال يا امير المؤمنين الك بينة فابتسم على وقال اصاب شريح مالى بينه فقضى بالدرع للنصرانى فاخذها ومشى خطوات ثم رجع فقال أما أنا فاشهد أن هذه أحكام الانبياء أمير المؤمنين يخاصمنى الى قاضيه فيقضى عليه أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبد الله ورسوله . الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك وأنت منطلق الى صفين قال أما اذا أسلمت فهى لك . ان القاضى عندما حكم على الخليفة كان ضميره هو الذى يحكم لانه يحكم بالحق ويسير على المنهج السليم ويلتزم بما رسم الله فى كتابه وما حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منهاجه « **البينة على من ادعى واليمين على من أنكر** » ونحن نرى فى القصة أن أمير المؤمنين لم يتخذ القوة لاخذ حقه أو يؤثر على القاضى ليكون فى صفه ويحكم لصالحه مجاملة لمنصبه ووضعه الاجتماعى ونرى كذلك القاضى لم يحاول أن يطوع نصوص القانون ارضاء للحاكم وانقيادا لهوى فى نفسه وانما اتبع الشرع وامتثالا لقول الله « **يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** » .

ان الضمير هنا كان هو المسيطر على الحاكم وعلى القاضى فلما رأى النصرانى تلك اليقظة وعرف أن الهوى ليس له على نفس احدهما سلطان أعلن اسلامه ودخل فى زمرة الصالحين .. فالضمير الذى يربيه الايمان فى نفس الفرد هو الضمير الذى يحاسب الانسان قبل أن يقدم على اى عمل يسأله لماذا عملت ؟ وكيف عملت ؟ ولذلك يقول الحسن البصرى « **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامه** » قال لا يلق المؤمن الا يعاتب نفسه ما أردت بكلمتى ؟ ما أردت بأكلتى ؟ ما أردت بشربتى والمؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة .. وقال الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه وأجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .. ان السيد الدكتور رئيس الوزراء عندما عرج على الضمير ويقظته انه بذلك يريد اصلاح الامة باصلاح ضمائرها لان أى مجتمع من المجتمعات تصادفه مشاكل اجتماعية أو أزمة اقتصادية هى قبل كل ذلك أزمة أخلاق وأزمة الاخلا قلا توجد فى المجتمع الا اذا ماتت الضمائر وعفى عليها الزمن وأصبحت مخاطر

النسيان ولكن الامة الناهضة هى التى تتواجد الضمائر الحية لدى شعوبها ولذا رأينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول . والله لو عثرت بغلة فى العراق لوجدتنى مسئولا عنها أمام الله يوم القيامه لم لم اسو لها الطريق أنه الاحساس بالمسئوليه مسئوليه الرعيه الذى يرعاها وكل فرد منا مسئول عن رعيته كما ورد فى الاثر . كل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام فليحذر ان يؤتى الاسلام من قبله .. ان هذا المنهج الاخلاقى هو الذى رسم الاسلام لاتباعه ليكونوا أصحاب ضمائر حية وهمم عالية والمؤمن القوى فى نظر الاسلام خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف والمؤمن القوى فى عقيدته القوى فى يقظه ضميره القوى فى محاسبة نفسه هو السعيد فى الدنيا الفائز فى الاخرة برضوان الله ونحن نسير فى ركب أصحاب الضمائر الحية الذين خلد الزمن ذكراهم نذكر بالاعجاب تلك القصة التى تعطينا دليلا على يقظه الضمير حدث عبد الله بن دينار قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فعرضنا فى بعض الطريق فانحدر بنا راع من الجبل فقال له يا راعى بعنى شاه من هذه الغنم فقال انى مملوك فقال اختبارا له قل لسيدك أكلها الذئب فقال الراعى اذا قلت لسيدى هذا ماذا أقول لربى يوم القيامة .. فبكى عمر بن الخطاب واشترى هذا العبد من سيده وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو ان تعتقك فى الاخرة .. هؤلاء هم أجدادنا وسادتنا الافاضل ولقد أعاد على سمعنا السيد الدكتور رئيس الوزراء تلك الكلمات المشرقة فى هذا المجلس العظيم وطوف بنا فى سيرة السلف الصالح واذا كنا قد حاولنا ربط ما قاله سيادته ببيان تلك القصص التى حكاها لنا التاريخ عن أجدادنا الغر الميامين أصحاب الضمائر اليقظه والنفوس الكبيرة والهمم العالية فاننا نضع كل ذلك أمام أعين قادتنا ليكون نبراسا لنا ولهم فى مسيرتنا ونحن نبنى دولة العلم والايمان دولة العبور والانفتاح دولة المؤسسات التى يقود مسيرتها زعيمنا المؤمن السيد محمد أنور السادات ومعه تلك الصفوة المختارة وعلى رأسهم السيد الدكتور رئيس الوزراء الذى سكرنا بحديثه وطوف بنا فى تاريخ سلفنا ووعد بتطبيق ذلك فى مجتمعنا المعاصر لنسعد كما سعدوا ونفوز كما فازوا ونكون من حزب الله الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة .

بقية مقال « تصوير العقيدة فى القصص القرآنى »

فالرسول الاعظم ليس بدعا من الرسل ، بل ماجاء به ثابت فى الكتب الالهية فلم يصنع او يبتدع ، وقد كان اهل مكه المشركون قد بعثوا الى احبار يثرب يسألونهم عن صفة النبى ، حتى عرفوه وتعرفوا عليه لكن العناد والاصرار على الكفر ، والحسد من عند انفسهم حالت دون الاعتراف برسالته الخالدة !

● ● ●

● وتأتى الايات دافعة الدعوى الباطلة بقوله تعالى : « **والشعراء يتبعهم الغاوون ● الم تر انهم فى كل واد يهيمون ● وانهم يقولون مالا يفعلون ●** »؟ الايات ـ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

والغواة هم الذين يتناشدون الشعر ، ويتمثلون به ، ويروون الاباطيل فيه وهم مستحسنون مأتاه !

وكان الاستفهام المقرر حقيقة تلون نفوس الشعراء المنحرفين عن الجادة ، وتزيدهم ، ومقالاتهم مع أخيلتهم التى تحيل السراب ماء كان الاستفهام التقرير مسجلا عليهم اقوالهم المخالفة افعالهم ، فقد يصفون الجبناء بالشجاعة وهم انفسهم فيهم الجبن وبالمروءة الخساسة وبالكرم الشح .

هؤلاء لا يليق ان يتصل بهم سليم العقيدة ، صافى النفس نقى الفطرة .

● ولقد كان الدفاع عن الاسلام باللسان والسنان، فشعراء المسلمين قد نافحوا عن الدعوة والعقيدة ، وشجعوا فى ميادين القتال ومدحوا وفاخروا لا بلغة الشيطان لكن بالهام الرحمن وحسب حسان ان يدعو له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفصاحة اللسان وان روح القدس تؤيده .

والشعر الشريف النقى يصدر عن الموصوفين بالايمان الصادق ، والصلاح ، وذكر الله فى كل حال وشكره على نعمة النصر .

● اما الوعيد فجاء منذرا المصرين على جحودهم بانهم لن ينجوا من العقاب ، اما سليمو العقيدة فلهم الجنة وحسن المآب والرضا من رب العالمين .

لقطع يد السارق فى الاسلام

الأستاذ
محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

فشو السرقة ، وتفاقم أضرارها !
العقوبات الحالية : لم تعد رادعة ؟!
تدليل السارق فى سجنه :
العالم أجمع يشكو من تزايد جريمة السرقة ، ويطالب بعقوبات أنجع !
انعدام جريمة السرقة فى البلاد التى أخذت بنظام قطع اليد !

المولى سبحانه وتعالى : هو القائل بعقوبة القطع . وهو جل شأنه أرحم الراحمين !

ولا أدرى لماذا لا تكون عقوبة قطع يد السارق ضرورة اجتماعية ملحة ! ؟ ونحن نرى بأعيننا ، ونلمس بأيدينا : تفشى هذه الجريمة ، حتى كاد يزيد عدد المجرمين ، على عدد الامنين !

فلا يركب أحدنا قطارا ، أو تراما ، أو أتوبيسا : الا وقد أحاط به طائفة السراق مدججين بالسلاح !

يحيطون به بحيث لا يملك هربا ، أو يستطيع منهم فكاكا !

ولو أمسك المجنى عليه بيد أحدهم فى جيبه ، تقبض على حافظته ، وحاول الامساك به متلبسا : لكان جزاؤه فتح بطنه بسكين ، او فقء عينه بمطواة ، او قطع أنفه بخنجر !

كل هذا وامثاله يحدث فى كل يوم ، وتحدثنا به الجرائد السيارة ! وقد تناول هذا الايذاء علية القوم ومفكريهم !

فقد رأينا من الضحايا : بعض القائمين على العدالة ، وبعض الرجال المنوط بهم رعاية الامن .

حتى أجل العبادات ، وأقربها الى المولى سبحانه : وهى فريضة الحج : فقد قبض القائمون على وفود من هؤلاء المجرمين ، تحاول السفر الى الاراضى المقدسة ، لتقوم بمهمتها البغيضة !

واننا حيال كل ذلك : لا نملك سوى التسليم والاستسلام !

فاذا ما صرفنا أنظارنا عما أكرمنا به المولى سبحانه وتعالى ، من دين قويم ، وهدى مستقيم ، وكتاب مجيد « **لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد** » .

اذا ما صرفنا أنظارنا عن كل هذا المجد التليد ، وسايرنا العصر الحاضر فى مخالفة كل ماينتسب الى شرعنا وشريعتنا ، وتمسكنا بقانون الارض دون قانون السماء !

اذا ما فعلنا ذلك : لوجدنا أن قطع يد السارق : ضرورة اجتماعية ، قبل أن تكون حكمة ربانية ! .

يسرق السارق حين يسرق ، وليست امامه من المخاطر : سوى سجن يأوى اليه (وليس له مأوى) .. وطعام يقدم له (وليس له مطعم) ..

ولباس يقيه الحر والبرد (وليس له ملبس) .
ومستشفى يعالج فيه اذا مرض (وليس له ما يستطب به) .
فما الذى يخشاه هذا المجرم ؟
سرق : فآواه السجن !
سرق : فشبع بعد جوع !
سرق : فاكتسى بعد عرى !
سرق : فاستشفى بعد مرض !
ومجمع كل ذلك ــ انه سرق : فعز بعد ذل !
فهل بعد ذلك نستطيع ان نطالبه بالاستقامة (وهو معوج الاصل) وبالخير . وقد مهدنا له طريق الشر ! بعقوبة هى بالمكافأة أقرب من المجازاة !
فما الذى يخشاه السارق ــ بعد ذلك ــ أو يحذره: اذا أراد أن يسرق ؟ !
والسارق فى الواقع انسان تجرد قلبه من الرحمة ! وتجردت نفسه من كل معانى الشفقة والانسانية !
وان الاعتداء على المال : قرين الاعتداء على النفس وعلى العرض : وهو أول ما يكون : اعتداء على النظم ، وعلى الاستقرار ، وعلى الهدوء النفسى ، وعلى المجتمع !
بل هو اعتداء على الدين (كل دين) .
وهو « فوق كل ذلك » افساد لنظام الكون ، الذى وضعه رب الكون سبحانه وتعالى لعباده !
واليك مثال ما يحدث يوميا فى القاهرة وحدها ، وقد شاهدت بعضه ، وسمعت بعضه ، وقرأت بعضه فى الجرائد السيارة :
رجل قبض مرتبه ، ووضعه فى جيبه ، وهو آسيف محزون : ما الذى يعطيه لصاحب الدار ؟ وما الذى يعطيه للبقال والجزار ؟ وماالذى يدفعه ثمنا للحذاء والكساء ؟ وماذا ينفقه على الزوجة والعيال ؟ وماذا يتبقى له ليقى وجهه ذل السؤال ؟

وبينما هو فى التدبير والتفكير ، وعسف المقادير : اذا بفاجر كافر : لا يرى الا نفسه ، ولا يبتغى الا حاجته لكأس من خمر ، أو نفثة من مخدر ، فيسطو على جيب المسكين الذى ينوء بما يحمل من مسئوليات جسام ، وهموم تضيق بحملها شم الجبال :
ورجل باع أرضه وماشيته : ليستر ابنته التى تزوجت ، وليعد فراشها ومسكنها !

ويظل يحسب : ماذا يدفعه فى الاثاث ؟ وماذا يدفعه فى الفراش ؟ وماذا يكسوها ؟ وبماذا يزفها الى زوجها ؟
وهو فى جميع ذلك : قرير العين بما يفعل ، متعبدا بما يسعى فيه واليه !

فيأتى عاطل الا من الشر ، جاهل الا من المكر : فيسطو على هذا المسكين : ليشفى غلته من الفجور ، ويسبح فى بحر من الخمور ، ويرتقى بدنسه حتى يفوق ابليس فى ايذائه !

وهو بذلك يهدم بحرامه : ما بناه البرىء من آمال حلال ! ويعود المجرم من فعلته الشنعاء : سعيدا بشقاء غيره (وبئست السعادة) ضاحكا ببكاء غيره « وبئس الضحك » .
كل هذا وامثاله : يحصل امامنا : فلا نشتفى بالنيل من المجرم كما نال منا ، والحاق الاذى به ، بمثل ما ألحق بنا !
وبعد كل ذلك : يأتى انسان « قد يكون منتسبا الى الاسلام اسما » فيقول : يا للفحش ! ان قطع يد السارق وحشية لا تستقيم مع الانسانية ، وانها خطر داهم على البشرية ، وزيادة فى صفوف المتعطلين !
ويستكثر قطع يد السارق : الذى هو جدير بقطع رقبته ، واراحة العالم من اذاه ووحشيته !
والذى يقول مثل هذا القول الفاسد : ينسى أن هذه هى شريعة الله تعالى ، التى لاتدفع بمثل هذه الحجج الداحضة !

وان ما ارتكبه المجرم من ايذاء : فاق حد عقوبة قطع اليد ، وتعداها الى عقوبة قطع اليدين والرجلين من خلاف ، والصلب ، والنفى .

قال تعالى « **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**» بمخالفة أوامره ونواهيه «**ويسعون فى الارض فسادا**» بالسرقة ، وترويع الامنين : جزاؤهم « **أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض** » التى يعيثون فيها فسادا « **ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم** » .

وينسى هذا المعترض أن المولى سبحانه وتعالى : هو خالق الانسان واعرف بما يصلحه ،ومايفسده!
وان المجتمع قد يصلح بقتل بعضه ، لا بقطع أيديهم فحسب ! وليست الجريمة : قطع يد سارق ، وانما الجرم كل الجرم : هو خراب بيت عامر ، وتدمير أسرة كريمة ، ونهب مال محتاج ، واجاعة صغار برآء وتشريدهم !

وها هى أوربا وامريكا ، وقد اكتووا بكثرة الجرائم، وعنفها ، وشدتها ! فقد نادى علماؤهم ومصلحوهم بأن العقوبات الان لم تعد كافية لردع المجرمين ، وأن تعداد الجرائم ــ خصوصا الاعتداء على الاموال والاعراض ــ فى تزايد مستمر ، وأن الواجب يحتم عليهم فرض عقوبات تكون أشد ردعا للمجرمين !
هذا ما نطق به غلاة المفكرين للاسلام !

وها هو الخالق ــ جل وعلا ــ أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين : وقد فرض على من يلى الحكم : قطع يد السارق « **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهماجزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**»
فالقطع : جزاء كسب اثم السرقة ! والنكال لغة : العقوبة ، التى يراد بها زجر الغير !

فهل يجوز بعد ذلك لمخلوق ان يقول : لا ، انه ظلم وانه جرم ، وانه يزيد فى جمهور المتعطلين ؟ !

وأين هذا الظلم ؟ وقد ظلم السارق أخاه المؤمن وقطع رزقه ، واقتطع قوت عياله ؟!

وأين هذا الجرم : حيال مجرم ، عاث فى الارض فسادا وافسادا ؟ ! وهل تعطل السارق - بقطع يده - عن أداء مهمته السافلة الحقيرة : يكون تعطيلا له (وتعطيله واجب يفرضه الدين والعدل والنظام) : وبعد ذلك يأتى دور من يقول : كيف ننفذ مثل هذه الاحكام على الاجانب ؟

وهو سؤال فيه كثير من الشذوذ والغفلة : اذ أن كل البلاد المتحضرة - وغير المتحضرة - تسرى قوانينها على كل قاطن بها - أجنبى وغير أجنبى - والا اذا قلنا بما يقولونه : لارتبط القانون بجنسية المتهم ، وأعدنا نظام المحاكم المختلطة البغيض ! وهذا ما لا يقره عاقل ، أو ينطق به مستنير !

وما لنا وقوانين غيرنا : الذين استباحوا الزنا ، وعقوبته عندنا الجلد والرجم !

واستباحوا الخمر وعقوبتها التعزير حتى التكفير

واستباحوا اللواط - بقانون رسمى اصدرته دولهم - وعقوبته القاء المجرم من حالق !

واستباحوا المخادنة ، ونحن نحرم النظر! فما بالنا وقوانين غيرنا ؟ !

هذا وقطع يد السارق - فى الشريعة الاسلامية السمحة - تحيطه حدود وقيود : تنفى القطع عن السارق الجائع !

وقد منع عمر رضى الله تعالى عنه القطع فى عام الرمادة (عام الفقر والجوع).

هذا وانى على تمام الثقة ، ومزيد اليقين : انه بمجرد صدور قانون - موافق لشريعة الله تعالى - يقول بقطع يد السارق ! فان نصف السارقين سيتوقف عن السرقة فورا !

فاذا ما قطعت يد سارق واحد : فان باقيهم سيتوب حتما توبة نصوحا !

فاذا ما استمر العمل بهذا القانون ردحا من الزمن، فان لفيف السراق الذين أطغاهم ترك القصاص ، وأعماهم الادلال ، مكان الاذلال ، فانهم سينسون تلك الجرائم المنكرة ، ويعود كل منهم الى فطرة الخير ، التى فطر الله الناس عليها ! ويعيش الجميع فى سلام ووئام !

وها هى بلاد الحجاز - وقد كان الحاج لا يأمن فيها على ماله ودمه - وقد قام حكامها : جزاهم الله تعالى خير الجزاء على حسن صنيعهم ، واتباعهم لربهم ، وتمسكهم بسنة نبيهم !

قاموا باقامة حدود الله تعالى التى أنزلها فى قرآنه ، وأجراها على لسان نبيه !

فلا تجد سارقا ، ولا ناهبا ، ولا غاصبا !

وقد ذهب خوفهم ، وصحت توبتهم !

حتى ان الانسان لتقع منه الدنانير - ولو كثرت ، وتعاظم الاغراء بها - فيجدها بعد أيام فى موضعها ، ولم تمسسها يد ، ولم يدنو منها أحد ! وذلك لان الطامع : علم أن جزاء طمعه : قطع يده على رؤوس الاشهاد ، وفضيحته ، بل وفضيحة أبنائه وأحفاده من بعده ! ولم يحدث نتيجة ذلك ظلم ، أو تعطل !

هذا وقد سأل بعض فضلاء فقهاء المتقدمين أحد اخوانه بقوله :

يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار ؟ !

فأجابه بقوله :

عز الامانة أغلاها ، وأرخصها
ذل الخيانة ، فانظر حكمة البارى !

وذلك لان اليد اذا قطعت بفعل اثم : ديتها خمسمائة دينار ، فى حين أن السارق ، تقطع يده فيما قيمته ربع دينار .

والان أمامنا نظامان :

أحدهما يقول : بقطع يد السارق : لتكف أذاه عن مخلوقات الله !

وثانيهما : ينادى بالويل والثبور ، وعظائم الامور : اذا نحن فعلنا ما أمر به الله ! وينادى بأن عقوبة السارق : لا تعدو أن يسجن ليأمن فى سجنه على مبيته ، ومطعمه ، وكسوته ، وعلاجه !

بل ان السجون قد ارتقت الان ، فأصبح السارق يلهو ويلعب ، ويستمع الى الالحان - فى الراديو - ويرى رقص العرايا الحسان - فى التليفزيون !!

وهذه المزايا ما كان ليحصل عليها اذا تاب وأناب، ورجع الى طريق الصواب !

فما الذى يدعوه الى التوبة ، فيحرم من هذه الملذات ، ويمنع عن نفسه كل هذه المشتهيات ؟ !

فأى النظامين أولى بالاقتناع والاتباع ؟ !

نظام سماوى ربانى : وضعه الخالق جل شانه ، وعلا سلطانه ! أو نظام أرضى : وضعه المخلوق ، الذى لايعلم شيئا من امر علاج هذه النفوس المريضة التى لا يعلم علاجها سوى خالقها سبحانه وتعالى ! ؟

ولا تنس - يرحمك الله - قول الرسول الكريم ، الرؤوف الرحيم « **لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** » .

وتذكر أيضا قول العزيز الحكيم « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ۰۰۰۰ فأولئك هم الظالمون ۰۰۰۰ فأولئك هم الفاسقون** » والله الموفق لما يلحقنا بجنته ، ويدنينا من رحمته !! .

الصلاة

فى ميزان الاسلام

سياسيا

الأستاذ ابراهيم ابراهيم هلال

وننتقل من الوحدة التى ترسى الصلاة دعائمها بين المسلمين ، كمابينا ذلك فى المقال السابق ـ الى معان عديدة نجدها فى صلاة الجماعة ، والجمعة والعيدين ، منها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو سياسى ، ومنها ما هو حربى ، وكلها تتقابل فى تدعيم البناء العام للامة الذى يتمثل فى قوتها وعلو كلمتها .

ففى صلاة الجماعة تعاون وتعارف بين أبناء الحى الواحد، ووقوف أهل ذلك المكان على أحوال بعضهم، ومتابعة كل لحالة أخيه ، فان كان فقيرا أعانه وان كان مريضا عاده ، وكما يكون التعاون والتعارف فرديا ، يكون كذلك عن طريق الجماعة ، فتنظر الجماعة الى حالات الحى الذى تسكنه واحتياجاته فتتعاون فيما بينها على جلب كل خير له ، ودفع كل ضرر عنه ، وفى هذا تقوية للرابطة الكلية بين أبناء ذلك الحى الواحد ، ينتج عنها تدعيم للوحدة العامة بين أبناء الامة التى اكتسبوها من طبيعة الصلاة واتجاههم فيها الى قبلة واحدة . وكان الاسلام يعمل بذلك لاقامة وحدة كلية بين ابناء الامة الاسلامية تخدمها وتؤكدها وحدة جزئية بين أبناء الحى الواحد أو الاقليم الواحد ، أو القطر الواحد . وكلها تتقابل فيما بينها فى وحدة اجتماعية ثانية تتقابل مع الوحدة العامة أو الوحدة السياسية التى جاءت للمسلمين من توحيد قبلتهم . وهكذا نجد أن الاسلام يزن أعماله وتكاليفه وتشريعاته وعباداته بميزان التوحيد والتجانس والتعاضد ، لا ميزان التدابر ، والاختلاف والتنافر « **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » .

هذا من ناحية التقييم الخارجى لصلاة الجماعة وكنتيجة لازمة لتأكيد الصلاة فى جماعة ، فاذا ما نفذنا الى كيفية الصلاة جماعة ، وجدنا فيها أولا من المعانى ، ما يقوى هذه الوحدة ، ويأخذ بالمسلمين الى ما هو أقوى رابطة وأبعد فى ميدان التاليف بين القلوب وزرع المحبة فيها . فوقوف المسلمين بعضهم بجانب بعض وتساويهم بالمناكب فى صفوفهم ، لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير ، ولا عظيم فى الحسب أو الجاه وبين من لم يؤت العظمة ، أو حرم من الحسب أو من الجاه شيئا ـ فى وقوف المسلمين كذلك قضاء على عوامل التمييز العنصرى أو المكتسب ، أو مظاهر العلو المفتعل ، والتمييز على الغير بلون ، أو شارة أو زى ، وادماج للمسلمين فى نسبة واحدة هى نسبة الاسلام ، وصبغهم بصبغة واحدة هى صبغة الايمان « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** » .

ديمقراطية حقيقية ، قامت على استجابة القلب قبل استجابة السمع ، أو التقليد وقامت على الايمان بها بعد الايمان بالداعى اليها ، والمشرع لها ، ومساواة عملية ، لها من كنهها ومن حقيقتها ما يجعلها أو يفرضها سلوكا وأسلوبا فى الحياة ، فى هذه المساواة ، أو تلك الصفوف المتحاذية فى الصلاة ترى الجماعة الاسلامية « عظماءها وصغراءها ، معا فى

ساحة واحدة ، بين يدى العظمة الالهية التى تطامن من كبرياء العظيم ، وترفع من رجاء الصغير » . والحتمى الذى لا شك فيه بعد هذه الرؤية ، هو استقامة الصورة الديمقراطية للمجتمع وخروجها الى حيز الوجود على سواء من الوضوح ومن الكمال .

وثانى هذه المعانى التى تتمثل فى صلاة الجماعة هو ذلك المعنى الحربى الذى يقوم على تنظيم الصفوف وتسويتها ، وتبعيتها فى ركوعها وسجودها وقيامها وجلوسها وفى أداء الصلاة عامة ، للامام ، تبعية الجيش لقائده فى كل ما يأمر به أو يشير بفعله ، فكما أن الجندى يعتبر عاصيا ، اذا أخل بأوامر قائده أو تهاون فى تنفيذ التعليمات التى ألقيت اليه كلها أو بعضها ، أو لم يراع الدقة فى تنفيذها ، كذلك يعتبر المصلى عاصيا ، وتبطل صلاته ، اذا أخل بقانون المتابعه للامام . فقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة من يسبق امامه ، أو يتقدم عليه، ووصفه بأبشع الصفات وأحطها فقال : « **أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام ، أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار ؟** » .

وفى تأكيد هذه المتابعة للامام يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه « **اذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى ترونى** » . وما هذا الا تربية للمسلمين على الوقوف عند الحدود ، والتزام كل فرد بما يوكل اليه لا يتعداه الى غيره ، وأن يعرف للرئيس أو للقائد منزلتهما ، ويعرف ما له فيعطيه اياه ويقر له به . وأن يكون الرئيس عند المرءوس فى محل القودة والاتباع .

هذا معنى حربى ، وهو الى جانب ذلك معنى سياسى ، فتكوين الجماعة فى الصلاة من امام له حق الطاعة والمتابعة والتقدير والتوقير والتقديم ، ومن مأمومين عليهم واجب الاتباع والاقتداء بهذا الامام ، تكوين الجماعة على هذا الاساس له شكل الامة والرئيس ، والدولة والقائد : جماعة يجتمعون فيما بينهم على عمل واحد ، وجهتهم فيه جميعا الى الله والى الخير ، ويؤدونه فى وحدة ونظام لا يشذ فيه كبير عن صغير ، ولا صغير عن كبير ولا غنى عن فقير ، ولا قوى عن ضعيف ، ركوعهم واحد ، وسجودهم واحد ووقوفهم واحد وجلوسهم واحد ، كل هذا له طبع الامة المتوحدة التى تآلفت فيما بينها ، وجمع بينها النظام والتعاون من أجل عمل واحد وغاية واحدة ، وأى أمة هذه تلك التى يمكن أن نرى بينها هذا الانسجام القائم على الوحدة والنظام وتلك المتابعة والطاعة الدقيقة لرئيسها ؟ ! أنها الامة المثالية التى يرسم الاسلام صورتها ، ويحدد صفتها فيما كلفنا من تشريع ، وقد مهد لقيامها وأعدنا له ، وأعاننا عليه بصلاة الجماعة .

ولكى يطبعنا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الطابع فى حياتنا السياسية ؟ أو فى حياة الامة مع حاكمها عموما ، رغبنا صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجماعة ، وحببها الينا فأخبرنا « بأن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة » ، وفى رواية أخرى « بسبع وعشرين » ثم يعلن علينا ، بأن صلاة الجماعة هذه واجبة على كل من تقرب داره أو يقرب مسكنه من المسجد ، وأن من تركها مع الاستطاعة عرض نفسه لاشنع عقاب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فى احدى المرات فى صلاة العشاء حين رأى تثاقل بعض الناس عن حضور الجماعة : « **والذى نفسى بيده ، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس : ثم اخالف الى رجال فأحرق عليهم** » وهو صلى الله عليه وسلم وان كان لم يفعل ذلك الا أنه يبين لنا مدى ما فى التخلف عن صلاة الجماعة من الاثم الذى استحق هذا العقاب ، وفى هذا من الحرص منه صلى الله عليه وسلم على توجيه الامة الاسلامية ، وتربية المسلمين على الوحدة والطاعة والنظام فى حياتهم السياسية والاجتماعية ، وتعاملهم مع الحاكم على أساس التعاون والتآزر . ومن جانب آخر فان اجتماع الجماعة المصلية على امام واحد واسلام قيادها اليه ، فيه اشارة بتحمل الامام لامانة هذه الجماعة ومسئوليتها كاملة ، وهو تأسيس وتوجيه الى أن حاكم الامة مسئول عن الجماعة التى قادها ، والتى استرعاه الله اياها . فكما أن امام الجماعة المصلية ، انما يقود جماعته الى الخير والبر فكذلك على حاكم الامة أن لا يسير بأمته الا الى ما هو خير وما هو نافع وأن يتجه بها الوجهة الصالحة دائما .

وهكذا كان الدين الاسلامى دينا عمليا منتجا ، لا يقصد بالعبادة العبادة لذات العبادة ، وانما يجعلها تدريبا وتمرينا على ما يفيد البشرية وينفعها ، أو يفيد الجماعة التى تقوم بأداء هذه العبادة فى حياتها الدنيوية الى جانب حياتها الاخروية ، بل انها لا تكتسب جزاءها الاخروى الا اذا أدت هذه العبادة بروحها وكمالها ، واستفادت منها بناء على ذلك فى حياتها الدنيوية ، فى جانبها الذى رصدت له هذه العبادة سواء أكان ذلك الجانب سياسيا ، أم حربيا ، أم اجتماعيا ، فان العبادة لا يستفاد بها دنيويا الا اذا أديت على وجهها الاكمل ، وهنا فقط ، يمكن أن يستفاد منها أخرويا ومن هنا قالوا « الدنيا مزرعة للاخرة » .

واذا كان هذا المعنى السياسى كامنا فى صلاة الجماعة المحدودة والتى تتكرر فى اليوم خمس مرات فهو أيضا ، فى صلاة الجمعة التى لا تتكرر الا مرة واحدة كل أسبوع فى صلاة جامعة ، وفى مسجد جامع . وكذلك فى صلاة العيدين التى لا تتكرر الا مرة واحدة فى العام . واذا نظرنا ، الى ما يصاحب صلاة الجمعة وصلاة العيدين من خطبة ، أو خطبتين

هما ركن من أركان هذه الصلاة ، فاننا نجد المهمة السياسية لصلاة ، والفائدة المرجوة منها على هذا الوجه تبرز اكثر واكثر . فان صلاة الجمعة مثلا لا تصح الا فى جماعة ، ولا تصح الا بخطبة ، كما أن الجماعة فيها يطلب أن تكون فى المسجد الجامع فى البلد أو القرية ، أى اذا أمكن أهل القرية ، او المدينه ، ان يجتمعوا كلهم فى جامع واحد يجمعهم فى هذه الصلاة ، وجب أن تؤدى صلاة الجمعة كذلك، وكذا صلاة العيدين . كما أن المفروض شرعا فى امام صلاة الجمعه أو العيدين . ان يكون الحاكم او من ينوب منابه ، فيؤم المصلين فى العاصمة ويخطب فيهم الرئيس الاعلى وفى بقيه المناطق الاخرى نوابه من المحافظين ، أو رجال القضاء ورجال الادارة . هذا أصل من أصول التشريع فى أداء هذه الصلاة وحجر الاساس فى صلاة الجمعة والعيدين . ولا يجوز للحاكم او نائبه ان يتخلى عن الصلاة ولا عن الخطبه الا لعذر قاهر من مرض - أو نحوه . وذلك لان الاسلام لا ينظر الى مهمه الحاكم من جانبها الدنيوى فقط ، بل جانبها الدنيوى متقوم مع جانبها الاخروى . وان الجانب الاول لا يقوم ولا يكمل اداؤه الا اذا صحبه الجانب الثانى ، وكان هو المقصد الاول والاخير ولذا كان الحاكم ونوابه ائمة فى الاسلام ، وقادة من قواد الدين ، الى جانب قيادة الحرب والادارة والسياسة ، ووجب اذن أن تكون خطبه الجمعة والعيدين موصولة بالحياة ، وبظروف الناس التى يحيونها وتحيط بهم . سياسية أو حربية، أو اجتماعيه أو اقتصادية ، وأن تتضمن نقاشا لهذه الظروف .. وتوجيها لما يحسن أن يتبع فى مختلف المواقف والمناسبات .

فالاسلام أو الدين سياسة فى الواقع لتنظيم الحياة ورسم طريق السعادة البشرية ، والدين الحق هو الذى يشتمل على السياسة الحقة التى تكفل هذه السعادة وترتفع بمستوى الحياة ، وما جاءت الاديان السماوية منذ القدم الا لذلك ، وتجنيب البشرية خطر شرورها ، وحصر ويلاتها ودين الاسلام قد ظفر من هذا الجانب بالكثير ، والكثير الوافر . وهذا هو سر بقاء المسلمين قوة صامدة لا تلين ، ولا تهن ، ولا تسلم لمستعمر او غاصب مهما توالى عليهم من عوامل الضعف وعوامل القهر الخارجية على مر العصور المتأخرة . ولقد أشار الى ذلك الامام محمد عبده ، والى أثر صلاة الجمعة وخطبتها الاسبوعية فى بقاء المصريين على صمودهم أمام الاستعمار الانجليزى وعدم تسليمهم له ، أو استكانتهم أمامه ، وذلك حين كان يناقش وزير الحربية الانجليزى (هونتكتون) وكان وزير الحربية هذا يحاول أن يؤنس الشيخ محمد عبده من جهاده ، ويبين له انه لا فائدة من ذلك الجهاد من أجل قوم تمست الجهالة بينهم ، فقال للشيخ محمد عبده : « هل تنكر ان الجهالة عامة فى أقطار مصر ، وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبى والحاكم الوطنى ، وان ما تدركه من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون فى الامم المهذبة ؟ » .

فكان من رد الشيخ محمد عبده عليه فى هذا الصدد:

« ان المسلمين مهما كانوا ، وعلى اى درجة وجدوا، لا يصلون من الجهل الى الدرجة التى يتصورها الوزير ، فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يعوزتهم العلم بضروريات الدين ، ومن أجلاها وأظهره عندهم أن لا يدينوا لمخالفيهم فيه . وان لهم فى الخطب الجمعية ، ومواعظ الوعاظ فى مساجدهم ، ما يقوم مقام العلوم الابتدائية ، وأن جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية .. يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم » .

هذه هى الصلاة ، وهذه هى ثمرتها سياسيا مهما تراءى فيها من الجوانب الدينية المحضة ، اذ أن الركن الثانى للاسلام ، لابد وأن يكون أساسا لحياة ناجحه ناجحه تمسك على المجتمع كيانه ، وعلى الدوله قوتها واستمرار تقدمها ، فالاسلام كما قلنا هو دين الحياة السعيدة والسياسة العزيزة القوية والحكم الصالح الرشيد .

واذا كان الركن الاول من اركان الاسلام قد أحيا النفوس بالايمان ووحد بين أبنائه ، وجمعهم على هدف واحد نبيل ، فان الصلاة من شأنها أن تكون عاملا من عوامل بقاء هذه المبادىء الحية التى أرستها الشهدتان فى النفوس واستمرارها فى حفظ أسس الحياة الصالحة فيه .

وقد سبقنى الى ملاحظة ذلك الباحثون فى السياسة، وفى نظم الدول وحياة المجتمعات . وهذا ابو نصر الفارابى الفيلسوف الاسلامى الكبير يرى أن الصلاة هى احدى الهيئات والملكات الارادية التى يطلبها لاستبقاء الامة واستدامتها « على الفضائل والخيرات التى تركزت فيها منذ أول الامر (وهو التوحيد) لتصل جماعات الامم والمدن الى السعادة فى هذه الحياة وفى الحياة الاخرى » .

الرحلة المقدسة ومعركة المصير

في هذه الايام المباركة .. يعود المسلمون من رحلتهم المقدسة . الى الاراضي الحجازية . بعد أن أدوا فريضتي الحج والعمرة الى بيت الله الحرام .. ونعموا بزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام . وبعد أن أسعدوا بالصلاة في المسجدين العظيمين المقدسين . مسجد مكة المكرمة . الذى هو أفضل المساجد على الاطلاق .. وفيه كعبة الله المشرفة . التى يتجه المسلمون اليها فى صلاتهم . ومسجد المدينة المنورة . الذى يلى المسجد الحرام فى الفضل . والذى أسس على التقوى من أول يوم . والذى شرفه الله بسيد الانبياء وخاتم المرسلين . صلوات الله وسلامه عليه .. حيث جعل فيه مثواه الاخير . الى جوار ربه الكريم سبحانه وتعالى . وفيه قبته الشريفة الخضراء . التى تهفو نفوس المؤمنين اليها . وتتطلع عيونهم لمشاهدة أنوارها ..

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

يعودون بعد أن شهدوا المشاهد الرائعة فى الحرمين الشريفين . ووقفوا وقفة عرفات . التى تقربهم من السماء . وتملأ قلوبهم بالخشية والتقوى . وبالمدد الروحى العظيم ...

يعودون بعد أن شحنوا أنفسهم بشحنة وقية من الايمان الصادق بالله عز وجل . والاستمساك بشريعة النبى الاعظم . صلوات الله وسلامه عليه . والاهتداء بهديه وسنته .. والاعداد لمواصلة الجهاد فى معركة المصير ... الدائرة بيننا وبين أعدائنا الصهاينة الغادرين ...

نعم . يعودون بعد أن زودوا أرواحهم بزاد هائل من المواقف العظيمة . والذكريات الاسلامية الخالدة . التى تدفعهم الى متابعة العمل على اخراج المعتدين . من أرضنا الحبيبة الغالية .. ومن القدس الشريف . بلد المسجد الاقصى المبارك ..

ذلك المسجد العظيم الذى تقترن ذكراه دائما بذكرى المسجدين الكريمين . مسجد مكة ومسجد المدينة . والذى كان أول القبلتين ...

فهناك ترابط قوى بين المدن الثلاثة . مكة المكرمة . زادها الله تكريما .. والمدينة المنورة . على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم . والقدس الشريفة . طهرها الله من دنس الصهيونية وآثامها ...

كما أن هناك ترابطا دينيا وروحيا بين المساجد الثلاثة المقدسة . المسجد الحرام . والمسجد النبوى . والمسجد الاقصى ...

روى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى . عن أبى هريرة رضى الله عنه . أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال (**لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام . ومسجدى هذا . والمسجد الاقصى**) ...

ومعنى الحديث .. أنه لا يشرع ولا يثاب المرء على سفر يسافره لاجل الصلاة فى مسجد من المساجد . الا اذا كان لاحد هذه الثلاثة – وذلك لما اختصت به من الفضل والمنزلة ...

وقد ثبت أن ثواب الصلاة فى مسجد مكة . يعدل ثواب مائة ألف صلاة فى غيره – وثواب الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل ثواب ألف صلاة فى غيره وثواب الصلاة فى مسجد بيت المقدس يعدل ثواب خمسمائة صلاة فى غيره .. وهذا فضل عظيم ...

أخرج غير واحد عن أبى الدرداء رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (**الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة .. والصلاة فى مسجدى بألف صلاة .. والصلاة بالمسجد الاقصى بخمسمائة صلاة**) ...

وروى البيهقى رحمه الله عن جابر رضى الله عنه .. ما يؤيد هذا الحديث ...

وينبغى أن يلاحظ هنا . أن المنهى عنه فى حديث [لا تشد الرحال] الذى ذكرناه .. انما هو انشاء السفر لاجل الصلاة فى مسجد من المساجد .. غير هذه الثلاثه .. كما جاء ذلك مصرحا به فى روايه أخرى رواها الامام أحمد رحمه الله . ولفظه **لا ينبغى للمصلى أن يشد رحاله الى مسجد يبغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام . والمسجد الاقصى . ومسجدى هذا)** ...

أما انشاء السفر لفرض آخر غير الصلاة . كطلب العلم وزيارة الصالحين . والجهاد فى سبيل الله . والتنزه والتجارة ونحو ذلك من الاغراض المشروعة على سبيل الندب أو الاباحة .. فانه غير منهى عنه ...

والعبادات والقرب التى يتقرب بها الى الله عز وجل من صوم أو صدقة أو غير ذلك .. ثوابها مضاعف فى هذه الرحاب الكريمة الطاهرة .. رحاب مكة المكرمة . والمدينة المنورة . والقدس الشريفة .. لما لها من فضل وقداسة ...

ولقد قرن المولى سبحانه وتعالى المسجد الحرام . بالمسجد الاقصى مسجد بيت المقدس فى القرآن الكريم . حينما تحدث عن معجزتى الاسراء والمعراج .. حيث قال عز وجل « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير** » أول سورة الاسراء ...

والاسراء هو انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ببيت المقدس ..

والمعراج هو صعوده صلى الله عليه وسلم من الارض من المسجد الاقصى الى السماء .. الى حيث شاء رب العزة سبحانه ..

وفى هذه الاية الكريمة تعجيب وتعظيم لشأن هذا الامر الذى بلغ النهاية فى الاعجاز . حيث أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده وحبيبه وخاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس وسار به مسافات بعيدة طويلة . ليريه آياته العظيمة الكبرى . الدالة على قدرته وجلاله . وليرفعه الى السماء ويطلعه على ملكوته الواسع . ويشرفه بمقام المناجاة . ويرفعه مكانا عليا . لم يصل اليه مخلوق سواه . لا نبى مرسل . ولا ملك مقرب . حتى جبريل عليه السلام . الذى هو طاووس الملائكة . وهو رسول الله الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يصل اليه ...

وفى هذا المقام . فرض الله عليه وعلى أمته الصلاة .. فرضها مباشرة من غير وساطة جبريل عليه السلام – وفى هذا اشارة الى منزلة الصلاة عند الله عز وجل – ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم **(الصلاة عماد الدين . من أقامها فقد أقام الدين . ومن تركها فقد هدم الدين)** ...

وكانت آخر كلمة قالها الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم فى حياته الشريفة المباركة .. وصيته باقامة الصلاة ...

قال الرواة والمحدثون رضوان الله عليهم **(كانت روح النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره وهو يقول : اوصيكم بالصلاة .. أوصيكم بالصلاة .. فما زال يرددها حتى انقطع كلامه)** ...

ثم ان المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد أن تشرف بالمثول بين يدى ربه عز وجل . وسعد بمناجاته سبحانه . نزل من السماء الى الارض . الى المسجد الاقصى ومنه عاد الى مكة ...

كل ذلك فى جزء يسير من الليل .. وهذا ثابت بصريح قوله تعالى فى الاية « ليلا » ...

وفى هذا كله تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم وتكريم له .. قال العلماء : ان أفضل ليلة بالنسبة لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم هى ليلة الاسراء والمعراج ...

أما بالنسبة للامة المحمدية .. فان أفضل ليلة هى ليلة القدر .. التى أعطانا الله فيها فضلا عظيما .. حيث جعل ثواب العمل والعبادة فيها . أكثر من ثواب العمل والعبادة فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر ...

ومعنى قوله تعالى « **انه هو السميع البصير** » أى أن الله سبحانه وتعالى هو السميع لاقوال عبده محمد صلى الله عليه وسلم ودعائه وأقوال جميع الخلائق ودعائهم – البصير بأحواله صلى الله عليه وسلم وافعاله . وانها بالغة حد النهاية فى الكمال والتهذيب . ولذلك قال له « **وانك لعلى خلق عظيم** » . والبصير بأحوال العباد وأفعالهم . فيجازى كلا منهم على حسب عمله . ولذلك يقول « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » ...

فهذه الاية الكريمة تدل دلالة واضحة على عظمة المسجد الاقصى . وعلى فضله الكبير . ومنزلته العليا عند الله تبارك وتعالى . وعند عباده المسلمين ، وعلى مدى ارتباطه بالمسجد الحرام بمكة ...

وقد كان فى زمن الدولة العثمانية . خط حديدى تسير عليه القطارات يربط بين المدينة المنورة وبلاد الشام ...

وانا لنسأل الله تعالى جلت قدرته . أن يوفق المسئولين الى اعادة هذا الخط تيسيرا للمسلمين . وربطا بين المساجد الثلاثة المقدسة بهذا الطريق البرى ان شاء الله ...

وفى هذه الرحلة المقدسة .. يذكر المسلمون حينما يزورون مدينة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ما فعله اليهود بالمدينة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الغدر والخيانة ونقض العهود وايذائهم للمسلمين ومناصرتهم للمشركين ...

ويذكرون كيف كانوا يدبرون المكائد والمؤامرات لقتل النبى صلى الله عليه وسلم والنيل من المسلمين . ولكن الحق تبارك وتعالى كان يفضحهم ويطلع النبى صلى الله عليه وسلم على مؤامراتهم وتدبيراتهم ويصونه ويحفظه منهم . مصداقا لقوله عز وجل « **والله يعصمك من الناس** » من الاية ٦٧ من سورة المائدة

وقد نصر الله سبحانه وتعالى المسلمين على اليهود نصرا مبينا وأخرجهم من الجزيرة العربية صاغرين اذلاء .. ففريق منهم خرج على يد النبى صلى الله عليه وسلم .. والباقون خرجوا على يد أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ..

وهكذا طهر الله الجزيرة العربية من دنسهم وأقذارهم .. كما سيطهر سيناء الحبيبة والقدس الشريفة منهم ان شاء الله ..

ولقد بين القرآن الكريم فى أكثر من موطن سوء اعمال اليهود وجحودهم لنعم الله تعالى عليهم . وخياناتهم وغدرهم وقتلهم للانبياء .

يقول جل ذكره « **لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** » الاية ٧٠ من سورة المائدة .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على اليهود فى التوراة أن يؤمنوا بالله تعالى وحده وأن يعملوا بما فيها من شرائع وأحكام . وأن ينتهوا عما نهى الله عنه .. وانه ارسل اليهم رسلا كثيرين . ليبينوا لهم الشرائع والاحكام .. ولا شك أن ارسال الرسل اليهم . انما هو نعمة من الله عليهم .. وعناية بأمرهم .. قال العلماء : لقد ارسل الله تعالى الى اليهود أكثر من الف رسول .. ومع ذلك فلم يؤمن منهم الا قليل ..

وكانوا كلما جاءهم رسول بأحكام وشرائع تتخالف أهواءهم وشهواتهم .. أعرضوا عنه وعادوه ولم يستمعوا له . وكذبوا فريقا من الرسل كعيسى عليه الصلاة والسلام ـ وقتلوا فريقا آخر كزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام ..

ويقول جل ذكره « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** » الايتان ٧٨ ، ٧٩ من سورة المائدة .

ولقد أنعم الله تعالى على بنى اسرائيل بنعم كثيرة ـ منها انزال التوراة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام . فيها الهدى والنور . ونجاهم من فرعون وجنده . وفلق لهم البحر . كل فلق كالجبل العظيم . وجعل لهم فيه اثنى عشر طريقا بعدد أسباطهم وقبائلهم . واغرق فرعون وجيشه وجعله مثلا للعالمين . وظللهم بالغمام . وأنزل عليهم المن والسلوى وهم فى التيه . وأنزل عليهم المائدة من السماء على يد عيسى عليه الصلاة والسلام . وغير ذلك من النعم الكثيرة ...

ومع هذا فقد جحدوا بها ولم يرعوها . وأشركوا بالله تعالى .. فقال فريق منهم « عزير ابن الله وعبد آخرون العجل . وحينما طالبهم موسى عليه الصلاة والسلام بالجهاد امتنعوا وقالوا له « **اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون** » .

وهكذا جبنوا وامتنعوا عن القتال .. وهذا الجبن طبيعة فيهم لازمة لا تفارقهم ....

عند ذلك نادى موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل داعيا عليهم قائلا « **رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** » ...

فاستجاب الله دعاءه وحرم عليهم دخول الارض المقدسة .. وضرب عليهم التيه . يتيهون فى الارض أربعين سنة . الى أن مات منهم من اشترك فى قالة السوء هذه التى قالوها لموسى عليه الصلاة والسلام ...

وهذه الاية تدل على أن الذين يمتنعون عن الجهاد فى سبيل الله ومحاربة أعداء الله يسمون « فاسقين » .

ولقد أنزل الله تعالى على اليهود أصنافا من

العذاب جزاء فسقهم وتمردهم وعصيانهم .. ومنهم من مسخهم قردة . ومنهم من مسخهم خنازير ...

واليهود من عهد يعقوب عليه الصلاة والسلام . الى عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام .. لم يؤمن منهم بالله تعالى الا عدد قليل . أما الاغلبية الساحقة فقد دأبوا على الكفر والجحود والتمرد كما أسلفنا ...

والواقع أن اسرائيل ليست دولة .. وليست لها مقومات الدول . لانه لا كيان لها . ولا قوة ذاتية لها .. وانما هى تقوم بغيرها . وتعتمد فى حياتها وبقائها ووجودها على قوى أخرى غير قوتها الذاتية ...

وسوف تعيش طوال حياتها ذليلة مقهورة مذعورة .. يقطع الخوف أوصالها . ويمزق الرعب كيانها ...

ذلك لانها لا تريد السلم . ولا تعمل له . وانما تريد العدوان دائما .. وتعيش فى جو من الاحلام والامال العريضة فى التوسع والاستيلاء على أرض الغير ...

ومن المؤلم حقا .. أن هذه الامال فى نظرهم عقيدية .. ترتبط بما تظنه دينا وشريعة لها .. فهى تعتقد أنها (شعب الله المختار) (وانها ستملك من النيل الى الفرات) ...

وهى فى سبيل تحقيق هذه الامال .. ترى أنها تعمل عملا مشروعا .. وأن ذلك من حقها .. مع أن جميع تصرفاتها وسلوكها وتعاملها مع غيرها من الناس . يقوم على أسس باطلة . تبرأ منها كافة الاديان السماوية . ولا تتفق مع الحق والعدل والعرف الانسانى ...

لقد تركت اسرائيل العمل بالتوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه الصلاة والسلام .. وتمسكت بما جاء فى (التلمود) وهى تعاليم باطلة فاسدة تقوم على أسس غير كريمة ...

واسرائيل مصممة على موقفها . ولن تعدل عن سياستها . ولن ترجع عن غيها وغدرها .. رغم اعلان العالم كله سخطه عليها وعلى تصرفاتها ...

ولذلك ستعيش ذليلة الى أن تقوم الساعة . ويرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وسينصر الله المسلمين عليها نصرا مبينا كاملا ساحقا . مهما حاولت أمريكا ومن يساندها حمايتها ومد يد العون اليها .. فالله سبحانه وتعالى « أشد بأسا وأشد تنكيلا » ....

والمسلمون الذين نعموا بالرحلة المقدسة . ووقفوا المواقف الاسلامية المباركة لم يفتهم - فى هذه المواقف - أن يضرعوا الى الله عز وجل ... أن ينصرنا على تلك الفئة الباغية الغادرة ...

وسيستجيب الله تعالى دعاءهم .. وينصرنا بفضله ومشيئته ان شاء الله ...

وان جنودنا البواسل الابطال - وهم صامدون على خط النار - وفى مناسبة موسم الحج الى بيت الله الحرام . والرحلة المقدسة الى رحاب الله الطاهرة . التى سعد بها اخوانهم - ليذكرون كل هذه الاحداث . وتمر بمخيلتهم هذه الاطياف .. فتلهبهم هذه الذكرى الحماس وتشدهم الى تحقيق الهدف الاسمى للمسلمين . فى كافة بقاع الارض . وهو اخراج الصهاينة من سيناء الحبيبة . والقدس الشريفة الغالية وتطهير المسجد الاقصى المبارك من دنسهم . وتخليصه من سيطرتهم ...

وهم يعلمون تماما العلم مبلغ الامال الكبيرة . والثقة الكاملة . التى يضعها العالم الاسلامى فيهم لتحقيق هذا الهدف ...

نعم .. هذا كله سيؤجج فى أبطالنا هذه الرغبة الصادقة الملحة . وستجعلهم يصرون على النصر .. ويضحون بأنفسهم وأرواحهم فى سبيل هذه الغاية النبيلة ان شاء الله ...

وان واجب المسلمين جميعا .. ملوكا ورؤساء وحكومات وهيئات . وأفرادا وجماعات .. أن يتعاونوا . وأن يتناصروا . على تحقيق هذا الهدف بكل ما أوتوا من قوة .. وأن يقفوا لاسرائيل بالمرصاد .. صفا واحدا .. ويدا واحدة . وأن يحولوا بينها وبين العدوان والغدر والخيانة . التى هى شيمتها - مهما كلفهم ذلك من تضحيات بالانفس والارواح والاموال ...

ولنعلم جميعا .. اننا متى اتحدنا .. وراقبنا الحق تبارك وتعالى .. فانه سبحانه وتعالى ينصرنا ويؤيدنا « **وما النصر الا من عند الله** » ..

ولقد بدت بشائر النصر يوم العاشر من شهر رمضان المعظم .. وأيقنا أن الله تبارك وتعالى معنا ...

فلنتابع خطواتنا فى سبيل الله .. وفى سبيل الحق حتى يتم الله لنا النصر ...

وهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق .. وهو حسبنا ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير .

القتل

فى الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى

« ٦ »

تحدثت فى المقالات السابقة بهذه المجلة الغراء عن احكام القتل فى الشريعة الاسلامية . ثم تحدثت عن بعض أحكامه فى القانون الوضعى ، وقارنت بين هذه الاحكام وتلك .. وأوضحت أن أحكام القانون الوضعى تتفق - فى معظمها ومع بعض التفصيلات - وأحكام الشريعة الاسلامية الغراء .

المستشار عبد الستار آدم

واليوم أختتم هذه المقالات بالتحدث عن باقى احكام القتل فى القانون الوضعى فأتحدث عن الاشتراك فى القتل ، وعدم جواز قتل الجرحى أثناء الحرب ، وأخيرا أتحدث عن الانتحار ، مع مقارنة كل ذلك بأحكام الشريعة الاسلامية .

الاشتراك فى القتل

الاشتراك فى القتل منصوص عليه فى المادة ٢٣٥ من قانون العقوبات المصرى السابق الاشارة اليه فى المقالات السابقة .

وتنص هذه المادة على الاتى :

« المشاركون فى القتل الذى يستوجب الحكم على فاعله بالاعدام يعاقبون بالاعدام او بالاشغال الشاقة المؤبدة » .

وهذا النص فى شطره الاول يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية حسبما تقدم فى المقالات السابقة .

اما عن كيفية الاشتراك ومتى يعد الشخص شريكا فقد نص على ذلك فى الباب الرابع من الكتاب الاول من قانون العقوبات المنوه عنه فى المواد من ٣٩ الى ٤٣ تحت عنوان : « اشتراك عدة أشخاص فى جريمة واحدة » .

وقد نصت المادة ٣٩ على الاتى : -

« يعد فاعلا للجريمة :

[أولا] من يرتكبها وحده أو مع غيره .

[ثانيا] من يدخل فى ارتكابها اذا كانت تتكون من جملة أعمال فيأتى عمدا عملا من الاعمال المكونة لها .

ومع ذلك اذا وجدت أحوال خاصة بأحد الفاعلين تقتضى تغيير وصف الجريمة أو العقوبة بالنسبة له فلا يتعدى اثرها الى غيره منهم ، وكذلك الحال اذا تغير الوصف باعتبار قصد مرتكب الجريمة أو كيفية علمه بها » .

ونصت المادة ٤٠ على الاتى :

« يعد شريكا فى الجريمة :

[أولا] كل من حرض على ارتكاب الفعل المكون للجريمة اذا كان هذا الفعل قد وقع بناء على هذا التحريض .

[ثانيا] من اتفق مع غيره على ارتكاب الجريمة فوقعت بناء على هذا الاتفاق .

[ثالثا] من أعطى للفاعل أو الفاعلين سلاحا أو آلات أو أى شىء آخر مما استعمل فى ارتكاب الجريمة مع علمه بها أو ساعدهم بأى طريقة أخرى فى الاعمال المجهزة او المسهلة أو المتممة لارتكابها .

ونصت المادة ٤١ على الاتى :

« من اشترك فى جريمة فعليه عقوبتها الا ما استثنى بنص خاص .

ومع هذا :

[اولا] لا تأثير على الشريك من الاحوال الخاصة بالفاعل التى تقتضى تغيير وصف الجريمة اذا كان الشريك غير عالم بتلك الاحوال .

[ثانيا] اذا تغير وصف الجريمة نظرا الى قصد الفاعل منها أو كيفية علمه بها يعاقب الشريك بالعقوبة التى يستحقها لو كان قصد الفاعل من الجريمة أو علمه بها كقصد الشريك منها أو علمه بها .

ونصت المادة ٤٢ على الاتى : ـ

« اذا كان فاعل الجريمه غير معاقب لسبب من أسباب الاباحة أو لعدم وجود القصد الجنائى أو لاحوال أخرى خاصة به وجبت مع ذلك معاقبة الشريك بالعقوبة المنصوص عليها قانونا .

وأخيرا نصت المادة ٤٣ على الاتى : ـ

« من اشترك فى جريمة فعليه عقوبتها ولو كانت غير التى تعمد ارتكابها متى كانت الجريمة التى وقعت بالفعل نتيجة محتملة للتحريض أو الاتفاق أو المساعدة التى حصلت » .

والمبادىء العامة التى وردت بالمواد السابق بيانها تتفق مع المبادىء العامه فى الشريعة الاسلاميه الغراء حسبما تقدم فى المقالات السابقة مع شىء من التفصيل أتت به تلك المواد بما لا يخرج على المبادىء العامة فى الشريعة الاسلامية .

عدم جواز قتل الجرحى أثناء الحرب

سبق أن ذكرنا فى المقالات السابقة أن الشريعة الاسلامية لا تجيز قتل الاسرى والجرحى أثناء الحرب ، بل تأمر ـ فوق ذلك ـ بالاحسان اليهم بما يجعلهم مستحقين للبر ، على التفصيل السابق بيانه فى تلك المقالات .

وكذلك الحال فى القانون الوضعى [قانون العقوبات المصرى] فقد حرم قتل الجرحى أثناء الحرب حتى من الاعداء واعتبر قتلهم معاقبا عليه بنفس عقوبه القاتل حيث نصت المادة ٢٥١ مكررا منه على الاتى : ـ

« اذا ارتكبت الجرائم المنصوص عليها فى هذا الفصل [وهى جرائم القتل والجرح والضرب أثناء الحرب على الجرحى حتى من الاعداء فيعاقب مرتكبها بنفس العقوبات المقررة لما يرتكب من هده الجرائم بسبق الاصرار والترصد » .

وهذه المادة أضيفت الى قانون العقوبات المصرى بالقانون رقم ١٣ الصادر فى ٢٥ من مارس سنة ١٩٤٠ ، وكانت اضافتها تنفيذا لمعاهدة جنيف التى وضعت سنة ١٩٢٩ وصدر بها مرسوم ١٣ من اغسطس سنة ١٩٣٣ ، والخاصة بأسرى الحرب وجرحاها .

الانتحار

قلنا فى المقالات السابقة ان الشريعة الاسلامية تحرم الانتحار ، وتعاقب على الشروع فيه ان نجا المنتحر ، كما تعاقب الشريك فى الانتحار سواء نجا المنتحر أم مات .

وقد أخذت بعض القوانين الوضعية الاجنبية بما هو مقرر فى الشريعة الاسلامية من اعتبار الانتحار جريمة فنصت على معاقبة الشارع فيه ان نجا ، وعلى معاقبة الشريك سواء نجا المنتحر أم مات .. ومن هذه القوانين القانون الانجليزى والقانون الايطالى .

اما قانون العقوبات المصرى المصرى فلايعتبر الانتحار جريمة .. ومن ثم فانه اذا نجا من يقدم على الانتحار من الموت فلا عقاب عليه ، لانه يكون قد شرع فى فعل غير معاقب عليه ، كما أن الشريك لا عقاب عليه سواء نجا المنتحر ام مات ، لان الشرط فى عقاب الشريك ان يسهم فى عمل معاقب عليه .

وانا نهيب بالمشرع المصرى أن يضع نصا فى قانون العقوبات المصرى يعاقب على جريمة الانتحار اذا نجا من اقدم على الانتحار ، ومعاقبة شريكه سواء نجا المنتحر أم مات تمشيا مع أحكام الشريعة الاسلامية وحتى نقضى ـ أو نقلل على الاقل ـ من حوادث الانتحار .

وقبل ان أختتم هذه المقالات اود أن اشير الى ان الشريعه الاسلامية ـ حسبما تقدم فى المقالات السابقة ـ تحرم القاتل من ميراث المقتول اذا كان القتل عمدا وبلا حق ولا عذر ، وكان القاتل عاقلا بالغا من العمر خمسة عشر عاما .

واقتباسا من هذا الحكم نص قانون المواريث المصرى رقم ٧٧ الصادر فى ٦ أغسطس سنة ١٩٤٣ فى مادته الخامسة على الاتى :

« من موانع الارث قتل المورث عمدا سواء أكان القاتل فاعلا أصليا ام شريكا أم كان شاهد زور أدت شهادته الى الحكم بالاعدام وتنفيذه اذا كان القتل بلا حق ولا عذر وكان القاتل عاقلا بالغا من العمر خمس عشرة سنة . ويعد من الاعذار تجاوز حق الدفاع الشرعى » .

تراجع فيما تقدم من هذا المقال والمقالات السابقة الكتب الاتية :

١ ـ قانون العقوبات المصرى رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ والقوانين المعدلة له .

٢ ـ من الفقه الجنائى المقارن بين الشريعة الاسلامية والقانون ـ تاليف المرحوم الاستاذ المستشار أحمد موافى ، اصدار المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه سنة ١٣٨٤ هـ ـ سنة ١٩٦٥ .

٣ ـ جرائم الاعتداء على الاشخاص والاموال فى القانون المصرى تاليف الاستاذ الدكتور رءوف عبيد الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٠ .

والله ، تبارك وتعالى ولى التوفيق والسداد .

الصلح بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى

الصلح بين الزوجين

أجاز الشارع الاسلامى الصلح بين الزوجين اذا خيف الشقاق بينهما ودليل ذلك قوله تعالى : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الانفس الشح وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » سورة النساء

الدكتور يس محمد يحيى

فالاسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم العلاقة الزوجية على المودة والرحمة ذلك لان هذه العلاقة هى أساس الاسرة الصالحة والاسرة الصالحة هى اللبنة الاولى فى بناء المجتمع السليم .

فاذا ما شابت هذه العلاقة شائبة من الشوائب لاى سبب من الاسباب التى تفرضها ظروف الحياة الاجتماعية مما قد يؤدى الى حدوث خلل فى كيان هذا الرباط المقدس فان الاسلام سرعان ما يعالج هذا الخلل بالوسائل المناسبة التى تتدرج من الموعظة الحسنة الى تدخل حكمين من أهل الزوجين لاصلاح ذات بينهما نجد ذلك فى قوله تعالى : « **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا .وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا** » سورة النساء .

ومن النظر فى الايات السابقة فقد استنتج الفقهاء والمفسرون الاحكام التالية بشأن الصلح بين الزوجين وهى :

أولا — ذهب بعض المفسرين الى أن قوله تعالى : « **وان امرأة خافت من بعلها نشوزا** » شبيهة بقوله تعالى : « **وان أحد من المشركين استجارك فأجره** » — التوبة . وقوله جل شأنه « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » الحجرات — وهنا ارتفع لفظ امرأة بفعل يفسره خافت .

ثانيا — ذهب البعض الى أن « خافت » بمعنى علمت وقال آخرون : ظنت والراجح أن المراد نفس الخوف الا أن الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوع الخوف وتلك الامارات كأن يقول الرجل لامرأته « انك دميمة أو شيخة وانى أريد أن أتزوج شابة جميلة » .

والنشوز يكون من احد الزوجين أو كلاهما — ونشوز الرجل فى حق المرأة أن يعرض عنها ويعبس فى وجهها ويترك مجامعتها ويسىء عشرتها — قال البعض : « الفرق بين النشوز والاعراض أن النشوز التباعد ، والاعراض الا يكلمها ولا يأنس بها » .

وقيل المراد بالنشوز اظهار الخشونة فى القول أو الفعل او فيهما والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء وذلك لان مثل هذا الاعراض يدل دلالة قوية على النفرة والكراهة .

ثالثا قوله تعالى : « **فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا** » الصلح انما يحصل فى شىء يكون حقا له وحق المرأة على الزوج اما المهر أو النفقة او القسمة فهذه الاشياء الثلاثة هى التى تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاء أم أبى — فهذا الصلح عبارة عما اذا بذلت المرأة كل الصداق أو بعضه للزوج او اسقطت عنه مؤنة النفقة او اسقطت عنه القسمة وكان غرضها من ذلك ان لا يطلقها فاذا وقعت المصالحة على ذلك كان جائزا .

رابعا — وقد طلبت بنت محمد بن مسلمة من زوجها رافع بن خديج رضى الله عنه أن يمسكها ولا يطلقها لكبر سنها فى نظير تنازلها عن حقها فى المعاشرة فقبل ذلك . قال العلماء : وفى هذا أن انواع الصلح كلها مباحة فى هذه النازلة ، بأن يعطى الزوج على أن تصبر هى ، أو تعطى هى على أن

يؤثر الزوج ، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة ، أو يقع الصلح على الصبر والاثره من غير عطاء ، فهذا كله مباح . وقد يجوز ان تصالح احداهن صاحبتها عن يومها بشىء تعطيها ، كما فعل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غضب على صفية فقالت لعائشة : اصلحى بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وهبت يومى لك . ذكره ابن خويذ منداد فى احكامه عن عائشه رضى الله عنها قالت : وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية فى شىء ، فقالت لى صفية : هل لك أن ترضين رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ولك يومى ؟ قالت : فلبست خمارا كان عندى مصبوغا بزعفران ونضحته ، ثم جئت فجلست الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اليك عنى فانه ليس بيومك » فقلت : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ، واخبرته الخبر فرضى عنها. وفيه أن ترك التسوية بين النساء وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز الا باذن المفضولة ورضاها .

خامسا — قوله تعالى « **والصلح خير** » .

ذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى « والصلح خير » لفظ عام مطلق يقتضى ان الصلح الحقيقى الذى تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق . ويدخل فى هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامراته فى مال أو وطء أو غير ذلك .

فكل انواع الصلح خير من الفرقة فان التمادى فى الخلاف والشحناء والمباغضه هى قواعد الشر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فى المباغضة : « **انها الحالقة** » يعنى حالقة الدين لا حالقة الشعر .

سادسا — عالج التشريع الاسلامى الخلافات بين الزوجين علاجا حكيما نظرا لطبيعة هذه الخلافات وصونا لاسرار الاسرة من أن تذاع او تلوكها الالسن فحرص الاسلام على أن تظل هذه الخلافات محصورة داخل بيت الزوجية بقدر الامكان وأن يكون حلها بيد الزوجين ما استطاعا الى ذلك سبيلا ، فاذا كان الخلاف بسبب يرجع الى الزوجة من تمرد أو عصيان او انحراف فان على الزوج باعتباره رب الاسرة وبصفته قائما بأمرها أن يوجه النصح والارشاد الى الزوجة ويحاول أن يلفت نظرها الى ما بدر منها بالحكمة والموعظة الحسنة فان لم تجد هذه الوسيلة مع الزوجة وكانت طبيعتها لا يؤثر فيها النصح والارشاد فان التشريع الاسلامى اباح للزوج استخدام وسيلة أخرى معها وهى الهجر فى المضاجع اى يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها . وقال مجاهد : جنبوا مضاجعهن . وقيل « اهجروهن» من الهجر وهو القبيح من الكلام ، اى غلظوا عليهن فى القول . وقيل : اى شدوهن وثاقا فى بيوتهن ، من قولهم : هجر البعير أى ربطه بالهجار ، وهو حبل يشد به البعير ، وهو اختيار الطبرى . وقد رد عليه القاضى ابو بكر بن العربى فى احكامه فقال : يا لها من هفوه من عالم بالقرآن والسنة! والذى حمله على هذا التاويل حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك أن اسماء بنت أبى بكر الصديق امراه الزبير بن العوام كانت تخرج حتى عوتب فى ذلك . قال : وعتب عليها وعلى ضرتها ، فعقد شعر واحدة بالاخرى ثم ضربهما ضربا شديدا ، وكانت الضرة أحسن اتقاء ، وكانت اسماء لا تتقى فكان الضرب بها أكثر ، فشكت الى ابيها ابى بكر رضى الله عنه فقال لها : اى بنية أصبرى . فان الزبير رجل صالح ، ولعله ان يكون زوجك فى الجنه . ولقد بلغنى ان الرجل اذا ابتكر بامراة تزوجها فى الجنة . فراى الربط والعقد مع احتمال اللفظ مع فعل الزبير فاقدم على هذا التفسير . وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم حين اسر الى حفصة فأفشته الى عائشه . وتظاهرتا عليه .

فان لم ينجع الهجر فى المضاجع فللزوج أن يضرب زوجته ضرب تاديب غير مبرح وهو الذى لا يكسر عظما ولا يشين جارحه كاللكزه ونحوها فان المقصود منه الصلاح لا غير .

وقد جاء فى الحديث الشريف فى صحيح مسلم « **اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح** » .

فان أدت أى وسيله من الوسائل السابقة الى رجوع الزوجه الى حد القصد والاعتدال وترك النشوز فيجب على الزوج أن يضرب صفحا عنها وأن يعفو عما سلف منها حتى تعود الحياة الزوجية الى سيرتها الاولى ترفرف عليها السعادة وتظلها المودة والرحمة .

اما اذا لم تفلح الوسائل سالفة الذكر فى ردع الزوجه فان الزوج فى هذه الحالة يكون قد استنفد كل الوسائل التى يملكها فى الاصلاح ويكون الامر فى حاجة الى تدخل طرف آخر فى الموضوع وهنا ياتى دور الصلح يقوم به حكمان أحدهما من اهل الزوج والاخر من أهل الزوجة يحاولان التوفيق بينهما وازاله الشقاق الذى شجر بينهما . وقيل : ان يريد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين . وقيل : المراد الزوجان أى أن يريد الزوجان اصلاحا وصدقا فيما أخبر به الحكمين « يوفق الله بينهما » . وقيل : الخطاب للاولياء .

فان عجز الحكمان عن الصلح بين الزوجين لسبب أو لاخر فليس هناك من سبيل الا الفرقة بين الزوجين « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما** » [النساء] .

ملامح شخصية المؤمن

كما يحددها الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندي

[٢]

ليس سرا نعلنه حين نقول : أن مجتمعنا بحاجة ماسة وشديدة الى تحقيق [شخصية المؤمن] والى ابراز خطوطها ، وتحديد ملامحها ، وكشف أبعادها : لا سيما ونحن على الطريق : طريق الخير والرشد ، من أجل بناء دعائم الدولة العصرية على قرار من العلم ، وأساس من الايمان ، بل ان ذلك مطلب ملح ، وضرورى ، وواجب ، هو أمانة ومسئولية علماء الدين اليوم .. ولكن الحق الذى يجب أن نصارح به ، ونعترف بواقعه ، وفاء بحق العلم ، واحساسا بامانته يقتضينا ان نعلن : أنه مهما بذل الباحث من جهد ، ومهما تحمل من عناء ، من أجل محاولة التعريف بشخصية الانسان المؤمن ، او الحديث عنها : كشفا لمعالمها ، وابرازا لخطوطها ، وتحديدا لابعادها ، فليس بمستطيع أن يحقق شيئا من ذلك ، مهما أوتى من توفيق ، أو حالفه من صواب وحظ ...

فلقد حاول علماء النفس من قبل ، على اختلاف مذاهبهم ، وتنوع مدارسهم : وضع تحديد محدد ، وتعريف واضح ، جامع مانع ، [لشخصية الانسان] وحده فقط ، ودون اضافة أى شئ آخر وأخذه فى الاعتبار عند التعريف به : فوقعوا فى الاختلاف ، والتفاوت والاضطراب [كما وضح للقارىء ذلك] فيما عرضناه من بعض النماذج التى سقناها فى مقالنا السابق - بالعدد الماضى من هذه المجلة الغراء وتحت نفس هذا العنوان - فما بال [القارىء العزيز] اذا انضم لما يجب تحديده ، وابراز معالمه ، وتحديد خطوطه ، معنى باهرا جديدا ، ووصفا جامعا عظيما ، هو : الوصف بالايمان ، ان المسألة عندئذ تكون فى منتهى الصعوبة ، وغاية المشقة ، بالنسبة للباحث المتخصص فضلا عن غيره من سائر الناس ...

والحق : أنه ليس هناك قوة على وجه الارض ، مهما كان حظها من العلم ، ومهما بلغ نصيبها من المعرفة ، تملك القدرة على هذا التحديد والتعريف [لشخصية الانسان المؤمن] فى ثرائها الثرى ، وفى غناها الغنى ، وفى ملكاتها الفائقة ، وقدراتها المتعددة ، وخصائصها المتميزة ، التى لا ينافسها فيها أحد ، والتى تنفرد بها دون سائر اشتات الناس . الا صاحب الشريعة ، وداعية الايمان بها [صلى الله عليه وسلم] هذا الذى أعطى من نفسه النموذج لها ، وهذا الذى عاش حياته بعد النبوة : يعلم حقائقها ، ويشرح فى اسهاب كل جزئياتها ودقائقها .

ذلك أن شخصية المؤمن فى واقع الامر : هى انعكاس لكل ما فى [القرآن الكريم] من هدى وخير .. وذلك سر ثرائها وغناها الذى لا يحد ، كما أن ذلك هو سر اهتمام الرسول [صلى الله عليه وسلم] بها : حتى لقد عاش حياته بعد النبوة والرسالة وهى حياة امتدت واستمرت ما يقرب من ربع قرن من الزمان ، وهو يرى أن اول واجبات ما كلف به من أمانة التبليغ عن الله رب العالمين : من اجل بناء مجتمع الايمان : أن يرسم للناس معالم شخصية الانسان المؤمن ، وأن يضع لهم خطوطها البارزة ، وملامحها التى لا يخطئها أحد ، والتى يكون بوسع كل انسان أن يتعرف عليها دون عناء ، اذ أن الانسان المؤمن هو الاساس الذى يقوم به مجتمع الايمان ، وهو المحور الذى يرتكز عليه بنيانه

وكيانه كله ، امتثالا منه واستجابة لهدى ربه عز وجلّ فى قوله له [عليه الصلاة والسلام] « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** » ...

[١] لقد تعلمنا من هدى نبينا فيما يتعلق بملامح شخصية الانسان المؤمن : أن أول ما يصادف الانسان من ملامح صاحب هذه الشخصية : حسن سمت صاحبها ، وجمال مظهره ، وفقهه فى دينه ...

[٢] وأنه انسان لا يجتمع فى شخصه خستان : بخل يعاب به ، وسوء خلق يذم بسببه من الناس .

[٣] وانه انسان يمتاز بالامانة فى عمله ومعاملته ، وبالصدق فى قوله ، وبالوفاء الكامل لعهده ..

[٤] وأنه انسان كريم ، ودود لمن يتعايش معهم من أبناء مجتمعه ، يألف الناس ويألفونه ويحسن صحبتهم ..

[٥] وأنه عاقل وحكيم ، كيس فطن ، وثاق لا يعجل ، متثبت فى أموره كلها : لا يتسرع ، ولا يندفع ...

[٦] وانه من حكمته وفطنته ، ومن كياسته وجودة عقله ، هو انسان يمتاز بسعة الافق ، وبعد النظر ، ولذلك فهو لا يكتفى بالنظر فى يومه ، بل انه ليتعدى ذلك الى النظر فى غده ، وما بعد غده ... حتى انه من بعد نظره ، واشراق نور اليقين فى قلبه تراه يرى الدنيا مكسوفة أنوارها ، لم يبدله منها الا عوارها كما رآها حارثة بن سراقة ، وكما رآها معاذ بن جبل : عزوف عن الدنيا ، وعدم اغترار بشىء منها ، وعدم الركون الى شىء فيها ، وابصار ما هو آت بعدها ...

[٧] وأن أمره كله خير : حتى انه ليستوجب العجب .. كما روى ذلك مسلم عن صهيب بن سنان حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبا لامر المؤمن أن أمره كله خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن : ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

[٨] وأنه انسان صامد وقوى ، لانه يعيش فى سياج يمنحه هذا الصمود ، ويعطيه هذه القوة ، ويتيح له ان ينعم فى رحاب ذلك كله ، سعيدا راضيا ، مؤمنا مستبشرا ، ما ذلك الا لانه يحفظ دساتير الايمان ، ويعى كل قوانين اليقين ، ومنها : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده امامك » . ومنها : و « اعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك ، وان ما اصابك لم يكن ليخطئك » . ومنها : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا . ومنها : [قوله عليه الصلاة والسلام] : استعن بالله ولا تعجز ، ولا تقل : لو انى فعلت كذا كان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان .

[٩] كما تعلمنا من هدى نبينا - صلى الله عليه وسلم - ان الانسان المؤمن ، هو انسان له موقفه القوى من مجتمعه ، حيث يقف منه دائما موقف الناقد البصير ، الامر فيه بالمعروف ، والناهى عن المنكر ، لا يخاف فى ذلك لومة لائم ، ولا يخشى من أجل المجاهرة به بطشة جبار ، انه صمام الامن والامان فى مجتمعه كله ، يسدده ، ويكشف عيوبه ، ويساهم فى تقويمه ، وبذلك يقى نفسه ومجتمعه الفتنة ، وذلك ما أشار اليه سبحانه فى قوله « **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** » [الانعام] .

« ١٠ » كما ان الانسان المؤمن بمثابة غدير الخير ، ونبع الفضل لنفسه ولغيره من سائر الناس ، ولذلك فهو حريص على بذل النصح خالصا لكل مسلم ، حرصه على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، لانه يعلم أن ذلك ما كان يبايع عليه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رسولهم عليه . كما انهم قد فقهوا من دينهم أن « الدين النصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم » [مسلم] .

ونضيف الان : فى هذا المقال شيئا جديدا الى هذه الملامح كما وضع خطوطها ، وكما حددها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فنقول : وبالله وحده التوفيق ...

[١١] ان ابرز ملامح المؤمن ، واكثر ما يميزه عن غيره : صدق ايمانه ، وسلامة عقيدته ، وصحة يقينه . وذلك انما يكون باعتقاده أن كل خلق ورزق ، ومن فعل وأمر ، وكل تقدير وتدبير يجرى فى هذا العالم الذى نراه ونستشعر وجوده ، وفى سائر عوالم الله واكوانه اللا نهائية ، والتى لا يعلم باعدادها ، والتى لا يحيط بها ولا بكنهها أحد الا الذى خلقها واتقنها ، وبسطها وسخرها ، وبارك فيها وقدر فيها اقواتها : ان ذلك كله خلقه وتدبيره ، وهو بعض ما وعاه المؤمن من هذه النصوص :

« **ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو** » [**غافر**]

« **هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى** » [**الحشر**]

« **وما بكم من نعمة فمن الله** » [**النحل**] .

وهى نصوص قد أورثته اليقين الذى لا يقبل الشك بهذه الحقيقة الايمانية [**والله خلقكم وما تعملون**] « الصافات » كما أنها قد ملأت قلبه ايمانا بأنه سبحانه هو صاحب كل نعمة أنعم بها أو أجراها على احد أو شىء من خلقه فى هذا العالم » ..

فلقد اخرج النسائى فيما رواه عن زيد بن خالد الجهنى قال : مطر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألم تسمعوا الى ما قال ربكم الليلة ؟ قال : ما أنعمت على عبادى من نعمة الا أصبح طائفة منهم بها كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فأما من آمن بى وحمدنى على سقياى فذاك الذى آمن بى وكفر بالكواكب . و [أما] من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك الذى كفر بى وآمن بالكواكب » .

ان نسبة كل شىء لخالقه ، والاقرار بكل نعمة لصاحبها وسائقها هو الفيصل بين الكفر والايمان .. وذلك هو أعظم ما يتجلى فى ملامح المؤمن ويبرز من معالم شخصه فى كل لحظة .. انه يذكر به ويحمده

على نعمه التى لا تعد ولا تحصى . كما أن أعظم ما يبرز من معالم شخصية الانسان المؤمن ويتجلى منها : رضاه الكامل بأقضية الله فى خلقه ، وقسمه بين عباده وتسليمه لاقداره . . فذلك ما قد اشار اليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوله [فيما أخرجه القضاعى عن أبى الدرداء] : « لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه » .

ان الذين لا يؤمنون بقضاء الله وقدره قد حكم عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم مجوس هذه الامة ، [أمة الايمان والاسلام] ، ونهى عن عيادتهم اذا مرضوا ، أو القاء السلام عليهم عند لقائهم ، أو شهود جنائزهم اذا ماتوا ، فقد أخرج الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم « ان مجوس هذه الامة المكذبون بأقدار الله [تعالى] ، فان مرضوا فلاتعودوهم ، وان لقيتموهم فلاتسلموا عليهم ، وان ماتوا فلا تشهدوهم » .

[١٢] ومن أبرز ملامح المؤمن : أنه انسان يهتدى الى الرشد اذا ذكر به ، ويستجيب للخير اذا دعى اليه ، ويسارع الى المعروف اذا أغرى به ، أو حرص عليه ، انه واحد من أولئك الذين زكاهم الله وبشرهم بالخير حين قال : « **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه . اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب** » [**الزمر**] .
فمن الحديث [الذى أخرجه القضاعى فى المسند عن ابن عباس رضى الله عنهما] يقول - صلى الله عليه وسلم - « وان المؤمن خلق نساء ، اذا ذكر ذكر » .

[١٣] انه انسان مستديم للخوف والخشية من الله ، كما أنه لا يأمن شيئا من مكره ، فقد تعلم من هدى ربه أنه **لا يأمن مكر لله الا القوم الخاسرون** وذلك ما قد أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم - [فيما أخرجه البخارى فى صحيحه عن الحسن] « ما خافه الا مؤمن ، وما أمنه الا منافق » .

[١٤] ومن هذه الملامح التى لا تخفى على أحد : أن الانسان المؤمن هو انسان كريم على نفسه وعلى الناس ، ولذلك فهو لا يذل نفسه وقد أعزها الله « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » [المنافقون] ، كما أنه لا يوردها موارد الاهانة ، وضياع الكرامة بعد اذا كرمها الله [**ولقد كرمنا بنى آدم**] فلقد قال - صلى الله عليه وسلم - « لا ينبغى لمؤمن ان يذل نفسه » [أخرجه القضاعى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه] . وقوله «من اعطى الذلة من نفسه طائعا فليس منا » .

واذا كان اكثر ما قد يسوق الناس الى الذل ، ويوردهم موارد الاهانة ، وضياع الكرامة : هو الخوف على حياتهم أن تغتال ، وعلى أرزاقهم أن تضيع ، فقد اكد الله سبحانه وتعالى فى كتابه ، وعلى لسان نبيه ، أنه - عز وجل وحده - قد استأثر دون غيره بهاتين القضيتين : قضية الاجال ، وقضية الارزاق ، واعلن سبحانه وتعالى أنه قد قطع سلطان البشر مهما كان لهم من قوة وسطوة عن هاتين المسألتين : « **وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله** » [آل عمران] « **وما من دابه فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين** » [**هود**] .

ثم جاءت هذه الاحاديث لتؤكد نفس ما جاءت به الايات ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « ان روح القدس قد نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها » وقوله « ان الرزق ليطلب احدكم كما يطلبه الموت » وقوله : « ان رزق الله لا يسوقه اليك حرص حريص . ولا يمنعه عنك كراهية كاره » .

[١٥] ومن ملامح المؤمن التى قد ترتبط بسبب بما تقدم من حديث ، أنه انسان لا يعرف الاساليب الخبيثة ، والوسائل غير الشريفة : من أجل الوصول عن طريقها الى تحقيق أهدافه ، انه انسان لا يتملق أحدا وصولا بذلك الى تحقيق أمله ، ونجاح سعيه ، واجابه ما يرجوه . وذلك ما قد ينطلى على بعض المجتمعات ، وما قد تعانى منه بعضها : بسبب آثار النفاق والملق ، وما قد تنتهى به من ضياع ميزان العدالة ومبدا تكافؤ الفرص بين أبناء المجتمع الواحد . مهما قل هذا المجتمع أو كثر ، ومهما ضاق او اتسع . من أجل ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « ليس من خلق المؤمن الملق » أخرجه القضاعى عن معاذ . وكذا البيهقى بلفظ التملق ° (وفى مختار الصحاح ط - ٨ لسنة ١٩٥٤ ص ٦٣٢ : و [تملق] له [تملقا] و [تملاقا] بالكسر : أى تودد اليه وتلطف له . ورجل [ملق] يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه] .

[١٦] ومنها : أنه يبس من خلقه الحسد ، انه لايحسد احدا على نعمة ساقها الله اليه ، وقسمها له . . لانه قوى الايمان بالله تعالى ، عظيم الرضا به ، ومن آمن بالله تعالى ، ورضى به ربا ، فلابد وأن يرضى بقسمه بين عباده ، كما انه قد علم من هدى نبيه ، وتعاليم رسوله - صلى الله عليه وسلم - أنه لن يبلغ العبد حقيقة الايمان : حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الحسد « وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود واستكثارها عليه » هو خلق لا يتفق مع الايمان ، ولا يدسجم مع كمال اليقين ، فقد أخرج البيهقى وغيره عن أبى هريرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن من أتباع هديه « أحبب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » كما ان الانسان المؤمن يعى من قضايا ايمانه هذه القضية التى قررها الرسول فى قوله لا يجتمع فى جوف عبد : « الايمان والحسد » أخرجه البيهقى . .

[١٧] والمؤمن انسان يحقق ميزان العدل والاعتدال فى حياته ومعاشه ، وهو الميزان القرآنى الذى أعلنه ربنا الكريم فى محكم كتابه حين قال : « **ولاتجعل**

يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » [الاسراء] وقوله له « **لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** » [الطلاق] . ولذلك فالمؤمن انسان ليس بمقتر على نفسه ، ولا على أحد ممن يعولهم وقد وسع الله عليه ، انه انسان ملتزم بهذا المبدأ القرآنى العظيم الذى يقول : « **وأما بنعمة ربك فحدث** » [الضحى] ، كما أنه ملتزم بهدى نبيه [صلى الله عليه وسلم] فى قوله « ان الله [تعالى] يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » ولذلك جاء قوله [صلى الله عليه وسلم] « ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله » اخرجه الديلمى عنجبير بن مطعم ، وكذا القضاعى]

[١٨] والمؤمن انسان يوقر الكبير لسنه ومكانه ، ويرحم الصغير لسنه أيضا وضعف بنيانه ، والحق الذى لا نحب أن نوارب فيه فنسكت عنه ، ولا نصارح به : ان الكثير من مجتمعاتنا اليوم أصبحت تفتقد هذا الخلق فى ملامح من ينتسبون الى زمرة المؤمنين ، فى الوقت الذى جاء فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو بصدد تحديد ملامح المؤمنين ، والتعريف باشخاصهم عن طريق ذكر أخلاقهم وسلوكهم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ليس منا من لم يوقر الكبير ، ويرحم الصغير ، ولم يأمر بالمعروف ، ولم ينه عن المنكر » [أخرجه احمد والترمذى عن ابن عباس] .

[١٩] والمؤمن ،هو انسان قوى له شخصيته وأصالته ، فى شأنه كله : فى مأكله ومشربه ، فى ملبسه ومظهره وسمته كله ، له شخصيته وأسلوبه فى حياته ، بحيث لا يتأثر بوارد من الخارج ، أو دخيل ينزع عنه اصالته ، ويمسخ له كل شىء فى دنياه : كما نشاهد فى مجتمعاتنا اليوم ، وما أصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس منا من تشبه بغيرنا » [أخرجه الترمذى عن ابن عمر ، والقضاعى عن عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده] .

[٢٠] والمؤمن انسان مرزوق من ربه ، ومن حيثلا يحتسب، لانه موصولبه ، مطيع له ، [والعبد انما يحرم الرزق بسبب الذنب يصيبه] كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان هذا الرزق [المبارك فيه] انما هوفىواقع الامر : مكافأة الرب ، وجائزته التى لا تقدر بثمن ، ففىالحديثالذى أخرجه البيهقى عن على عنه [صلى الله عليه وسلم] يقول «ابى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لايعلم» وفى رواية ابى هريرة فيما اخرجه الديلمى أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب » .

وثمة الوان اخرىمن الرزققد أشار اليها [الكاتب العالم المسلم الأستاذ وحيد الدين خان] فى احدى مقالاته المترجمة من اللغة الاردية الىاللغة العربية ، والتى ظهرت فى [مجلة الرسالة الاسلامية العدد الثامن رجب سنة ١٣٩٤ هـ] هى من نصيب العبد المؤمن ومن حظه فى دنياه ، لا بأس وأن نسوق طرفا منها ، لعلّ ذلك أن يكون حسن ختام لهذا الجزء من البحث ، فلقد كتب يقول :

« ان الشهادة [الاخرى] على تمتعك بنعمة الايمان : أن يصلك [رزق الرب] ، ذلك بأن كل ما تقوم به تنفيذا لاوامر الله ، انما تقوم به بارادتك ، فان شئت فعلت ، وان شئت ابيت ، ولكن : هناك كيفيات من نوعية خاصة يمر بها المؤمن دون أن يملك ازاءها الخيار ، لانك لا تستطيع أن تخلق تلك الكيفيات ، فمن أين تلك الكيفيات ؟ انها من عند الله ، انها رزق المؤمن عند ربه ، ولا يمكن أن تحيا الشخصية الايمانية بدون هذا الرزق ، فهذا الرزق الذى وجده نبى العصر لدى مريم فسألها : يامريم انى لك هذا ؟ فردت عليه قائلة : « **هو من عند الله** » [آل عمران]

ان جهودك هى أعمالك ، وهذه الكيفيات السلمية هى الجائزة التى يضفيها الله على العبد الذى يحسن عبوديته ، ان الله تعالى لم يجعل انعامه دينا بل جعله نقدا ، ولذلك فان العبد ليفوز بهذا الانعام فى اللحظة نفسها التى يستحقه فيها ، اننا نمر بهذه الكيفية الملكوتية الربانية فى عين اللحظة التى يحظى فيها اى عمل لنا بالقبول والرضا لدى ربنا ، ان هذه الكيفيات هى مقدمة للنعيم الذى وعد الله به عباده الصالحين ، انها قبس من عطر الجنة يجده المؤمن فى قلبه ، فان القرآن الكريم : يخبرنا : بأن الجنة التى سيظفر بها أهل الايمان هى « **رزق معلوم** » [الصافات] وعليه : فان تلك الجنة لن تكون شيئا مجهولا للعباد لانهم قد عرفوها فى هذه الدنيا : « **ويدخلهم الجنة عرفها لهم** » [محمد] وقد جاء فى الحديث الشريف : « لاحدكم بمنزله فى الجنة أعرف منه بمنزله فى الدنيا » وفى أثر آخر « ان حسناته تكون دليلا الى منزله فيها » [روح المعانى] ثم يسرد [الكاتب الهندى العالم] : نماذج لهذه الكيفيات التى هى زيادة على الاعمال وتعتبر جوائزها ، ورزق المؤمن العاجل منها فيقول :

« عندما يتصدق الانسان وقد أصبح من « **والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة** » [المؤمنون] .

وعندما ينعم بتلاوة قرآنيه وقد صدق عليه « **ترى أعينهم تفيض من الدمع** » [المائدة] .

وعندما يقضى ليلته وقد أصبح ممن « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** » [السجدة] .

وعندما تمر به لمحات يدرك فيها حقيقة : ان «**والذين آمنوا اشد حبا لله** » [البقرة] .

وعندما يشعر بالطف كيفيات الايمان .

وعندما تنكشفله فجأةحقيقة منالحقائق المكنونة .

وعندما تتمتم شفتاه وهو يناجى ربه فى كيفية الهامية .. بكلمات لم تخطر له على بال ...

فذلكم : هو رزق الرب الذى بدأ ينزل على العبد الصالح ..

[**الحديث موصول باذن الله**]

التبعة والمسئولية بين العالِم والقاضى

ان من أخطر المسئوليات ان لم تكن أخطرها على الاطلاق هي المسئولية التي يتحملها العلماء باعتبارهم أقرب الناس الى مصادر النور ، وأقصد بالعلم هو كل ما يرتفع به الجهل ويزول دنيويا كان هذا العلم أو أخرويا ، فليس هناك شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وما أجمل ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه من خطبة طويلة له فيقول « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعه في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومنفعة المال تزول بزواله ، مات خزان الاموال وهم أحياء ، والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر » .

الأستاذ عبد العظيم منصور

فلا شك في ثقل التبعة وجسامة المسئولية التى يحملها العلماء أمام الله وأمام ضمائرهم وأمام الناس ، فلا تقوم لهم حجة ولا يقبل منهم عذر ان هم قصروا فى أداء رسالة العلم دنيويا كان او أخرويا . ومن أجل ذلك أخذ الله العهد على العلماء أن يبينوا العلم للناس ولا يكتمونه فقال تعالى « **واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** » . ويستنزل الله اللعنة على من كتم عن الناس علما فيقول تعالى « **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** » . فالعلماء هم أركان الملة ودعائم المنهج الالهى الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد الى الله فهم بحق ورثة الانبياء والامناء على مواريث النبوة النابعة من السماء ، لذلك فان افتقاد العلم وشيوع الجهل نذير بخراب أمر الامة كما أشار الى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فعن أنس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « **ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا** » .

والمسئولية الاولى التى ألقاها الاسلام على عاتق العلماء هى تبيان العلم ، يبينون أحكامه ويوضحون حلاله من حرامه ، ويدفعون عن دين الله أصحاب البدع والمنكرات وأهل الضلال والعناد ويتصدون لتيارات الالحاد الجارفة والمبادىء والنظريات الزائفة والفلسفات المخرفة وبقايا الديانات المحرفة .

والمسئولية الثانية التى ألقاها الله على عاتق العلماء هى القيام بالعدل والقسط دون خوف من وعيد أو خشية من تهديد لذلك نرى الله تعالى كثيرا ما يخصهم بالفضل ويثنى عليهم كما يثنى على نفسه وهذه خصوصية عظيمة للعلماء أنزل الله فيها قوله تعالى « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** » . وهذا يفرض على العلماء مسئولية جسيمة تحتم عليهم التحرر من الخوف من كل ما يخشى عليه من ماديات الحياة ومعنوياتها بل التحرر حتى من الخوف على الحياة نفسها من أن تزهق وهم على الطريق يؤدون واجبات القسط ومقتضيات العدل .

وثالث ما ينبغى أن يرعاه العلماء ورثة الانبياء ألا يطلبوا الدنيا بالدين وألا يكون الدين وسيلة الى ماديات الحياة ومعنوياتها مهما كان بريقها ومهما كانت جاذبيتها وسحرها . وقد حذر الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من صنف من الناس يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فقال من بين ما قال فى خطبة طويلة له يخاطب المسلمين : « وقد اقترب منكم زمان قليل الامناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الامل يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل

دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ألا كلّ من أدرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر » . وسئل ابن المبارك : من الناس ؟ فقال العلماء ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل من السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين . وقد روى الحسن البصرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **لا تزال هذه الامة بخير تحت يد الله وفى كنفه ما لم يمالى قراؤها امراءها ، ولم يترك صلحاؤها فجارها ، ولم يمار أخيارها أشرارها ، فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ، وضربهم بالفاقة والفقر وملا قلوبها رعبا** » .

وقال على رضى الله عنه يصف العلماء الصالحون منهم وغير الصالحين فيقول من بين ما قال : القلوب أوعية وخيرها اوعاها للخير ، والناس ثلاثة ، عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق . . ثم يقول مشيرا الى صدره : ان ها هنا علما جما لو وجدت له حلة ، بل اجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ، ويستظهر بحجته على خلقه او منقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات او مغـرم بجمع الاموال والادخار منقادا لهداه ، أقرب شبهابهم الانعام السائمة ، اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ، ثم لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ، اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور ، ليكلا تبطل حجج الله تعالى وبياناته ، وكم وأين أولئك ؟ هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى ، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وامنائه وعماله فى ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال : واشوقاه الى رؤياهم » .

وقد أوحى الله الى داود عليه السلام « لا تسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادى » .

ورابع ما يفرضه الاسلام على العلماء باعتبارهم أقرب الناس الى مصادر النور أن يكونوا القدوة الحسنة لغيرهم من سائر الناس بحيث تسيطر على تصرفاتهم وسلوكهم مخايل الورع والتقوى ومظاهر العزة والكرامة ، وليحذر العلماء التبعية والانقياد والاستسلام فيما يجانب الدين ويضاد الحق فربما زلت أقدام العلماء موافقة لرأى أو متابعة لهوى وغرض رغبة أو رهبة فضلوا وأضلوا مع سوء العاقبة وقبح المنقلب والمصير . وقد ورد فى علماء السوء تشديدات عظيمة تدل على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة لان قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والسلطان عند أهلها ،لذلك فان من أهم ما يجب أن يتدبره العالم ويعيه أن يكون مستغنيا عن أصحاب الجاه والسلطان لان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بيدى السلاطين وأصحاب المراكز والمكانات .

والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او ان يطمع فى أن يذل من دنياهم وذلك هو السحت .

فما أحوجنا اليوم الى العالم العامل المخلص المؤمن برسالته يبين لنا معالم الطريق ويوضح لنا ما اشتبه علينا من جهات ويحدد لنا الاصدقاء من الاعداء وخصوصا ونحن نعيش اليوم فى عالم تتعاظم فيه الكيانات وتتزاحم فيه المعتقدات وتختلف فيه الوجهات وتتنابز فيه الانظمة وتكثر فيه التحديات ويظهر فيه التشيع والتحزب وتبرز العصبيات ، وتتصاعد الصراعات وتتطاول فيه التجمعات والتكتلات وتختل فيه القيم والموازين والتصورات فتسقط هنا مرة وتتردى هناك مرات وتتمزق الاخلاق فتتصاعد الزفرات .

وتستعلى القوى الغادرة دون وازع من ضمير او بقية من دين فيطغى الاقوياء ويستكين ويتوارى الضعفاء والبشرية من وراء حواجز القهر والاستبداد حائرة تائهه فى بيداء المهالك والضلالات ، اعود فأقول ما افدح مسئولية العلماء اليوم وما اعظم تبعاتهم فى وقت يتطلب معارك ومعارك كما يتطلب تضحيات جسيمة بالنفس والمال فى مجتمعات دولية تعانى أزمات روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية كما تتنازعها فلسفات متباينة أشد التباين متخالفة كل التخلف فكرا وفلسفة وواقعا تشكل خطرا داهما على الاسلام والمسلمين ، وهذا يرفع من مسئولية العلماء فى هذا الصراع الدامى المحتدم بين الايمان والطغيان ، بين الشك واليقين ، بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، وهو الصراع الذى قاده كل نبى فى وقته ولا يصلح العالم الا به اليوم عماده القوة الروحية والمادية فى كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى وحملة لوائه علماء عاملون مخلصون ينيرون الطريق من جديد باعتبارهم أقرب الناس الى مصادر النور والامناء على مواريث النبوة النابعة من السماء وان لم يفعلوا فستظل تلك الاوضاع السيئة فى

هذا العالم وصدق الله العظيم « الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

واذا تركنا مسئولية العالم وتبعته لننتقل الى مسئولية القاضى وتبعته الفينا ولاية القضاء هى الاخرى من الولايات الخطيرة الشأن (لما لهما من أهمية بالغة فى استقرار حقوق الناس وحرياتهم اذ بها تعصم الدماء أو تسفك وتثبت الحقوق أو تنكر وتصان الحرمات والاعراض أو تنتهك ويستتب الامن ويشيع أو يختل ويضطرب ، ويعلو الحق ويتأكد أو يزول ويشيع الخوف ، وترفرف أعلام الحرية أو تنكس الى غير ذلك من أمور يناط الفصل فيها للقضاء) ، ومن هنا تتعاظم مسئولية القاضى وكل من يتصدى للفصل فى الخصومات بما يضمن وصول الحق الى أصحابه ، بعيدا عن مظنة الشك والريبة فى عمل القضاة واضعين نصب أعيننا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « **القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة ، فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار ، ورجل قضى بين الناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة** » .

ان خلاصة ما أريد الاشارة اليه عن مسئولية القاضى هو التنبيه الى ثقل التبعة وجسامة المسئولية التى يتحملها كل من يتولى الفصل فى القضايا التى تفرضها طبيعة الاجتماع البشرى وما يترتب على هذا الاجتماع البشرى من تشابك المصالح وتلاحمها الامر الذى قد يؤدى الى سلوك عدوانى من مصالح جامعة غلابة على أخرى هادئة مسالمة ، كما قد يؤدى الى هذا العدوان ما هو مركب فى النفس الانسانية وممتزج بها من أهواء وأغراض بحيث لا يقف الفرد عند حظه ونصيبه فى الحياة بل يندفع ليعتدى على حقوق الغير سواء فى النفس أو النسل أو العرض أو المال أو الدين الامر الذى يفرض حساسية مرهفة على ضمير القاضى وهو يسعى لاستخلاص الحقوق لاربابها ويؤكد ضماناتها فى أحكامه العادلة وهو اذ يفعل فهو فى الجنة علاوة على المهابة فى قلوب الناس وان لم يفعل فقد باء بغضب من الله علاوة على سقوط منزلته فى قلوب الناس ونقصان قدره وقدسيته عند البشر .

ويكفينا أن نسوق فى هذا المجال دستور القضاء الخالد الذى تضمنه كتاب الخليفة الثانى عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى ليتدبره القضاه وكل من تقدم ليفصل فى الخصومات التى تقع بين الناس

فيقول رضى الله عنه لابى موسى : أما بعد : فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك، فانه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس فى مجلسك ، وفى وجهك ، وقضائك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، ومن ادعى حقا غائبا او بينه ، فاضرب له امدا ينتهى اليه ، فان بينه أعطيته حقه ، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك هو أبلغ فى العذر ، وأجلى للعماء ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم ، فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك ، أن تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم لا يبطله شىء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجربا عليه شهادة زور ، أو مجلودا فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله تعالى تولى من العباد السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ، ثم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك ، واعرف الامثال ، ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله ، وأشبهها بالحق ، واياك والغضب والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر عند الخصومة - أو الخصوم - فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ، ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمتـــه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركته » .

ونظرا لما فى هذا الدستور الجليل من اصول جليلة باقية على الزمن أرانى مضطرا الى التذكير ببعضها بطريقة جد محدودة ومن أراد شرحا وافيا لهذا الكتاب الجليل فليرجع الى كتاب اعلام الموقعين لابن قيم الجوزيه الذى تولى شرح هذا الكتاب فى جزء كامل من أجزاء كتابه المذكور .

١ - فافهم اذا أدلى اليك ويعنى بذلك عمر رضى الله عنه أن صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التى أنعم بها على عباده بل ما أعطى الله عبدا عطاء بعد الاسلام أفضل ولا أجل منهما ، فصحة الفهم نور يقذفه الله فى قلب العبد ، يميز به الصحيح من الفاسد ، والحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والرشاد من الغى . وحسن القصد يؤدى الى تحرى الحق ، وتقوى الرب فى السر والعلانية ، ويقض على أتباع الهوى وايثار الدنيا وطلب المنزلة فى قلوب الناس ، ويستحيل اعطاء الرأى فى المسألة والحكم بالحق الا بنوعين من الفهم - أولهما : فهم الواقع ودراسته واستنباط حقيقة ما وقع بالاستعانة بالقرائن والامارات والعلامات وثانيهما : فهم حكم الله بمقتضى كتابه أو بسنة رسوله وتطبيقه على هذا الواقع ، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه لم يعدم أجرين ان أصاب وأجرا أن أخطأ . ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم وسلبهم حرياتهم .

٢ - فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفـاذ لـه . والمقصود بذلك التحريض على تنفيذ الحق لانه لا

فائدة من حكم اذا انتفت وسيلة تنفيذه

٣ – وآس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك .

ونعنى بذلك انه يجب على القاضى أو من يتولى الفصل فى الخصومات ، ألا يخص أحد الخصمين بالدخول عليه أو القيام له والاقبال عليه والبشاشة له والنظر اليه لان ذلك عنوان الظلم والحيف . وفى تخصيص أحد الخصمين بشىء من ذلك مفسدتان . احداهما : طمع الخصم فى أن يكون القاضى له وفى جانبه فيقوى قلبه والثانية : أن الطرف الاخر أو الاخرين فى الخصومة ييأس من عدل القاضى ويضعف قلبه وتنكسر حجته فتضيع الحقوق .

٤ – والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا : انه مما لاشك فيه أن الصلح بين الخصوم على أساس من العدل من أفضل ما يمكن أن يقدمه القاضى لانه يؤدى الى تطامن النفوس واستقرارها وهذا ما أشار الله اليه سبحانه وتعالى : « **لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين اختصما عنده فى مواريث بينهما « **اذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه** » وهذا ما كان يسلكه عمر رضى الله عنه فيقول « **ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فان فصل القضاء يحدث بين القوم الضغائن** » .

٥ – واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصومة ، فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ويحسن به الذخر . وهذا الكلام يتضمن أمرين . الاول: التحذير مما يحول بين المرء وبين كمال معرفته بالحق ، ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم القاضى أن يقضى حين يقضى بين المتخاصمين وهو غضبان لان الغضب يغلق على صاحبه حسن التصور والقصد . وأوصى بعض العلماء لولى أمر فقال . **اياك والقلق والضجر . فان صاحب القلق لا يقدم عليه صاحب حق ، وصاحب الضجر لا يصبر على حق** . والثانى : التحريض على تنفيذ الحق والصبر عليه ، وجعل الرضا بتنفيذه فى موضع الغضب ، والصبر فى موضع القلق والضجر ، والتحلى به واحتساب ثوابه فى موضع التأذى ، فان هذا دواء ذلك الداء الذى هو من لوازم الطبيعة البشرية وضعفها ، فما لم يصادفه هذا الدواء فلا سبيل الى زواله . هذا مع ما فى التنكر للخصوم من اضعاف نفوسهم ، وكسر قلوبهم ، واخراس ألسنتهم عن التكلم بحججهم خشية معرة التنكر ، ولا سيما أن يتنكر لاحد الخصمين دون الاخر ، فان ذلك الداء العضال .

٦ – فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ، ويحسن به الذخر ، فهذه هى عبودية الحكام وولاة الامور التى تراد منهم ، ولله سبحانه وتعالى على كل أحد عبودية بحسب مرتبته ، سوى العبودية العامة التى سوى بين عباده فيها .

فعلى العالم من عبوديته نشر السنة والعلم الذى بعث الله به رسوله ما ليس على الجاهل ، وعليه من عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره ، وعلى الحاكم من عبودية اقامة الحق وتنفيذه ، وعلى الغنى من عبودية أداء الحقوق فى ماله ما ليس على الفقير وعلى القادر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما .

٧ – فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس له فيه شانه الله . فأما الكلمة الاولى فهى منبع الخير وأصله ، والثانية أصل الشر وفصله . فان العبد اذا خلصت نيته لله تعالى وكان قصده وهمه وعمله لوجه الله كان الله معه ، فانه سبحانه وتعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وراس التقوى والاحسان خلوص النية لله فى اقامة الحق ، فاذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولا وكان قيامه بالله ولله لم يقم له شىء ولو كادته السموات والارض والجبال لكفاه الله مؤنتها وجعل له فرجا ومخرجا .

ولكن لا يكفى القيام بالحق اذا كان على غيره ، حتى يكون أول قائم به على نفسه .

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما وعليه ثوبان فقال : ايها الناس الا تسمعون ، فقال سلمان : لا نسمع . فقال عمر ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : انك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك ثوبان . فقال : لا تعجل يا عبد الله ، فلم يجبه احد ، فقال : ياعبدالله بن عمر ، فقال : لبيك ياأمير المؤمنين . فقال : نشدتك الله الثوب الذى ائتزرت به أهو ثوبك ؟ قال : نعم ، اللهم نعم ، فقال سلمان : أما الان فقل نسمع .

وأن من يظهر للناس أمرا على خلاف ما يبطن ، يعامله الله بنقيض قصده ، فان المعاملة بنقيض القصد ثابتة شرعا وقدرا . ولما كان المخلص يعمل له ثواب لخلاصة الحلاوة والمحبة والمهابة فى قلوب الناس عجل للمتزين بما ليس فيه من العقوبة ان شانه الله بين الناس .

البقية صفحة ٩٨

العمل للدين والدنيا

الدكتور محمد جمال الدين على عواد

ان الله سبحانه وتعالى قد اختص شريعة الاسلام بأن جعلها شريعة عامة ، وخاطب بها الناس كافة ، وكتب لها الخلود . فكان لابد من أن تحقق للناس سعادة الدارين ، وتنظيم شئون الدين والدنيا .

والاسلام يأمر أتباعه أن يقبلوا على الدنيافيملاوا جنباتها بالخير ويعمروها بالجد النافع ، والعمل المثمر . وهم فى زحمة الحياة لا ينسون أن أمامهم آخرة ينتظرون حسابها فيأخذون من دنياهم لاخرتهم .

وبهذا المنهج المستقيم فى العمل للدنيا والاخرة ، جاء القرآن الكريم يرسم للناس طريق العزة والسعادة . فقال تعالى : [وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك] . ومن هنا نرى أن الاسلام دين يحث على العمل ويدفع الى السعى والكد ، ويكره أن يرى المسلم خاملا فارغا من عمل يعود عليه وعلى أمته بالعزة والخير .

ولقد حارب الاسلام الخمول والعجز ، وأنكر فتور الهمة وانحطاط العزيمة . قال صلى الله عليه وسلم (اشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ] ، والمكفى هو الذى يكفيه غيره ضرورات الحياة والفارغ الذى لا عمل له .

ولقد دعا الله المؤمنين الى الصلاة فى المساجد ثم أمرهم بعد الصلاة أن يخرجوا الى ساحة العمل ، قال تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون] .

ولقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على العمل ودعا اليه حتى فى آخر لحظة من لحظات الحياة ، فيقول عليه الصلاة والسلام : (ان قامت الساعة وبيد احدكم فسيله فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر] .

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفاقة ، ثم رجع فقال : يارسول الله لقد جئتك من أهل بيت ما أرانى أرجع اليهم حتى يموت بعضهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : [انطلق هل تجد من شىء] فانطلق ، فجاء بحلس وقدح فقال : يارسول الله هذا الحلس كانوا يفرشون بعضه ، وهذا القدح كانوا يشربون فيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من يأخذهما منى بدرهم ؟] فقال رجل : أنا يارسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : [من يزيد على درهم ؟] فقال رجل : انا آخذهما باثنين . فقال عليه الصلاة والسلام : [هما لك] ، قال : فدعا الرجل ، فقال : [اشتر فأسا بدرهم وبدرهم طعاما لاهلك [. قال : ففعل ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام] انطلق الى هذا الوادى فلا تدع حاجا ولا شوكا ولا حطبا ولا تأتنى خمسة عشر يوما] فانطلق فأصاب عشرة دراهم ، ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره .. فقال عليه الصلاة والسلام [انطلق فاشتر بخمسة دراهم طعاما وبخمسة كسوة لاهلك] فقال : يارسول الله لقد بارك الله فيما أمرتنى . فقال عليه الصلاة والسلام : [هذا خير من أن تجىء يوم القيامة فى وجهك مكتة المسألة ان المسألة لا تحل الا لثلاثة : لذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع] .

وجاء رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب مالا فاعطاه ، ثم قال له : [اليد العليا خير من اليد السفلى] فحلف الرجل لا يسأل أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على العمل ، فأغناه الله من الحلال ، ودخل عمر — رضى الله عنه — المسجد فوجد رجلا لا عمل له ، فانتهره وضربه بالدرة وحضه على العمل .

ولقد حثنا القرآن الكريم أن سيدنا يوسف عليه السلام وضع لامته تخطيطا دقيقا أنقذها به من كارثة محققة ، ومجاعة قاسية ، وجدب يأكل اللحم والعظم ، فلما قيل له [يوسف أيها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات] أسرع عليه السلام بكشف اللثام عن الايام المقبلة ، ويرسم خطة اقتصادية محكمة كان لها الفضل كل الفضل فى وقاية الامة من غوائل الجوع والتهلكة . فقال : (تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون .

والمتتبع لسير الصحابة — رضوان الله عليهم — يرى انهم كانوا يعملون وينشطون ، فكان منهم التجار الذين يركبون متن البحار فى اسفارهم ويضربون فى فجاج الارض . وكان منهم الزراع الذين كانوا يعملون فى نخيلهم ومزارعهم وكان منهم العمال الذين كانوا يستأجرون فى مختلف الاعمال ، وذلك لان دينهم علمهم أن العزة فى الكد والعمل .

فالى الحياة المؤمنة العادلة قال تعالى [من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة] ، وقال لقمان لابنه [يابنى استعن بالكسب الحلال على الفقر فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاثة خصال : رقة فى دينه وضعف فى عقله : وذهاب فى مروءته] .

ولقد سئل الفضيل بن عياض عن الرجل يقعد ينتظر الرزق فى بيته ثقة بالله فقال : لم يفعل هذا الانبياء ولا غيرهم ، فقد كان الانبياء يؤاجرون أنفسهم وكذلك آجر النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأبو بكر ، وعمر . يقول الله تعالى : [وابتغوا من فضل الله] .

وفقنا الله جميعا الى ما يحبه ويرضاه ، ووقانا كل سىء ومكروه يلهينا عن العمل لديننا ودنيانا . انه سميع الدعاء والله ولى التوفيق .

التصوّف والفلسفة الإسلامية

من

مذاقات الصوفية فى العقيدة والتمسك بالشريعة

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

السادة الصوفية هم العلماء الربانيون العاملون بالكتاب والسنة والمجاهدون فى مرضاه الله تعالى حق الجهاد ايثارا له سبحانه عما سواه : وقد آتاهم الله الحكمة التى تنزل على قلوب المؤمنين بردا وسلاما فتشوقهم الى الله وترغبهم فى طاعته وتخوفهم من معصيته وتشدهم الى دوام مراقبته والتمسك بشرعه والهيام فى محبته ، لانه عز وجل أولى بالحب من كل حبيب ومحبوب ومن كل مأمول ومطلوب .

وقد سئل الامام رويم وهو من أعلامهم عن أول فرض افترضه الله تعالى على عباده ماهو ، فقال رضى الله عنه : المعرفة لقوله جل وعلا [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون] قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى « الا ليعبدون » فقال : معناها الا ليعرفون ، فعدل عن ظاهر اللفظ الى المعرفة .

ويقول الامام الجنيد رضى الله عنه وهو أمام الصوفية الاكبر فى القرن الثالث الهجرى : ان أول مايحتاج اليه العبد من عقد الحكمة ان يعرف المصنوع صانعه،والمحدث كيف كان احداثه،فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث فيذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته ، فان من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه .

ويقول الامام أبو الحسن النورى رضى الله عنه فى قرب الله من عباده : أما القرب بالذات ، فتعالى الله الملك الحق عنه ، فانه يتقدس عن الحدود والمقدار ، والنهاية والمقدار ، ما اتصل به مخلوق ، والا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل ، فقرب هو فى نعته محال ، وهو تدانى الذوات ، وقرب هو واجب فى نعته ، وهو قرب بالعلم والرؤية ، وقرب هو جائز فى وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل باللطف .

اقول : وقرب الفضل باللطف يشير به رضى الله عنه الى قوله تعالى [ان رحمة الله قريب من المحسنين] وقرب الفضل باللطف هو مقام فى التصوف قال عنه الامام الغزالى رضى الله عنه : يضيق نطاق النطق عنه وكل الذى أقوله لكم :

فكان ما كان مما لست أذكره : فظن خيرا ولاتسال عن الخبر
وقال عنه الامام الشاذلى رضى الله عنه : تضمحل العقول فى أقل القليل من وصفه . وقال عنه سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
سر أرق من النسيم اذا سرى
عنى خذوا ولى اسمعوا وبى اقتدوا
وتحدثوا بصبابتى بين الورى

وقال فيه سيدى الشيخ على عقل فى الهامه المرتجل رضى الله عنه :

ولم ابد أمرى للعباد فطالما
كتمت الذى ألقى عن الجن والانس
وادركت بالوجدان سر أحبتى
وعاينت آيات اليقين بلا لبس
وعشت زمانى لست أحفل بالورى
وكيف وقلبى هام فى مشهد القدس
اذا رضى الرحمن عن قلب عبده
جرت مركب الاقدار معه على اليبس

ويقول فيه الامام أبو بكر الشبلي رضى الله عنه :

فلمــــا أراني الوجد انك حاضرى
شـــهدتك موجــودا بــكل مــكان
فخــاطبت معــلوما بغيــر تــكلم
ولا حظت موجــودا بغيــر عيــان

ويقول فيه الامام ذو النون المصرى فى احدى مناجاته ، رضى الله عنه :

الهى ، ما أصغيت الى صوت حيوان ، ولا الى حفيف الشجر ، ولا الى خرير الماء ، ولا الى ترنم الطائر ، ولا الى تنغم طـل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقعة رعد ، الا وجدتها شاهدة بوحدانيتك ، دالة على انه ليس كمثلك شىء . وقد كان سيدى أبو اليـزيد البسطامى رضى الله عنه يجالس رجلا فقال المؤذن : اللــه أكبر ، فقال سيدى أبو اليزيد لجليسه :

مامعنى : الله أكبر ؟ فقال الرجل : أكبر من كل شىء ، فقال سيدى ابو اليزيد : ليس معه شىء فيقاس عليه ، فقال الرجل : فما معناها ؟ فقال : أكبر من ان يقاس بالناس أو يدخل تحت القياس أو يدرك بالحواس .

وهذا الذى قاله سيدى ابو يزيد فقوله عما قاله امامنا الحسين ابن على رضى الله عنهما حين سأله ابن الازرق كبير الخوارج : ياحسين صف لى الهك الذى تعبده ، فقال : يا ابن الازرق ، أصف الهى بما وصف به نفسه : أكبر من ان يقاس بالنـــاس أو يدخل تحت القياس ، أو يدرك بالحواس ، قريب غير ملتصق ، بعيد غير مستقصى ، لا اله الا هو الكبير المتعال ، وعندما سمع ابن الازرق جواب الامام الحسين رضى الله عنه قال : قد نبا الله عنكم أنكم قوم خصمون ، أى أقوياء الحجة على من جادلكم ، أقول : وصدق سيدى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما حين قال فى وصف فصاحة بنى هاشم رضى الله عنهم : انها السنة بنى هاشم التى تفلق الصخر ، وتغرف من البحر .

ومما تقدم نرى ان السادة الصوفية بريئون مما نسبوه اليهم ظلما وزورا بانهم يقولون بالاتحاد والحلول ، وحاشاهم ، وهم على نور من ربهم ، ان يخرجوا عن عقيدة التوحيد الخالصة من الشوائب الى الزندقة الضالة المضلة .

وهاهو ذا الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى الـذى نسبوا اليه القول بالحلول والاتحاد والاتحاد .. ينفى فى الفتوحات المكية الحلول والاتحاد صراحة فيقول رضى الله عنه : وأعظم دليل على نفى الحلول والاتحاد الذى يتوهمه بعضهم ان تعلم عقلا ان القمر ليس فيه من نور الشمس شىء ، وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر مجلاها ، فكذلك العبد ليس فيه شىء من خالقه ولاحل فيه .

وقال رضى الله عنه شعرا :

ودع مقالة قــوم قــال عالمهم	بانه بالاله الواحد اتحـــدا
الاتحاد مــحال لا يقـــول بــه	الا جهــول به عن عقله شردا
وعن شريعته وعـــن حقيقتـــه	فاعبد الهك لا تشرك به أحـدا

وما أروع ماقال رضى الله عنه :

احــد ما مثلــه احــد	بجمــال النعت منفــرد
الــذى قــام الوجــود بــه	أمرنا عليــه ينعقـــد

وقد نبه سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى مقدمة كتابه « اليواقيت والجواهر » الى ان سيدى محيى الدين ابن عربى كان متقيدا بالكتاب والسنة ويقول : كل من رمى ميزارة الشريعة من يده لحظة هلك ، وجميع مالم تفهمه الناس من كلامه انما هو لعلو مراتبه ، وجميع ما عارض الشريعة وما عليـه الجمهور فهو مدسوس عليه ، وأضاف رضى الله عنه يقول : كما أخبرنى بذلك سيدى الشيخ أبو طاهر المغربى نزيل مكة المشرفة ، ثم أخرج لى نسخة الفتوحات التى قابلها على نسخة الشيخ التى بخطه فى مدينة قونية ، فلم أر فيها شيئا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات .

ويقول سيدى الشيخ الشعرانى فى كتابه « لواقح الانـوار القدسية » انه ذاكر فيما توقف فيه وحذفه من كتاب الفتوحات العالم الشريف شمس الدين المدنى المتوفى سنة ٩٥٥ هـ فاخرج لـه نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة الاصلية التى كتبها المؤلف بخطه والموجودة بقونيه ، فلم ير فيها شيئا مما توقف فيه وحذفه ، واضاف سيدى الشيخ الشعرانى يقول : فعلمت ان النسخ التى فى مصر الان كلها كتبت من النسخة التى دسـوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة ، كما وقع له ذلك فى كتاب « الفصوص » وغيره .

أقول : وسيدى الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى رضى الله عنه هو القائل : ما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد ، وماقال بالحلول الا من دينه معلول . وهو القائل [باب ١٩٩ فتوحات] :

القديم لا يكون قط محلا للحوادث ، ولايكون حالا فى المحدث ، وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم ، لا ربط وجود عين بعين ، فان الرب لا يجتمع مع عبده فى مرتبة واحدة أبدا ، أقول : فهل بعد هذا الكلام الصـحيح والصريح ينسب اليه أعداء الاسلام القول بالحلول والاتحاد ، حاشاه ثم حاشاه .

ويقول سيدى مصطفى البكرى رضى الله عنه ، فى نفى الحلول والاتحاد ، فى كتابه « السيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والالحاد » :

دعـوى الحــلول والاتــحاد جهــالة
والوصـــــل ثم الفصــل جل الله
والحــق نــزه عـن خطــور خواطر
بالبــال قــد خطــرت تــعالى الله
فاتبــع شريعــة أحمــد خيــر الورى
مــن جــاد عنــه ربنـــا أرداه

ويقول سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه فيما نقلنـاه عنه من الهامه الفورى :

الصــدق والاخــلاص أســباب الهدى
يامدعــى التقــوى بلا اســتحقاق
انا لى مــن القــرآن خيــر معــلم
ومــن الحــديث منــابعى ومــذاقى

وكذلك نقلنا عنه رضى الله عنه مما قاله الهاما وارتجالا :

رأيتك لى من الــدنيا كفيــلى	ولم أر غير ركنــك من مقيــل
تحثنت الشكوك فما غرتنــى	وادركت الحقيقة فى مثـولى
وفتشت العـلوم وعارفيهـــا	فلم أر كالمحبة مـن دليلى
محبة خـالقى مشكاة قلبى	على انوارها ألقى وصـولى

وان الحب أشواق وصبر ... يعز على المنافق والكسول
سماء الحب تجذبنى اليها ... على زهرائها رفعت ذيولى
ولولا العلم والايمان حظى ... وعون الله يمنع من ذهولى
لقلت كلام ذى جذب وشطح ... لما أدركت من فضل جزيل
علومى فى الورى نفحات ربى ... مما بلغوا مذاقى أو شمولى
ولى من مشرق الايمان عله ... سموت به على كل الفحول

وعلم الفيض الالهى الذى يشير اليه سيدى الشيخ على فى كلامه المتقدم وارد فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة، فقد جاء فى القرآن مثلا [ففهمناها سليمان] وجاء فيه أيضا [فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما] كما قال تعالى [ولقد آتينا لقمان الحكمة] وقال تعالى [واوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين] . وجاء فى الحديث الشريف « من عمل بما علم ورثة الله علم مالم يعلم » كما قال صلى الله عليه وسلم « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » وقال كذلك صلوات الله وسلامه عليه « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » . والله سبحانه وتعالى يعلم الانبياء الكرام وحيا ويعلم الاولياء الهاما . والسادة الصوفية يقولون فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » أى باليقين لانه تعالى يقول [قد بينا الايات لقوم يوقنون] أى بينا لهم الايات بنور اليقين .

ويقول سيدى السلطان الحنفى رضى الله عنه فى ذلك :

أخذت العلم عن قلبى
عن الاسرار عن ربى

ويقول سيدى الشيخ على عقل فى الهامه المرتجل رضى الله عنه :

توجهنا لرب العالمينا ... وأصبحنا به متمسكينا
وأمسينا وآيات التجلى ... كستنا من محبته اليقينا
دخلنا روضة قوما حيارى ... تجلى سره الاعلى علينا
الان القطف حتى ان قطفنا ... ثمار الحب عدنا قاطفينا
وعزت دانيات مائلات ... فنلنا من تمايلها الشجونا
سكرنا لابخمر يد ولكن ... بعلم الله مولانا سقينا

ويهتم السادة الصوفية بتربية القلوب اى اهتمام ، لان القلب هو محل التقوى ، وهم يقولون فى معنى قوله تعالى [ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا] أى سمعنا النداء من قلوبنا لانه تعالى يقول (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) واذا كان الوصف المتقدم خاصا بالصالحين من عباد الله ، فقد قال تعالى فى غيرهم [أولئك ينادون من مكان بعيد] أى بعيد عن قلوبهم ، لانه تعالى يقول فى عمى القلب عن الحق [فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور] .

ويبين لنا سيدى الشيخ على عقل ان كسب التقوى يحتاج لجهاد جاد متواصل فيقول رضى الله عنه فيما نقلناه من الهامه النورى :

وما المحبة قولا قد نزخرفه
بل المحبة قلب قد وهبناه
أمسى على أرق أشتاق فى حرق
بالدفع فى عرق قصدى محياه
لا أنثنى عن هواه لحظة أبدا
وكيف أسلو وقلبى بيت تقواه
مارد ربك عبدا عن موارده
وهل يرد كريم من نرجاه

وقال رضى الله عنه مرة أخرى :

أتحسبنى أنساه فى العمر لحظة
وكيف وقلبى باسمه يترنم
أفاض على الحق من بحر جوده
فقلبى بغير الحق لا يتكلم

ويحكى سيدى ذو النون المصرى رضى الله عنه أنه رأى امرأة ببعض سواحل الشام ، فقال لها : من اين أقبلت رحمك الله ؟ قالت : من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ، فقال لها : والى أين تريدين ؟ قالت : الى قوم لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فقال لها : صفيهم لى ، فقالت :

قوم همومهم بالله قد علقت ... فمالهم همم تسمو الى احد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... ياحسن مطلبهم للواحد الاحد

ويقول سيدى الشيخ على عقل فى الهامه النورى رضى الله عنه :

وفؤادى لما تعلق بالله ... ترقى الى أعز بيان
لازم الله باليقين ترقى ... وتلقى موارد الاحسان
لو تراه والحب فيه كمين ... فيه عينان بالهدى تجريان

ولعله يشير بقوله : فيه عينان بالهدى تجريان ، الى علم الشريعة والى علم الحقيقة فانهما يجتمعان من فضل الله لخواص عباد الله الاتقياء الاصفياء [الذين اصطلحوا فى القرن الثانى ومابعده على تلقيبهم « بالصوفية »] ولذلك يقال لسيدى القطب الاكبر ابراهيم الدسوقى « أبو العينين » رضى الله عنه وأرضاه وهو القائل فى شعره :

سقانى محبوبى بكاس المحبة
فتهمت على العشاق سكرا بخلوتى
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا
أطوف عليهم كرة بعد كرة
وتاه منى سرا بسر وحكمة
وان رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدا حفظت لعهده
وعشت وثيقا صادقا بمحبة
وكم عالم قد جاءنا وهو منكر
فقام لفضل الله من أهل خرقتى

وقولنا فى قراءة الفاتحة [اياك نعبد] شريعة ، وقولنا [واياك نستعين] حقيقة ، لان الشريعة القيام بما أمر الله تعالى ، والحقيقة هى شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر .

وبلخص سيدى الامام الاكبر أحمد الرفاعى التصوف فى كلمات قليلة فيقول رضى الله عنه : طريقى دينى بلا بدعة ، وهمة بلا كسل ، وعمل بلا رياء ونفس بلا شهوة ، وقلب عامر بالمحبة .

أما أمامنا الاكبر وشيخ شيوخنا سيدى أحمد البدوى فكان رضى الله عنه يقول : ليس التصوف الزهد أو لبس الصوف ، وانما التصوف أعمال ومجاهدة وأخلاق والاخذ بأيدى الناس الى خير الدنيا والاخرة . كما كان رضى الله عنه يقول : أحبه يحبك أهل الارض والسماء ، وأطعه يطع لك الجن والانس ويجف لك البحر ويخضع لك الهواء .

وأما الامام الاكبر سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فكان يعلم اتباعه أول ما يعلمهم ان الله تعالى لاينظر الى وجوه الناس وأحسابهم ، وانما ينظر الى قلوبهم وأعمالهم ، وان المراد بالعلم هو العمل به ، فالفقية هو من عمل بفقهه ، والمحدث لايكون محدثا وحافظا الا اذا طبق الحديث على نفسه ، وأعد قلبه ليكون على قلب صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم ، وقارىء القرآن اذا لم يعمل بكل حرف قرأه أو حفظه فقد برىء منه القرآن .

وحسبك ان ترى فى هؤلاء الائمة الكبار من هم السادة الصوفية فى علمهم وعملهم وأحوالهم وأخلاقهم ، فينظر الى التصوف والصوفية بين الاكبار والاعجاب فهم ورثة السادة الصحابة الكرام الذين كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، وصدق سبحانه اذ يقول :

[أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر اولوا الالباب] .

وما أروع مايقوله سيدنا الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه فى وصف العلماء الربانيون هؤلاء حين قال :

الناس ثلاثة ، عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا الى ركن وثيق .

ثم يصف رضى الله عنه العلماء الربانيين فيقول :

هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وانسوا بما استوحش منه الغافلون ، عاشوا بابدان أرواحها معلقة بالملا الاعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة لدينه .

ويقول سيدى عمران القصير رضى الله عنه : سألت الامام الحسن البصرى رضى الله عنه شىء فقلت : ان الفقهاء يقولون كذا وكذا ، فقال : وهل رأيت فقيها بعينيك ، انما الفقية الزاهد فى الدنيا ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة الله عز وجل :

ويقول سيدى الامام سراج الطوسى صاحب كتاب اللمع ، رضى الله عنه ، فى خصائص السادة الصوفية :

ومم انفرد به السادة الصوفية بعد أداء الفرائض واجتناب المعاصى ، بترك مالا يعنيهم ، وقطع كل علاقة تحول بين مطلوبهم ومقصودهم ، وليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تبارك وتعالى ، .. وقد اختصوا ببذل الجاه والشفقة على الخلق ، والتواضع للصغير والكبير ، والايثار فى وقت الحاجة اليه وحسن الظن بالله ، والتوجه الى الله تعالى ، والانقطاع اليه ، والرضا بقضائه ، ومداومة المجاهدة ، ومخالفة الهوى ، ومجانبة حظوظ النفس ، ومخالفة هواها فقد وصفها الله تعالى بأنها أمارة بالسوء ؟ والنظر اليها على انها أعدى عدوك الذى بين جنبيك كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أعظم ما اختصوا به من النعم دوام المراقبة وهو أعلى مراتب الاحسان .

ويقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فى الهامه المرتجل واصفادوام مراقبته لربه جل وعلا :

لى فيكمو أمل منه أرى صلتى
ياخير من بفؤادى العمر مابرحا
اذا سعيت وجنح الليل يقعد بى
رأيت صبح هواكم للظلام محا
لو قيل للقلب ماذا أنت مقترح
لم يلق غير حمى الرحمن مقترحا

ويقول الشهيد الحلاج رضى الله عنه :

والله ماطلعت شمس ولاغربت
الا وحبك مقرون بانفاسى
ولا جلست الى قوم أحدثهم
الا وأنت حديثى بين جلاسى

وتقول السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها :

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد انيسى

ووجود العارفين بالله فى المجتمع من نعم الله على المؤمنين ، والعارفون قلة فى عددهم لكن أثرهم كبير فى الدعوة الى اللهبالقول والفعل والحال ولا يخلومنهم جيل من الاجيال المتعاقبة ، وماأصدق مايقول امامنا على بن أبى طالب فى شأنهم حين قال كرم الله وجهه :

[لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ، اما ظاهرا مشهورا ، او خائفا مغمورا ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم هم ؟ وأين اولئك ؟ والله انهم الاقلون عددا ، والاعظمون عند الله قدرا .

وقد سئل أمام طريقتنا سيدى الغوث الحاج محمد ابو خليل طيب الله ثراه : هل يظهر فى الناس أمثال سيدى أحمد البدوى أو سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنهما فقال : ان الذى أعطى البدوى موجود والذى اعطى الدسوقى موجود وأضاف رضى الله عنه تاليا قوله تعالى [وما كان عطاء ربك محظورا] .

وقد سال أحد الناس عارفا بالله تعالى : هل هناك من يربى فى زماننا فاجابه العارف : وهل هناك من يتربى ؟ فاضاف فى جوابه القصور الى همة المريدين لا الى عدم وجود العارفين .

ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات عند قوله تعالى فى شأن أهل الكهف [وربطنا على قلوبهم] : كاشفهم فى اسرارهم بما زاد من أنوارهم ، فلقاهم أولا التبيين ، ثم رقاهم عن ذلك باليقين ، ويقال : [ربطنا على قلوبهم] بأن أفنيناهم عن الاغيار ، وأغنيناهم عن التفكر بما أوليناهم من أنوار التبصر ، ويقال : [ربطنا على قلوبهم] بما أسكنا فيها من شواهد الغيب ، فلم تسنح فيها هواجس التخمين ، ولا وساوس الشياطين .

وفى قوله تعالى [لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا] قال رضى الله عنه : من أحال الشىء على الحوادث فقد أشرك بالله ، ومن قال ان الحوادث من غير الله فقد اتخذ الها من دونه .

اقول : وقد وقف علماء المشركين عند المادة وتركيباتها وجزئياتها وأثرها فى الابادة والتدمير فى الحروب والايمان بخالق المادة وجزئياتها على هذا النظام المعجز ، وصدق سبحانه حين قال فى شانهم [ولكن أكثر الناس لايعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون] ونعوذ بالله تعالى من الغفلة عن الاخرة التى خلقنا لها ، ونبهنا اليها كثيرا فى كتابه الكريم ، وصغر لنا أمر الدنيا فى جذ بالاخرة لنكون على بينة من أمرها ، ويكفينا على سبيل المثال ان نذكر قوله تعالى [وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون] . ويقول الامام شقيق البلخى رضى الله عنه : عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الاخرة فاصبته فى قوله تعالى [وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون] .

اقول : فانظر كيف نفى سبحانه العقل عمن تلهى بدنياه عن اخراه ، وقد أمرنا الله ان نسعى للاخرة سعيها فى ايمان بالله ورسوله فقال تعالى [ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا] وقرب سبحانه لنا يوم القيامة للانسوف الصالح الذى يرضى به الله عنا فقال تعالى [ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون] فانظر كيف صور الله تعالى قرب يوم القيامة فى قوله عز وجل « لغد » كانها تقوم غدا ، وانظر كيف انسى سبحانه الغافلين عن ربهم انفسهم أى انساهم النظر فيما ينفعها والعمل لصالحها يوم ينظر المرء ما قدمت يداه . ثم انظر كيف ابرز الله تعالى الفرق بين أهل الجنة وأهل النار فقال بعد ماتقدم [لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون] .

وقد كان شيخ طريقتنا الاكبر سيدى أبو خليل رضى الله عنه وارضاه يقول فى دعائه : اللهم بجاه نبيك المصطفى ، وحبيبك المجتبى ، وأمينك على وحى السماء ، سيدنا ومولانا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، نسالك ان تغفر ذنوبنا ، وتستر عيوبنا ، وتكتب لنا براءة وعتقا من النار ، وأمنا من العذاب ، وجوازا على الصراط ، وطريقا الى الجنة ، وعاقبة الى الخير ، اللهم توفنا يا الهى بكرمك مسلمين مؤمنين موحدين ، والحقنا بالصالحين ، آمين .

والصالحون الذين طلب سيدى الشيخ الاكبر اللحوقى بهم هم السالكون صراط الله المستقيم الذى بينه الله تعالى اجمالا فى قوله تعالى [قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون] .

بقية مقال ـ التبعة والمسئولية بين العالم والقاضى ـ

وكان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من خشوع النفاق قالوا : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع وأساس النفاق وأصله هو التزين بما ليس فى الباطن من الايمان .

٨ ـ فان الله لا يقبل من العباد الا ما كان له خالصا فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزق وخزائن رحمته والسلام .

ان الله لا يقبل من العباد الا ما كان له خالصا ومعنى ذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه وهو سبحانه انما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه وما عدا ذلك من الاعمال فانه لا يحبها ، بل يمقتها ويمقت أهلها لقوله تعالى (**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) .

وقد عظم الله جزاء المخلص فى الدنيا ، ثم يوفيه أجره يوم القيامة كما قال تعالى « **وانما توفون أجوركم يوم القيامة** » وكما قال تعالى عن ابراهيم (**وآتيناه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الاخرة لمن الصالحين**) وكقوله تعالى (**للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الاخرة خير ، ولنعم دار المتقين** » ، « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) .

فلهذا قال أمير المؤمنين : فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

تلك هى التبعة والمسئولية بين العالم والقاضى ، ما أحوجنا اليوم الى الوفاء بها من أجل حياة حرة كريمة تجد البشرية فى ظلها الامن والطمأنينة والسلام .

العلم والإيمان

شعب مسلم في إفريقية يكافح الاستعمار

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

فى افريقيا أمم وشعوب وقبائل عاشت ومازالت تكافح الاستعمار فى أشنع صوره وأبشع أساليبه وألوانه منذ أن ابتلى الله هذه القارة الهادئة المثمرة بالاستعمار برتغاليا وبريطانيا وفرنسيا ، وبلجيكيا وايطاليا ، الى آخر ما كان من القوى الاستعمارية الاوروبية التى تسلطت على مقدرات هذه القارة ونهبتها نهبا وفعلت بأهلها الافاعيل . ثم كانت الحرب العالمية الثانية ، وكان من تطور الاحداث والاوضاع أن بدأت ظلال الاستعمار الاوربى تنحسر عن افريقيا خطوة فخطوة ، وبدأت دول القارة تأخذ طريقها الى الاستقلال فى جهد وعناء دولة بعد دولة ، حتى آن الاوان أخيرا بعد كفاح طويل مرير فبدأ الاستعمار البرتغالى العتيق يستعد لحمل عصاه والرحيل عن القارة ، وانما بقى هناك شعب مسلم عاش تحت وطأة الاستعمار البغيض محروما من أبسط الحقوق الانسانية ومازال يكافح من أجل حريته ومصيره ولكن المؤامرات الاستعمارية تأبى أن يكون له مصير أو وجود فى وطنه وفى دولته التى ازدهرت قرونا على مدى التاريخ ، وأعنى به شعب ارتيريا العظيم .

وارتيريا اقليم على الساحل الشمالى الشرقى لافريقيا ، وموقعها على البحر الاحمر موقع استراتيجى هام له بالصومال والسودان ومصر صلة عضوية بحكم الجوار والدم والعقيدة والتاريخ ، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين وهم عرب أصلاء أقحاح . واسلامهم عريق ، فقد دخل الاسلام الى ارتيريا والصومال منذ القرن الاول للهجرة ، ولهم غيرة على دينهم ، وتعلق شديد بنسبهم العربى ، وقد كان هذا كله مما جلب عليهم الاهوال ، وجعلهم نهبا للمؤامرات الاستعمارية منذ أواخر القرن التاسع عشر ومازالوا يعانون منها الى اليوم .

كانت ارتيريا دولة اسلامية لها كيانها ولها شخصيتها ، وكانت تعيش فى نطاق الوحدة التى تخضع للخلافة الاسلامية ، ثم دهم الاستعمار الاوربى القارة الافريقية خلال القرن التاسع عشر وأخذت الدول الاوربية تتقاسم مناطق القارة وأقاليمها المثمرة جشعا وطمعا فى الاستيلاء على المواد الخام لصياعاتها ، فلما شقت فتاة السويس وأصبح البحر الاحمر طريقا ومنفذا قريبا الى أوربا اشتد التنافس بين الدول الاستعمارية ، وبخاصة بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا على تلك المنطقة الاستراتيجية الهامة من الساحل الشرقى لافريقيا ، وما يسمونه بالقرن الافريقى ، وكان ان تقاسمت الدول الاستعمارية الثلاث الصومال فيما بينها ، وأخذت ايطاليا الى جانب قسمها من الصومال اقليم ارتيريا فى عام ١٨٩٠ ، والحق ان هذا التقسيم لم يتم بسهولة ، فان سكان هذه المناطق عرب فيهم النخوة العربية ، مسلمون وفيهم العزة الاسلامية ، فدافعوا عن وجودهم وكيانهم دفاعا مريرا ، وعمدت الدول الاستعمارية الى خططها المعروفة فى التآمر فأخذت تفوق الاسلحة والمساعدات على فيليب الثانى ملك الحبشة لمحاربة هؤلاء العرب المسلمين والبطش بهم فأرتكب فى حربهم من الاساليب الوحشية ما لا مثيل له فى التاريخ ، وعلى أى فقد أصبحت ارتيريا مستعمرة ايطالية وأصبح شعبها يعيش تحت وطأة الاستعمار الايطالى ، وناهيك بالاستعمار الايطالى بطشا واستعبادا وفتكا بالابرياء . وهل هناك من ينسى ما صنع هذا الاستعمار بالبطل عمر المختار وبأبناء ليبيا ، بل ما صنع بالاحباش أنفسهم يوم ان خيم على بلادهم فى عهد الفاشى .

عاشت ارتيريا وعاش شعبها فى جحيم الاستعمار الايطالى أكثر من نصف قرن – من عام ١٨٩٠ الى ما بعد الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٩ ، وكان لابد من تصفيته الاستعمارية كلها لايطاليا فى افريقيا بعد أن هزمت وخرجت ممزقة من الحرب ، ووضعت الدول الكبرى تصفية هذه الشركة بين يدى الامم المتحدة ، فكان ان نالت ليبيا استقلالها ، ووضع الصومال تحت الوصاية ثم نال استقلاله ، ودخل عضوا فى الجامعة العربية ، اما ارتيريا فكان وضعها غريبا عجيبا ، وكان هذا الوضع من صنع الدول الاستعمارية وتدبيرها فى الامم المتحدة .

لقد كان من الطبيعى بعد تصفية الشركة الاستعمارية لايطاليا فى افريقيا أن تنال ارتيريا استقلالها وأن تعود كما كانت قبل الاستعمار الايطالى دولة ذات سيادة ، وأن يكون لشعبها حريته واستقلاله ودياته كما تم فى ليبيا والصومال ، ولكن بريطانيا كانت حريصة على هذا الموقع الاستراتيجى الذى يتسلط على البحر الاحمر ، وظهر هيلاسلاسى امبراطور الحبشة يطلب أن يكون له منفذا الى هذا البحر وهو منفذ لا يتحقق الا عبر أراضى ارتيريا ، وكانت بريطانيا على ثقة من هيلاسلاسى ، فقد لجأ اليها بعد أن سلبه موسوليينى عرشه ، وهى التى ردته الى هذا العرش ، وبالتالى ظهرت أمريكا الوريث الجديد للنفوذ الاستعمارى فى افريقيا تريد هى الاخرى أن تبنى قاعدة لنفوذها على أطلال الاستعمار القديم ، وكانت أمريكا تطمئن الى هيلاسلاسى أسد يهوذا والوريث الشرعى لملك سليمان ، وتحت المؤامرة على ادماج ارتيريا فى امبراطورية هيلاسلاسى على أن يكون للدول الاستعمارية ما تريد من امتيازات عسكرية واقتصادية فى المنطقة ، وعقد الامبراطور اتفاقيات سرية على ذلك مع هذه الدول .

وبدأ تنفيذ المؤامرة الاستعمارية الامبراطورية ضد شعب مسلم سلبه الاستعمار الايطالى من قبل كل مقومات القوة ، وأشعل الامبراطور حربا أهلية فى داخل ارتيريا ، أو هكذا بدا أنها حرب أهلية ، والحقيقة أنها كانت بين شعب ارتيريا المسلم وبين قوات وعملاء أقحمهم الامبراطور على ارتيريا ، وتدخلت الدول الكبرى التى كانت لها الوصاية على مستعمرات ايطاليا ، وأحالت القضية فى غلافها الاستعمارى الجديد الى الامم المتحدة ، وانتقلت لجنة الامم المتحدة الى ارتيريا لتقصى الحقائق كما يقولون ، وكانت اللجنة من ممثلين لبورما واتحاد جنوب افريقيا وجواتيمالا والنرويج وباكستان ، وحدث خلاف فى اللجنة ، وأخيرا أوصت اللجنة بحل وسط يوفق بين طلب ارتيريا بالاستقلال التام ، وطلب الامبراطور بادماجها التام فى بلاده ، وبناء على هذه التوصية اقترحت الولايات المتحدة الامريكية « قيام اتحاد فيدرالى بين أثيوبيا وارتيريا ، وأصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها بقيام هذا الاتحاد ، وقد نص القرار فى مادته الاولى على أن « ارتيريا وحدة مستقلة ذات سيادة ، متحدة مع اثيوبيا فيدراليا فى الشئون الخارجية والدفاع » .

لم يكن من الطبيعى أبدا أن يكون هناك اتحاد بين قوتين غير متكافئتين ، وكانت الدول الاستعمارية تعرف تماما ، وكان الامبراطور مع هذه الدول يعرف أن هذا الاتحاد يجعل باب المؤامرة مفتوحا لالتهام ارتيريا ووضع شعبها تحت وطأة استعمار هدفه الاول والاخير هو تصفية هذا الشعب المسلم الذى يصر على وجوده ؟ ويرى الاستعماريون فى وجوده عقبة أمام أطماعهم ، وهكذا الامبراطور يعمل على اهدار بنود هذا الاتحاد ويحطم كل مقوماته ، فعين حاكما من قبله على أرتيريا يتصرف فى حكمها وفقا لرغبة الامبرطور ، وينزل العلم الارتيرى ، والغى الدستور وعطل جميع المؤسسات الارتيرية ، ثم الغى اللغة العربية وفرض اللغة الامهرية على شعب أرتيريا ، ثم لم يلبث ان احتل أرتيريا بجيوشه وزج بالالاف من أبناء أرتيريا فى السجون ، وأعلن ادماج أرتيريا فى بلاده ادماجا كاملا تحت سمع العالم وبصره ، وتحت أنظار الامم المتحدة .

ووقف شعب أرتيريا يدافع عن حريته ووجوده ، بل عن انسانيته التى حرم منها ، وضربت القرى فى أرتيريا بالنابالم ، ودخلت اسرائيل لتساعد فى ضرب الشعب الاعزل حتى يكون لها نفوذ فى تلك المنطقة المتسلطة على البحر الاحمر ، وسلب شعب ارتيريا أبسط الحقوق الانسانية التى يمكن أن تكون لكل شعب من الغذاء والتعليم وحرية العبادة ولكنه وقف صامدا صابرا يكافح ويناضل ويبذل الدم بكل ما لديه من امكانيات . وأخيرا قامت الثورة الاثيوبية لتصفية الحكم الاقطاعى وأساليبه العتيقة ، ولا شك أن موقف أرتيريا وشعبها الثائر كان من العوامل الايجابية فى نجاح هذه الثورة ، واذا كان من شأن الثورة وأهدافها أن ترد الامبراطوريه الى طبيعتها ، وان تعمل على تحقيق الاستقرار الطبيعى فى جميع الامور ، فان من الانصاف ، بل ان أدل واجب فى هذا الشأن هو أن يتحقق الامن والاستقرار وتتحقق الانسانية لشعب أرتيريا ، وأن يعيش فى وطنه حرا مستقلا يبنى للتعمير وللانسانية .

ان قضية شعب أرتيريا قضية انسانية قبل اى شىء ، انه شعب عربى مسلم عريق وأصيل ، والواجب علينا أن ننصره فى حقه ، ولكننا ندعو الى انصاف هذا الشعب انصافا انسانيا ، والانسانية حق مشاع بين جميع الاديان ، والدفاع عنها واجب فرضته جميع الاديان ، ونحن نعتقد أن شعب أرتيريا سينال استقلاله وحريته وكل حقوقه الانسانية لا محالة ، ولكن من الواجب على أبناء الانسانية جمعاء ، وعلى كل الدول والامم التى تنادى بالسلام والحقوق الانسانية ألا تترك هذا الشعب وحده بعد أن عاش دهرا فى أهوال الاستعمار .

■ ■ ■

اعتذار

اعتذر للقراء لانى لا أتمكن من كتابة المقال الذى وعدتهم به عن كتاب الاضواء القرآنية نظرا لضيق الوقت ، وموعدنا عدد قادم ان شاء الله .

عام من الإيمان

الأستاذ أحمد زين

كل عام وأنتم بخير .. أننا نبدأ عاما جديدا .. سعيدا مباركا باذن الله .. نبدأ عاما ينتصر فيه جند الله .. وتعلو فيه كلمة الله .. وتملأ الله أكبر الدنيا كلها .. ويعود الينا المسجد الاقصى .. نبدأ عاما فى غرة الاسلام تزداد .. ومجد الاسلام يزدهر .. ونصر الله يقترب ..

ونحس أن الدنيا أقبلت علينا بعد أن اتجهنا الى الله .. وان الله سبحانه وتعالى مسح اليأس ووضع بدلا منه الامل .. ومسح الدموع ووضع بدلا منها ابتسامة الحياة ..

ونحس أننا تدينا بايماننا أكثر مما تدينا بسلاحنا .. واقتربنا من الله فأيدنا بنصره .. وما النصر الا من عند الله ..

اليوم ذكرى هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لم تكن الهجرة من المعركة ولكنها كانت بدءا للمعركة .. لم تكن بعدا عن القتال ولكنها كانت قربا من القتال .. لم تكن ضعفا فى الايمان .. ولكنها كانه قوة وزيادة فى الايمان ....

فى ذكرى هجرتك يا رسول الله تملأنى الخواطر ..

وأحس أن الاسلام فى حاجة الى مولد جديد يدخل فيه الى القلوب ليجعلها صلبة .. والى النفوس ليجعلها شجاعة .. والى الدنيا ليضعها فى ميزانها الحقيقى ..

واتذكرك يا سيدى يا رسول الله فى أول دعوتك .. وأنت وحدك أو حولك نفر قليل ممن لا حول لهم ولا قوة ...

تقاوم هذا الطوفان من البشر .. أولئك الذين يملكون الحياة والسلطان والدنيا ..

فما يهتز ولاترتج .. وان تمضى فى طريقك ..

واحس بك وحدك فى الغار .. وأولئك الذين شرعوا سيوفهم يريدون قتلك على الباب .. يريدون جسدك الطاهر ونفسك الطيبة .. دعوة الحق التى تدعوها .. وأنت تسمع أصواتهم يا سيدى يا رسول الله .. وطمأنينة الايمان تملأ قلبك .. وتقول قولك المشهور ..

ما ظنك فى اثنين الله ثالثهما ..

واراك وقد جمعت لك القبائل .. وحاصروك فى المدينة فى غزوة الخندق ويد أضعاف النفوس تهتز نفوسهم .. وأحسست بقوى أكبر منك كثيرا تحيط بك من كل جانب .. ويتربص بك .. لم تكن المعركة متكافئة ولا شبه متكافئة .. ولكن ذلك لم يزعزع ايمانك .. ولم يصل الى قلبك .. بل بقيت مستعدا للقتال تمثلا فيك قول الله تعالى .. « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** » .. **فزادهم ايمانا .. وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » .. « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** » .

وادهشت يا سيدى يا رسول الله .. يوم مات ابنك ابراهيم وحدث خسوف فى الشمس .. وقال المسلمون حدث هذا بسبب موت ابراهيم . واذا بك وانت النبى الذى له أكثر من معجزة تصلى بالناس .. ثم تقول لهم بملىء فيك « **ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله .. لا ينخسفان لموت أحد** » .. وتقضى على الخرافات فى دينك .. وتتمسك بالحق ..

ان ذكرى مولدك يا رسول الله تحمل أكثر من معنى .. تحمل معنى انتصار الايمان على الشرك .. والحق على الباطل .. والعدل على الظلم .. والانسان على الشيطان .. وهى تحمل بدون ذلك كله الله الكبير العظيم أنه

لا اله الا الله ....

الطريق الى الله يملاه النور .. ليس فيه ظلمات تخفى وراءها أشياء مبهمة .. ولا سراديب تتوه فيها الحقائق .. ولا التواءات مسدودة أو انحناءات تجعلك تشعر بالضياع .. بل ان العكس هو الصحيح .. فالابتعاد عن الله هو الذى يلقى بنا فى بحر الظلمات .. ويجعلك تائها تدور حول نفسك .. ضائعا تبحث عن كيانك ...

والطريق الى الله يملاه العدل .. أنه يطالب بالحق للضعيف وبالنصرة للمظلوم .. وبالحماية لليقيم وبالاطعام للجائع .. وبالاحسان للفقير .. وباعطاء الناس حقوقهم كاملة غير منقوصة وبشهادة الحق وعدم الميل مع القريب او النسيب .. بل انه يطالبنا

بالعدل مع من اساء الينا ٠٠ وباتقان العمل ٠٠ انه يطالبنا بكل القيم التى تخلق الرجال .. وتقيم مجتمعنا مجتمعا صادقا يملاه الخير والبركة ...

والله موجود فى كل واحد فينا .. حتى أولئك الذين تمتلىء حياتهم بالاثام ٠٠ وتحيط بهم الدنيا من كل جانب لتفرقهم وتبعدهم عن كل شىء آخر .. حتى أولئك تأتى لحظة من اللحظات يفيقون فيها ٠ تسقط كل الحجب عنهم .. تزول كل الاغطية المصطنعة .. وينظرون الى أيديهم فاذا لا شىء فيها .. وينظرون حولهم فاذا فراغ فى فراغ .. وتتجه أنظارهم الى السماء .. وتصيح قلوبهم يارب نطلب رحمتك .. أنها اللحظات التى يحس فيها الانسان بحقيقة الحياة ٠ بأن الدنيا بكل ما فنها .. تقف عاجزة أمام قدرة الله .

واقصر الطرق الى الله وأطولها هو الايمان .. ولكن .. هل الايمان طريق سهل .. هل هو مجرد كلمات .. يرددها طرف اللسان ولا تصل الى القلب وتهز النفس بعنف لتفيق .. هل الايمان طريق صعب لا يصل اليه الانسان الا بعد جهد كبير .. أم هو طريق المستحيل .. وسط ما نعيش من دنيا يجذبنا بقوة .. ومتع الحياة تشدنا بعنف .. واشياء يحققها العلم أقرب للمعجزات .. يحاول بعض الناس أن يهزوا بها الايمان من جذوره .

اين الايمان من هذا كله ٠٠ واين الانسان ؟

وقبل أن ابدأ حديثى أقف لحظة ٠٠ ان كل شىء تحقق فى هذه الدنيا كان وراءه ايمان به . كان وراءه انسان مقتنع بفكرته يجاهد فى سبيلها ويتخطى العقبات واحدة بعد الاخرى .. ويقدم التضحيات وراء التضحيات حتى يحقق فكرته وتبرز الى الوجود ٠٠ كل ماتحقق كان وراءه ايمان قوى بشىء ما يمكن أن يتحقق .. واستطاع الايمان أن يمسح بيده حبات العرق وان يخفف الدموع وان يمحو سهر الليالى .. وان يتغلب على سخرية الناس .. وفى كلمات قليلة استطاع ان ينتصر .. وكل انسان عمل لفكرة ما او لشىء وهو غير مؤمن به ٠٠ عمل بلا اقتناع لم يستطع ان يصل الى النجاح ٠٠

ان الايمان هو الوقود الذى يغذى ٠٠ وهو القوة التى تتضاءل أمامها كل ما تستطيع أن تهبه الحياة ٠٠ بل هو القوة التى ترتفع فوق الحياة نفسها فنجد الانسان يقدم حياته طائعا مختارا فى سبيل ما يؤمن به ٠٠

ومهما حاولنا أن نفلسف الامور أو نعقدها أو نلبسها أثوابا براقة فان حفنة مؤمنة بشىء ما لابد ان تصل اليه وتحققه ولايستطيع الزمن ان يهزمها ولا ان تقتلها الاحداث .. ولا ان تقتلعها الاعاصير والزوابع مهما كانت ٠٠ ذلك انها تعمل للهدف وتنسى كل ماهو شخصى .. انها لا تتوقف أبدا لتسأل نفسها ماذا أستفيد ٠٠ واذا كان هذا صحيحا فى الطريق الى العلم والتقدم .. فكيف يكون فى الطريق الى الله .. ومرة أخرى .. ولنبدأ من أول الطريق .. ما هو الايمان .. كلمة صغيرة تحتاج الى مجلدات لشرحها ٠٠ ولكنها اكثر من ذلك كله تحتاج الى ان تكون بعيدة عن اى تزمت يقتلها ٠٠ أو أية صعاب تجعلها أشبه بالطلاسة التى لا تعرف لها حلا .. ان الايمان قريب منا جميعا ٠٠ بل هو فى قلوبنا ٠٠ مهما كانت هذه القلوب ٠ (وخلق الانسان ضعيفا) هكذا قال الله سبحانه وتعالى ولذلك فان ضعف الانسان لا يمكن ان يبعده عن الطريق الى الايمان ٠٠ كلنا ضعفاء ٠٠ كلنا نظلم انفسنا ٠٠ كلنا محتاجون الى رحمة الله قبل عدله ٠ والا مابقى على الارض من بشر .. ان رحمة الله ليست للمؤمنين فقط .. انها لكل من يريد أن يتوب . كلنا يستطيع ان يتقرب الى الله خطوة خطوة .. درجة درجة .. وفى كل خطوة وكل درجة تحس ان الصلة بيننا وبين الله تزداد .. ونحس بصوت الله داخل نفوسنا يقوى ويشتد .. ونظل على الطريق ٠٠ تملاه عيوننا الدموع مرة ومرة ٠٠ ويملا قلوبنا الندم مرات ومرات ٠٠ ولكننا نمضى .. ونمضى حتى نصل ..

ونحن حينما نمضى .. لدينا مصباح يضىء لنا الطريق .. انه الامل . والامل هنا نور لا ينطفىء .. وضوء لا يذهب .. وعين ترى فى أشد الليالى ظلاما نور الفجر .. « **لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » هكذا قال الله سبحانه وتعالى .. وضع اليأس فى مرتبة الكفر ٠٠ فتح طريق الامل بلا قيود ولاحدود ٠٠ وكم احاطت بنا الظلمات وتلفتنا حولنا فلم نرى شيئا . ووقفنا حائرين .. لا ندرى ماذا نفعل .. ولا الى أى طريق نسير .. واحسسنا بكل شىء يتخلى عنا ٠ وشعرنا بكل من فى الارض يعمل ضدنا .. وأحسسنا أنه لم يبق شىء أى شىء .. واتجهنا الى الله .. نطلب رحمته .. وبدأنا نعمل من جديد .. واذا بالطريق ينير .. واذا بالدنيا تتحول .. حتى الرسل مرت بهم لحظات يأس قاتلة .. « **حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا** » .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد شطب كلمة اليأس من الطريق اليه فيجب أن نمحوها من حياتنا .. وان نستيقظ كل صباح يملانا أمل لا يهتز فى الله .. ان نعرف انه «**ان مع العسر يسرا**» وليس بعده بل معه .. ان تتجدد آمالنا مع كل فجر .. ان لا تضل أقدامنا ولا تضيع نفوسنا ولا نسمح أن تصبح حياتنا قطعة من العذاب المرير .. ما معنى الامل ؟ .. هل معناه التمنى ؟ ٠٠ هل معناه احلام اليقظة ٠٠ هل معناه الوهم .. هذه أشياء بعيدة كل البعد عن معنى الامل فى الله ٠٠ فلا التمنى يستطيع ان يحقق شيئا ٠٠ ولكنه العمل مع الايمان ..

ولقد عملنا يوم ١٠ رمضان فى حرب العاشر من رمضان عملنا ٠٠ فنصرنا الله . وسنعمل . وسنحارب ونجاهد . متمثلين هجرتك الكبرى يا سيدى يا رسول الله . وكفاحك . سنقاتل حتى يتحقق النصر . باذن الله . وكل عام وأنتم بخير ...

من دعائم النصر

الإيمان والسكينة

فضيلة الدكتور

■ محمد سعاد جلال ■

قال تعالى « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما » .

١ ـ المناخ الذى تجرى فى مسالكه هذه الايات ، هو غزوة « الحديبية » والصلح الذى وقع فيها ، وقد اشتمل هذا الصلح من النبى على تنازلات سياسية كثيره حركت نفوس بعض الصحابة بالتردد والامتعاض ، فمن هنا وصفها القرآن بأنها فتح مبين وانها نصر عزيز تثبيتا لقلوب الصحابة وازالة لامتعاض نفوسهم وايماء لهم بالتريث والانتظار لكى يعلموا حكمة المرونة السياسية التى قضت بقبول النبى للتنازلات التى كانت موضوع ذلك الصلح فجاءت الاية وصفا ومنة من الله على المؤمنين بانزال السكينة فى قلوبهم فى ذلك الموقف الذى أوشكت أن تزيغ فيه بعض القلوب ليرضوا عن اقتناع بما فعله النبى صلى الله عليه وسلم .

والسكينة وهى طمأنينة القلب مشتقة من السكون ، والاستقرار وهى مدعاة للصبر والاناة وصحة الحكم على الاشياء وامتلاك النفس فى المواقف الصعبة المشكلة للدلائل التى كان يحتاجها الصحابة فى ذلك الموقف ليتحقق لهم بعد ذلك الموعود من فتح مكة وانهزام قريش على ما استهدفت له سياسة النبى ـ عليه السلام ـ فى قبول هذا الصلح الذى بدأ بظاهر الرأى ـ أنه مشتمل على شروط مجحفة بالمؤمنين .

ذلك لان الاعمال والمواقف السياسية لا تبقى الحكم عليها من خلال عملية واحدة ، فذلك ما تنبو عنه بصائر القادة المغطورين وانما يدور نجح السياسة على النظر المحيط بتكامل الاحداث .

٢ ـ جعل القرآن انزال السكينة فى قلوب المؤمنين علة لحصول ايمان لهم يكون زيادة لايمانهم السابق ، وهنا يصادف المفسرين ، « المسلمة » التى تقول بأن الايمان هو اليقين الذى لا يزيد ولا ينقص : فيحشدون فى المقام من تفسير الايمان من الاقوال ما يصلح وما لا يصلح ، هربا من اصطدامهم بتلك « المسلمة » الشائعة فيقولون فى هذا الموضع مثلا : المراد بزيادة الايمان زيادة التكاليف العملية يكون فرضهم الصلاة ثم يزدادون فريضة الزكاة والصوم مثلا مع انقطاع مناسبته للمقام أصلا ، فان السكينة بحسب المتبادر الان لا تناسب أن يكون علة لزيادة التكاليف .

ويقولون [الايمان] الخشية والمعنى ليزدادوا خشية بعد خشية وهو أيضا ـ ليس مناسبا .

ومما ينبغى ملاحظته على كثير من المفسرين القدماء مع جلالة قدرهم أنهم لا يلاحظون أن الكلمة قد يتعين معناها بمناسبة المقام الذى استعملت فيه ولكنهم يسوقون كل المعانى الصحيحة الذى ذكرت للكلمة باعتبار أن تقديم معنى صحيح للكلمة بأحد وجوه الصحة كاف فى ايقاع التفسير المراد فيقولون مثل ما ذكرنا فى تفسيرهم للايمان فى هذا المقام بغير ما يناسبه وليس هو المثال الواحد ـ فيما نرى أثناء المطالعة ، ولكنها طريقة لا ينظر فيها لوحدة الفكر وتجانسه فى الاية بمقدار ما يراد التخلص بها من تفسير الاية بوضع أى معنى يحتمل الصحة فى ذاته .

٣ ـ وأما رأينا فى تفسير كون السكينة علة لزيادة الايمان ـ خلافا لما قدمنا من كلام بعض المفسرين ، فذلك انا نرى خلافا لما اضطرب فيه أهل [الكلام] أن اليقين أو الايمان من حيث ذاته مقدار من العلم ـ اذا تحقق فى النفس حده الاول فانه فيما جاوز هذا الحد قابل للتفاوت فى درجات الزيادة . وبيانه : أن تقدم لنا البرهان القاطع على صحة تجربة كيمائية بحيث لا ينفذ الشك الى صحتها أصلا فهذا [يقين] بغير خلاف ثم نشاهد ذات التجربة تحصل أمام أعيننا فنزداد بها يقينا أى ايمانا . ومثاله من المحسوس أن تبصر من علامات قياس النظر علامة يقينا ثم يجعل لك الطبيب فوق عينك عدسة مقربة فاذا أنت تزداد ابصارا لذات ما كنت تبصره من قبل . أنقل هذا من البصر الى البصيرة تجد القياس واحدا أصل اليقين كان موجودا ثم ازداد بعد ذلك تماما .

ومنذ أعلن أبو حنيفة ـ رضى الله عنه أن الايمان لا يزيد ولا ينقص لانه العلم التام الذى لا يحتمل متعلقه النقيض بوجه ـ والمتكلمون والفقهاء مضطربون فى هذه المسألة ويتأولون زيادة الايمان ـ حين ترد الدلالة عليها فى القرآن أو السنة تأويلات غير مقنعة .

وتلخيص رأينا أن الايمان يقبل الزيادة ، ولا يقبل النقصان ، فحيث لم يزد لا يقال أنه ناقص : لان المراد بالزيادة والنقصان ما كان بالنسبة للحد الاول زائدا عليه .

٤ – توضيحا لقولنا السابق ، الايمان يزيد ولا ينقص – خلافا لمذهب ابى حنيفه ان الايمان معنى ثابت لا يزيد ولا ينقص ، نقول : ان الايمان هو العلم بالشىء على ما هو عليه فى الواقع ، بحيث لا يمكن أن يتخلف صورة العلم عن مطابقة المعلوم اصلا ، وهى معنى قول [المتكلمين] : الايمان هو العلم الذى لا يحتمل متعلقه النقيض بوجه اى ان متعلق العلم وهو الشىء المعلوم يتعين تطابقه مع العلم بكيفية لا تحتمل الاختلاف ، أصلا ، فان احتملت الاختلاف لم يكن ما فرض علما – علما على الحقيقة .

هذا هو الايمان : **فهو علم المؤمن بذات الله وصفاته واسمائه** ، ويصدق النبى فى دعوة الرسالة وموضوعها على هذا الوجه من الصحة والجزم .

ومن الواضح ان نقص علم المؤمن بما ذكرنا عن مستوى اليقين الموصوف ، لا يعد علما ، ولا ايمانا اذ يكون ظنا – والظن لا يغنى من الحق شيئا ، فصح الا يقبل الايمان النقص اذن .

وبعبارة اخرى : الايمان بالشىء والعلم به شىء واحد ، وهو أن يكون علمنا بالشىء وايماننا به مطابقا لحقيقة هذا الشىء – كما هو موجود فى الواقع – وهذا المعنى لا يحتمل النقصان ، فاذا نقص علمنا ، أو ايماننا عن ذلك وهما كما علمت سواء امتنع ان يكون أحدهما علما او ايمانا وفى هذا القدر نتفق مع رأى أبى حنيفة أما عدم زيادة الايمان فلا نوافقه عليه .

٥ – نقرر أن الايمان لا ينقص ، ولكنه يقبل أن يزيد ، وتفسير ذلك وقد ضربنا به مثل الموقن بصحة تجربة علمية عن البرهان النظرى ، ثم نضع أمامه ذات التجربة فيحس من نفسه ازدياد اليقين بها . ونحن الان نوقن بالجنة ، فاذا ما دخلناها بفضل الله فسوف نزداد بها ايمانا ، فالايمان يزيد اذن بشهادة الحس الباطنى المقطوع به كالاحساس بالخوف او الجوع أو ما يشاكلها وغور هذه المسأله هو أن علمنا يتناول الاشياء من جهة كونه علما صحيحا مطابقا لحقيقة المعلوم ومن جهة كونه كاشفا للمعلوم ، بكيفية أشد : فالجهة الاولى تمثل صحة العلم ، والثانية تمثل حدة العلم : ولنعد مرة ثانية لمثال القائس بصره بعلامات القياس الطبية فانه قد يرى سطرا من العلامات رؤية صحيحة مطابقة للواقع لكنه اذا أضاف لعينه عدسه طبية فانه يرى المرئى له اكثر وضوحا .

ففى المثال ايضاح للفرق بين صحة العلم وزيادة العلم : صحة العلم تعتمد مطابقة العلم للمعلوم وهو الحد الاول من الايمان .

وحدة العلم تعتمد زيادة وضوح المعلوم أمام البصيرة وذلك زيادة الايمان لكن خروج العلم عن مستوى الصحة خروج عن حد الايمان .

واذن فلا ينقص الايمان ودخول العلم لمستوى الحدة زيادة ايمان واذن فيزيد الايمان [وهذا ما لم يثبت له نظر أبى حنيفة ومتابعيه » والله يؤتى فضله ما يشاء .

٦ – بعد أن اثبتنا أن الايمان يزيد ، ولا ينقص نجد المسلك واضحا فى كيفية وقوع السكينة علة لزيادة الايمان ، ذلك ان السكينة – كما قلنا – هى الطمأنينة وطمانينة القلب بخلوصه من نزع الشبهات ، والشهوات والطوارق والمزعجات : تهىء له من صحة النظر ، واستقرار الطريقة ، والقدرة على اصابة الحكم ما يعد سببا لزيادة اليقين بالحقائق التى يعانيها ويدخل فى ملابستها ، وذلك هو ما يعد زيادة فى الايمان حقيقة وقد خطر لى فى زيادة الايمان تفسير آخر وتلك الزيادة عن طريق زيادة الاشياء التى يقع الايمان بها فيكون معنى زيادة الايمان هو زيادة كمية الحقائق التى يحصل الايمان بها .

نفرض شخصا مؤمنا بالفعل يواجه حادثا كحادث الاسراء فيؤمن به ثم حادث كحادث انشقاق القمر فيؤمن به ثم حادثا آخر كالاخبار عن فتح مكة فيؤمن به وهكذا لا يزال يزداد ايمانا بزيادة ايمانه بالامور المحدثة المتجددة التى يتعلق بها بعد حدوثها وجوب الايمان وفى هذه الحال تعتبر السكينة علة لزيادة الايمان على معنى أنه مع السكينة يتمكن الشخص من الاستبصار الهادى لقلبه نحو هذا الايمان المنتظر دائما لتجدد الخطاب به بتجدد الحوادث المستدعية له . كما تمكنه – هذه السكينة – أثناء الطريق من مدافعة وسواس الشيطان اذ أن تشويش الخاطر وقلق النفس هما مناخ كيده وحربه .

٧ – انزال السكينة فى زياده الايمان . وزيادة الايمان سبب فى الفتح والانتصار المؤمل على قريش بدخول مكة .

ولما كان ذلك من الامال الكبيرة العزيزة التى تهتز لها قلوب المسلمين ، ويخالط نفوسهم بازائها مزيج من الشوق والاستصعاب طمأنهم القرآن بقوله « **ولله جنود السموات والارض** » الاية – أى مهما كانت قوة قريش المنظورة لكم وشدة لددهم وخصومتهم ، فلا تتهيبوا المستقبل معهم وامكان الانتصار عليهم فانكم لا تنتصرون عليهم بأنفسكم وبمقدار طاقتكم البشرية المقيسه بقوة ما هو أكبر منها من قوة أعدائكم . ولكنكم تنتصرون بقوة الله الذى يتولى هو نصركم بما شاء . مما عنده من الاسباب الظاهرة والخفية : فان له جنود السموات والارض تبصركم بهم .

ولك أن تفسر « جنود السموات والارض » بأنهم « ملائكه السموات والارض » أو بالقوى الكامنة فى تركيب السموات والارض كاحتمال أن يسقط الله على المشركين كسفا من السموات أو يسلط عليهم القحط وانقطاع المطر فيهلكهم بذلك : وكان الله عليما ، فبمقتضى علمه ، لا يدبر أمره بطريق المصادفة والاتفاق ، بل يرسم ويخطط ، حكيما ، يضيف لصحة التدبير صحة التنفيذ فلا يضع شيئا الا فى موضعه .

فاذا كان سبحانه – هو الجامع بين كمال القدرة ، وكمال صحة التدبير ، وصحة الانجاز فهو النصير الذى لا يعتد الا به ولا يخشى مع العده بنصرة أحد غيره .

التقدم الحضارى القائم على العلم والإيمان من أهداف الإسلام

فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا

من أهداف ورقة أكتوبر السامية - التقدم الحضارى ، القائم على العلم والايمان ، ودول العالم كلها اليوم : فى انتباه - حريصة على هذا التقدم ، ولذلك - تفكر - وهى تنظر الى ما تتوقع - فى تنمية مواردها ، وتقدم صناعاتها ، وتوفير مطالب حياتها ، والعناية بالتعمير والبناء : فى شتى مجالاتها ، وجميع شئونها : اتجاها الى سعادة فى المستقبل وهناءة ، ورغد عيش ، وحياة طيبة .

فبهذا الهدف العظيم من ورقة أكتوبر ، ورقة مستقبل مصر ، وتحقيق أملها - قد رام الرئيس المؤمن لبلاده طيب الحياة ، وتبوأها مكانة الحضارة الشاملة ، واقامة الدولة العصرية ، والمجتمع الحديث ، حتى يحقق الشعب بها ذاته ، وينمى طاقاته البناءة : سعيا الى مستقبل سعيد ، حميد ، عريض الجاه .

والاسلام ، دين سعادة الدارين ، وعزة الحياتين ، وحسن حال الدنيا والاخرة - قد جاء بذلك الهدف المرموق ، ورفع بناءه على دعامتى العلم والايمان ، فقد قال تبارك وتعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » ، وقد روى مالك فى الموطأ ، والبخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم ، الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع** » ولا يفتر أى لا يقل نشاطه ، ولا ينقطع عمله ، وقال ابن حجر فى الفتح شبه حال المجاهدين فى سبيل الله بحال الصائم القائم فى نيل الثواب : فى كل حركة وسكون ، لان المراد من الصائم القائم ،من لايفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر ، وكذلك المجاهد .. لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب .. ا هـ ، فأفاد هذا الحديث الشريف تعظيم أمر الجهاد ، وأنه عظيم المثوبة ، وسبيل الله - يعم كل عمل صالح ، حسن ، يتقرب المرء به الى ربه تعالى باداء الفرائض ، والنوافل ، وأنواع التطوع ، التى يعمق بها ايمانه ، ويؤدى واجبه - عن طريقها - نحو مجتمعه ، ويرفع بها علم التوحيد فى مجال العقيدة ، وظلال الرحمة بين الخلق ، ويحقق بها العدل ، فى مجال التشريع .

فمن العمل الصالح الحسن .. طلب العلم ، والخروج فى طلبه - جهاد فى سبيل الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع** » رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه ، وروى ابن عساكر ، والديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس رضى الله عنهما - أن الله تعالى خير سليمان عليه السلام بين المال والملك والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال ، مع العلم لاختياره العلم ، وقد قال تعالى « **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضل المبين** » ، وقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العلم النافع فى الدنيا والاخرة ، ونوه بطالبه ، وحياه . قال صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى المسجد متكىء على بردله احمر ، فقلت له يارسول الله انى جئت أطلب العلم ، فقال : مرحبا بطالب العلم . ان طالب العلم تحفه الملائكة باجنحتها . رواه الطبرانى وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **اذا مات ابن آدم - انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له** » ، وأول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى « **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » ، فقد تضمن هذا القول الكريم أول درس علا بقدر العلم لخير الدنيا والاخرة، ونوه بقيمته ، واعلن الحرب على الامية الغافلة ، وجعل اللبنة الاولى فى بناء شخصية كل رجل عظيم أن يقرأ ، وأن يتعلم ، وقد قال : صلوات الله ،وسلامه عليه : « **ان النساء شقائق الرجال** » رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه . عن عائشة رضى الله عنها ، والنساء شقائق الرجال فى الاحكام ، التى لم يرد تخصيصها بالرجال ومنها طالب العلم ، وليس النساء

شقائق الرجال" - فيما ورد تخصيصه بالرجال من الاحكام كتشييع الجنازة ، فذلك خاص بالرجال لقوله عليه الصلاة والسلام « **ارجعن مأزورات غير مأجورات** » رواه ابن ماجه عن على كرم الله وجهه ، ورضى عنه ، ورواه ابو يعلى عن انس رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم ذلك القول لنساء أتبعن الجنازة .

والعلوم التى تدرس فى المدارس والمعاهد والجامعات لخير الدنيا والاخرة : منها ما به تحسن العقيدة ، وتنمو ، وترسخ ، وتستقيم العبادة ، وتكمل ، ومنها ما به تعمر الحياة مكفية المطالب كعلوم الزراعة ، والصناعة ، والطب ، واليها جميعا دعا الاسلام ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **احرص على ما ينفعك . واستعن بالله ، ولا تعجز** » رواه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه ، واذا كان الفرد - لا يستطيع تحصيل جميع العلوم ، ولذلك يتخصص فى فرع منها - فان الجميع - مطالبون بعلم الدين من بين سائر العلوم لانه قانون نظام الحياة الطيبة فى عزة وسعادة ، وبه الغد المحمود ، وحسن العاقبة ، والعيشه الراضيه ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « **اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين ، وألهمه رشده** » رواه البزار ، والطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، وقد استجاب من سافر فى طلب العلم لتوجيه دينه ، وكان مأجورا . روى ابو يعلى عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **اطلبوا العلم ولو بالصين** » .

الا وان التعلم ، والتعليم لعلوم الدنيا والاخرة - روح الاسلام بهما يبقى ، ويسود ، وبهما بقاء أهله وسيادتهم ، ولذلك حمد سعى طلاب العلم ومعلميه - الى دوره مبكرين ، لا يبالون ببرد ، ولا بحر ، ولا بمشقة فى سبيله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **اغدوا فى طلب العلم فان الغدو بركة ، ونجاح** » رواه الخطيب عن عائشة رضى الله عنها وروى ابن ماجه عن ابى أمامة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **العالم والمتعلم شريكان فى الخير ، ولا خير فى سائر الناس** » . ومن هدى القرآن الكريم الهداية الى ذلك الخير قال تعالى « **وقل رب زدنى علما** » .

واذا كان البناء ، والتعمير ، وتنمية الموارد ، وما الى ذلك من محققات التقدم الحضارى - تقوم على العلم ، فوجبت العناية به - فان الايمان الباعث على الشكر ، والحامل على الصبر ، وفعل الخير - هدى الاسلام الى أنه القوة ، التى ينهض بها : لاحراز ذلك التقدم ، واعتلاء القمم بين الامم ، ولذلك : فى حثه تعالى على فعل الخير ، والخضوع له ، واطاعته : جل ، وعز - قال : « **يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** » وجه تبارك وتعالى : للفلاح - بما حث عليه - خطابه للمؤمنين ، فهم الذين يستجيبون له ، وبباعث الصبر ، والشكر يقوون على القيام بما دعاهم اليه ، ولذلك - قال الرسول : صلى الله عليه وسلم : « **عجبا لامر المؤمن : ان أمره كله خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن . ان اصابته سراء - شكر ، فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء - صبر : فكان خيرا له** » : رواه مسلم فى صحيحه عن صهيب : رضى الله عنه ، ولقد استثنى الله جل شأنه - المعتصمين بالايمان ، وعمل الصالحات ، والتواصى بالحق ، وبالصبر ، وبين أنهم فى سلامة من الخسران والضياع ، اذ كسبوا الخير ، وأفلحوا ، واقسم على ذلك بالزمان المتلىء بالحوادث ، الشاهدة بكسب المؤمنين للخير ، وفلاحهم ، وبخسران غيرهم ، وضياعهم قال تعالى : « **والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .

وواضح توفير الامن فى المجتمع بالايمان ، الذى يقى الضر ، ويبعث على النفع ، فان المؤمن الحريص على رضى ربه ، والسلامة من عقابه - لا يؤذى ، ولا يسىء ، ويحسن ، ويسارع فى العمل الصالح ، ويجاهد لرفعة وطنه ، وعز أمته ، ولذلك قال تعالى : « **وبشر المؤمنين** » .

فالمجتمع المؤمن بخالقه ، المدبر لشئونه ، المراقب لتصرفاته ، واتجاهاته ، وشتى أعماله ، والمجازى له عليها - يحيا حياة الامان فى رفاهية واطمئنان ، تحت ظلال التآلف والتحاب والتواد والتعاطف والتعاون واهتمام البعض بالبعض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المؤمنون كرجل واحد : ان اشتكى رأسه - اشتكى كله ، وان اشتكت عيناه - اشتكى كله** » رواه الامام احمد فى مسنده ، ومسلم فى صحيحه عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، وروى البخارى فى كتابه الادب المفرد ، وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « **المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن : يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه** » ، وقد روى البخارى ، ومسلم فى صحيحيهما ، والترمذى ، والنسائى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه - أن الرسول عليه الصلاة والسلام - قال : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » ، وروى الامام احمد فى المسند عن سهل رضى الله عنه - أن الرسول صلى الله عليه وسلم - قال : « **المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ، ولا يؤلف** » .

ومن سمات هذا المجتمع المؤمن ، الذى قام بناؤه على العلم - ان يسود فيه العدل ، والانصاف والصدق ، والامانة ، والسماحة .

ومن نماذج العدل – ما رواه ابن أبى حاتم : عن محمد بن كعب القرظى – أنه – قال : دعانى عمر بن عبد العزيز – الخليفة الاموى الراشد – فقال لى : صف لى العدل – فقلت : بخ ، سألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أبا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثل منهم أخا ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ، وعلى قدر أجسادهم ، ولا تضربن – لغضبك – سوطا واحدا – فتكون من العادين ، وبخ : كلمة تقال لتفخيم الامر ، والاعجاب به وقد حدث التاريخ أن المأمون الخليفة العباسى – أنصف امرأة من ولده العباس : ادعت عليه باغتصاب ضيعتها ، وجعلت ترفع صوتها عليه : تقرر حجتها ، فقال لها أحمد بن أبى خالد ، أحد رجال المأمون : خفضى صوتك ، فانك بين يدى أمير المؤمنين ، فقال له المأمون : اسكت ، فان الحق – أنطقها ، والباطل – أسكته ، وظهر الحق معها ، فقضى لها عليه ، وأمر برد ضيعتها اليها ، وغرم ولده ما أخذه من ريعها ، وفى مصر – الضيعة – اليوم – هى المعروفة بالعزبة .

والتزام الصدق – يبعث على الثقة بصاحبه ، ويفوز صاحبه بحب الناس له ، ويحفظ من الغش ، وسوء المعاملة ، ووصمة النفاق ، ولذلك – قال سيد الرسل : صلى الله عليه وسلم : « **تحروا الصدق ، وان رأيتم ان الهلكة فيه – فان فيه النجاة** » رواه ابن أبى الدنيا عن منصور بن المعتمر رضى الله عنه ، وروى الامام أحمد عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « **يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة ، والكذب** » ، وروى الامام أحمد أيضا عن النواس بن سمعان رضى الله عنه – أن رسول الله عليه الصلاة والسلام – قال : « **كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا : هو لك مصدق ، وأنت له كاذب** » .

وتملا السماحة النفوس بالمحبة ، وانه – لمجتمع سعيد : ذلك المجتمع ، الذى تربط المحبة بين أهله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **اذا أراد الله بقوم خيرا – ولى أمرهم الحكماء ، وجعل المال عند السمحاء ، واذا أراد الله بقوم شرا – ولى أمرهم السفهاء ، وجعل المال عند البخلاء** » رواه أبو داود : عن الحسن البصرى رضى الله عنه .

وبعد : فالعلم النافع ، والايمان الصادق – قد استبانت عناية الاسلام بهما ، وهما دعامتا التقدم الحضارى الحق ، حيث توفر مرافق الحياة كاملة : بانشراح صدر ، واخلاص عمل ، وهدوء بال بغير اضطراب ، ولا اثره ، ولا استطالة على خلق الله ، وبلا كسل ، وخمول ، واهمال ، وبلا تهاون فى الحقوق ، وبغير تقصير فى الواجبات . فالتقدم الحضارى ، القائم على العلم والايمان – هو من أهداف الاسلام ، فالمسلم الصادق ، المستمسك بتعاليم دينه – يسعى الى ذلك التقدم : فى حرص على العلم ، وبايمان خالص ، منزه عن كل ريب ، ويسير فى الموكب الراشد : مستعينا بالله ، باذلا – غير مدخر وسعا – ما استطاع من قوة ليحرز وطنه ، وأمته – من التقدم الحضارى – ما يؤهل لتبشير رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، اذ قال : « **بشر هذه الامة بالتيسير ، والسناء ، والرفعة بالدين ، والتمكين فى البلاد ، والنصر ، فمن عمل منهم بعمل الاخرة للدنيا – فليس له فى الاخرة من نصيب** » رواه البيهقى عن أبى ابن كعب رضى الله عنه ، والسناء ، والرفعة – بمعنى واحد ، وهو ارتفاع القدر ، وعلو المنزلة – عند الله تعالى ، وعمل الاخرة للدنيا – رياء ، يبعد عنه المسلم ، فلا يتعبد الا لله تعالى ، وهو : وحده – ولى التوفيق .

الإسلام
بين المادة والروح

الأستاذ عبد المنعم مغربي

تقوم تعاليم القرآن الكريم على مراعاة تامة للطبيعة البشرية وليس في هذه التعاليم ما يرغم الانسان على أن يحارب طبيعته وهذا المسلك من القرآن هو الجدير بدين جاء لهداية الناس كافة وجعله الله خاتم الرسالات صالحا لكل زمان ومكان ومناسبا لكل أمة .

ولهذا أحل القرآن الطيبات من الرزق بل أمر بها ، فالاسلام يدعو اتباعه الى ان يأخذوا نصيبهم من الدنيا والى أن يأكلوا ويلبسوا ويأخذوا زينتهم فقط نهى عن الاسراف ونهى عن الترف وأوضح ان الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا .

ولعل من اولى الايات — فى هذا المعنى — نزولا قوله تعالى فى سورة الاعراف « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون .**

ولا يفهم من هذا أن الانسان مأمور بالتزين عند حضور الصلوات في المساجد وفيما عدا ذلك فهو غير مأمور لان اضافة الزينة الى بنى آدم معناها ان الزينة ثابتة لهم معهودة فيهم .

والمراد طبعا بالزينة ما يعتاده الناس فى تزينهم المعتدل فى المجامع والمحافل وهى عند كل انسان بحسب مكانته فى مجتمعه ومعنى هذا هو وجوب البعد عن التكلف فى الزينة لان من أراد أن يشق على نفسه ويكلفها ما لا تطيق من اللباس ويظهر فى زى غير زيه المعتاد يكون قد تجاوز الطبيعة الانسانية الهادفة وخالف الفطر السليمة ومعلوم أن الفطرة القويمة تنفر من التكلف .

وجاء فى الاية الكريمة كلمة «ولا تسرفوا» والاسراف مجاوزة الحد فى كل شىء وهو يخالف الطبيعة المعتدلة السوية ولذلك نهى الله عن الاسراف واتبع هذا النهى بانه لايحب المسرفين لانهم يجنون على انفسهم ويراغمون فطرهم ولذلك تقع بهم وبالجنس البشرى كله أضرار لا تخفى على الباحثين والراصدين لاحوال المجتمع .

ومن الواضح ان هذا التوجيه الكريم يدل على ضرورة الاعتدال وهذا ما تقتضيه الفطرة السليمة فهى تدعو الى أن يأخذ الانسان حظه من الدنيا وحظه من الدين وهذا الاعتدال مع أنه مقتضى الفطر أمر صعب المنال فان على الانسان أن يحارب شهوة الافراط كما عليه أن يحارب شهوة التفريط فقد يصعب على الشيطان أن يجىء الانسان من جانب الترغيب فى الاسراف فيجيئه من جانب التزهيد فى الطيبات وبذلك يقع المؤمن فى صراع عنيف بين ما تطلبه روحه وما يطلبه جسده .

وليس الصراع بين المادة والروح وليد عصرنا ولا هو مما اختص به عصر دون عصر ولكنه قديم قدم المجتمع الانسانى فمن الانسان حين رأى بجانبه اخاه الانسان وجد فى نفسه قوة تدفعه الى التسلط ومدافعة الاخرين وشعر بقوة أخرى تدفعه الى التسامح والى المجاملة والى التجمل والايثار .

وجاء الاسلام فلم يحارب العمل على كسب المال بل دعا الى السعى وحبب فيه غير انه اراد ان يجعل الكلمة العليا عند الفرد فى المجتمع للروح ، وبين المادة والروح صراع ازلى وقد وجد قوم يدعون الى تغليب جانب المادة وينادون بوجوب سيطرتها على كل شىء حتى دعت بعض المذاهب الى أباحة الاموال والنساء لانها - كما زعمت - أصل البلاء ، ووجد بجانب هؤلاء قوم أخذوا أنفسهم بالعزوف عن طيبات الحياة ودعوا الى الزهد فى الدنيا ، ولا يزال هذا الصراع قائما الى يوم يبعث الناس .

وفى عصرنا هذا يبدو تيار المادية واضحا فهذا العصر هو اكثر العصور تكالبا على المادة وحرصا عليها واقتتالا فى سبيلها ، وقد طغى تيار المادية حتى جرف فى طريقه بعض من كان يظن فيهم التعقل والتأنى فى الاحكام فنادى بعضهم بأن الروحانية تبدأ من المعدة الممتلئة ووصف الداعين الى الروحانية بأنهم وباء وبأنهم شر ما فى المجتمعات لانهم - فيما زعم - يدعون الى العزوف عن الدنيا والى نبذ المادة ، وهذا اندفاع غير محمود وغفلة عن حقيقة الروحانية التى دعا اليها الاسلام فليست المادة كل شىء فى الحياة والسعادة ليست رهنا بالغنى واخلاق الناس لم تكن - دائما - وليدة الرخاء الاقتصادى بل على العكس من ذلك نجد الفضائل النفسية والاجتماعية أقوى فى نفوس الفقراء منها فى نفوس الاغنياء .

فالكذب والنفاق والشح وما اليها ارسخ جذورا فى نفوس اصحاب الثراء وأقل وجودا فى نفوس الفقراء .

والدعوة الى الروحية لا تعنى ان يحرم على الناس أن يأكلوا ويتمتعوا والمصدر الاول فى الاسلام هو القرآن والقرآن صريح وواضح فى الدعوة الى تناول الطيبات كما أسلفنا .

وليس التمتع بالطيبات - فى غير اسراف ولا اعتداء - بمانع من الزهد فى الدنيا وليس العزوف عنها وعن زينه الله التى أخرج لعباده بدليل قاطع على الزهد فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقال : « **أما أنه ما هو بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهد فى الدنيا ان نكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك** » .

وسئل احد الحكماء عن الزهد فقال : حرفان فى كتاب الله « **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** » .

وليس الزهد ان تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك وانما الزهد ان تترك الدنيا من قلبك وهى فى يدك .

الزهد أن تعف عن الحرام وتحتاط من الشبهة فلا تأخذ مالا الا من حله ولا تضعه الا فى حقه .

فالروحانية التى دعا اليها الاسلام ليست هى الانصراف عن الدنيا وانما هى التعالى عن الاسراف والترف والانطلاق من أسر الشهوات ثم الرضا حين يخفق السعى ويعثر الجد .

فالاسلام لا يدعو الى الفقر وانما يدعو - بعد الدعوة الى السعى والكد والعمل - الى الرضا بما قسم الله ويقول للانسان « **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** » .

وهو حينئذ لا يتغفل الناس ولا يخدعهم ولكنه يدعو الى تطهير النفوس من الاخلاق الذميمة ومن ادران المادة وآثامها .

والانسان دائما فى حاجة الى المثالية فى حياته الفردية والاجتماعية ولا يمكن أن تسود المحبة بين الناس ويقوى التعاون بينهم الا بهذه التربية النفسية السامية .

اما اذا ترك الناس بسلطان المادة فانهم ينزلقون فى مهاوى الشر ويضلون فى اودية الفساد والهلاك وهذا هو سبيل الاسلام المعتدل من المادة والروح .

فاللهم اهدنا سواء السبيل .

الفكر الاجتماعي الإسلامي

الدكتور
زيدان عبد الباقي

لم يخل مجتمع بشرى ، مهما كانت درجته فى مراحل التطور الاجتماعى من تفكير يتعلق بالانسان وبحياته فى الجماعة ، وبنظام هذه الجماعة فى حياتها . ولقد كان العرب فى جزيرتهم أمة من حيث الجنس والنسب ، ولكنهم لم يكونوا يؤلفون فى الرقعة الشاسعة التى عاشوا عليها جماعة واحدة منظمة تخضع لرياسة واحدة ولقوانين واحدة . بل كانوا بحكم طبيعة ظروف حياتهم يعيشون فى قبائل منفصلة ، لكل منها رياستها الطبيعية التى تستند فى العادة الى كثرة العدد فى أفراد الاسرة التى تكون فيها الرياسة ، والى الثروة التى لها ، والى الخصال التى لابد منها فى الرئيس ، لا سيما الشجاعة والكرم وصفات المروءة بوجه عام .

غير أن هذه القبائل بالرغم من شدة نضجها من الناحية الانسانية ، لم تتوافر فيها مادة اجتماعية كثيرة ، على اعتبار بساطة حياتها الاجتماعية وبطبيعة هذه القبائل فان مفكريها أو حكامها كانوا جميعا من الشعراء بالسليقة الذين ينطقون بمآثر قبائلهم ، ويضفون الصفات غير الكريمة على غير قبائلهم . وبالتالى فان شخصية الفرد كانت تذوب فى شخصية القبيلة ، ومن ثم فان آمال وغايات القبيلة هى آماله وغاياته ، بمعنى أنه لم تتوافر للانسان القبلى فى الجزيرة العربية الشعور بأنه فرد فى أمة لها وطن . ولذلك فمن النادر وجود تفكير اجتماعى يتناول أصولا ومسائل عامة من الناحية النظرية ، أو يفصح عن آراء اجتماعية . ذلك أن تلك القبائل كانت فى حروب طاحنة متواصلة مع بعضها البعض ، أو كانت القسوة هى منطق العلاقات بين هذه القبائل .

وعندما جاء الاسلام « بنظرياته الاجتماعية اكد أن للانسان كرامة ورسالة وقرر وحدة النوع الانسانى ، من حيث انتماء الادميين الى أب واحد والى أم واحدة . ورتب على ذلك - بالرغم من تفرع هذا النوع الى شعوب وقبائل - ضرورة التعارف والتراحم والتسالم على أساس المساواة الطبيعية والرحم الانسانى الشامل . وقرر وجوب الاخاء والسلام بين الناس ، من حيث المبدأ أو القاعدة . ونبه الى تاريخ الامم والممالك الماضية ، حاثا على ادراك أسباب التغير الاجتماعى وقوانينه ، مشيرا الى ان فساد المترفين أو الحيدة عن قوانين الطبيعة من أسباب انهيار الدول وضياع الامم .. الخ .

ولم يخل القرآن الكريم من اشارة الى بعض النظم السياسية ، وبيان مساوئها ، والى ضرورة قيام بناء الجماعة على أساس خدمة كل منها للاخرى ، والى بعض الظواهر الاجتماعية مثل التقليد وما له من

سلطان ، ومثل القدرة على التخلص من سلطان الاراء والعادات والاعراف والتقاليد الموروثة ، ومثل الاشارة الى الاخلاق والنزعات والخصال المترتبة على نوع الحياة وظروفها وما الى ذلك .

وقد خرج العرب بفضل الاسلام من مرحلة القبلية والشعور القبلى الى مرحلة الامة الموحدة والشعور بالجماعة الواسعة النطاق ، ومن مرحلة الرياسات المتفرقة الى مرحلة الرياسة السياسية الجامعة ، ومن مرحلة الشعور الفردى - أو العقلى على الاكثر - الى مرحلة الشعور الاجتماعى أو الجماعى ، بل الانسانى على نطاق واسع . ويومئذ بدأ تفكيرهم الاجتماعى بالمعنى الصحيح ، وظهرت لهم نظريات لا تحص جديرة بان تدخل ضمن تاريخ النظريات الاجتماعية ، سواء فى الناحية السياسية او الاجتماعية بمعناها الخاص أو الاقتصادية .. فقد كانت لهم نظريات فى الرياسة السياسية وشروطها ، كما استفادوا من الدين الاسلامى فى وضع نظم سياسية للتضامن الاجتماعى ، وكفالة الدولة للافراد ، وضرورة القضاء على نظام الرق وتدعيم النظام الاجتماعى القائم على المساواة بين الناس .

وقد اندفع العرب برسالة الاسلام الى ثلاثة أرباع الكرة الارضية وأسسوا امبراطورية اشتملت على أكبر تنوع من الاجناس والحضارات واللغات والنظم السياسية والاجتماعية .. وقد تطلب كل هذا ضرورة معرفة قواعد السياسة وتدبير شئون البشر ، بحسب مقتضى احوال السياسة الحكيمة الناجحة فى ذاتها ، وبحسب ما يلائم طبيعة الحياة البشرية .. غير أن كل المؤلفات التى ظهرت فى ذلك الحين ، مثل مؤلفات ابن المقفع المتوفى سنة ١٤٠ هجرية تقريبا ، وخاصة مؤلفة « رسالة الصحابة » يخاطب فيها الخليفة مبينا له اصول السياسة والادارة الصحية وتنظيم المعاملات بين أفراد المجتمع ، وبين المجتمع والمجتمعات الاخرى ، كما نجده فى كتابتيه « الادب الصغير - والادب الكبير » يجنح نحو التهذيب الخلقى الشخصى والاجتماعى ، ويفرد مكانا للارشاد السياسى للحاكم والمحكوم .

وقبل أن نتحدث عن انجازات الفكر الاجتماعى لدى بعض المفكرين الاجتماعيين المسلمين ، من المفيد أن نحدد الاسس التى قام عليها المجتمع الاسلامى فى صورته الاولى !

١ - الاسس الاسلامية لنشأة المجتمع :

لم يكن الفكر الاجتماعى الاسلامى فكرا خياليا ، كما هو الحال لدى مفكرى اليونان الاجتماعيين وانما كان فكرا يرتبط بالواقع الاجتماعى القائم ، بالاضافة الى الاستنارة بالفيض الالهى من وحى الرسالات السماوية .

ولقد بدأت أولى مراحل تكوين المجتمع الاسلامى الاول فى مكة عن طريق الاهتمام بثلاثة عناصر رئيسية هى الفرد والجماعة والنظام (التنظيم الاجتماعى) وفيما يلى دراسة موجزة لكل من هذه العناصر .

اولا : الفرد والفكر الاجتماعى الاسلامى :

كان منطقيا ان تبدأ عملية التغير الاجتماعى من مجتمع جاهلى الى مجتمع اسلامى من الفرد ، ذلك أن :

- الفرد العربى فى الجاهلية كان يحكم السيف فى كل معاملاته وعلاقاته مع الاخرين دون تحكيم العقل ، حيث فرض الاسلام على كل مسلم أن يرد السيئة بالحسنة ، وقد التزم الجميع بهذا المبدأ بحيث لم يسجل التاريخ أن فردا مسلما رد أذى بأذى ، بالرغم من ان بعضهم قد تعرض للتعذيب حتى الموت من شدة الاذى . وظل هذا الوضع قائما الى أن أذن لهم بالهجرة الى المدينة « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » آية ٣٩ من سورة الحج) .

- كان الفرد العربى فى الجاهلية - خضوعا لمنطق القوة السائد فى كل مكان يهاجم الاخر فى الطريق أو المنزل أو فى أى مكان ، فاذا انتصر عليه أخذ متاعه ومن معه من أهله ، سواء أكانت زوجته أو ابنته أو أمه أو أولاده .. رقيقا ، ولم يكن المنهزم ليشكو من ذلك ، باعتباره من الامور الطبيعية يومئذ .. غير أن الاسلام حرم ذلك ، وأوجب الاحتكام الى قضاة عدول لفض تلك المشكلات ، على أساس من العدالة الاسلامية ، تطبيقا لقوله تعالى « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » آية ٦٥ من سورة النساء . وتأكيدا لهذا المبدأ السماوى ، وزيادة فى الايضاح ، قال الخليفة الاول للمسلمين فى الخطبة التى استهل بها خلافته « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » .

- كان الفرد العربى فى الجاهلية يثأر لنفسه ، فأوجب الاسلام على الفرد المسلم أن يترك القصاص لاولى الامر . ذلك أن الفرد كان فى الماضى يثأر لنفسه اذا استطاع ، فان لم يستطع راح يقوى نفسه من أجل ذلك ، كما هو الحال فى ريفنا المصرى حتى الان ، فجاء الاسلام ليقول فى دستوره « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى، الحر بالحر، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى ، فمن عفى له من اخيه شىء ، فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من**

ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك ، فله عذاب أليم ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » وجاء بهذا الدستورايضا « وكتبناعليهم فيها ان النفس بالنفس، والعين بالعين، والانف بالانف، والاذن بالاذن: والسن بالسن ، والجروح قصاص . فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون » آية ٤٥ من سورة المائدة

ولم يترك القرآن الكريم للمجنى عليه أن يبالغ فى القصاص استنادا الى معاونة الله له ، أو أن يظل ضعيفا عن تنفيذ القصاص ، حيث يقول القران الكريم « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا » آية ٣٣ من سورة الاسراء . وانما من الضرورى ان يكون العقاب مساويا للاثم « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، وأصبر وما صبرك الا بالله » الايتان ١٢٦ - ١٢٧ من سورة النحل .. أى المساواة بين الجريمة والعقاب . ويلاحظ ان الاسلام خضوعا للمنطق الاجتماعى لم يكن ليمنع القصاص فى مجتمع كان الثأر الشخصى دستوره الاوحد . ومن هنا أبقى القصاص وأسنده لاولى الامر ، وفضل على كل هذا العفو والصفح

- كانت حياة الفرد العربى فى الجاهلية كلها العهر والاباحية ، فقد كانت بعض نساء بنى عامر تطفن حول الكعبة عاريات أو حاسرات ، يرددن اشعارا كلها الاغواء والاثارة الجنسية ، وكان بعض المراهقين من الشباب والمنحرفين من الرجال يستجيبون لذلك ، فحرم الاسلام ذلك بقوله تعالى « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » آية ٥٨ من سورة الاحزاب .

- كانت حياة الفرد العربى فى الجاهلية كلها السلب والنهب والعدوان ، فحرم دستور الاسلام ذلك ، حتى أن المسلم كان خوفا من الله يتمسك بالامانة ، فقد روى الطبرى ، انه عندما هبط المسلمون ، أرض المدائن ، وجمعوا الغنائم ، اقبل رجل ومعه حق من الجوهر الفريد ، ودفعه الى صاحب الغنائم ، فعجب صاحب الغنائم ومن معه من ذلك « الحق » أى العلبة ، وقالوا : ما يعدله كل ما جمعناه اليوم . وسألوا الرجل: هل أخذت منه شيئا؟ فقال : أما والله لولا الله ما آتيتكم به . فقالوا : من أنت؟ فأجاب: والله لا أخبركم لتحمدونى ولكنى أحمد الله وأرضى ثوابه »

- كانت آفاق الفرد العربى فى الجاهلية تتميز بالضيق ، ومن ثم كان كل ما يسمعه عن قوى الدول المجاورة يرهبه أو يسبب له الرعب ، بالرغم مما ينطوى عليه من مبالغات .. فزوده الاسلام بالايمان الذى ساعده مع بقية المسلمين على تكوين امبراطورية مترامية الاطراف . وبالتالى اتسع نطاقه الفكرى ليشمل العالم كله .

كانت فردية الفرد العربى فى الجاهلية خافية وراء الشعور القبلى او الجمعى ، بحيث كان يصادق من تصادقه قبيلته ويعادى من يعاديها ، دون أن يكون له حق الاعتراض على شىء فقرر الاسلام ان يكون كل فرد مسئولا عن نفسه بقوله تعالى « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » آية ١٠٥ من سورة المائدة ، حتى ولو كان من ضل هذا ، أبا أو أما أو أخا أو رئيسا للقبيلة، تطبيقا لقوله تعالى « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » آية ١٥ من سورة لقمان . وهنا نجد القرآن الكريم حريصا على الروابط الاجتماعية بين الابناء والاباء - وصاحبهما فى الدنيا معروفا - مع حرصه على أن تكون للفرد ذاته « فرديته » الاجتماعية المسئولة .

- كانت حياة الفرد العربى فى الجاهلية كلها الايثار ، بمعنى أن على الفرد أن يوسع دائرة شعوره الاجتماعى بحياة الاخرين ، فلا يموت من التخمة وجاره جائع ، ولا يرفل فى الحرير وجاره عارى .. لقوله تعالى « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » آية ٢٤ من سورة التوبة . فهذه الاية الكريمة تقضى على كل فرد مسلم ان يعيش لاهله وذوى قرباه أكثر مما يعيش لنفسه . بل ويؤثرهم على نفسه لقوله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

- كانت حياة الفرد العربى فى الجاهلية كلها الوثنية فحرمها دستور الاسلام ، وفضل عليها الوحدانية فقد كان الفرد قبل الاسلام يسجد لغير الله ويعبد اللاة والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، فحرم الاسلام ذلك وفضل عليها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . ولما كان الدين كظاهرة اجتماعية لا يخلو منه مجتمع ، فان الفرد كان ينتقل من دين مادى الى آخر مادى يتصور انه أكثر نفعا .. ولكن الاسلام أخذ بالفرد من عالم الماديات الى عالم الروحانيات . ويؤكد ذلك قوله تعالى على لسان ابراهيم « فلما رأى القمر بازغا ، قال هذا ربى ، فلما أفل ، قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربى ، هذا أكبر .. » الايتان ٧٧ - ٧٨ من سورة الانعام وبذلك لم يعن الفرد يبتغى من وراء عبادته المنفعة العاجلة ، ولم يقنع بأن ضوء الشمس وحرارتها كافيان لجعل الشمس الها يعبده . فما بالك بحجر ينحته بيده

وينصبه بقواه . وانما أصبح الفرد يعبد الها يقول لشيء كن فيكون .

ـ كانت حياة الفرد العربى الرجل فى بعض القبائل تقوم على أمتهان المرأة أو على الاقل عدم مساواتها بالرجل . فقرر لها الاسلام حقوقا مساوية لحقوق الرجل ، قبل أن تحقق لها أوروبا بعض هذه المساواة بثلاثة عشر قرنا من الزمان ، بمعنى ان الاسلام نقلها من متاع يورث الى انسان يرث ، بحيث تأخذ من تركة زوجها وذويها نصيبا مفروضا . وتقف مع باقى الوارثين على قدم المساواة ، فقد شاع فى الجاهلية ان البنت لا ترث من أبيها ، كما لا ترث الزوجة من زوجها ، ولا الام من ابنها .. فقد كانت قاعدة الميراث ان يرث ـ فقط ـ من حمل السيف وطعن بالرمح وزاد عن حمى القبيلة ، ومن ثم لم تكن المرأة لترث .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل كان من حق الوارث أن يرث أرملة الموروث أيضا ، بأن يذهب اليها بعد موت زوجها ، ويلقى عليها رداءه ، وحينئذ يكون له أن يتزوجها ، أو يزوجها من غيره ويقبض مهرها .. وقد أدى ذلك الى اعتبار انجاب البنات كارثة تتطلب البكاء والنواح . ودرءا لتلك الكارثة اتجه بعض العرب فى الجاهلية الى وأد البنات ، بمعنى أن يحمل العربى ابنته ويحفر الارض لها ، حيث يئدها دون ذنب جنته أو جريرة اقترفتها .. الا الخوف من العار الذى قد تجلبه . وقد حرم الاسلام ذلك بقوله تعالى « **واذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ؟** » الايتان ٨ ، ٩ من سورة التكوير . كما حرم الاسلام ميراث المرأة بقوله تعالى « **لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** » آية ١٩ من سورة النساء .

ومن جهة أخرى لم يكن الغرض من الزواج هو المعاشرة الزوجية بالمعنى الاجتماعى المفهوم « **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** » آية ١٨٧ من سورة البقرة وانما كانت المرأة مجرد « وعاء » للمتعة وانجاب الاطفال ، بحيث كانت المرأة غير الحائزة لتلك الخصائص ، اى المرأة العاقر ، أو المرأة التى لا تحمل ، أو المرأة التى يرغب زوجها فى أن تنجب ولدا وسيما .. كان زوجها يدعها لغيره ممن يتميزون بالقوة والوسامة ، حتى اذا حملت استردها زوجها ونسب حملها له ، وهو الاسلوب الذى كان يعرف باسم « نكاح الاستبضاع » وقد حرم الاسلام ذلك الاسلوب الذى يغير من الطبيعة الاجتماعية للمرأة ، لما فيه من مخاز وعيوب وخلط الانساب . وهاجم القرآن الكريم وأد البنات وجعله من الجرائم القاسية .. وحدد الاسلام عدد الزوجات ، بعد أن كان مطلقا ، وآثر الزوجة الواحدة اذا خيف عدم العدل .

ـ كان الفرد فى الجاهلية يعانى من اجحاف النظام الطبقى السائد ، فقد كانت القبائل تتفاوت فى المكانة الاجتماعية تبعا للدم والنسب .. ولكن الاسلام أرجع التفاوت لعامل مكتسب وهو التقوى والعمل الصالح تطبيقا لقوله تعالى « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم** » آية ١٣ من سورة الحجرات . وزاد الامر وضوحا وتأكيدا بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « **أيها الناس ان ربكم واحد ، كلكم لادم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر الا بالتقوى** » رواه أحمد فى مسنده . وهكذا لم يعد هناك فرد أفضل من الاخر لمجرد انتمائه الى طبقة معينة أو لاى عامل خلقى ، كما هو الحال فى الهند ، وانما التفضيل يأتيه من التزامه بتقوى الله ، أى من عامل مكتسب ، متاح لمن يشاء .

ثانيا : الجماعة والفكر الاجتماعى الاسلامى :

لم ينشأ المجتمع الاسلامى فى مكة ، وانما بدأت عملية تكوين الفرد المسلم الملائم لهذا المجتمع ، كما أوضحنا ذلك فى الفقرة السابقة . على حين أن غرس قواعد المجتمع الإسلامى ، قد تم فى يثرب ، ففى هذه المدينة ، وجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الجماعات التالية :

ـ المهاجرون ، وهم الذين فروا بدينهم من مكة الى يثرب .

ـ الانصار ، وهم الذين دخلوا فى الاسلام من سكان يثرب .

ـ اليهود ، وهم بقية من بنى اسرائيل ، مع من اعتنق اليهودية من العرب .

وكانت هذه الجماعات ـ باستثناء المهاجرين ـ تتكون من طوائف متنابذة متشاحنة ، كما كان بعضها من عبدة الاصنام ، وبعضها من أتباع اليهودية .. الخ . وكان الاسلام يرمى الى صهر هذه الجماعات فى بوتقة تحيلها الى جماعة اسلامية جديدة ـ عناصرها الافراد بالصورة التى أوضحناها من قبل .. جماعة اسلامية جديدة تحل محل جماعات الاوس والخزرج ، بنى عبد مناف ، بنى أمية ، وبنى اسرائيل وغيرهم . وتكون هى الجماعة الاسلامية التى ينتمى اليها المسلمون فى يثرب أيا كانت قبائلهم ، وأيا كانت ديارهم . وعلى أن يعقب ذلك ربط هذه الجماعة الاسلامية بالجماعات غير الاسلامية التى تعيش معهم لتكوين المجتمع الاسلامى طبقا للتنظيم الاجتماعى الاسلامى الذى سنعرض له بعد قليل . ومن هنا فان المجتمع الاسلامى المنشود ، هو المجتمع الذى تسوده روح الاسلام ، ويتعاون أعضاؤه وجماعاته أيا كانت دياناتهم فيما يحقق الخير للجميع .

هذا وكانت المراحل البنائية لتكوين ذلك المجتمع هى :

أ - ان يصبح للجماعة الاسلامية منتدى او ملتقى لا ينتمى الى اى من الجماعات أو الطوائف السابقة ، لكى يلتقى فيه أفراد الجماعة الاسلامية الجديدة . وكان هذا المكان هو « المسجد » فهو مؤسسة اجتماعية ابتكرها الاسلام لكى تكون بيتا لله ، وبيتا للجميع ، للتشاور وللقضاء وللتجارة .. بل وللسمر أيضا .. كما يتاح للافراد فيه الالتفاف حول الرسول ثم حول علماء الدين للوقوف على مبادىء الدين الاسلامى .. الخ .

وبذلك اصبح هذا المسجد عبارة عن مدرسة اوبوتقة تعاد فيها صياغة الافراد تمهيدا لاعادة تكوين افراد الطوائف السابقة فى شكل جماعة بالخصائص التى حددناها من قبل

ب - انتقوم العلاقات بين الجماعة الاسلامية على المؤاخاه ، فليست المؤاخاه التى جاء بها الاسلام بين الاوس والخزرج فحسب ، وانما أوجبها الرسول الكريم على المهاجر والمهاجر ، الانصارى والانصارى ، المهاجر والانصارى ، وبين الاوس والخزرجى ، بالرغم مما كانت بينهم من حروب لم تندمل جراحها بعد .. بل وآخى الرسول الكريم بين رءوس بعض القبائل العربية وبين بعض الموالى والعبيد . فكانت دعوة الرسول الكريم ان يتاخى المسلمون فى الله اخوين أخوين ، فكان هو وعلى بن أبى طالب أخوين ، وكان أبو بكر وخارجة بن زهير أخوين . وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى أخوين ، وكان جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين . وكان بلال وأبو رويحة عبد الله أخوين ، وكان أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين ، وكان الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود أخوين ، وكان سلمان الفارسى وأبو الدرداء أخوين .. وتآخى عدد كبير من المهاجرين بافراد من الانصار ، وجعل الرسول الكريم لهذا الاخاء حكم اخاء الدم . « ابن هشام جـ ٢ ص ١٩ » وكان ذلك تطبيقا لقوله تعالى « **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، والذين آووا ونصروا ، أولئك بعضهم اولياء بعض** » آيه ٧٢ من سورة الانفال وأيضا قوله تعالى « **انما المؤمنون اخوة** » وكلمة المؤمن تشمل كل من يؤمن بالله واليوم الاخر من المسلمين وغيرهم ، وبذلك فان كلمة « الاخوة » تعنى - هنا - المودة الشاملة بين افراد الجماعة الاسلامية « أو تعنى التواد وشمول الدعوة » « الروض الانف ج ٢ ص ٢ » .

وبهذه « المؤاخاة » انصهرت هذه الطوائف بأفرادها وجماعاتها فى بوتقة الاسلام ، وتالفت منها جماعة اسلامية جديدة متحابة متعاونة ، يربطها رباط التوحيد ، وتقوى بينها مواثيق الحب والتعاطف .

ومن هذ افقد نسى كل من هؤلاء جده الاقرب ونزعاته الجاهلية ، وتطلعوا الى النسب السامى وهو «العلاقة الاسلامية والرباط الدينى المتين » .. وكان ذلك كله بفضل الدين الجديد « **واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا** » آية ١٠٣ من سورة آل عمران .

ثالثا : النظام الاجتماعى .. والفكر الاسلامى :

وضع الرسول الكريم كثيرا من القواعد التى تتفق مع خصائص النظام الاجتماعى للدولة الاسلامية الجديدة ، ومن هذه القواعد :

أ - ان تقوم العلاقات والمعاملات بين أفراد الجماعة الاسلامية وغيرها من الجماعات غير الاسلامية على التحالف ، بمعنى أن تكون هناك معاهدة تعاون على الخير ، وعدم الاعتداء بين المؤمنين بوحدانية الله من المسلمين والمسيحيين واليهود ، لقوله تعالى : « **قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** » آية ٦٤ من سورة آل عمران وبمعنى أن تصبح تلك المعاهدة سارية آليا بين كل من يرتقى بانسانيته ، ويسمو بعقله وروحه ، ويرتفع عن عبدة الاصنام والحيوانات والشمس والقمر ، ويؤمن بالله وحده ، ويرفض أن يشرك به شيئا سواء أكان هذا الانسان مسلما أو مسيحيا أو يهوديا ما داموا يتشاطرون عقيدة واحدة وان اختلفت فى الدين . وبذلك حددت تلك المعاهدة حقوق المواطن وواجباته داخل الجماعة الاسلامية . وتحقيقا لذلك عقد الرسول الكريم بعض المعاهدات مثل المعاهدة التى عقدت بين المسلمين وبين اليهود .

وبمقتضى تلك المعاهدة أضحى جميع أفراد الجماعة الاسلامية على مستوى الدولة الاسلامية من مسلمين ومسيحيين ويهود من الموحدين بالله ، من رعايا تلك الدولة ، متساوين على اختلاف أجناسهم وعصبياتهم .. بل وتتعاقد الدولة الاسلامية مع أتباع أديان أخرى تعاقدا اساسه النصر للمظلوم ، والنصح والبر ، وحرمة الاوطان المشتركة ، وحرمة من يدخل فى الميثاق ويقبل جواره ، وعلى أن تصان عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحريتهم فى الدعوة لدينهم مهما تباينت الاديان . وبذلك قامت العلاقات بين الافراد فى المجتمع على أسس تنظيمية اجتماعية سليمة . وبالتالى تتحقق عمومية الجماعة الاسلامية ، وخاصية العمومية » من أهم خصائص النظام الاجتماعى .

ب - أن تقوم العلاقات فى الجماعة الاسلامية بين الراعى والرعية على أساس « القدوة الحسنة » التى تمثلت فى الرسول الكريم الذى شيد مسجدا ليكون

مجتمعا واحدا لكل المسلمين .. وآخى بين اتباعه ليوحد بين قلوبهم ، وليكون منهم جماعة اسلامية واحدة .. ووضع المعاهدة سجلا دستوريا يتبعه سكان المجتمع من مسلمين وغير مسلمين ، حتى يعرف كل حقه والواجب عليه . يضاف الى ذلك التوجيه الالهى له الكريم « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » آية ١٥٩ من سورة آل عمران . واستجابة من الرسول الكريم لهذا التوجيه التربوى الكريم ، ولانه كما وصفه القرآن الكريم « **وانك لعلى خلق عظيم** » آية ٤ من سورة القلم . كان نعم القدوة الحسنة فى كل صغيرة وكبيرة من حياته . وبذلك يتحقق الترابط الاجتماعى القائم على العوامل المرغوب فيها . وخاصية « الترابط » من أهم خصائص النظام الاجتماعى .

جـ - اقر الاسلام مبدأ « الملكية الفردية » التى هى حق لكل مواطن فى الدولة الاسلامية ، وذلك تأكيد لمبدأ تاريخى واجتماعى ويشمل ذلك المبدأ الاسلامى ، ملكية الاراضى الزراعية ، كما يشمل ملكية المتاجر والمصانع . ويحرس الاسلام هذه الملكية وينقلها الى ورثة المالك عن طريق نظام الميراث فى الاسلام . ولا يجيز الاسلام للحكومة التدخل فى هذه الملكيات الا اذا تعارضت مع الصالح العام . ولا يكون تدخل الحكومة يومئذ بالالغاء ، كما تنادى المبادىء الاشتراكية المتطرفة ، وانما بالتوفيق بين حق الملكية الفردية الذى اقره الاسلام وبين المصلحة العامة التى هى أساس من اسس التشريع الاسلامى . وبذلك تصبح هذه الخاصية التاريخية من أهم خصائص النظام الاجتماعى الذى يرتكز على ماتعود عليه الناس ، وما يشبع دوافعهم الاجتماعية .

د - فرض الاسلام قواعد وقوالب للمعاملات والعلاقات بين أفراد المجتمع تعتبر من أهم خصائص النظام الاجتماعى ومن أهم أمثلتها :

- أن يجد الانسان بحثا عن رزقه ولا يركن الى الكسل والدعة لقوله تعالى « **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » آية ١٥ من سورة الملك . وقوله تعالى « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله** » آية ١٠ من سورة الجمعة .

- حبب الاسلام العمل الى الانسان ، وأوضح أن أفضل الطعام هو ما يحصل عليه الانسان من عرق جبينه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** » وقد خص داود بالذكر لانه كان ملكا ونبيا ، ومع ذلك كان يأكل من عمل يده بجوار الملك والسلطان . وقال عليه الصلاة والسلام « **وأحل ما أكل العبد ، كسب يد الصانع اذا نصح** » واعلاء لمكانة العمل ، سوى الاسلام بين العامل المكلف والمجاهد فى سبيل الله ،لقوله تعالى « **وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** » آية ٢٠ من سورة المزمل الـ .

- نهى الاسلام عن البخل والتقتير فقال تعالى « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولاتبسطهاكل البسط فتقعد ملوما محسورا** » آية ١٩ من سورة الاسراء .

- أمر الاسلام بالاغتسال والتطهير والتزين ، فقد روى جابر أن الرسول الكريم رأى رجلا أشعث أغبر قد تفرق شعره ، فقال : **أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه** ؟ ورأى رجلا عليه ثياب محملة بالاوساخ فقال : **أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه** ؟ .. وهذا يؤكد أن الاسلام لا يحرم الترف من وراء دعوته الى الخشونة والتقشف ، فالاسلام لا يعرف تلك الخشونة المصطنعة ، ويهتف بالمسلم « **وأما بنعمة ربك فحدث** » آية ١١ من سورة الضحى ويقول سبحانه وتعالى فى آية أخرى « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » .

- فرض الاسلام أوضاعا انسانية على أعضاء المجتمع الاسلامى تعتبر من أهم خصائص النظام الاجتماعى ، وذلك أن الاسلام فرض الزكاة على القادرين ، للعجزة والضعفاء ، بل وللفقير القادر على العمل ليكون رأس مال له فى تجارة ينميها أو زراعة أو صناعة يعرفها . وتلك القاعدة الانسانية من أسمى خصائص النظام الاجتماعى .

ذلك هو المناخ الاجتماعى الذى نبت فيه الفكر الاجتماعى الاسلامى ، والذى كان رائده عمر بن الخطاب الخليفة الثانى للمسلمين ، والذى ستكون دراساته موضوع مقالنا التالى .

بقيـــة

تفسـير ســورة البقــرة

الحرام الى المسجد الاقصى » .

وقصة الاسراء كلها تدور حول الرحلة الى المسجد الاقصى وصلاة سيدنا محمد بالانبياء والرسل فى بيت المقدس .

فالقول بأن سيدنا محمد انما صلى الى بيت المقدس تألفا لليهود يخالف الحقائق الثابتة وليس ادل على ذلك من ان جمهرة صحابة رسول الله من المهاجرين قد سبقته الى مكة ، وكانوا يصلون كما كان الاسلام متفشيا فى المدينة ، ولم يقل قائل أنهم كانوا يصلون الى الكعبة ، فلما ان وصل الرسول طلب منهم أن يتحولوا من الصلاة نحو الكعبة الى بيت المقدس تألفا لليهود ، وانما مضى المسلمون وعلى راسهم سيدنا محمد يصلون حيث اعتادوا أن يصلوا نحو بيت المقدس ، ويدهشنا أن المفسرين القدامى لم ينتبهوا لذلك فيقعون فى هذا التصور الذى استغله اليهود أسوا استغلال .

والخلاصة أنه لم يحدث الا تحول واحد فقط فى القبلة مذ شرعت الصلاة من بيت المقدس الى الكعبة ، كما يدل على ذلك صريح القرآن .

حول موضع النسخ

ومما يجدر تسجيله بهذه المناسبة ان ليس فى القرآن آية تدعو الى الصلاة الى بيت المقدس حتى يقال أنها نسخت بالامر بالصلاة الى الكعبة ، وانما كان العمل قد جرى على الصلاة الى بيت المقدس حتى نزل الامر بالتوجه فى الصلاة شطر الكعبة مما جعل الائمة يجمعون على ان القرآن الكريم ينسخ السنة وهو الدليل القاطع على صدق رسول الله وانه كان يصدع على الفور بأمر الوحى القرآنى وسنزيد الامر تفصيلا بمناسبة آية [**قد نرى تقلب وجهك فى السماء**] .

وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله

اى ان عملية تحويل القبلة مسالة هينة لينة بالنسبة للمؤمنين الصادقين ذلك أنهم يعرفون **أن لله المشرق والمغرب** وأنهم حيثما ولوا وجوههم « **فثم وجه الله** » ومن هنا رأينا كيف تحولوا على الفور نحو القبلة الجديدة على ما روى البخارى وهم فى صميم الصلاة ولكن ضعاف النفوس والمنافقين وكل من لم يدخل الايمان الى قلوبهم هم الذين اعتبروا تغيير القبلة سببا لارتدادهم عن دين الاسلام .

وما كان الله ليضيع ايمانكم

روى البخارى فى صحيحه ان البراء بن عازب قال : وكان الذى مات على القبلة ــ قبل أن تحول الى البيت ــ رجالا قتلوا لا ندرى ما نقول فيهم فأنزل الله عز وجل قوله « **وما كان الله ليضيع ايمانكم** » انتهى حديث البخارى .

أى ان الله عز وجل ما كان ليغمط حق من صلى الى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة فقد فعل ما فعل طاعة لله ورسوله وتبقى الحقيقة الخالدة الازلية « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » « **ان الله بالناس لرؤوف رحيم** »

واذا كان الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب والاساءات فكيف يتصور متصور أنه لن يتقبل صلاة من صلى الى بيت المقدس قبل أن تتحول القبلة والله بالناس رؤوف رحيم . والاتفاق على أن الرأفة درجة أشد من الرحمة وقيل أكثر وفى الحديث ما معناه أن الله أرحم بعباده من الام على أطفالها .

قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام .

معجزة القرآن

القرآن الكريم معجزة سيدنا محمد الدالة على نبوة سيدنا محمد وان هذا القرآن لا يمكن أن يكون من صنع بشر وانما هو تنزيل من رب العالمين وسيبقى الى أبد الدهر يتحدى باعجازه البشر من أى ناحية نظروا اليه من خلالها وقد كان آخر ما سمعناه من هذا القبيل أن عالمين فرنسيين اقتنعا بذلك من خلال ما أشار له القرآن من الحقائق العلمية التى كان يستحيل على بشر ان يدركها وهى لم تعرف الا فى عصرنا الحاضر بعد أن تطورت الالات الى ما تطورت اليه ، وقد سبق هذين العالمين الفرنسيين علماؤنا المسلمون الاجلاء . ونحن لسنا من علماء الفلك او الطبيعة وحرفتنا الادب والادب والتاريخ واستقراء النفس البشرية .

وبهذه الامكانيات المتاحة لنا نرى بوضوح كما لو كنا نرى ضوء النهار كيف أن هذه الاية التى نحن بصددها لا يمكن أن تكون من صياغة سيدنا محمد ولا يمكن الا ان يكون مبلغا امينا لما انزل عليه من وحى فهو يؤديها كما هى دون تبديل أو حذف أو اضافة غير عابىء بما تحدثه من نتائج فهو رسول وما عليه الا البلاغ .

رغبة سيدنا محمد

فهذه الاية الكريمة تكشف عن طوية سيدنا محمد وأنه كان يهوى ويرغب أن تكون قبلته نحو الكعبة .

تقلب وجهك فى السماء : أى ترددك وتطلعك الى السماء .

فلنولينك قبلة ترضاها : أى فلنولينك قبلة تحبها .

فأنت ترى من هذا النص انه يكشف عن رغبة سيدنا محمد فى أن تكون القبلة الى الكعبة ولكن هذه الرغبة وهذا التمنى لم يكن له دخل فى عمل سيدنا محمد

الذى ظل يصلى حيث وجهته السماء الى ان يصلى بصرف النظر عن ما يحب هو أن يختار وكل الذى كان يفعله هو أن يتطلع الى السماء بالتطلع والتمنى الى أن اجاب الله رغبته بتحويل القبلة فهنا وهنا فقط وعندما نزل الامر بذلك تحولت القبلة والان لنصل الى الدليل النفسى القاطع ان هذا القرآن تنزيل على سيدنا محمد قام هو بتبليغه الى البشر والا فلو كان من صنعه هو لما كان هناك ما يلجئه الى الافصاح عن ذلك كان هو ما يتمناه ويصبو اليه حتى لا يتقول المتقولون ويتخرص المتخرصون [وهو ما حدث بالفعل] ان تحويل القبلة تم لان هذه رغبته ولكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يحفل بما قيل ويقال انما كان هو الصادق الامين فى ابلاغ ما يوحى اليه وقد مر بنا وسوف يمر آيات كثيرة تكشف عن طوية سيدنا محمد ونزول الوحى بما يخالف أو يوافق رغبته مما يدل على وجود محمد الانسان ومحمد الرسول الذى يصدع بما يؤمر ولو كان على خلاف ما يحب ويسجل القرآن الكريم كلا الامرين لانه التنزيل .

فول وجهك شطر المسجد الحرام : أى فليكن وجهك فى الصلاة شطر أى [ناحية] المسجد الحرام ووصف المسجد بأنه حرام لان القتال ممنوع فيه على مدار السنة وكان للعرب أربعة أشهر فى السنة يحرم القتال فيها ويحل فى باقى أشهر السنة يحرم القتال ما عدا مكة حيث توجد الكعبة فقد كان القتال فيها محرما طوال العام ومن هنا جاءت التسمية « **المسجد الحرام** »

أحاديث عن القبلة

روى عن رسول الله قوله : ما بين المشرق والمغرب قبلة

وأنه صلى الله عليه وسلم قال : البيت قبلة المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض فى مشارقها ومغاربها من أمتى .

وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره : طالما ذكرنا أن كل تكليف يكلف به سيدنا محمد فهو تكليف لامته الا أن يدل دليل على أن الامر خاص برسول الله ولكن موضوع القبلة بالذات وتحويلها من بيت المقدس الى الى الكعبة كان محلا للقيل والقال كما قدمنا فقد حرص القرآن الكريم على تثبيت الامر وتأكيده بما يرفع كل لبس أو غموض ومن هنا بعد ان خوطب النبى صلوات الله عليه وسلامه أن يجعل المسجد الحرام قبلته وجه الامر الى كافة المسلمين فى كل زمان ومكان .

« **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » .

وسوف نرى أن هذا الامر سيتكرر ثانية وثالثة فى الايات المقبلة وما ذلك الا امعانا فى التأكيد لان موضوع القبلة فى تصورنا هو مسألة تنظيمية أريد بها جمع المسلمين فى صف واحد وهو ما تحقق بالفعل عبر القرون فكانت القبلة الواحدة أقوى رابطة روحية ربطت وتربط وسوف تربط المسلمين الى أبد الابدين .

وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم : أى أن اليهود والنصارى والمقصود هنا هم يهود المدينة المعاصرين لسيدنا محمد بخاصة فقد كانوا هم الذين قالوا واشاعوا وتزعموا حركة السفهاء الذين قالوا « **ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها** » وأجابوا على هذا السؤال بما فتح به الشيطان عليهم ، مع أن هؤلاء اليهود بالذات يعلمون أن تحويل القبلة هو الحق من ربهم ، ولسنا نجارى المفسرين الذين راحوا يتساءلون وكيف كان اليهود يعرفون ويجيبون على ذلك باجتهادات تخطىء وتصيب أما نحن فنقف عند النص القرآنى الواضح الصريح من أن « **الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم** »

وما الله بغافل عما يعملون : وهذا انذار لكل من يكيد للاسلام والمسلمين ، وقد قدمنا ما تعنيه كلمة « **الغافل** » أى الساهى وغير الفطن مأخوذ من الغفلة أى السهو والاهمال .

والمعنى ان الله عالم بما يكيدون ويدبرون .

ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض : يسرى الله سبحانه وتعالى عن رسوله لعناد اليهود وعدم ايمانهم [الا من هدى الله] بسيدنا محمد وفى كل ما مر بنا حتى الان من سورة البقرة هى صور من تعنت اليهود وعنادهم بالباطل فلا تتصور يا محمد انك لو جئتهم بأى آية ، والاية قد تكون حجة وبرهانا عقليا وقد تكون معجزة كونية وقد تكون آيه قرآنية ، انك واصل الى اقناعهم أن يتبعوا قبلتك التى يعرفون انها حق من حق ، وانت بعد أن عرفت ذلك فلن تتبع قبلتهم « **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** » أى أن النصارى لن يتبعوا قبلة اليهود والعكس بالعكس .

ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن من الظالمين :

أهواء : جمع هوى احبه ومال اليه يقال هويت الشىء وهويته نفسى واكثر ما يستعمل الهوى فى الميل الى الباطل وما ليس بحق . ويأتى الهوى فى معنى الشهوات وما تميل اليه النفس فى المذهب والاعتقاد ونحو ذلك وهكذا يحذر القرآن سيدنا محمد بظاهر القول ويحذر أتباع محمد الى يوم الدين بأن يميلوا الى جانب المعتقدات اليهودية والنصرانية « **بعد ما جاءك من العلم** » أى من القرآن والدين الاسلامى بعامة « **انك اذن لمن الظالمين** » .

أى تظلم نفسك بتعريضها للنار وتظلم الحقيقة .

والاتفاق على انه وان كان الحديث موجها للنبى فالمقصود به أمته واستعمل القرآن هذا الاسلوب للتشديد والتغليظ على المؤمنين ووجه التغليظ فى أنه اذا كان سيدنا محمد وهو المعصوم بنص القرآن « **وما ينطق عن الهوى** » يخاطب بمثل هذا الاسلوب ولو بظاهر القول فكيف الحال معنا نحن الضعفاء ، اننا اذن لنكونن ظالمين وظالمين وظالمين .

الذين آتيناهم الكتاب : تعنى اليهود والنصارى .

يعرفونه : جرى الخلاف حول الضمير فى يعرفونه فذهب فريق الى انه يعود الى الموضوع محل الحديث

وهو « تحويل القبلة » وان أهل الكتاب يعرفون انه حق بينما اختار أشياخنا فى تفسير الوسيط ان الضمير فى يعرفونه يعود الى رسول الله ، والمعنى المقصود واحد فى كلا المعنيين فعلمهم بأن سيدنا محمد رسول من رب العالمين من شأنه أن يجعل تحويل القبلة قد تم بوحي من رب العالمين .

كما يعرفون أبناءهم

أى أن معرفة اليهود والنصارى المعاصرين لسيدنا محمد هى معرفة يقينية وليست على سبيل الحدس والتخمين من نوع معرفة الاباء لابناءهم

وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون

يفهم من الاية الكريمة ان بعض اليهود والنصارى آمنوا بالفعل بسيدنا محمد بناء على ما كانوا يجدونه عندهم فى التوراة والانجيل بينما أصر البعض الاخر على كتمان هذه الحقيقة عن جماهيرهم ولقد اشرنا من قبل الى انه لم يكن يوجد فى اى مجتمع يهودى سوى نسخة وحيدة من التوراة يحتكر [الاحبار] حق تلاوتها ، وحيث اعترف بعض أحبار اليهود وعلى راسهم عبد الله بن سلام برسالة سيدنا محمد انكرها الاخرون .

وهم يعلمون ، طالما لفتنا النظر الى أن القوانين الجنائية المعاصرة التى يتشدقون بأنها قمة ما انتهت اليه الحضارة الانسانية تشترط لتجريم أى شخص ركن « العلم » فانظر يرعاك الله كيف سبق القرآن الكريم المدنية الحديثة بأكثر من الف سنة فى تقرير هذا الركن من أركان الجريمة وهو « العلم » .

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

أى ان تحول القبلة هو الحق من ربك فلا تكن ايها « المؤمن » الموجه اليه الخطاب أحد المتشككين [امترى فلان [فى] كذا اذا اعترضه اليقين مرة والشك مرة ، ويقول القرطبى : الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته .

بينما يحرص بعض المفسرين على ان يخرجوا مما يتصورونه حرجا فيقولون « الممترين » تعنى المجادلين .

ويهمنا ان لا يستشعر أحد اى حرج من ذكر هذه الكلمه أو تلك فقد اختار الله سبحانه وتعالى أن يخاطب العرب بلسانهم فاستخدم كلماتهم واستعمل شتى الاساليب البلاغية التى درجوا على استعمالها وما كان يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ومن هنا رأينا القرآن ينسب شتى الاعمال والانفعالات الى الله سبحانه كنسبة الكيد أو المكر او الغضب أو الحب وكل هذه الفاظ لم تستعمل لمعناها الحرفى وانما للمعنى الكلى المستفاد من مجموع القول من ان هذا الامر او ذاك خير وهدى وواجب الاتباع وان هذا الامر على عكس ذلك وبالمثل فقد تضمن القرآن الكريم انذارات وتحذيرات لسيدنا محمد فلا يجب أن نستشعر حيالها بأى حرج فما دام قد شاء سبحانه وتعالى أن يستخدم هذه الصيغة أو تلك فمهمتنا أن نفهم المقصود والمراد منها وهو هنا أن موضوع تحول القبلة هو كسائر ما نزل على سيدنا محمد « **الحق من ربك** » فلا تجعل الشك يتسلل الى نفسك من هذه الحقيقة .

ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات

الوجهة : هى الجهة والوجه والكل بمعنى واحد والمراد القبلة

موليها : اى متجه اليها .

فاستبقوا الخيرات : اى بادروا وسارعوا الى الخيرات واذ كان الحديث هنا يدور حول القبلة فقد ارتأى بعض الفقهاء ان الخيرات تعنى الصلاة ؟ ومن رأينا ان لا يخصص العام الا بمخصص فيجب ان تظل الخيرات عامة تشمل كل خير والدعوة عامة الى المسارعة والمبادرة الى فعل الخير .

أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا

ويذكر الله سبحانه وتعالى وهو يدعو للمسارعة بعمل الخير بالمكافأة والثواب يوم القيامة للاخيار والخيراء والعقاب والنار للاشرار وكل ذلك يستفاد من الاشارة الى البعث « **أينما تكونوا يأت بكم الله** » اى حيثما وأينما كنتم أيها الناس مهما تباعدت الامكنة والازمان ومهما تصورتم ان اجسادكم تلاشت واصبحت ذرات فى مهب الريح فان « **الله على كل شىء قدير** » .

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون . ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

هاتان الايتان تكرار لما سبق من الامر بالتوجه فى الصلاة شطر الكعبة وتكرر هذا الامر بعينة ثلاث مرات هنا

١ – ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام .

٢– ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام .

٣ – وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .

ونحسب ان ليس لهذه الحالة مثيل آخر فى القرآن من حيث تكرار المعنى بنفس الالفاظ تقريبا فى بضع آيت متقاربة وما ذلك بقصد التأكيد والتثبيت فلا عجب ان يظهر القرآن معجزته الخالدة فى هذه الناحية من حيث انفراده بالتأثير بل بالسيطرة على ألوف ملايين البشر الذين يتجهون بقلوبهم فى مشارق الارض ومغاربها نحو الكعبة خمس مرات فى اليوم الواحد ثم يظلون يهفون بقلوبهم حتى يروها رأى العين فتتدفق مئات الالوف كل عام لاداء فريضة الحج وهناك فى المسجد الحرام وحول الكعبة يصلون ويا له من مشهد رهيب وانى لانقل هنا ما كتبته عن المشهد فى كتابى مشاهداتى فى جزيرة العرب] ذلك أنه نتيجة هذا التوجيه الربانى للمسلمين شطر الكعبة وتكرار ذلك وتأكيده .

صلاة الجماعة فى الحرم

اننى رجل طوفت كثيرا فى الدنيا ورأيت مناظر ورأيت حشودا من الناس فى شتى الصور والاشكال ولقد راعتنى كثير من التجمعات هنا وهناك ، ولكنى أشهد أن ليس فى الدنيا كلها حشد كهذا الحشد المتجمع فى الحرم الشريف اذا حضرته الصلاة سواء من حيث الغاية التى أجتمع من أجلها ، او النظام الذى تحتذيه الجماعة . لقد رايت بضع مئات من الالاف يحتشدون فى صعيد واحد لمشاهدة احتفالات رياضية فى تشيكوسلوفاكيا ورأيت عددا أقل وان كان يتجاوز المائة الف يشهدون فى انجلترا احدى مباريات كرة القدم ولقد راعنى استطاعة هذه الجموع ان تجتمع وان تنصت دون أن يقع حادث وراعنى ما هى عليه من نظام وانسجام حتى ليصل بها الامر الى ان تنشد كلها نشيدا واحدا فى صوت واحد وكأنهم رجل واحد . ولقد رايت جموعا اخرى تناهز العشرة آلاف وقد احتشدت فى قاعة واحدة لتشهد حفلة موسيقية وقد راعنى منها هذا الصمت العميق الذى يشبه ان يكون صلاة وهم يستمعون لنغمات الموسيقى حتى أن الرجل يكاد أن يحبس انفاسه خوفا من أن يحدث صوتا يعكر هذا الصمت الرهيب الذى لا يجب أن تسمع فيه سوى اصوات الموسيقى التى قد تخفت حينا لتتحول الى همس أو الى ما يشبه حفيف النسمات .

كل ذلك رأيته وسمعته واعجبت به ومع ذلك فأشهد أن ليس هناك ما يمكن أن يصل أو يسمو الى بعض مرتبة هذا الحشد فى الحرم المكى ابان الصلاة الجامعة فى موسم الحج . فهؤلاء اناس ليسوا من شعب واحد ولا امة واحده ولا يتكلمون بلغة واحدة ولا يمتون الى جنس واحد انهم خليط من كل شعوب الارض ابيضها واسودها واصفرها واحمرها ، وقد جاءوا جميعا من كل فج عميق رجالا وعلى كل ضامر جاءوا على متون الطائرات أو على ظهور البواخر او سيرا على الاقدام ، عشرات الالوف ومئاتها جاءوا يشقون ويكدحون الايام الطوال والاسابيع والشهور لا ليلتمسوا ربحا أو تجارة ، لا ليلهو او يرفهوا عن انفسهم ولكن ليعبدا الله مخلصين له الدين متجردين من كل شىء الا الرغبة فى اظهار الطاعة والخشوع امام عظمته . انها غاية تتضاءل الى جوارها اعظم الغايات فهذا الحشد الضخم لا مثيل له فى العالمين لا فى القديم ولا فى الحديث فليس سوى الاسلام من استطاع ان يجمع الناس على اختلاف أجناسها وشعوبها وتباعد أماكنها فى صعيد واحد . فاذا هتف المؤذن [حى على الصلاة] توافدت الجموع فى لحظات واصطفت كلها فى حلقات حول الكعبة وليس لها منظمون أو مشرفون . وليس لها من يأمر أو يوجه ، وانما الجميع مسلمون يعرفون من امر الصلاة أنها نظام وصفوف فهم يتراصون من تلقاء انفسهم وفى غمضة عين ترى ربع مليون من البشر او يزيد وقد وقفوا جميعا فى حلقات متتالية ولقد كنت أنظر اليهم من كوتى وكأنى انظر الى فيلم سينمائى وقد صيغ من أبدع الالوان فالملابس الزاهية الحمراء والخضراء والبيضاء والصفراء والبنفسجية والقرمزية والزرقاء تتلالا كلها وتتمازج وتتماوج تحت أشعة الشمس فى النهار أو فى اضواء الكهرباء الساطعة بالليل والكعبة شامخة سامقة عالية البنيان بكسائها الاسود المقصب ويكبر الامام تكبيرة الاحرام فاذا الجميع يكبرون ثم يقفون خشعا كأن على رؤوسهم الطير ، ويسود الصمت العميق على هذه المئات من الالوف ، حتى لتوشك ان تسمع نبضات القلوب . ويرتل الامام القرآن فينصت الجميع ويستمعون بالروح كلها ، حتى اذا ختم التلاوة وكبر راكعا ركع الجميع ثم كبر ساجدا سجد الجميع . وانى اتحدى ان يكون لذلك مثيل أو شبيه فى اى قطر أو مصر من أمصار العالم فى اى زمان أو مكان أو عصر من العصور قبل التاريخ أو بعد التاريخ أو فيما يجد من الزمان ، أتحدى ان يكون لذلك شبيه أو قرين ان يتجمع ربع مليون من البشر فى مسجد واحد وان يصلوا مجتمعين تحت قيادة امام واحد . انها معجزة الاسلام الخالدة والتى لا يتسامى اليها دين من الاديان .

« **لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم** »

اى أن هذه القبلة نحو الكعبة لا تجعل لاحد عليكم حجة سواء من أهل الكتاب او المشركين فكلاهما يقرون ان ابراهيم هو اب الانبياء وانه هو الذى بنى الكعبة لتكون بيتا لعبادة الله فالتوجه نحوها فى الصلاة هو الحق ، وليس يجادل فى هذه الحجة

« **الا الذين ظلموا منهم** » اى من أهل الكتاب والمشركين .

فلا تخشوهم واخشونى

اى فلا تلقوا بالكم لاقوالكم وتخرصاتهم .

كان اليهود يقولون لو كان نبيا ما تحول عن بيت المقدس وكان كفار قريش يقولون ليست عودته الى القبلة الا مقدمة لعودته لدين آبائه وأجداده . **فيقول الله تعالى لنبيه ولجماعة المؤمنين فى كل زمان ومكان أن لا يخشوا أى لا يخافوا من كيد الكافرين ومزاعمهم وانما يجعلون كل خشيتهم من الله وهذا هو شأن المؤمن** « **ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون** » .

اى عندما تجعلون تقوى الله وخشيته بطاعته باطاعة رسوله فسوف أتم نعمتى عليكم .

وقد وفى الله سبحانه وتعالى بوعده للمؤمنين عندما صدقوا هم ما عاهدوا الله عليه فأنزل على رسوله ما قيل انه آخر آية من آيات القرآن

« **اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

الإسلام يحرّر الضمير

الأستاذ عبد الفتاح العدوى

الفكر السياسى ، على اختلاف مدارسه ، يتحدث عن حرية الانسان ، ويشترطها أساسا للحياة الاجتماعية السليمة .. وبعض هذه المدارس يزكى الحرية السياسية ، أى حرية ابداء الرأى ، ويجعلها مقدمة على الحرية الاجتماعية ، التى هى حرية الحصول على لقمة العيش . والبعض الاخر من هذه المدارس يعلى الحرية الاجتماعية ، ويجعلها هى الاولى ، ويرجىء الانشغال بأمور الحرية السياسية ، لان رغيف العيش عنده مقدم على خاصية التفكير عند الانسان ، ولان نداء المعدة أشد الحاحا من نداء العقول .

وثمة فريق ثالث بين أصحاب المذاهب السياسية يعمل على تحقيق التوازن بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، ويجعلها ، معا ، جناحين لطائر واحد ، لا يحلق بدون أيهما .. وهذا الفريق يقيم مذهبه على أساس مقولة جوهرية ، وهى أن الانسان لا يستطيع أن يمارس حريته السياسية ، أى أنه لا يستطيع أن يملك حرية ابداء الرأى ، اذا كان أمر معاشه بيد غيره ، لان هذه الحاجة الى أساسيات الحياة تقعد به عن ممارسة الشجاعة الادبية فى ابداء الرأى ، وربما قعدت به عن التطلع الى حق ممارسة حرية الرأى أصلا . وأيضا فان الاستغراق فى عملية توفير ماديات الحياة دون توقف عند ضرورة أن يمارس الانسان خاصية التفكير التى ميزه الله بها عن سائر مخلوقاته ، وما يترتب على التفكير من جنوح الى التعبير عن الرأى ، جدير بأن يرد الانسان الى درك حيوانى أسفل ، حيث لا هم الا اشباع المعدة بغير نظر الى نشاط العقل ..

هذه ، اذن ، هى المدارس الثلاث فيما يتصل بقضية الحرية : مدرسة تضع الحرية السياسية فى مرتبة أعلى ، وتعتبر العقل مقدما على المعدة ، ومدرسة تضع الحرية الاجتماعية فى المكان الاسبق ، وترى أن المعدة أجدر بالاهتمام السياسى من العقل ، ومدرسة ثالثة توفق بين الاثنتين ، أو تحاول التوفيق ، على أساس أن الانسان مخلوق وسط بين الحيوان والملائكة وان فيه من العقل ومن التطلع الى النشاطات الذهنية ، بقدر ما فيه من المعدة ، ومن الالتصاق بالاغراض المادية .

وعند هذا الحد يطيب لنا أن نسأل : ما هو موقف الاسلام العظيم من هذه القضية ؟؟ نعنى : ما هو مفهوم الحرية فى دين الاسلام ، وما هى اشتراطاتها .. ؟؟

بالثقة كلها ، وبالاطمئنان كله ، نقول : ان موقف الاسلام من هذه القضية هو أعظم المواقف ، وأشملها ، وأرقاها ، وأشدها الماما بكل أطرافها ... نقول هذا بعد أن مارسنا الفكر السياسي لفترة طويلة ، وقلبنا فى صفحاته المختلفات لفترة أطول ، ثم نقوله ونحن نعلم ، يقينا ، أن ليس بالاسلام العظيم حاجة الى من يضيف اليه ما ليس فيه ، لانه بما فيه غني عن أى اضافة مدعاة .

ولماذا نقول ذلك عن موقف الاسلام من قضية الحرية .. ؟؟ **أولا** ،لان الاسلام قرر حقيقة أزلية أبدية تبدأ بها قضية الحرية وتنتهى ، وهذه الحقيقة هى أن الضمير البشرى هو مصدر الحرية وحارسها ، وأنه بغير ضمير خصب ويقظ فان ينبوع الحرية يجف ، وان العدوان عليها يصبح من أيسر الامور .. **وثانيا** لان الاسلام ، وهو يبنى موقفه من قضية الحرية على هذه الحقيقة ، لم يغفل حق المعدة ، ولا حق العقل ، معا ، وأقام بينهما أروع توازن فى عالم الفكر وعالم الواقع ، على حد سواء ...

ولمن شاء أن يحدثنا : كيف يمكن للحرية أن تتحقق فى أى مجتمع خلو من ضمائر بشرية لا تعدل بالحرية بديلا ، وتستعذب الضنى والموت فى سبيل اقرارها واقامة صروحها ؟؟ ان الحرية شىء يبدأ فى الضمير أولا ، وقيمة تزكو فى الوجدان أصلا ، فاذا مات الضمير ، وصدىء الوجدان ، فلا يحدثنا أحد بعد ذلك عن الحرية وكيف تكون ولا عن قيمتها وكيف تزكو .

ومن أجل هذا فان قضية الحرية فى الاسلام تبدأ بعملية تحرير الوجدان ، أو تحرير الضمير ، لانه بغير هذا فان أساس الحرية لا يكون ، ان كان ، الا هشا ، سهل الانهيار ، مهما ادعينا له من دعائم ، واقمنا له من اسناد .. قد يحدثنا انسان عن القانون كسناد للحرية .. وهذا الحديث صحيح ، لان الحرية لا تزكو ، بل لا تنشأ أصلا ، الا فى ظل سيادة القانون ... ولكن القانون ذاته يحتاج الى صحوة الضمير حتى ينفذ . بل ان القانون بغير صحوة الضمير فى حال وضعه ، وحال تنفيذه ، وحال المحاسبة بمقتضاه ، يمكن أن يعتوره الكثير جدا من القصور ، والتجاوز ، والفساد . ان الحاكم ، بغير ضمير ، يمكن ان يمرر أبشع القوانين ، وان المحكوم بغير ضمير يمكن ان يتهرب من انبل القوانين وأن القاضى ، بغير ضمير ، يمكن ان يسىء التفسير ، ويخلط فى الحساب . ولكن بالضمير الحى ، واليقظ ، فان القانون يحيا فى المجتمع ، وتحيا فى اكنافه الحرية .. أى أن الضمير هو الاصل ، وعنه تتفرع أصول أخرى كثيرة .

بل ماذا نقول ... ؟؟ انه من البداهات المسلم بها فى مجال التشريع ان اى قانون لا يمكن أن يخرج من مجال الفكر المجرد الى حيز التنفيذ الا اذا توافر له عاملان أساسيان : **أولهما** عقيدة فى النفس أصيلة وفوارة تلهب جوانبها بحرارة الشعور بالحق ، وتحفزها الى الاستجابة الصحيحة لمبادىء العدل التى يتضمنها القانون . **وثانيهما** امكانيات عملية فى الواقع الخارجي الفسيح تحرس هذه الاستجابة ، وتغريها بالعلانية والظهور .. ومعنى ذلك أن القانون ، لكي يجد الاستجابة له فى المجتمع لابد أن يجد الاستجابة له أولا فى ضمير الفرد ، أو ضمير الشعب على اطلاقه ، وبعد هذا تأتى الامكانيات العملية فى الواقع الخارجي لكى تحرس هذه الاستجابة الداخلية وهى تخرج الى الصعيد الاجتماعى الظاهر .. أى أن الاستجابة للقانون تتم على مرحلتين متتاليتين : **أولاهما** فى ضمير الفرد ذاته ، ومن أجلها كانت حرية المناقشة شرطا أساسيا ، لانه بغير المناقشة الحرة والواسعة فان هذه الاستجابة الداخلية للقانون لا تتحصل : **وثانيهما** على الصعيد الاجتماعى ، وهذه تحتاج الى فعل السلطة وامكانياتها لكى تخرج الاستجابة الداخلية الى الواقع الخارجي وهى آمنة ، على نفسها وصاحبها من غدر المنحرفين . والاستجابة الوجدانية الداخلية للقانون أهم ، بل هى الاساس ، لانه بقدر اتساع نطاق تحققها بقدر ما يكون الضمان لفاعلية القانون على الصعيد الاجتماعى الظاهر ، واذا كانت المناقشة الواسعة الحرة شرطا لتحقق هذه الاستجابة الباطنية فان أى فعل من أفعال السلطة لن يكون بذاته كافيا لتحقق الاستجابة للقانون فى الواقع الخارجي ما لم تكن المناقشة السياسية المفتوحة قد سبقت الى تحقيق الاستجابة الداخلية فى الضمير على نطاق متسع .

والاسلام العظيم عرف هذه الحقيقة الجوهرية فى قضية الحرية قبل أن تعرفها النظريات السياسيه قديمها وحديثها ، ولهذا فانا نراه يضع التاكيد كله ، بدءا وانتهاءا ، على عملية تحرير الضمير أو الوجدان .. يحرره لانه نبع الاحساس بالحاجة الى الحرية . ويحرره لانه ، بغيرته عليها ، هو حارسها وديدبانها اليقظ .. ويحرره لان فى داخله تتحقق الاستجابة الداخلية للقوانين الضامنة للحريات ، والمنظمة لها ، والتى بغيرها لا تتحقق الاستجابة الخارجية فى الواقع لها ...

وتحرير الوجدان فى الاسلام عملية واسعة ، شاملة ، عميقة ، يندرج فى جزئياتها اللامحدودة عدد غير محدود من عمليات التحقيق ، والتطهير ، والتسامى . تحقيق حاجات الفرد الاساسية ، وتطهيره بهذا التحقيق من ذل الحاجة ، ثم التسامى به اثر هذا الى مستوى الكمال .

ما الذى يعنيه هذا ... ؟؟ يعنى ، **أولا** ، أن الاسلام العظيم لا يغفل عن الجانب الاجتماعى والاقتصادى فى قضية الحرية ، بل هو قد سبق غيره الى التنبيه الى أهمية هذا الجانب ، لانه يرى أنه بغير

تحقيق حاجات الفرد الاساسية سوف تبقى قضية الحرية معلقة فى العواصف حيث الضمير، وهو ينبوعها وحارسها، سوف يكون مثقلا بأعباء حاجات أساسية لم تتحقق. ويعنى، **ثانيا**، أن الاسلام لا يقف عند مجرد تحقيق الحاجات الاساسية، وانما يعتبر أن هذا التحقيق مجرد خطوة للوصول الى الهدف الاساسى منه، وهو تطهير وجدان الفرد من ذل الحاجة التى قد تغريه بالاستكانة لغيره. ثم هو يعنى، **ثالثا**، أن تحقيق الحاجات الاساسية للانسان – وتطهيره من ذل الحاجة، ليسا كافيين فى ذاتهما، وانما هما كافيين من حيث أنهما يوصلان الى الغاية العليا، وهى التسامى بالانسان عن طريق التحقيق والتطهير الى مستوى أعلى يميزه من سائر المخلوقات الادنى، ويجعله جديرا بالمرتبة الوسط التى يحتلها بين العجماوات والملائكة المطهرين.

ولسائل أن يسأل هنا، ما هى خطوات تحرير الوجدان فى الاسلام ؟

وكما قلنا فان تحرير الضمير فى الاسلام عملية واسعة وشاملة وعميقة، ولكنها، على كل حال، تبدأ بالخطوة الاساسية التى بغيرها يضيع هذا الطريق ولا نعرف له بداية ولا نهاية. وهذه الخطوة هى: تحرير الوجدان الانسانى من عبادة أحد غير الله، أو الخضوع لاحد سواه.

وحين جاء الاسلام العظيم بالوحدانية الصحيحة فان هذه الوحدانية فضلا عن أنها هى التنزيه الامثل لله سبحانه وتعالى، فانها هى الاساس الركين فى تحرير وجدان الانسان من عبودية تلحقه لغير الله.

فما لاحد غير الله على الانسان من سلطان، هو الذى يحييه ويميته، ويملك له الضر والنفع، بيده الرزق وهو على كل شىء قدير. فاذا كنا جميعا عبيدا لواحد أحد هو الله فلم يستعبد انسان انسانا آخر سواه، ولم يرضى الانسان بخضوع يفرض عليه لغيره سبحانه جلت قدرته.

« **قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد** ».

ومعنى أن الله أحد لا كفو له هو أنه ما ينبغى للناس أن يتخذوا بعضهم بعضا أربابا من دون الله، أو يلتمسوا الرزق، أو العون، عند أحد غيره.

وبعض الناس قد يتجه بالعبادة، أو ما فى معناها، الى طبقة الانبياء والرسل، باعتبارها أقرب الطبقات الى الله، وباعتبارها الصفوة المختارة منه سبحانه وتعالى ولذلك فانا نرى الاسلام يشدد التحذير من ذلك ويفصل فيه القول تفصيلا لا يحتمل زيادة. فالانبياء بشر مثلنا، فضلهم الله علينا بالتقوى، واختصهم بمهمة التبشير.. والتوجه اليه بالعبادة أو ما فى معناها، على أى نحو من الانحاء شرك بالله، وتنكب لقوله تبارك وتعالى بأن الله أحد، وليس له كفو.

وفى القرآن الكريم يأمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى عبارة واضحة وقوية **أن يجهر بحقيقة أمره**، وجلية موقفه، حتى لا يلتبس الامر على الناس أو يضلوا عن الحقيقة.

« **قل: انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا. قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا. قل انى ان يجيرنى من الله احد ولن أجد من دونه ملتحدا** ».

النبى العظيم، رسول الله، وصاحب الرسالة الكبرى، لا يملك لاحد ضرا ولا رشدا، ولا يستطيع أن يجير احدا من الله.. فهل لاحد بعد ذلك ان يشركه مع الله فى شىء ؟ وهل لاحد بعد ذلك أن يتجه بالعبودية والتبتل والخضوع لغير الله، مهما سمت مرتبة هذا الغير عند الله، ومن باب أولى، عند الناس ؟

وفى موضع آخر يقول القرآن الكريم (**ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم**].

صراحة قاطعة !! ليس للنبى من الامر شىء.. !! وما أراد النبى الكريم، صلى الله عليه وسلم، أن يكون له من الامر شىء، وانما النص القرآنى هنا، موجه الى هؤلاء الذين قد تسول لهم نفوسهم أن يتجهوا بشىء من ذلك اليه صلوات الله عليه، فبادر القرآن الكريم الى قطع الطريق عليهم، حتى لا يلتبس الامر على أحد، وحتى تكون العبادة خالصة لله وحده، لان الخلوص بالعبودية لله، فضلا عن أنها تنزيه له سبحانه فانها هى المدخل الذى لا مدخل غيره الى تحرير الضمير، الذى هو المنطلق الاساسى لتحقيق الحرية للانسان فى شتى أسمائها وأشكالها.

ليس للنبى العظيم من الامر شىء !! فهل بعد هذا يكون لاحد آخر من العباد شان فى خلق الله، أو آثر فى تصريف شئونهم وأحوالهم، وهو مهما تكن منزلته أدنى بلا شك من النبى مرتبة وأقل درجة ؟؟

فما الذى يعنيه ذلك ؟ يعنى ان الاسلام العظيم حريص الحرص كله على تحرير الضمير البشرى من كل شبهة شرك فى الوهية أو قداسة قد تقهر هذا الضمير وتخضعه لمخلوق من عباد الله نبيا كان أو رسولا.. ولماذا ؟

لان قضية حرية الانسان فى الاسلام تبدأ بخطوة أساسية بغيرها يتعثر كل خطو آخر، بل يتوقف تماما، وهى تحرير الوجدان الانسانى من أية شبهة بالخضوع لغير الله.. فاذا ما تحرر الوجدان من هذا أصبح مهيئا لطلب الحرية وممارستها، لاننا اذا كنا جميعا، كبشر، متساوين أمام رب واحد، فليس هناك معنى لان يرضى اى انسان باغتصاب انسان آخر لحريته، مهما يكن اسم هذه الحرية، أو شكلها، أو مضمونها.

بقية مقال
الاعجـــــاز

الله صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة ، وطليحة بن خويلد الاسدى ، وكان من اشجع العرب ، يعد بألف فارس ، وقد عظم أمره بعد ان توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسجاح بنت الحارث بن سويد التميمية وقد عظم أمرها كذلك حتى خافها مسيلمة ثم تصالحا فاتبعته وتزوجته ، ثم اسلمت وحسن اسلامها . اما النضر بن الحارث فلم يدع النبوة ولا الوحى ، ولكنه لفق شيئا من أخبار الفرس وملوك العجم ، وابن المقفـع الذين روج بعض مؤرخى الادب ، انه اشتغل بمعارضة القرآن مدة ثم مزق ما كتب واخفاه ويعتقد الكثيرون ان هذا الذى روج ، كان افتراء على ابن المقفع ، لانه بفضل فصاحته وبلاغته ، وعلمه بالعربية ، ورجاحة عقله كان أعقل من ان يحاول محاكاة القرآن ، حتى لو صدق ما نسب اليه من رقة العقيدة ثم أبو الحسين احمد بن يحيى المعروف [بابن الراوندى] وهو ايضا لم يؤلف قرآنا ، وانما ناقش من تحجج بعجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن ، قائلا أو لو ادعى بطليموس أو اقليدس ، أنهما نبيان مرسلان لان ما أتيانه من نظريات يعجز غيرهما عن الاتيان به أو بمثله أكان ذلك دليلا صحيحا على نبوتهما وقد جاء فى بعض الكتب ان ابن الراوندى ألف كتابا فى محاكاة القرآن وان كل كتبه كالفريد ، والزمردة ، وقضيب الذهب والمرجان ، وضعت لا لمحاكاة القرآن واتيان امكان الاتيان بمثله ، وانمـا الفهما ، لانكار أن القرآن معجز ، وانه دليل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

والكلام عمن حاول محـاكاة القـرآن وتقليده ، أو من ادعى النبـوة ، وايد دعـواه بكلام على نسـق القرآن ، لا يكمل الا بالحديث عن شاعرى العربية العظيمين : أبى الطيب المتنبى ، وأبى العلاء المعرى .

أما المتنبى فقد نسبوا اليه قوله ، فى محاكاة سور القرآن الكريم :

« والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليـل والنهار ، ان الكافر لفـى أخطار ، امض علـى سنتك ، واقتف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من الحد فى دينه ، وضـل عن سبيله » .

وهو كلام ، لا تعلوه مسحة من رواء بيان الشاعر الاكبر ، ولا تتفق مع جلال شعره ، ولا لطف ما عـرف من فـكره ، وان كان فـكره دون شـعره ، بكثير .

كما نسب الى المصرى قوله : اقسم بخـالق الخيل ، والريح الهـابة بليـل بيـن الشرط مطلع سهل ، ان الكافر لطويل الويل ، وان العمر لمكفوف الذيل ، تعد مدارج السيل ، وطالع التـوبة من قبيل ، تنج وما أخالك بناج » .

وينقلون هذا القول من كتاب المعرى الفصـول والغايات ، ويقول الرافعى ، ان ابا العلاء الذى ينسبون اليه هذا الهراء ، هو الذى رد على [ابن الراوندى] فى رسالة الغفران ، فقد جاء فى هذ الرسالة واجمع ملحد ومهتدى ، وناكب عن المحجة ومقتدى ، ان هذا الكتاب ، الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ، ولقى عدوه بالارجاز ، وما حذى على مثال ، ولا اشـبه غريب الامثال ، ما هو بالقضية الموزونة ، ولا فى الرجز فى سهله وحزونه ، ولا شـاكل خطـابه العرب ، ولا سجع الكهانة ذوى الارب وان الاية منه أو بعض الاية لتعترض فى أفصح كلم ، يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشـهاب المتلالىء ، فـى جنح غسق ، والزهـرة البادية فى جدوب ذات نسق » وقـد لا نستبعد أن ترد على نفس شـاعر فيلسوف ، سىء الظن بالناس ، وكاره للدنيـا ، ومتململ مما نكبه به الدهر ، اذ سلبا نور عينيه] فلزم داره ، وسمى نفسه رهين المحبسـين : البيت والعمى ، لا نستبعد أن رجلا هذا شأنه ، أن ترد على نفسه ، الهواجس ، والوساوس ، والا تكون عقيدته كعقيدة سواه ، ممن رزقوا ، خيـالا أقرب مدى ، وطيفا أخف ضراوة ، وظروف حياة ، اقل عطفا ، وأنه قد يودع شكوكه ، شعره ونثره ، وشيئا مما يستودعه القراطيس لخـاصة نفسـه ، ويعـرف العربيـــــة ، ومن ثـم فهـــو أكبر من أن يورط نفسـه فى هذه المحـاولات الصغيرة ، محاولات انشاء قرآن ، ويزعم بعض الرواة ، انه رد على من قال له أن قرآنه ليس له طلاوة القرآن . حتى تصقله الالسن .

والراى عندى أن كل مـا نسب الى المتنبئين ، مصنوع ، ومفترى عليهم اما للزراية عليهم ، والنيل منهم ، واما للنيل من القـرآن نفسـه ، بطريق ملفوف ، وبعد ذلك حتى ما نسب الى مسيلمة بن حبيب من قبل : والمبذرات زرعـا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنـا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثـاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا ، لقد فضلتم على اهل الوبر ، وما سبقكم اهل المـدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه » .

نقول حتى هذا القول ، لا يقبله عاقل ، ان يصدر من مسيلمة ، فقد كان عربيا ، بين عرب ، يميزون بين القول الغث من الشعر أو النثر او الرجز ، وبين القول الجيد ، كما يميزون بين ما يرفـع من قدر الرجل ، وما يحط منه ، ولو لم يكن هذا الرجل ، متنبئا ، ومسيلمة ، كان رجلا طموحا ، وكان من خلفه اقوام ، يشدون ازره ، وينتفعون من قومته ، ويؤملون لانفسهم خيرا من نبوته ، وهم قادرون على

ان يردوه عن هذا العبث الذى لا يدور الا حول اللقمة وخبزها وطحنها وزيتها سمنها ، ولو انتهى حديث البطون الى الدعوة الى معونة الفقير ، وغوث العانى ، والاخذ على يد الباغى .

ولم يقنع الهازئون الساخرون بمسيلمة الكذاب بنسبة هذا القرآن المضحك فنسبوا اليه قوله : والشاه وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها والشاة السوداء واللبن الابيض ، وانه لعجب محض وقد حرم المذق ، فما لكم لا تعجبون » . ومزق اللبن مزجه ، وعادة بالتمر .

ولا شك ان الذين صنعوا له هذا الكتاب ، أرادوا أن يقولوا انه رسول لامة من باعة الاطعمة ، وصناعها لان كل نبى يرسل ، ومعجزته من نوع ما يتقنه قومه ، أو يزعمون انهم يتقنونه ، فمعجزة السحر للسحرة ، ومعجزة ابراء المرضى ، لمن يتعاطون الطب ، ومعجزة مسيلمة الحديث عن الطحن والخبز ، واللت والعجن .

الا انهم نقلوه الى الفيل فقال الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل » .

ونقل الرافعى عن الجاحظ فى كتابه الحيوان ، ما نسب كذلك الى مسيلمة فى الضفدعة ، نقل عنها : يا ضفدعة بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، نصفك فى الماء ، ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » .

وقد تساءل الجاحظ فاهيج مسلمة على الضفدعة ، وقد جاء الجاحظ الرد فيما نسب اليه هو أيضا ، من أنه حاول مثل هذه المحاولات ، فكأنه كتب على سادة الكلام وأمرائه فى العربية ، لا سيما من نبغ منهم فى القرن الرابع من الهجرة ، قد امتحنوا جميعا بما افترى عليهم من محاكاة القرآن : وبنسبة من السخف اليهم ، وهم يحاولون هذه المحاكاة المزعومة وان كانوا فى غيرها حتى عند من نسب اليهم هذه المحاولة فى القمة من البلاغة العربية .

« الحمد لله الذى أنجز وعده »
ونصر دينه
وأعز وليه وأذل عدوه

وكان أبو بكر [رضى الله عنه] قد بعث المثنى بن حارثة الشيبانى على جيش الى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على فارس : قاتل حولا أو نحوه ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة الى أبى بكر يستمده ، فكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عند عبد الله أبى بكر : خليفة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ، سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد ، فالحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر دينه ، وأعز وليه وأذل عدوه ، وغلب الاحزاب فرداً . فان الله الذى لا اله الا هو وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، وعدا لا خلف له ومقالا لا ريب فيه ، وفرض على المؤمنين الجهاد فقال [عز من قائل] : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ، فاستتموا موعد الله اياكم ، وأطيعوه فيما فرض عليكم وأن عظمت فيه المئونة ، واشتدت فيه الرزية ، وبعدت فيه الشقة ، وفجعتم فى ذلك بالاموال والانفس ، فان ذلك يسير فى عظيم ثواب الله ، ولقد ذكر لنا الصادق المصدوق [صلى الله عليه وسلم] : ان الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين سيوفهم ، لا يتمنون على الله شيئا الا آتاهموه متى أعطوا امانيهم ، وما لم يخطر على قلوبهم ، فما من شىء يتمناه الشهيد بعد دخوله الجنة الا ان يردهم الله الى الدنيا فيقرضون بالمقاريض فى الله لعظيم ثواب الله ، انفروا — رحمكم الله — خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير الى العراق لا يبرحه حتى يأتيه أمرى ، ولا تثاقلوا عنه فانه سبيل يعظم الله فيه الاجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت فى الخير رغبته ، فاذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى ، كفانا الله واياكم أمور الدنيا والاخرة « والسلام عليكم ورحمة الله » .

حول المفاهيم الدينية

فضيلة الشيخ عبد الحميد يليبع

كثرت الكتابة وتعدد الكاتبون تحت عنوان « المفاهيم الدينية » وهذا جهد مشكور وعمل جاد ومفيد نرجو المزيد منه سيما فى هذه الظروف التى نعيشها الان فانا أحوج ما نكون فيها لبيان فضل هذه المفاهيم فى تهذيب النفوس وتقويم الاخلاق وترقية المدارك والدلالة على ما فيها من أسرار عميقة فى التوجيه الى الله وفى تطهر القلب وتوعية العقل وفى ربط سلوكنا بسلوك المؤمنين الاولين .

حقا لو تم كل هذا من كتابة الكاتبين وتلقته الامة بالقبول والتنفيذ لكانت أمتنا امتدادا للامة التى نبتت فى الجزيرة العربية ونمت وترعرعت فى رحاب هذه المفاهيم الدينية حتى كان لها من القوة جيوش قهرت فارس والروم وبسطت سلطانها على كثير من شعوب العالمين بيد أنى اطلعت أثناء قراءاتى أن بعض الكاتبين ترك هذه الجوانب على أهميتها كما قلت سابقا وجنح الى البحث فى تحديد هذه المفاهيم الدينية مؤيدا بعض من حددها مدعما تحديده اياها ناقدا تحديدا البعض الاخر بانه تحديد غير جامع أو غير مانع واخذ هذا يرد وذلك يدفع حتى اتسع المجال وكثر القيل والقال وهذا وان كان بحثا علميا له أهميته غير أنى أرى أن لا يكون على المنبر العام — الصحف والمجلات تتناوله أيدى جميع الطبقات بل يكون — ككل قضية علمية ذات خلاف — يكون بين السادة العلماء فحسب قاصرا على ندواتهم فى انديتهم وخاصة مجالسهم لا يتسرب الى العامة شىء منه الا بعد نضجه والاتفا قفيه على رأى يعتمد عليه والا احدث عند العامة بلبلة فى الفكر واضطرابا فى الرأى وتخربا فى المجتمع وفى ذلك من الخطورة ما لا يخفى — وأنى وان كنت أدعو الى هذا راجيا التزامه والعمل له الا أنه يعز على أن أرى مجال البحث الدينى قائما ولا ارمى فيه بسهم او ادلى فيه برأى فارضاء لنفسى واشباعا لرغبتى فى هذا المجال أقول — أن الايمان بالله أحد هذه المفاهيم الدينية وقد عرفه العلماء بتعاريف متعددة — منها أنه « تصديق القلب واذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد » ومنها انه « تصديق القلب بما علم بالضرورة أنه من الدين واقرار باللسان وعمل بالجوارح » ومنها أنه « التلفظ بالشهادتين ثم ان طابقه تصديق القلب فصاحبه ناج والا فمخلد فى النار وغير ذلك نرى أن التعريف الاول ليس فيه الا قيد واحد هو تصديق القلب فقط أما بقية التعاريف ففيها اكثر من قيد — فيها تصديق القلب، والاقرار

باللسان والعمل بالجوارح ومنها التلفظ بالشهادتين
ولعل اصحاب هذه التعاريف ضموا هذه القيود استنادا الى ما ورد فى كتاب الله والى ما ورد فى احاديث رسول الله — أما ما ورد فى كتاب الله فهو - اولا - قوله تعالى : « **وما كان الله ليضيع ايمانكم** » قالوا ان المراد بالايمان هنا الصلاة لان سياق الحديث فى تحويل القبلة وعبر عنها بالايمان والصلاة عمل وهذا يفيد ان العمل جزء من حقيقة الايمان .

ثانيا :

لا يكاد يذكر الايمان في القرآن الا مقرونا بالعمل الصالح وهذا يفيد أن العمل جزء من حقيقة الايمان — أما أحاديث الرسول فمنها حديث وفد عبد القيس « أتوا الي النبي صلوات الله عليه وقالوا يا رسول الله انا لا نستطيع أن نأتيك الا فى الشهر الحرام فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسالوه عن اشياء فأمرهم باربع ونهاهم عن أربع — امرهم بالايمان بالله وحده — قال — **أتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم - قال - شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس الخ الحديث** وهو يفيد ان العمل والاقرار باللسان جزء من الايمان بالله لعل هذا ما استند اليه الذين ضموا قيودا فى تعريف الايمان ولكن بالتأمل ودقة التفكير فى النصوص الدينيه وملابساتها وما يكتنفها من ظروف واحوال نرى أن ما ذكر في القرآن وفي الحديث ليس الغرض منه تحديد حقيقه الايمان بالله — فقد قيل لكل مقام مقال — والمقام هنا لا يستدعي تحديد الايمان بل يستدعي شيئا آخر — هذا الشىء فى الاية السابقة« **وما كان الله ليضيع أيمانكم** » يحتمل أن يكون بيان فضل الصلاة وارتفاع منزلتها بين الشعائر الدينية لذا عبر عنها القرآن بالايمان — واما اقتران الايمان بالعمل الصالح فى كثير من آيات القرآن الكريم فليس ذلك نصا في أن العمل جزء من الايمان بل ولا يحتمل أن يكون جزءا منه لان العمل معطوف على الايمان والشيء لا يعطف علي نفسه وعلى فرض الاحتمال فانه يحتمل كذلك معنى آخر غير هذه الجزئية هو انما قرن العمل بالايمان لان العمل ثمرة الايمان لان الايمان العقيدة الصحيحة التى تساير الفطرة وهى طاقة كبرى تدفع الانسان الي العمل البناء الهادف وتنشط جوارحه للقيام بهذا العمل المثمر لا تلبية لشهوة ولا رغبة فى محمدة وسمعة قال الرسول « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » كل ذلكمحتمل والمقرر علميا أن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال — أما حديث وفد عبد القيس الذى سبق أنهم استندوا اليه فى كون العمل جزءا من الايمان — فان الوفد لم يطلب من الرسول حقيقة الايمان لانهم مؤمنون فعلا وكيف يؤمنون وهم يجهلون حقيقة الايمان ولكنهم يستزيدون من توجيهات الرسول وارشاداته الى ما يدخلهم الجنة والرسول وهو المعلم الاول اجابهم الى ما يهدفون اليه وهو العمل الذى يدخلهم الجنة — والرسول يعلم أن أحب ما يتقرب به العبد لربه هو أداء ما فرضه الله عليه لذا أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها مما ورد فى الحديث المذكور ولو كان المراد بيان حقيقة الايمان لذكر فى اجابته الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر والقدر وهى من الامور التى لابد منها فى وصف الشخص بأنه مؤمن ناج من التخليد فى النار ومما يدل على أنه لا يريدبيان حقيقة الايمان أمران — **أولهما** — انه قال فى الحديث وان تعطوا من المغنم الخمس — وهذا لم يقل أحد انه جزء من حقيقة الايمان - **ثانيهما** - ان ماذكرفى بيان الايمان فى هذا الحديث هو ما ذكره فى بيان حقيقة الاسلام فى حديث جبريل وعليه تكون حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام واحدة والواقع انهما امران متباينان ولكل منهما حقيقة مستقلة - بهذا ظهر ان تعريف الايمان بالله ليس فيه الا قيد واحد هو — تصديق القلب واذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد وان القيود المذكورة فى التعاريف الاخرى لا حاجة لها فى بيان حقيقة الايمان وأن استنادهم الى ما استندنا اليه فى وضع هذه القيود غير صحيح كما تقدم بيانه — ويؤيد أن الايمان تصديق قلبى فقط ما ورد فى الكتاب والسنة ويفيد ذلك صراحة لا يحتمل التأويل وذلك ما يأتى - أولا - قال القرآن الكريم « **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » نرى ان الله عز وجل نفى عنهم الايمان وأعلن انه لم يدخل قلوبهم على حين أنهم كانوا يقولون باللسان ويعملون بالجوارح ظاهرا فلو كان القول باللسان والعمل بالجوارح من مفهوم الايمان لما ساغ ان ينفى الله عنهم الايمان وهم متلبسون بالاقوال والاعمال التى هى جزء من الايمان فى نظر هؤلاء — **ثانيا** — قوله تعالى « **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » وقوله « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** » نرى انه عطف العمل الصالح على الايمان فى الاية الاولى وجعل الايمان شرطا فى جنى ثمرة العمل الصالح فى الاية الثانية وهذا الصنيع يفيد أن العمل غير الايمان وأنه ليس جزءا منه لان المقرر علميا ان العطف يفيد المغايرة وان المعطوف غير المعطوف عليه — ومقرر ايضا أن الشرط غير المشروط والايمان شرط فى الحصول على ثواب المعل الصالح كما هو ظاهر الاية — **ثالثا** — قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل** » فهو

صريح فى ان العمل ليس جزءا من حقيقة الايمان بالله ولكنه تعبير عن حجم الايمان الذى وقر فى القلب ودليل على وجوده او عدمه وعلى قوته او ضعفه فالايمان الصادق هو قوة الدفع الكامنة فى حنايا الشخص تدفعه الى الطاعة والعمل .

رابعا ـ ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وقد سأله « **ما الايمان** » ـ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره نرى ان الرسول لم يتعرض لتعريف الايمان اعتمادا على أنه معروف لدى العرب بأنه التصديق وذكر ما هو مجهول لهم وهو متعلقات هذا التصديق وهو التصديق بالله وملائكته الخ ـ هنا نتساءل ـ هل مجرد التصديق ـ وهو باطنى محض لا اطلاع لاحد عليه ـ كاف فى اعتبار صاحبه مؤمنا يعامل كما يعامل المؤمنون ونقول ـ أن مثل هذا الذى صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه مثل هذا مؤمن عند الله آمن وناج فى الدار الاخرة أما فى الدنيا فلا يعامل معاملة المؤمنين الا بشرط أن ينطق بالشهادتين والا فلا يعامل معاملة المؤمنين اذا مات لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين ولا يورث ان ترك مالا ـ واذا عاش لا يرث من والديه ولا من اقاربه ولا يتزوج بمؤمنة ـ يشهد لذلك قوله تعالى « **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** » يوضح هذا ما روى عن ابن جرير قال « **اخذ المشركون عمار ابن ياسر فعذبوه حتى قاربهم فى بعض ما ارادوا فشكا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى ـ كيف تجد قلبك ـ قال مطمئنا بالايمان ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان عادوا فعد »** من هذه الاجابة نرى أن الرسول أقر عمارا على ما قارب المشركين عليه مما يفيد ظاهرا أنه عاد الى الكفر مادام قلبه مطمئنا بالايمان ـ نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن أنه تعالى ولى التوفيق والهادى لاقوم طريق (*)

القاديانية

كنت على ان أواصل الحديث فى هذا المقال عن الثورة المطلوبة فى جميع مجالات التعليم والتثقيف العام .. وهو الموضوع الذى بدأته فى العدد الماضى من « منبر الاسلام » ووعدت بمتابعته فى هذا العدد .. لولا أن حدثا هاما قد شدنى فى الفترة الاخيرة ... ولم أستطع ـ وفاء للضمير الاسلامى العام ـ الا أن أفسح له مجالا من نفسى واهتمامى ومشاعرى .

هذا الحدث الذى انعش آمال المسلمين .. والذى لم يحظ من أجهزتنا الاعلامية بما كان ينبغى له من الاحتفاء .. هو ذلك القرار التاريخى العظيم الذى اتخذته حكومة باكستان الاسلامية باعتبار طائفة « القاديانية » أقلية غير مسلمة تعامل معاملة الهندوسية وغيرها من الاقليات الاخرى فى باكستان .

ومن أجل توطين هذا القرار وتمكينه .. فقد وافقت الجمعية الوطنية الباكستانية فى جلسة تاريخية على تعديل الدستور تعديلا يخرج « القاديانية » ـ كما أرادت لنفسها ـ من زمرة الاسلام والمسلمين » .

واذا كان ذلك القرار الاسلامى الحصيف ـ كما أعلن السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان ـ يعكس ارادة وآمال ومشاعر المسلمين فى باكستان .. فانه يعكس أيضا نفس الارادة ونفس الامال ونفس المشاعر لاكثر من سبعمائة مليون مسلم ينتشرون على رقعة هذا العالم الزاخر بالتيارات والمذاهب التى تكيد للاسلام وتتآمر عليه .

لقد وضع قرار الحكومة الباكستانية بتعرية « القاديانية » نهاية حاسمة لاكثر من ثمانين عاما من الفتنة التى أوجدها الاستعمار على شكل نبوءة كاذبة .. والتى ابتلى بها العالم الاسلامى ضمن ما ابتلى به من حركات لهدم المجتمعات الاسلامية .

وحتى نعرف الابعاد الحقيقية لهذا القرار .. فاننا يجب أن نستعيد هنا ماهية « القاديانية » .. ماذا

مواقيت الصلاة

أيام الأسبوع	المحرم ١٣٩٥	يناير ١٩٧٥	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
الاثنين	١	١٣	٢٠	٥	٥٣	٦	٠٣	١٢	٥٤	٢	١٣	٥	٣٥	٦
الثلاثاء	٢	١٤	٢٠		٥٣		٠٤		٥٢		١٧		٣٨	
الأربعاء	٣	١٥	٢٠		٥٣		٠٤		٥٢		١٧		٣٨	
الخميس	٤	١٦	٢٠		٥٣		٠٤		٥٢		١٧		٣٨	
الجمعة	٥	١٧	٢٠		٥٢		٠٥		٥٩		١٩		٤٠	
السبت	٦	١٨	٢٠		٥٢		٠٥		٥٩		١٩		٤٠	
الأحد	٧	١٩	٢٠		٥٢		٠٥		٥٩		١٩		٤٠	
الاثنين	٨	٢٠	٢٠		٥٢		٠٥		٥٩		١٩		٤٠	
الثلاثاء	٩	٢١	٢٠		٥١		٠٦		٠٢	٣	٢٢		٤٣	
الأربعاء	١٠	٢٢	٢٠		٥١		٠٦		٠٢		٢٢		٤٣	
الخميس	١١	٢٣	٢٠		٥١		٠٦		٠٢		٢٢		٤٣	
الجمعة	١٢	٢٤	١٩		٥٠		٠٧		٠٦		٢٥		٤٦	
السبت	١٣	٢٥	١٩		٥٠		٠٧		٠٦		٢٥		٤٦	
الأحد	١٤	٢٦	١٩		٥٠		٠٧		٠٦		٢٥		٤٦	
الاثنين	١٥	٢٧	١٨		٤٩		٠٨		٠٧		٢٧		٤٧	
الثلاثاء	١٦	٢٨	١٨		٤٩		٠٨		٠٧		٢٧		٤٧	
الأربعاء	١٧	٢٩	١٨		٤٩		٠٨		٠٧		٢٧		٤٧	
الخميس	١٨	٣٠	١٨		٤٩		٠٨		٠٧		٢٧		٤٧	
الجمعة	١٩	٣١	١٨		٤٩		٠٨		٠٧		٢٧		٤٧	
السبت	٢٠	أول فبراير	١٧		٤٦		٠٩		١٠		٣١		٥١	
الأحد	٢١	٢	١٧		٤٦		٠٩		١٠		٣١		٥١	
الاثنين	٢٢	٣	١٧		٤٦		٠٩		١٠		٣١		٥١	
الثلاثاء	٢٣	٤	١٥		٤٤		٠٩		١٣		٣٥		٥٤	
الأربعاء	٢٤	٥	١٥		٤٤		٠٩		١٣		٣٥		٥٤	
الخميس	٢٥	٦	١٥		٤٤		٠٩		١٣		٣٥		٥٤	
الجمعة	٢٦	٧	١٣		٤٢		٠٩		١٤		٣٧		٥٦	
السبت	٢٧	٨	١٣		٤٢		٠٩		١٤		٣٧		٥٦	
الأحد	٢٨	٩	١٣		٤٢		٠٩		١٤		٣٧		٥٦	
الاثنين	٢٩	١٠	١٣		٤٢		٠٩		١٤		٣٧		٥٦	

نهاية ٨٠ عاما من الفتنة

الأستاذ محمد دياب

تقول ؟ والى أى شىء تهدف ؟ ومن الذى احتضنها وموّلها ..

يكفى أن نعرف أن هذ الطائفة الغريبة كانت تروج لفكرة استعمارية خبيثة هدفها تفريغ الروح الاسلامى من مواهب البذل والتضحية والفداء .. كانت تنادى بأن أمر الجهاد فى الاسلام قد ألغى الان .. وأن الفقه الاسلامى يجب أن يلغى منه باب الجهاد !»

يكفى أن نعلم أن « غلام احمد » زعيم هذه الطائفة المارقة ادعى لنفسه الوحى والنبوة والرسالة .. لقد زعم أن الوحى ينزل عليه من الله .. كان يقول فى خطبه : « هذا هو الكتاب الذى ألهمت حصته منه من رب العباد ، فى يوم عيد من الاعياد » .. وكان يقول : « لقد أوحى الى من ربى قبل أن ينزل الطاعون أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا » .

ولم يكتف هذا الكذاب وطائفته بادعاء نزول الوحى عليه وحده .. بل كانوا يدعون أن اتباعه أيضا ينزل عليهم الوحى .. وفى منشور لزعيم هذه الطائفة كان يقول : ان المهدى والمسيح قد ظهر فى الهند بمحل يقال له « قاديان » ، وأنه يوجد الان آلاف من حوارييه يستمعون الوحى الالهى ! ومما زعم غلام احمد أنه أوحى به اليه ، « وانى جاعلك للناس اماما ينصرك رجال نوحى اليهم » !!

يكفى أن نعلم أن هذه الطائفة العميلة ضد الاسلام كانت تنكر أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء والمرسلين .. وأن هذا الافاق العميل غلام احمد هو رسول الله !!

يكفى أن نعلم أيضا أن طائفة « القاديانية » كانت تصرف الناس عن العمل بالاحاديث النبوية .. وكانت تحرف كثيرا من آيات القرآن الكريم على زعم أنها نزلت لتخبر بظهور زعيمها وتنوه بشأنه .. بل لقد ذهب الغرور بهذا المدعى اللعين الى انه كان يفضل نفسه على كل رسل الله تعالى .. ومما أورده ـ زورا ـ على أنه خطاب له من الله : « أنت منى بمنزلة توحيدى وتفريدى ، أنت منى بمنزلة عرشى ، أنت منى بمنزلة ولدى » !!

ولقد كان غلام احمد هذا ـ أو « احمد رسول العالم الموعود» ، كما سمى نفسه ـ يحكم بتكفير من لايؤمنون بأكاذيبه .. ويعلن أن المسلمين الذين يكذبونه أحط درجة من المنافقين .. بل لقد وصف هذا الافاق المسلمين بأنهم أعداء لاهل مذهبه كما قال فى مقال يخاطب فيه أتباعه : فاذكروا دائما أن الحكومة الانجليزية هى رحمة وبركة لكم ، فهى الدرع التى تقيكم ، أن الانجليز خير ألف مرة من المسلمين الذين هم أعداءكم .

أكذلك كان رسول آخر الزمان .. هذا المخبول المسمى بغلام أحمد .. يرى أن بعده عن المسلمين نعمة تستحق الشكر .. وفى احد كتبه كتاب يقول : احمد الله حيث ولدت تحت راية انجليزية وبعيدا عن المسلمين !! أ

ومن هنا .. نستطيع أن نعرف الهوية الحقيقية لهذه الحركة الهدامة التى استهدفت تشويه معتقدات المسلمين والتشكيك فى مبادىء الاسلام الحنيف .

انها حركة ولدت فى ظلال الاستعمار البريطانى .. زعيما ونشأة وتمويلا ونموا .. لتخدم أهداف هذا الاستعمار تحت ستار الدين والنبوءة .. ولتدمر روح الفكر والثقافة اللذين أبدعتهما الحضارة الاسلامية ووقفا سدا منيعا طوال القرون ضد موجات الغزو الفكرى والثقافى .

هذه مجرد اشارات سريعة الى أخطار القاديانية التى ضربتها حكومة باكستان المسلمة بقرارها التاريخى الشجاع . وهو القرار الذى قالت وكالات الانباء انه قد أحدث آثارا ايجابية سريعة وواسعة .. وان أكثر من مائة ألف قاديانى قد أعلنوا ـ بعد هذا القرار ـ توبتهم وعودتهم الى الاسلام الصحيح متمسكين بمبادئه معترفين بنبوة رسوله صلى الله عليه وسلم خاتما للانبياء والرسل .

ولاشك أن أمام الفكر الاسلامى فى ضوء هذه

التجربة الناجحة والناجعة ·· درسا يجب استيعابه بمنتهى اليقظة والدقة ·· وتتمثل أبعاد هذا الدرس المستفاد فيما يلى :

● اولا : فان على القادة والمصلحين والمسئولين فى هذه الامة الاسلامية الا ينظروا الى الحركات والمذاهب والتيارات المعادية للاسلام نظرة سلبية تكتفى بالاقوال دون الافعال ·· فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ·· وخاصة عندما يتعرض جوهر الاسلام ومبادئه لمثل هذه الهجمات الاستعمارية المدمرة ·

● ثانيا : فان القاديانية ليست أكثر من مظهر واحد من مظاهر متعددة لما يدبره الاستعمار والصهيونية من حركات ومذاهب مشبوهة لاشاعة التفرقة · والفتنة والدس والتخريب وتشويه العقيدة فى نفوس المسلمين وتدمير قيم الاسلام وتراثه وحضارته ·· وكل هذه المذاهب تقدح من زناد واحد هو الاصرار الجامح على تتل القوة الاسلامية وشل فاعليتها وارغامها على الاستسلام ·

● ثالثا : فان الدعوة الاسلامية فى مواجهتها الفكرية والثقافية والحضارية لكل اعدائها ·· تحتاج الى مزيد من الجهود المبذولة ·· والى كثير من العقول المبرأة من العوج البعيدة عن الهوى للدفاع عن هذا الدين الحق والجهاز فى سبيله حتى يظل رفيع الدعائم ·· محفوظا من أن تلعب به الاهواء والمكائد ·

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول :

« **ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، الا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل !** » ·

فى وصف الدنيا

داود بن المحبر قال : اخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال : اقبلنا قافلين من بلاد الروم حتى اذا كنا بين الرصافة وحمص ، سمعنا صوتا من تلك الجبال، تسمعه آذاننا ولا تبصره ابصارنا ، يقول : يا مستور يا محفوظ انظر فى ستر من وحفظ من أنت ، انما الدنيا شوك فانظر اين تضع قدميك منها .

وقال أبو العتاهية :-

رضيت بذى الدنيا ككل مكاثر
ملح على الدنيا وكل مفاخر
الم ترها تسقيه حتى اذا صبا
فرت حلقه منها بشفره جازر
ولا تعدل الدنيا جناح بعوضة
لدى الله او مقدار نفية طائر
فلم يرض للدنيا ثوابا لمؤمن
ولم يرض بالدنيا عقابا لكافر

وقال ايضا :

هى الدنيا اذا كملت
وتم سرورها خذلت
وتفعل فى اللذين بقوا
كما فيمن مضى فعلت

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صفى لنا نفسك وكانت من ينطق ما وصفت نفسها باكثر من قول ابى نواس :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق
وما الناس الا هالك وابن هالك
وذو نسب فى الهالكين عريق

الإسلام دين الحق والهدى

يمارس الاسلام نشاطه فى تحرير البشرية من الخاصية التى حصن عليها بعض البشر ووصل الى مرتبة التاليه فاحرق الاعتقاد بقداستهم واقتلع الثقة بجذورها من أعماق البشر كآلهة يعبدون [ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين] ودفع الجميع الى الاعتقاد بوحدانية الله [قل هو الله أحد] واليقين بانه رب العالمين [الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين] وحطم أغلال الازدواج فى الالهة [وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد] وأنقذ البشرية من الانحناء لغير الله .

الأستاذ مصطفى مجدى رؤوف

[ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون] وزرع فى تربة الضمير الخصبة الوثوق العميق بانفراد الله فى الخلق والايجاد [ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم] والغى اللقب الوهمى — سادة وعبيد — ومضى البشر كل البشر فى الطابور الخاشع الخاضع العابد الى الله رب العالمين وأنه لا سيادة الا له والبشر عبيده [ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا] .

هذا التالق البشرى يزداد وضوحا مع الطقوس الدينية :

ففى محراب الصلاة : تنعدم الطبقية الكل يمرغ وجهه فى التراب سواء ومع الله فى ضيافته ورحابه سواء .

وفى ساحات الحج : تلتحم موجات الدعاء القادمة من جوف البشر المسلم متصاعدة الى السماء بلا امتياز وحيث التجرد من العالم المادى سواء .

والصوم : يتذوق فيه رواد المقاعد الخلفية والامامية بعد الالفاء طعم الحرمان والامتناع سواء.

وفى جانب التقيم : ارتفعت قوائم الوجه البشرية باطلاق سياسة رشيدة واعية فمزج البشر فى لقب واحد ونداء واحد [يا أيها الناس] [يا بنى آدم] وروعيت مكانته فى التكريم والتقدير والاحترام وبذلك توقف اللهاث خلف البحث عن الدوحة الدسمة وعراقة المثبت [ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] .

واسند الانسان الى وحدة الاصل البيولوجى [الترابية — الادمية — المائية] [ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين] .

وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه [يا أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب] من خطبة الوداع .

وان كانت سنة الحياة التعرية المناخ الجغرافى احدثت اختلافا فى اللون والجنس واللغة فلن يكون عامل هدم لنظرية التقييم على المبدأ الاول تراب آدم وماء وليس الاختلاف الا اية القدرة وزيادة الوثوق بلمسات القادر فى الخلق والابداع [يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا] ، [ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين]. [كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) ، (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين] واصبح التفاضل قائما على الجهد الذاتى والحافز الفردى والارتفاع بمستوى الانتاج الروحى والاجتماعى والاقتصاد والعضلى والذهنى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . [وهو الذى

جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم] [قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون] .

وغربت الفكرة التى تنادى بأن اللون والجنس يرسم اقدار البشر ويحدد اماكنهم فى مجتمعاتهم ولم يعد هذا الاختلاف الشكلى عامل تعثر أو تعويق فى الانفتاح على العالم والصعود الى المكانة التى تؤهل له قدراته العقلية وذكاءه الوقاد وبده الخشنه حيث يضع من الامال حقيقة ومن الاحلام واقعا فقد تربع بلال الحبشى سنام الرياده وقاد عبادة بن الصامت الاسود وفد المفاوضة أمام المقوقس وتبوأ سلمان الفارسى المنزلة الرفيعة فى المجتمع السليم [ليس **لعربى فضل على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على أبيض ولا لابيض على أحمر الا بالتقوى**].

واطلق الاسلام قيد المتعثرين وحطم الاغلال من أعناق الضاربين فى العبودية وأرجع الى المستحقين فى الحرية حريتهم وأظلتهم البشرية العامة .

وفى جانب البسطاء والعاديين :

أصبحت الهزة الاجتماعية لقلة الثروة خرافة ولم تعد المادة وحدها كفيلة بأن تمنح المجد لاصحابها فقد أطفأ الاسلام الهالة المضيئة حولها وأزال المتانة الاقتصادية من طريق التقييم الانسانى لم يعد لضعاف الجاه والنفوذ والمادة زوايا التاريخ وممهلاته ولم يعد الفقير مهينا والبسيط قمينا والعادى هامشيا فى مجتمعه لقد رفع الاسلام الجميع الى درب القافلة الجادة وأزال عنهم سبة الاصل ورقة الدوحة ومنحهم الادراك بمكانتهم العملاقة وقيمتهم الانسانية ليعطوا ويمنحوا المجتمع بما عندهم من طاقات شابة ويحمونه من التفسخ والانهيار .

لقد طاح الاسلام بكل هذه المعوقات ليفتح بين ركان اليأس والمرارة طريقا لهم الى المستقبل ويعطيهم الثقة بأنفسهم بأنهم ليسوا مجرد بشر بل أصبحوا نموذجا لمجتمع متكامل سليم .

وليس أصدق على هذا من عتاب السماء له صلى الله عليه وسلم يوم أن اشاح بوجهه عن الانسان الشعبى والرجل الجماهيرى وتباطأ فى الاهتمام بالفقير ولم يكن العتاب الا منهاجا للذين يبهرهم بريق الجاه ويحدد عندهم مكانه الشخصيات [**عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة**] واوشك ان يضطرب الميزان فى المجتمع يوم ان اقبل وجهاء مكة تسبقهم عنصريتهم وتعرقهم القبيلة قالوا : انح هذه الفئة القميئة عن مجلسك ونحن نتسابق الى الدخول فى دينك مما رضى رسول الله قالوا : اجعل لهم المقاعد الخلفية فسارعت السماء بمساندة رجل الشارع [ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين [.

وفى جانب القانون :

البشرية الزاخرة على اختلاف اللون والجنس والوضع الاجتماعى والمادى والقدرات العقلية أمام القانون سواء وخير دليل على هذا الرد الذى صك به الرسول وجه العنصريين يوم ان اقبلوا للتحايل على الافلات من العقاب فى شخص المخزومية السارقة وأعلنها مدوية .

[**انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمه بنت محمد سرقت لقطعت يدها**] .

وفى جانب المشورة والرأى :

أنه ينضم مع الوفود الزاحفة نحو أكرم مصير نحو القوة فى نظام وتجاه القوة دون تخريب أو تدمير ينضم تحت لواء الدعوة الجماعية [**وشاورهم فى الامر**] [**وأمرهم شورى بينهم**] وبذلك يفتح الاسلام باب النقد الهداف على مصراعيه واعطى البشر كل البشر الحق فى المعارضة البناء لمواجهة الاخطاء التى تعترض الحاكم وجعل للكلمة الفاضلة صوله وفتح لها مجال الحركة حتى تتراجع الاراء المضمحلة وتنزوى المعارضة الفئة المعارضة من أجل المعارضة وحب الظهور والرأى يعلنه الوجه الجماهيرى صريحا وفى شخص أنثى فيتقبله الحاكم عمر [أراد عمر أن يسن قانونا باحقية الزوج فى بعض مهر الزوجة] فعارضته امراة واستدلت فى معارضتها بقول الله تبارك وتعالى [**وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتاخذونه بهتانا وأثما مبينا**] تراجع عمر ونزل عن رأيه وقال كل الناس أعلم منك ياعمر حتى النساء أصابت امراة وأخطأ عمر .

وفى جانب الامانة الملتزمة :

[**انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان**] حملها الانسان متحف المتناقضات ، ومع تناقضه رائع لله القدرة التى تعيش فيه فكان قرار السماء بتسلق المسئولين فوق كتفيه لتأثير قوى الكون بتواجده وقدرته على قيادة طلائع الزحف نحو المدنية الفاضلة ومع الجدل والتساؤل والمعارضة فى القدرة

البقية صفحة ١٣٤

عناية الإسلام بالحرية والكرامة الإنسانية

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

لقد بلغ من اهتمام الاسلام بالحرية والكرامة الانسانية لكل مخلوق أن الفقهاء يقررون أنه اذا وجد طفل لقيط يدعى نصرانى أنه ابنه ويدعى مسلم أنه عبده يقضى به للنصرانى ليكون حرا وبعد ذلك قد يصل للاسلام بنفسه متى كبر وعقل الدلائل الواضحة على بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسلام أكمل الاديان ..

ويتصل بهذا ما رآه الامام الاعظم أبو حنيفة من أنه لا يجوز الحجر على سفيه حفظا لماله من الضياع وذلك بأنه يرى أن الحجر وان كان لحفظ مال المحجور عليه الا انه امتهان لانسانيته واهدار لكرامته وفضل هذين على المال ثابت معروف ..

وكما دعا الاسلام بنيه أن يحرروا أنفسهم من الخضوع لغيرهم كذلك هو ينعى بشدة على من يتخذ هواه آلها له ويعيب على من يجعل نفسه عبدا لشهواته تسيطر على عقله - وهو أكرم عناصره - فيعجز عن تصريف أموره وتدبيرها تدبيرا محكما سديدا كما لا نجد الاسلام كغيره من الديانات يجعل بين الله وعباده وسطاء من خلقه يحللون له ويحرمون ويستجلبون له الخير بدعواتهم بل جعل لكل انسان أن يتصل بالخالق جل وعلا بنفسه ويناجيه ويدعوه ويستغفره اذ يقول : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان** » ..

ولقد قرر حرية الانسانية لكل ضروربها فأقام الحرب على عبادة الاوثان والاصنام ودعا بقوة الى نبذ ما كان عليه الاسلاف والاباء من ضلالات وتقاليد ليست من الحق فى شىء ثم هو ينبهنا فى قوة الى انه ليس من العقل ولا من الكرامة أن يتخذ بعضنا بعضا أربابا أو أن يستذل القوى منا الضعيف أو أن يستسلم الضعيف للقوى وفى ذلك نسمع كلمة لسيدنا عمر رضى الله عنه التى ستظل تجلجل أبد الدهر : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا .. » .

والاسلام الذى يدعو الى الحرية والاخاء والمساواة والانسانية والذى يريد للمسلمين أن يعيشوا كرماء أعزة حتى يتحقق قول الله فيهم : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » ، وقوله : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا** » . هذا الدين يدعو بنيه أن يأخذوا أنفسهم بأسباب القوة وشدة البأس على من يريد الضيم للاسلام والعرب أو من يكون آلبا عليهم من الاعداء الطامعين فيهم بذلك يكون لهم شأن ومكانة وخطر فى العالم الذى يعيشون فيه وبهذا نجد القرآن مليئا بالايات التى تحث المؤمنين على أن يكونوا أقوياء على أعداء الاسلام والا يهادنوا المستعمرين الغاصبين الذين يستنزفون خيرات البلاد ويعتدون على المقدسات ويعبثون بالحريات والكرامات كما يحثهم على ان لا يعطوا الدنية فى أنفسهم وأموالهم وأوطانهم ويدعو المؤمن ألا يقبل الضيم من أحد مهما يكن أمره ويمضى قدما فيما يعتقد انه حق للمسلمين ولا يخشى فيما يفعل شيئا فالله تعالى يقول : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

وقد وعد المؤمن المجاهد فى سبيل الحق والوطن احدى الحسنيين عز الدنيا وسعادة الاخرة وهو القائل سبحانه : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** » .. وقد تحقق وعد الله بنصر المؤمنين الاول من العرب : « ومن أصدق من الله قيلا » فكانت العزة والقوة من نصيبهم لانهم آمنوا بالله حقا واسلموا اليه نفوسهم وأمورهم ونشأوا على حب الجهاد فى سبيل الحق فكانوا أحرياء بالعون والتأييد الذى جاء به القرآن اذ يقول : « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » واذا كان الله تعالى قد وعد المؤمنين بنصره وتأييده فقد أمرنا أن نعد العدة اللازمة التى يتحقق بها النصر والغلب فقال : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » كما أمر الرسول بحث المؤمنين على القتال وتشجيعهم لما فى جهاد المعتدين الظالمين وقتال الكفار من الخير للدين ثم للوطن اذ يقول : « **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا**

من الذين كفروا ذلك بانهم قوم لا يفقهون » وهنا نجد فى الاية اشارة الى أن فى القتال مشاقا وآلاما يعجز عن احتمالها أو التعرض لها الجبناء فوصف الله هؤلاء الذين يغلب الواحد منهم عشرة من الاعداء بانهم صابرون ومن ثم يجب أن يكون المؤمن صابرا حقا وماله لا يكون صابرا على ما ينوبه فى الكفاح فى سبيل الله من الآلام ، والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد له : « **ان غدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها** » .

وهناك من يظن نفسه ضعيفا لا قوة له على حماية نفسه ودفع الاذى عنها ومن الشعوب من تعتريه هذه الحالة فينكص عن لقاء العدو ويستسلم للمستعمر الذى لا يريد له ولامثاله الا الاستعباد . وهذا الصنف من الناس لو أنصف نفسه لسعى الى القوة بالاتحاد بين جنسه واخوته فى الدين ثم فى الوطن وعقد معهم حلفا ومعاهدة تضم شتاتهم وتجمع شملهم فيقوى جانبهم ويخافهم الاعداء وحينئذ يتم الفوز والنصر فتقوى شخصيتهم .

هذا الصنف من الناس فردا كان أو جماعة لا عذر لهم ان لم يدفعوا عن انفسهم بكل طريق وبكل ما فى وسعهم من جهد وطاقة وفيهم وفى أمثالهم يقول سبحانه وتعالى : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** » .

ومن المفيد ونحن نتكلم عن الجهاد والتضحية فى سبيل نصر الوطن والدفاع عن الدين والسعى لتحقيق العزة والسيادة للفرد والامة من المفيد أن نذكر أن عدالة الله تقضى بالتفرقة بين المكافح والمجاهد بما فى طاقته من قوة الساعد ان كان قويا أو بذل المال ان كان غنيا أو ابداء الرأى ان كان من ذوى الرأى والتفكير وبين القاعد عن كل ذلك مع القدرة عليه ، وفى هذا نستمع الى قوله تعالى : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما** » فمن يسمع منا هذه الاية وقلبه مؤمن بها وبوعد الله نصر المؤمنين الصادقين ثم لا يكون من المجاهدين كى ينال الدرجات العلا عند الله ؟؟

واذا كان اللهتعالى يريد القوة والعزة للمؤمن الحق العامل بما جاء به القرآن وبما دعا اليه الرسول فانه سبحانه يدعوه الى ان يطلب معالى الامور ويترك سفاسفها كما جاء فى الاثر : « **ان الله يحب معالى الامور ويكره سفاسفها** » ومن ثم ليس لاحد أن يرضى لنفسه بالمنزلة الدون فى الحياة وعليه أن ينأى بها عن مواطن الذلة والصغار كما أن عليه أن يطلب بجده دائما منزلة أعلا من التى يكون فيها ويستخدم فى ذلك ما يملك من قوى الجسم والعقل والنفس والروح وبهذا يصون كرامته ويرفع من قدر نفسه وفى ذلك الخير كل الخير لنفسه وأمته . وأدنى مراتب ارتفاع الانسان بنفسه من المنزلة الدنيا الا يستمرىء الكسل ويخلد الى الراحة حتى يكون عالة على غيره وهو قادر على العمل والسعى ..

والله ولى التوفيق ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

بقية مقال

الاسلام دين الحق والهدى

على تحمل المسئولية، فالسماء تدرك انه على مستوى رفيع فى القدرة على التحمل [**واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء أن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**] .

تحمل الانسان المسئولية ليجعل الحياة مشرقة والوجود عذبا والمجتمع أكثر وضاءة وريا ويسوق السعادة الى قلوب المنسحقين فى الالام ويرد البسمة المذبة الى الشفة الجافة ويعلم الفاقدين للاحساس والشعور النبيل لسانه الكلمة الطيبة وعلى شفتيه البسمة الريانة ويوزع الحب بلا ثمن ويزرع السعادة فى القلوب بدون مقابل ويجعل قانون حياته [**ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**] واعمل الخير فى أهله وفى غير أهله فان كان اهله فهو اهله وان لم يكن أهله فأنت أهل له ويطوى جنبيه على قلب رحيم وانسان متواضع لله ولرسوله وللبشرية جميعا الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا **من فى الارض يرحمكم من فى السماء** [.

صدر الامر بهذه الباقة الفواحة لى ولك ولنا جميعا للانسان بكل أبعاده الاجتماعية بعد شجب الفكرة القائلة بالانشطار الانسانى ليتمكن من حملها القادم من غمار الشعب المندفع من صفوف الجماهير يعطى ويمنح بلا عقوبة ولا هوجانية ولا عشوائية .

سلام على هذا النبى الذى حفلت تعاليمه بالانسانيات والاخلاقيات والذى كانت رسالته رحمة **للعالمين** .

فى ذكرى العاشر من المحرم

الأستاذ صلاح عزام

★ فى شهر المحرم .. أكثر من ذكرى خالدة .. وكلها تدور فى فلك بيت النبوة تعليما للبشر .. وقدوة للمسلمين .. وهداية للعالمين ..

ومن هذه الذكريات ما حدث فى الستينات من القرن الاول الهجرى .. وفى أعقاب كربلاء .. وما وقع فيها ..

والذى حدث من سيدنا الحسين .. وحدث له أمر فوق طاقة البشر .. وأعظم من التصور .. ومع هذا فليس بمستبعد على أحب خلق الله الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ولكن .. الذى هز الدنيا .. وجعل العتاة واكبر الرجال ينحنون فى خجل .. يتوارون وراء الدموع .. وهز الطغاة .. وجعلهم يتحسسون أماكن المقاعد من تحتهم وهى ترتجف . بداية لزلزلة تحت اقدامهم .. ما كان .. من الطاهرة .. بنت الطاهرة .. حفيدة الطاهرة السيدة زينب رضى الله عنهن جميعا .. وفى مرات عديدة .. ومواقف خالدة ..

مرة وهى تدخل بيت الحكم فى الكوفة حيث عاشت مع ابيها أمير المؤمنين الامام على عليه السلام .. وتجد خصما لدودا لابيها .. قد احتل مسكنه .. وجلس مكانه واستقر له الامر حاكما ظالما .. وتدخل عليه بقية الخلف الصالح .. فلا يقوم من مكانه احتراما لمكانتها بل يبدأ فى استجوابها .. الامر الذى لا يحدث مع واحدة من عوام الناس .. وانما يسأل ابن زياد فى ادعاء للجهل عندما يرى السيدة زينب رضى الله عنها امامه [من تكون هذه .. ؟!] .

ويكرر السؤال ثلاثا ... ولا تجيبه الطاهرة استعلاء .. وتأديبا .. فيكشف عن نفسه ويقول [الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم .. وأكذب أحدوثتكم] فترد عليه الطاهرة رضى الله عنها [الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم وطهرنا من الرجس تطهيرا انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله

ويدور حديث طويل ينتهى بسؤال من ابن زياد [كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟!]

فتقول رضى الله عنها .. [ما رأيت الا خيرا .. **قوم .. كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده ..**

ومرة أخرى .. ويزيد بن معاوية يستقبل فى قاعة حكمه .. أعظم النساء .. بعد مسيرة دامية بين الكوفة ودمشق .. ورأس الامام سيد الشهداء أمامها .. حيث يوضع بين يديه .. فلا يرتعش .. ولا تهز فيه عضلة .. وانما تثور الجاهلية فى دمائه . فتسمعه السيدة زينب .. وثيقة حكم .. يتداولها المسلمون عبر التاريخ .. ومما قالته .. [أنت أمير مسلط .. تشتم ظالما .. وتقهر بسلطانك .. وصدق الله يا يزيد [ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون] .

أظننت يا يزيد انه حين أخذ علينا بأطراف الارض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى أن بنا هدانا على الله وان بك عليه كرامة .. ؟! وتوهمت ان هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك ، ونظرت فى عينيك جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوثقة لك والامور متسقة عليك ان الله أن أمهلك فهو قوله « **ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين** » .

أمن العدل تخديرك بناتك واماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاسارى قد هتكت شعورهن واصلمت أصواتهن مكتئبات تجرى بهن الاباعر وتحدو بهن الاعادى من بلد الى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن قريب من رجالهن .

وتقول ليت أشياخى ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبى عبد الله بمخصرتك به ولم لا وقد نكأت الفرصة واستأصلت الشافة باهراقك هذه الدماء الطاهرة . دماء يخدم الارض من آل عبد المطلب ولتردن على الله وشيكا موردهم وعند ذلك تود لو كنت ابكم أعمى] .

و .. كلام رائع .. كثير .. ليظهر مرة أخرى سؤال هام ومهم .. ليس من الواجب على هذا الجيل من العلماء والمتعلمين أن يجمعوا وثائق تاريخهم الرائع .. فيحفظ للاجيال .. مهما كانت القوى المضادة .. ؟!

ورضى الله عن السيدة زينب وآلها المباركين ..

يقول الله عز وجل : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ...

... جاء فى كثير من الكتب بيان لمعنى وأسباب السعادة التى يتمنى كل انسان ادراكها .. ويرغب فى تحصيلها .. وسيظل الحديث عن السعادة والشقاء باقيا ما دام فى الدنيا حياة وأحياء .. ولقد اختلف الناس فى تحديد السعادة وأسبابها اختلافا كبيرا فمنهم من يبصرها فى المال . ومنهم من يزعم أنها الجاه والسلطان ومنهم من يراها فى أمور أخرى غير ذلك .

مفهوم السعادة

الأستاذ أحمد أحمد ابوطه

بيد أنه يتضح جليا أن فى الناس من يملك المال الكثير ولكنه افتقد نعمة الصحة فهو لا يحس بالسعادة التى ينشدها ومنهم من يملك نعمة المال ونعمة الصحة ولكنه محروم من نعمة الولد .. فهو لا يذوق للسعادة طعما ومنهم من هو صاحب جاه وسلطان ومع ذلك فهو ليس فى سعادة ...

وعلى كل فقد أشار كل بما أداه اليه اجتهاده وظن أنه أصاب طريق السعادة ودل على ما يوصل اليها .. والناظر المتفحص المتبصر ليجد أن أسباب السعادة الحقة فى الدنيا والاخرة بين يديه ان هو اراد الوصول الى تلك الغاية المطلوبة .

ولعل من أسباب السعادة الدينية والدنيوية ما يلى :

الشكر .. الصبر .. الاستغفار .. الرضى ..

واذا ما تدبرنا فى هذه الاسباب لوجدناها تجمع للعبد خيرى الدنيا والاخرة ولنبدأ بالحديث عن الشكر : ان الانسان اذا ما أنعم عليه ربه بنعمة من النعم وجب عليه شكر هذه النعمة وذلك بفعل الطاعات وبحفظ الجوارح من المخالفات فيحفظ يده من تناول الحرام .. ورجله من السير الى مواضع الاثم والعصيان .. وعينيه من النظر الى ما حرم الله عليه .. ولسانه عن كل ما يغضب الله عز وجل واذا ما أنعم عليه ربه بنعمة المال وجب عليه أن يشكر ربه ويتمثل ذلك فى انفاق بعض هذه الاموال فى وجوه الخير والبر .. ان الانسان اذا ما كان كذلك كان انسانا شاكرا لربه أنعمه عليه .. وعند ذلك يشعر بالسعادة كل السعادة لانه قدر نعمة ربه عليه فأدى شكرها وحقها .

اما الانسان الذى انعم عليه ربه بنعمتى المال والصحة ولم يشكر ربه على ذلك بل جعل ماله وسيلة لنيل شهواته وأسرف ببذله فى طاعة الشيطان فهذا هو المغرور الذى جحد نعمة ربه عليه وصار

في الإسلام

ماله سببا في شقائه وعذابه وحرمانه من خيرى الدنيا والاخرة حيث استعان بنعمة الله المادية والبدنية على معاصى الله وفى هذه الحالة هو المحروم . وهو الشقى . وهو البعيد عن السعادة التى يظن مخطئا انه ادركها ونالها .

ثانى الاسباب الصبر : الصبر عند نزول البلاء وذلك ان الانسان معرض فى دنياه لآفاتها ومصائبها . فيناله منها ما لا يحبه ولا يألفه ولا يرضاه من الاسقام وفقد الاحبة ونقص الاموال وغير ذلك مما يبتلى الله به عباده من مصائب الدهر التى لا منجاة ولا مفر منها ..

ولكن كيف تكون البلايا والمصائب من أسباب السعادة ؟ .. ان الصبر عليها هو الذى يولد السعادة وذلك اذ لزم العبد عند نزولها به حدود الشرع ولم يتجاوزها الى ما نهى الله عنه انه عند ذلك سينال الرضى من الله عز وجل .. ولقد ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه انه قال : اذا أصبت بمصيبة وجب على ان اشكر الله عز وجل لاسباب .. ان المصيبة لم تقع بأكثر مما وقعت .. ولان الله اعاننى عليها فتحملتها ونلت ثواب الصبر عليها .. ولانها وقعت فى دنياى ولم تقع فى دينى .. ولقد كانت زوجة ابن الخطاب على هذا المستوى العظيم من الايمان . فلقد قال عمر بن الخطاب يوما لزوجته عاتكة وقد غضب عليها .. والله لاسوائك فقالت له : اتستطيع أن تصرفنى عن الاسلام بعد اذ هدانى الله اليه ؟ .. قال : لا .. قالت فأ ى شىء تسوءنى به اذن ؟

وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [**ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فعليه السخط**] ولهذا كان الانبياء عليهم السلام أشد الناس بلاء فى هذه الدنيا .. واذا كان الانبياء وهم صفوة الخلق واحب العباد الى الله تنالهم مصائب الدنيا فيصبرون رضا بقضاء الله وطلبا لثوابه فحقيق بكل عبد الاقتداء بهم والسير على مناهجهم حتى تحصل له السعادة ويفوز برضى مولاه .

ثالث الاسباب الاستغفار : والاستغفار هو دواء الذنوب كما جاء فى الحديث [**ان لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار**] ولما كان العبد مأمورا بالتقوى التى هى طاعة الله والخوف منه وترك معاصيه .. ربما يقع منه ما يخل بهذه التقوى . فعليه فى هذه الحالة ان ينقذ نفسه بالاستغفار .. وحسنة الاستغفار تمحو الذنوب كما قال سيد الخلق عليه الصلاة والسلام [**واتبع السيئة الحسنة تمحها**]

رابع الاسباب الرضى : ولعل الرضى هو تلك الفضيلة التى جمعت كل أسباب السعادة فى الدنيا والاخرة .

بيد أنه يلاحظ أن كثيرا من الناس يشكون دنياهم ويعدون انفسهم فى شقاء .. وذلك لانهم لم يتجملوا بالنعمة الكبرى نعمة الرضى .. ولو انهم عرفوا الرضى والفوه لذاقوا حلاوة السعادة وطعم الهناء . لان الرضى يكون نتيجة للتوكل على الله والثقة به .

واخيرا فالسعادة ليست فى كثرة المال او عز الجا والسلطان وانما السعادة كل السعادة فى الرضى واذا تحلت النفس بالرضى الواثق والايمان الموقن فقد عزت فى العاجلة وسعدت فى الاجلة .

نسأله عز وجل أن يوفقنا لما فيه الخير لنا وان يجعلنا من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

الديمقراطية في الإسلام

الأستاذ محمد المتولى النظامى

الديمقراطية هى حكم الشعب لنفسه تحقيقا للعدل ، وهى لفظ جديد لم يكن معروفا فى عهود الاسلام الاولى ، ولكن مضمونها كان مطبقا فى الاسلام أعظم تطبيق ، وكان تطبيقها فى الاسلام اعم واشمل ، وادق واحكم ، لانها فى الاسلام تستند الى مبادىء الهيه عالمية . ليست بيئية ولاطبقية ، ولان المسلمين تمسكوا بالمبادىء وطبقوها تطبيقا مرتبطا بمراقبة الذى يعلم السر واخفى ، الذى وضع المبادىء ، ودعا الى التمسك بها ، وهدد وتوعد من يخرج عليها ، أو يستهين بشأنها قال تعالى:

« وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون »

وقال جلت كلماته « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال جل شأنه :

« ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين »

ويقول رسول الله صلوات الله عليه وسلامه : « كلكم لادم وآدم من تراب »

« ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » فالاسلام يحكم على الناس باعمالهم لا بانسابهم ومواريثهم .

١ — ومبادىء الحكم الاسلامى تقوم على العدالة والشورى والاخاء والمساواة بين جميع الناس فى الحقوق العامة والواجبات لا فرق بين أبيض وملون ، وهى تعتمد على قواعد مقررة شرعها الله لعباده .. وهو أدرى بما يصلح شأنهم ، وليس للناس رأى فى تشريعها أو تعديلها أو تبديلها ، لان الانسان لا يستطيع أن يكون مشرعا لنفسه نظرا لاختلاف ميوله ونزعاته وتقاليده وعاداته، ولان العقل بدون مبادىء سماوية فانه يجهل ويضل ، ويصل الى الفساد والطغيان ، وتاليه الذات ، وكثيرا ما أثبت العقل قوانين ومبادىء على أنها حقائق ، ثم عاد فاثبت عكسها أو اثبت بطلانها بعد أن شقى الناس بآثارها زمنا طويلا قال تعالى :

« تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون » .

وقال سبحانه :

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : ان الله فرض فرائض فلا

تضيعوها : وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها .

٢ – وقد أرسى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قواعد الحكم بما يكفل للانسان حقوقه على اساس من العدالة والمساواة والاخاء وجعل الامر شورى فاولئك بعض سادات العرب وهم الاقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزاوى وأمثالهم يذهبون الى رسول الله صلوات الله عليه ويقولون له : ان سادة العرب يأتونك فيستحيون من أن يراهم العرب جلوسا مع أصحابك من الارقاء أمثال بلال وعمار وصهيب وخباب وغيرهم ، فاذا جئناك فاقمهم ، فاذا ذهبنا فاجلسهم حيث شئت ، فانزل الله قوله :

« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله بأعلم بالشاكرين »

ويقول سبحانه :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » .

وعندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف يقول لاحد المسلمين فى ثورة غضب :

– يا بن السوداء – قال عليه الصلاة والسلام : طف الكيل .. طف الكيل .. ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء الا بالتقوى « فوضع عبد الرحمن خده على التراب وطلب من الرجل أن يطأ عنقه بقدمه فعفا عنه » .

وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود عندما رآه يضرب غلاما له بالسوط : يا ابن مسعود ان الله أقدر منك على هذا الغلام فسقط السيف من ابن مسعود وقال هو حر لوجه الله يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما لو لم تفعل للفحتك النار » .

ويقول لاسامه عندما قدم ليشفع لامرأة مخزومية سرقت ، انما أهلك الامم قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد .

وكما طبق رسول الله حقوق الانسان كما قررها الاسلام تطبيقا عمليا – تمسك أصحابه بهذه الحقوق وطبقوها تطبيقا يدل على مدى شعورهم بالتبعة الملقاة على عاتقهم كحكام مسئولين أمام الله وأمام رعاياهم يقول سبحانه عنهم :

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

ويقول سبحانه :

« انما المؤمنون اخوة »

ومقتضى الاخوة العدالة والمساواة والتعاون والمشورة والاخاء .

وذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه حينما ولى الخلافة قال :

– يا أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فاعينونى ، وان رأيتمونى على غير ذلك فقومونى . اطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيت فلا طاعة لى عليكم .

ويقول عمر بن الخطاب : اذا رأيتم فى اعوجاجا فقومونى .. فيجيبه أحد المسلمين .. والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .. فيقول عمر : – الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم عوج عمر بالسيف .

ويقول لجبلة بن الايهم ملك غسان عندما لطم اعرابيا داس طرف ردائه لابد من القضاء منك لان الاسلام سوى بينكما .

٣ – على انه اذا كان الحكم الديمقراطى هو حكم الشعب لنفسه بما يختاره من حاكم ومن مجالس نيابية تضع التشريعات .. واذا كان الحكم الدكتاتورى هو الحكم الذى يتولى فيه فرد مؤيد بجماعة من انصاره مسئولية الحكم – فان الحكم فى الاسلام لا يوصف بانه ديمقراطى أو دكتاتورى وانما هو حكم اسلامى خاص لا يسير على نظام الوراثة وانما يختار الاصلح اختيارا لا اكراه فيه . وهو يسير وفق مبادىء من صنع الله لا من وضع البشر تحقق العدل والاخاء والمساواة للناس جميعا فالشعب لا يحكم فيه لنفسه بقوانين من صنعه ، وانما بمبادىء شرعها الله تمنع الذل والاستبداد . مبادىء لا تسمح للحاكم بالتحكم لانه مقيد بشرع الله ، وبتحكيم مبادىء الحق ، وبالالتجاء الى الشورى التى شرعها الله والتى تحقق حرية الرأى والعدالة الاجتماعية والسياسية قال تعالى :

« وشاورهم فى الامر » .

وقال سبحانه : عن المؤمنين :

« وأمرهم شورى بينهم » .

ويقول رسول الله صلووات الله عليه : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » .

ويقول الصديق رضى الله عنه « استشيروا القران والزموا الجماعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد التناظر .. ويقول الفاروق : رضى الله عنه : لا خير فى أمر ابرم من غير شورى .

ويقول الامام على كرم الله وجهه :

« من استبد برأيه هلك » وما اصدق قول الشاعر العربى :

شاور سواك اذا نابتك نائبة
يوما ، وان كنت من اهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى
ولا ترى نفسها الا بمرآة

ومن ذلك ندرك أن السلطة العليا فى حكم الاسلام انما هى لله وليس لانسان أو حزب أن يشرع متجاوزا حدود الله ، وعلى الحاكم أن يسير الامور وفق مبادىء الحقوق المقررة متمسكا بمبدأ الشورى واجتهاد العلماء فيما يجد من أمور تحقيقا للعدل ومنعا لطغيان الفرد قال تعالى :

« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر » .

وعلى الشعب أن يراعى احكام الله فى تصرفاته ، وأن يقف صفا واحدا خلف القائد حتى تصبح الامة جبهة واحدة تعمل الخير وتؤيده ، وتحارب الشر وتطارده قال تعالى :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وقال سبحانه :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وقال عز من قائل :

« يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : اسمعوا واطيعوا وان تامر عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبه .

٤ – فالاسلام يجعل الفرد للجماعة والجماعة للفرد .. يجعل القائد مسئولا عن الجماعة وعن صيانة حقوقهم ، وعن تحقيق الخير لهم على اساس مبادىء الحق – وذلك لتحقيق العدالة والمساواة وحرية الرأى فى مجتمعهم .. وعن طريق احساسه بمشاكلهم ، والعمل على حلها ، وعن طريق توجيههم وجهة كريمة تتمشى مع ما يؤمنون به من قيم ومبادىء ، وعن طريق مناقشتهم فى أمورهم وجعل الامر شورى بينهم حتى يتبين الحق ، ويتضح الصواب ، وحتى تكون الجماعة معه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والاسلام يجعل الجماعة كذلك مسئولة عن الوقوف صفا واحدا خلف القائد المتمسك بالمبادىء ويوجب عليهم أن أن يستجيبوا لتوجيهاته ، حتى يستطيع أن يمضى معهم وبهم لتحقيق الاهداف المرجوة على خير وجه واكمله ، يوجب عليهم أن ياتمروا بأمره لانه امر اتخذ بعد مشورة فهو أمرهم ، ولانه أمر يهدف الى تحقيق الخير لهم ورفعة شأنهم – وهو فى نفس الوقت يوجب

البقية صفحة ١٤٢

فى مواجهة الأدب الصهيونى !

الأستاذ فتحى الإبيارى

● ليست المعركة الدائرة الان بيننا وبين العدو الاسرائيلى بمساندة القوى الامبريالية العالمية ، قاصرة على ميادين القتال، بل هناك جبهة اخرى لا تقل خطرا عن جبهة المعارك التى اثبت فيها المقاتل العربى ، والجندى المصرى شجاعته ، وبسالته، وحقق انتصارات اذهلت العالم .. والعدو أيضا .

ونحن الان على خط المواجهة مع العدو .. ماذا فعل أدباؤنا لمواجهة الادب الصهيونى . أن روايات اليهودى التائه .. الخروج .. طوبى للخائفين .. وغيرها .. كيف ضللت بها الصهيونية الرأى العام العالمى . أن الحركة الصهيونية قاتلت .. ومازالت .. بسلاح الادب قتالا لايوازيه الا قتالها بالسلاح السياسى .. والادب جزء لا يتجزأ من المعركة الدائرة الان . ماذا نعرف عنه .. وما هى ملامحه وتطوره عبر العصور .

ان دراسة الشهيد غسان كنفانى « فى الادب الصهيونى» والذى نسفه اليهود تلقى بعض الاضواء على شعار .. أعرف عدوك وتنير لنا الطريق لكى تتحرك مراكزنا الثقافية .. والادبية.. وادباؤنا .. لمواجهة اليهود فى هذه الجبهة الخالية . فى صراعنا الحضارى المرير.. فأما ان نكون .. او لا نكون !!

ان الحركة الصهيونية قاتلت بسلاح الادب قتالا لا يوازيه الا قتالها بالسلاح السياسى .. والادب الصهيونى جزء لا يتجزأ ولا غنى عنه استخدمته الصهيونية السياسية على أوسع نطاق ليس فقط لخدمة حملاتها فى الدعاية .. ولكن أيضا لخدمة حملاتها السياسية والعسكرية .

وهذه الدراسة الذكية العميقة التى كتبها غسان كنفانى تكشف للمثقفين العرب . والأدباء والروائيين .. مدى الدور الهام الذى ينبغى ان يقوموا به . فى الجبهة الادبية. وتلقى الاضواء على الدور الذى لعبه الادب الصهيونى. وراء ظهر العالم كله لخدمة الصهيونية السياسية وتحاول أن تعثر على أجابات محدودة عن كثير من الاسئلة .

ــ ما الذى فعله كتاب مثل رواية «دانييل ديروندا» ليجعل اسرائيل تسارع الى أطلاق اسم مؤلفته على أحد اهم شوارع تل ابيب بعد أيام قليلة من أعلان ولادة الدولة عام ١٩٤٨ . وهذه المؤلفة هى جورج اليوت ؟

ــ ما الذى فعله كتاب مثل رواية دافيد الروى . ليصبح فيما بعد استاذ الهتلرية الخفى ؟

ــ كيف ولماذا ومتى تطورت قصة اليهودى التائه لتصبح بدلا من أن ترمز للعقاب . وترمز للتفوق الجنسى ؟

ما الذى فعله « شيلوك شكسبير الشهير فى تاريخ الصهيونية الادبية ؟

ــ على ماذا اعتمدت رواية مثل « اكسودس » لتصبح المصدر شبه الوحيد للقارىء الغربى العادى وغير العادى فى فهمه لاحداث الشرق الاوسط ؟

— ما الذى قالته الروايات الصهيونية التى كتبت بعد ١٩٤٨ .

لتستطيع بالنسبة للقارىء العربى أن تزور التاريخ « وتطمس الحقائق وتضعه الى جانب القضية غير العادلة ؟

— لماذا ذهبت لجنة نوبل فى عام ١٩٦٦ الى حد منح جائزتها لكاتب رجعى متعصب لاتمتلك كتاباته اى شرط من شروط الفوز بالجائزة ؟

— هل هى مصادفة أن يقرأ المرأ فى التعليقات السياسية الغربية جملا تكادتكون منسوخة نسخا عن مواقف وردت فى الرويات الصهيونية .

— هل كان رد فعل الصحافة الغربية للعدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو مجرد حركة سطحية ام انها كانت نتيجة منطقية للتضليل الثقافى الذى لعبته الاداة الفنية والادبية الصهيونية لتغطية هذا العدوان ؟

ودراسة غسان كنفانى .. محاولة لاكتشاف ابشع واوسع عملية تضليل ثقافى تهدف الى غايات سياسية وعسكرية بحيث تخلق حولها درعا من الصمم • وعلى الادباء والمثقفين العرب مواصلة العمل لتحطيم وكشف هذا الزيف .. حتى فى الادب والفن .. والقاء الاضواء على شعار .. اعرف عدوك .

●● لقد كان من المصيرى .. بالنسبة للصهيونية كحركة سياسية مفتعلة أن تقاتل على جبهة اللغة قتالا مريرا يوازى قتالها على جبهة رفض الاندماج التى كانت بديلا له • وتدين المبادرة هنا فى الغالب لرائد من رواد الصهيونية اسمه « احنادها عام » .. واسمه الاصلى أشر جنزبرج . ولد فى أوديسا عام ١٨٥٦ ومات فى تل أبيب عام ١٩٢٧ . وهو الذى وضع شعار «اخر يهودى واول عبرى » الذى اصبح شعارا الصهيونية فى الميدان الثقافى •• وقد كرر هذا الشعار « ارثر كوستلر » فى روايته [لصوص فى الليل] حين جعل جوزيف بطلها يقول لقد أصبحت عبريا لاننى اكره اليهودية .. وكررت يائيل دايان هذا التوجيه المتعمد فى رواياتها [طوبى للخائفين] حين جعلت ايفرى بطلها يقول •• (انه اسرائيلى •• امانا فقد كنت يهوديا فقط .. لقد تركت كل شىء •• ووجدت الها جديدا] ..

واليهود .. لم يكفوا عن الايمان عبر كل الاجيال •• بأن هذه اللغة سوف تبعث •• فبالنسبة لهم لم تكن العبرية لغة الماضى فحسب . بل لغة المستقبل . لغة البحث ..

●● والصهيونية .. بمعنى انها الحركة اليهودية السياسية باتجاه فلسطين لم تولد فى مؤتمر بال ولكن هذا المؤتمر كان تتويجا علنيا لسلسلة من الضغوط لعب فيها الادب الصهيونى دورا اساسيا .

واذا كانت نهاية القرن التاسع عشر هى العلامة الرسمية لولادة الصهيونية السياسية فان الصهيونية الادبية بدات قبل ذلك . وكانت فى الحقيقة مادة الصهيونية الفكرية التى كتب عنها هيس . وينسكر . وسولوكوف واحنادها وهرتزل وغيرهم •]

●فى رواية «دانييل ديروندا » وهى تقع فى اكثر من ٦٠٠ صفحة تعتبر «القسم الصهيونى» •• وفى هذه الرواية طرحت جورج اليوت المشكلة اليهودية القديمة بصيغة جديدة . وجعلت من بطلها مردخاى محاضرا صهيونيا من الدرجة الاولى • وقد ظهر بوضوح أن جورج اليوت لم تكن « تتنبأ » ولكنها ترسم خطة عمل • وتدفع نحو صهينة اليهودية واستغلال عقدة التفوق الى اقصى حد ..

وقد رأينا هرتزل .. يكرر ذلك الموقف ذاته بعد نصف قرن فى روايته (الارض القديمة الجديدة) التى كانت ارهاصا لولادة الصهيونية السياسية على يديه بالذات . ولكنه كان اكثر براعة من اليوت فى الدوران حول عنصرية الدعوة ومحاولة الباسها ثوب الخدمة الانسانية الدعى .. وتبنى اليهود رواية [دانييل ديروندا] وترجموها الى العبرية واليديش . والحقوا بها وجهات نظرهم السياسية الخاصة حول اعادة استعمار فلسطين .. وعندئذ أصبحت هذه الرواية « انجيلا صهيونيا» كما يقول ادجار روزنبرج فى كتابه (شيلوك الى سفنجالى) •• وقبل ان يذوب دخان الكارثة الفلسطينية عام ١٩٤٨ اطلقت اسرائيل اسم [جورج اليوت] على أحد شوارع تل ابيب ..

●● أما «اليهودى التائه» .. او تلك الاسورة اليهودية التى تعكس ليس فقط اوضاع اليهود الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع ، بل ايضا موقف الكنيسة من اليهود . وهى تصوره على أنه مواطن مسكين قنوع متدين أحيانا ، ولكنه متشرد يجلب النحس والدمار حينا آخر . فقير مرة ويكنز الجواهر مرة أخرى . راض بالعقاب الذى نزل به فى البدء ..

وفى بداية القرن التاسع عشر تنطلق من اوربا الوسطى صورة جديدة لليهودى التائه ويتمثل ذلك فى اغنية باسم « تذمرات اليهودى التائه» . ويصبح اسمه « اسحق لاكيديون» . ثم تصبح هذه الشخصية بطلا شعبيا على يد الكاتب « كريستوفر كروتزر عام ١٦٠٢ » ويسميه « أهاسورس » فى كتاب بعنوان [وصف موجز وروائى ليهودى اسمه أهاسورس شاهد شخصيا صلب السيد المسيح ، وشارك فى مظاهرة صلبه والذى حيل بينه وبين العودة الى القدس الى الابد . ولذلك لم يستطع بعدها أن يشاهد أبناءه وزوجته وتعين عليه أن يبقى حيا ومنذ ذلك الحين ..] . وحقق هذا الكتيب الذى لا يحوى عمليا من المعلومات اكثر مما يحويه عنوانه الفريد — ٤٦ طبعة متوالية باللغة الالمانية ، و١٩ فى السويدية ، و١٠ فى الفرنسية ، و٤ فى الدنمركية ، و٣ فى الفنلندية وعدة طبعات أخرى بالانجليزية والتشيكية والبولندية وغيرها ، وسيظل «اليهودى التائه» صاحب قضية اجتماعية بالدرجة الاولى ، بعد أن كان عقاب دينى ، حتى يبدأ خضوعه هو الاخر يضغط التعصب العنصرى ، هذا الضغط الذى ما يلبث أن ينفجر فى شكله الواضح على يدى الكاتب اليهودى «دافيدبينسكى» بلغة « اليديش» عام ١٩٦٠ .

فى مسرحية اسمها «اليهودى الازلى» ترجمه الى الانجليزية باسم «الغريب» بواسطة يهودى آخر اسمه «اسحق جولد برج». هذا اليهودى التائه يحمل بعد عشرين قرنا فى حياته الدينية المحضة، السلاح، وفكرة الغزو فى مسرحية «الغريب» تتبناها فورا فرقة الـ «هابيما» اليهودية وقدمتها ليهود اوربا الشرقية اولا، ثم قدمتها الى مجتمعات اليهود فى العالم وفى عام ١٩٢٠ تشهد مسارح لندن مسرحية «اليهودى الجوال» من تأليف تمبل ثور ستون. وتبادر الصهيونية بعد ذلك الى انتاج فيلم فى «يافا» باليديش عام ١٩٣٠ عن اليهودى الازلى، وفى ١٩٤٨ يتوظف اليهودى التائه فى المهمة الجديدة وهى «تجارة الكارثة النازية» على يدى فيتورريو جاسمان» الايطالى فى فيلم بعنوان «رمال الزمن» حيث يصبح فيه اليهودى الجوال رمزا لصمود الروح اليهودية فى معتقلات النازى الرهيبة!!

وفى مطلع القرن العشرين، يتمثل لنا الادب الصهيونى وهو يضبط خطواته مع السياسة الصهيونية وعلى الكاتب الصهيونى التزام هذه القضايا وهو يؤلف روايته:

- التفوق اليهودى المطلق والبطل المعصوم
- الموقف من العرب خصوصا والشعوب الاخرى بوجه عام
- الشخصية اليهودية وعلاقتها باسرائيل.
- المبررات الصهيونية لغزو فلسطين بما فى ذلك التركيز على الاضطهاد الذى تعرض له اليهودى بوجه عام، وعلى المذابح الهتلرية خصوصا.

● فى أواخر عام ١٩٦٦ منحت جائزة نوبل لاول مرة لكاتب اسرائيلى وقالت اللجنة التى منحت الجائزة لشاموئيل يوسف عجنون. - تحت الضغط الصهيونى العالمى بطبيعة الحال - أن كتاباته تمثل رسالة اسرائيل الى عصرنا، وتكافح كفاحا رائعا من اجل تقديم التراث الثقافى للشعب اليهودى عن طريق الكلمة المكتوبة.. وبعد ستة أشهر، وقع عدوان ٥ يونيو. وهذان الحدثان هما تتويج لسنوات طويلة من التضليل.

وغسل المخ وترويج الفكر والادب العنصريين. ان اكسورسى وعجنون، والعدوان، مؤامرة واحدة على العقل الانسانى وأن جائزة نوبل لعجنون هى بمثابة «وثيقة بلفور» ادبية!

●●● ماذا فعل ادباؤنا لمواجهة الادب الصهيونى.. واين هى الاعمال الروائية الفنية التى نحاول بها شرح صراعنا المرير مع العدو.. لاثارة الراى العام العالمى.. بعد ان ضللته روايات اليهودى التائه. اكسودس، طوبى للخائفين، دانيل ديروندا» وشعار.. أعرف عودك.. فكريا.. ونفسيا.. وعقائديا.. هو اقرب الطرق الى النصر. وكما أن الادب الصهيونى.. قد ضبط خطواته مع السياسة الصهيونية، فانه ينبغى على ادبائنا.. ان يواكبوا الاحداث الجسام. والصراع الحضارى العنيف الدائر بيننا وبين العدو. فاما ان نكون ولا نكون.

بقية
الديمقراطية فى الاسلام

عليهم مقاومة الظالم الخارج عن طاعة الله وحدوده لان الظالم انسان مريض يتطلب علاجه مقاومة تصرفاته حتى يفيء ويرجع الى الصواب - اذ السكوت عن تصرفاته يؤدى الى تماديه فى غيه، والى ان تحدث نتائج اليمة على الفرد والمجتمع - قال تعالى:

«وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون».

على انه اولا واخيرا يوجب على القائد والجماعة معا أن يجعلوا سعيهم فى سبيل خير امتهم حتى تسعد الامة بهم، وان يوجهوا جهدهم لقهر عدوهم حتى يسعد الوطن بهم، وان يجعلوا عملهم فى سبيل مرضاة ربهم حتى يبارك عملهم ويمدهم بعونه وتوفيقه قال تعالى: «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد».

ويقول رسول الله صلوات الله عليه وسلامه: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاقتلوه» ويبين صلوات الله عليه وسلامه مسئولية الفرد عن الجماعة ومسئولية الجماعة عن الفرد وتقويمه فيقول: انما مثلكم كمثل قوم ركبوا فى سفينة فاقتسموا، فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل موضعه بفاس.. فقالوا له ما تصنع؟ قال هو مكانى اصنع فيه ما أشاء.. فان اخذوا على يديه [اى منعوه] نجا ونجوا، وان تركوه هلك وهلكوا.

ويقول صلوات الله عليه: الدين النصيحة.. فقلنا لمن يا رسول الله؟ قال: » لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم».

٥ - ومن ذلك كله يتبين ان الامر فى الاسلام شورى، وان الاسلام لا يجعل الحكم فى أسرة، وانما ينادى باختيار الاصلح وباستشارة الشعب فى المشكلات، وينادى بان تكون المصلحة العامة رائد الجميع، وينادى بالتمسك بحرية التفكير والرجوع الى الحق متى تبين الصواب.

وبالديمقراطية الصحيحة وان لم تكن تسمى بهذا الاسم فى عهود الاسلام الاولى تحققت منذ أربعة عشر قرنا العدالة والمساواة بين جميع الناس وجميع الطبقات، وتحققت استشارة الشعب فى جميع المشكلات.. ونصح المسلمون للحكام فكانت الامة مصدر السلطات، وحقق الحكام العدالة بين جميع العباد فتحقق للانسان انسانيته وكرامته، وتحقق للمجتمع عزته وسيادته وانتصاراته وصدق قول الله «اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده».

ويقول رسول الله: «ان الله يرضى لكم ثلاثا - يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله عليكم».

قصة اليوم والغد

المفاجأة التى أذهلت العدو الصهيونى

لو رجع الانسان الى تاريخ الذين صدقوا الله فى الدين ، واعتنقوه بحق ويقين وولوا الرئاسة الكبرى كالخلفاء الراشدين ، ومن عدل بعدهم من المؤمنين ، لوجد ما يحقق له ان يفخر به . وليس هذا بغريب على الدين الاسلامى بأحكامه وقوانينه ، ووصاياه وتعاليمه . لقد كانت العدالة اساسه ، والمساواة بين الناس طريقه ، ولو ان افقر امرأة تدخل على امير المؤمنين وتشتكى ما ألم بها من ظلم او فقر ، لوجدت بغيتها ، وتحققت امنيتها لعلمها ان العدل يمنع اصحابه من الطغيان .

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

فلقد روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ذات يوم من المسجد ومعه احد اصحابه واذ بامرأة على ظهر الطريق ، فسلم عليها فردت عليه السلام ، ثم قالت له رويدك ياعمر حتى اكلمك كليمات قليلة ، فقال لها قولى ، فقالت : عهدى بك وانت تسمى عميرا فى سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب هذه الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب حتى سميت امير المؤمنين ، فاتق الله فى الرعية ، واعلم أن من خاف الموت خشى الفوت . فبكى عمر رضى الله عنه ، فقال لها صاحبه، كفى فقد ابكيت امير المؤمنين ، فقال عمر دعها ، اما تعرفها ؟ قال لا يا امير المؤمنين . فقال له عمر ، هذه بنت حكيم التى نزل فى حقها قول الله تعالى [قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير] وهكذا ان نامت عين الظالم فلم تنم عين المظلوم.

وهناك حول الكعبة وقف رجل من رجال الزمن ، وعظيم من عظماء الساعة يتعلق باستارها والدموع تملأ عينيه ويده الى رب الكعبة فى خضوع وتذلل وخشوع ، يملأ قلبه الايمان بان الذى يناجيه ، يسمعه ويراه ، ويعرفه يوم ولاه ، ولاه أمرا هو مسئول عنه بين يدى الله.

وكفكف دموعه ، وقام وقد شحب وجهه لجلال الموقف ، وجف ريقه كانه فى ميدان من ميادين الجهاد والشرف . او كانه كان فى موقف من عرصات يوم القيامة التى تنصهر فيها القلوب وتفزع لها النفوس . وولى وجهه شطر المسجد الحرام يركع ويسجد ليعفر وجهه فى الارض الطيبة المقدسة تذللا لمن خلق الارض ودحاها ، وأمر ببناء هذا البيت وقواعده أرساها ، وخلق الدنيا بمدنها وقراها ، وانهى صلاته فى ركعتين قرا فيهما [يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين] ويجول فى خاطره سابحا الى مدى بعيد ليقف فى مكان وقف فيه نبى من خيرة الانبياء صلى الله عليه وسلم ، فتذكر ، والاثر الصالح يذكر كل انسان عاقل مدبر ، ان فى هذا المكان وقف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مع الصادقين .. وتاخذه جلال الذكرى ليترجم ما بين نفسه وبين صاحبها ليسال نفسه من هم هؤلاء الصادقين ؟ فيجيبه خاطر من بعيد ، امتزج بالايمان فى وعاء الايمان ، الا وهو القلب ، ليخرج منه جوابا لعله يكون فيه الشفاء والراحة لما يحيط به من شتى الافكار وثقل التعب والعناء . هل هم ، أولئك الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ؟ فلماذا لا تكون مثلهم ؟

هل هم ، أولئك الذين قالوا الحق ولو على انفسهم ؟ .. وماذا يضيرنا لو كنا معهم ؟ هل هم اولئك الذين قال فيهم رسول الله .. عليكم بالصدق فان الصدق يهدى للبر ، وان البر يهدى الى الجنة ؟ .. فماذا علينا لو اسرعنا فى طريق البر ، حتى نصل الى ابواب الجنة .. وتجثم خاطره بسماع قارىء للقرآن يقول بصوت رخيم فيه الموحئين، ينبىء عن مجرى الدموع التى تسكب مع كل كلمة يقراها هذا القارىء الكريم « ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر » ..وتستولى على الرجل المؤمن نشوة فيها يقظة وتجديد ، وفيها التفاته الى ماض بعيد، تذكر بها ، صاحب هذا البلد الامين صلى الله عليه وسلم يتيما ، وتذكره وحيدا ، وتذكره وهو صاحب وجدان فى غار حراء ، وتذكره واقفا مع الصبية فى سكون مهاب ، وتذكره يافعا مع الشباب ، يقارع بالحجة ويبارز بالكلمة الصادقة غير وجل ولا هياب ، تذكره ويده فارغة من السلاح والسهام ليقف أمام من احتمى بالسلاح وترك الواحد الديان ، وتذكره وهو يتضرع لربه آنا ويدعو لامته بالهداية طورا فى رزانة وحلم وتسامح واكرام ، وتذكره وهو

يقفل الاذى فى جسده الشريف من طعنات قومه وسفاهة اهل بلده ، وتذكره وهو ينادى ربه سرا ، عابداله خائفا ، وتذكره وهو يعلن نداءه .. الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، حى على الجهاد ، وتذكره وهو يخرج ليلا متخفيا ومعه صاحبه الصديق ، الله ثالثهما ، وتذكره حينما قال لبلده مكة : ان الله يعلم أنى احبك من كل قلبى ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت ، ثم دمعت عيناه .. ثم صمت الرجل المؤمن قليلا ، ثم استيقظ من جولة خياله وعظيم ذكرياته فأجهش فى البكاء ، ليقول لنفسه وما بعد الدموع ؟ صلنى أيها العقل بالمقصود من هذه السياحة الفكرية ماذا تريد ؟ سر معى الى مابعد دموع رسول الله وتشوقه لوطنه ولوطنه المسلوب ، .. أشرح لى طريقا فيها الوصول الى ماوصل اليه رسول الله ليرد شوقه فى عودته لوطنه وتراب أرضه ، فسر لى آياتك البينات ، فرسول الله لايخطىء المرمى وما ينطق عن الهوى ويترامى للرجل المؤمن فى أذنه صوت ذاك القارىء يرتل كما سمعه يرتل عند بيت الله الحرام وهو فى هذا المكان الذى أخذ يلبه فى ذكريات غالية ، سمع القارىء يرتل من كلام الله [وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين] فانتفض الرجل المؤمن فى هذه المرة ، لا باكيا ولا فزعا ، ولا منقبا ولا سائلا ، ولكن باحثا ، وبحثه لم يكن فى الارض ولا فى السماء ، ولا فى الحجر ولا فى الدر والشجر ، ولكن باحثا عن الوقت والزمن الذى يصلح لما جال بخاطره ليعيد هذا الجزء من وطنه اليه ، أو يعود هو الى هذا الجزء من وطنه لانه عزيز عليه ، وخطر بباله قول الشاعر :

لايمتطى المجد من لم يركب الخطرا
ولا ينال العلا من قدم الحذرا

وأرسل الرجل المؤمن كلاما لنفسه ليقول لها : ان أول السبل الى ادراك المعالى هو الاقدام والتعب ، فالذى لا يقدم على الامر الخطر بكل عزمه لا يناله ، والذى لا يتعب فى غايته ولا يسقيها بماء فكرته لن يدركها ، ثم ان الاقدام والتعب لايصلحان للنجاح الا اذا رافقتهما ودراية واستقامة وثبات وصبر وحسن أخلاق وكتمان سر .

فقل من جد فى أمر يحاوله
واستصحب الصبر ألا فاز بالظفر

وطفق الرجل المؤمن يبحث عن السعادة العظمى والحياة الطيبة فوجدها فى المشورة ويقنع نفسه بقول الله تعالى [والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون] فاقتنع بالمشورة ولكن يشاور من ؟ فبحث فوجد فى علومه صفات الرجل الذى يستشيره ويأمنه ، فقد قرأ ما قاله فى وصفه بطل من ابطال الاسلام ومجاهد من اعظم المجاهدين ، سيفا وحسبا ونسبا واصلا وفرعا ، ذلك هو على بن ابى طالب كرم الله وجهه حينما قال [فى المشورة سبع خصال ، استنباط الجواب ، واكتساب الراى ، والتحصن من السقطة وهى حرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة للقلوب ، واتباع للاثر ، ولكنما الانسان لا يشاور كل احد بل من كان فيه ذلك ، غير آخذ براى جاهل ومغرور وعدو حسود ومراء وجبان وبخيل وذى هوى] ثم ينطوى الرجل المؤمن على نفسه صامتا وفكره مشتعلا وقلبه منشغلا . يقول قلبه لفكره : هلا علمت ما كان فى أسارى [بدر] فاشار ابو بكر بالفداء وأشار عمر بالقتل ، فعمل رسول الله برأى أبى بكر وكذلك كان للصحابة راى فيهم . انها هى المشورة. وحينما تذكر عقله وورد على خاطره « بدر » طلب كوب ماء ليشرب وليطفىء ظمأ جف له ريقه ، فاشتد به العطش ، فاتى له بالماء فشرب وحمد الله ، ثم عاد الى بيت الله ليلتصق باهدابه ويتعلق باستاره مرة أخرى ، وليعفر وجهه فى هذه الكسوة الشريفة طالبا النصر والتأييد ، وهناك طال به الوقوف حتى كانه يسترق السمع لخبر يسار اليه فلا يسمعه غيره ، أو لشىء هام أخذ وقته كله حتى كاد ان ينسى موقفه لولا أن المؤذن أذن لصلاة العصر فقال [الله أكبر الله أكبر أشهد ألا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح الله اكبر الله أكبر] وهنا قام الرجل المؤمن رافعا يده لله ليقول له مناجيا ربى أنت تعلم ضعفى وحاجتى اليك وقد نطق الحق [الله أكبر الله أكبر] وأنت أكبر من أن تقاس بمقياس جل جلالك ، وعظم شأنك ، منك تعلمنا ، وبك استرشدنا واليك أنبنا وعليك توكلنا ، ومنك الملجأ ، واليك المصير .. [ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين] ..واصطفت قدما الرجل المؤمن فى الصلاة ووجهه الى بيت الله يمعن النظر ويدقق البصر كمن يرى مكتوبا يريد أن يقرأه أومخطوطا يريد أن يستبينه ؟ ويتم الصلاة فى خشوع باد على وجهه وبانكسار لله الذى خلقه فسواه ، ظاهر ذلك على محياه ، ويخرج من الصلاة بعد تمامها ليستمع الى هذا القارىء الذى سمعه أولا وثانيا وها هو فى الثالثة يقرأ من كتاب الله بصوته الشجى الساحر الجميل فيقول [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون] .. فاستغفر الرجل المؤمن ربه وأناب ، وحصل من لحظته على الجواب ، وطار من المكان المقدس العظيم ، بعد أن ودعه وعاهده العودة اليه ، يحمل رسالته من عند بيت رب العالمين ، مكتوبا فيها : [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ثم ليضعها عند وصوله أرض وطنه ، موضع المشورة بين الاخوة والاحباب ، للدراسة قبل فصل الخطاب . فنادى بالرفاق فى وطنه العزيز عليه واعتزل بهم جانبا ليستعين على قضاء حاجته بالكتمان ثم قال : يا أخوة الزمن والمحن ، والسرور والشرف والاحن ، لقد جئتكم بخبر يقين مستعينا برب العالمين ، لقد حددنا بعد تفكير طويل ، واستشارة لاخوة فى الوطن والجوار واللغة والدين ، حالتهم كحالتنا وعدوهم هو عدونا ، فوجدت منهم نعم الاخوة الصادقة ، والرجال الكمل قلوبهم متعاونة ، قد عزمنا وهم معنا قلبا وقالبا ، على أن تتم ماوعدنا الله به وعاهدنا به شعبنا ، والعهد دين على ، اريد ان اؤديه كاملا ، وأفى به سالما ، وأقول الحق وعلى الله قصد السبيل .

ان العاشر من رمضان العظيم ، فيه استجابة من رب العالمين ، ومن هدى رسول الله الكريم ، فهل توافقوننى الرأى والمشورة ، أم لكم فى الامر اخذ ورد ، وحساب وعد ، قالوا والكل يملأ قلوبهم الايمان بالله ، الامر اليك فاصنع فانا بأمرك مؤتمرون ، وبخططك مسترشدون ، وبنصائحك عاملون ، وعلى الله متوكلون ، وما النصر الا من عند الله . وخلع الرجل المؤمن لباس الهدوء والايمان ، ولبس لباس الحرب والقتال ، ومن تحته لباس التقوى فهو الدرع للوصول الى الكمال ، وفى ساعة من ساعات التجلى الالهى وقف موقف الرجال ، ثم نطق بكلمة الصواب ، آمرا جنوده أن يشقوا العباب ، وأن يضعوا راية الوطن فى أرض سيناء ، مهما لاقيتم من عناء وعذاب ، وليعد واحد منكم ومعه جزء من تراب ، تراب بلدى ووطنى الذى غاب وغاب ،

واوهقتنى الراية وهـواؤه والضباب ؟ فاندفع ليوث الوطن العزيز ، يحملون في قلوبهم شعلة الشهادة لله ، والـكل يبغى نصرا ، والكل يرجو فخرا ، والكل يريد بلوغ المرام والمراد من رب العباد. والرجل المؤمن فى مكانه يقف وقلبه مع اولاده يدعو الله ، ويخرج من بين نفسه من وقت لاخر كلمة السرور والاعجاب ، الله اكبر الله اكبر ، على من طـغى وتجبر ، الله اكبر الله اكبر على من بالله كفر ، شاهت وجوه الاعداء ، وتحطمت قوة السـفهاء ودكت قـوة المغتصبين لسـيناء ، هؤلاء المسـفكة للدمـاء .

وتمضى الساعات تلو الساعات والرجل المؤمن يقف مكانه وقلبه مع جيشـه يرمقهم بمنظاره ليرى كيف يفعل بهـذا السد العتيد ، والذى اعتقده الاعـداء انه لا يقهر ولا يميد ، فاذا به بين يدى جندى الوطن وجنود الله ، كذرات فى الهواء ، تتناثر اجزاؤه الى اجـزاء ، واصبح كالسمك الذى افزعته شـبكة الصياد فى المـاء ، واذا بهذا الحصن الحصين ، يتوجع كما يشكو المريـض معـبرا بالانين ، ويرفع علم الوطـن على ارض سيناء ، ويراه الرجل المؤمن الامين بمنظاره رؤيا الاقوياء الاعزاء ، فينادى ربه ساجـدا ، وله شاكرا ، قائلا الحمد لله رب العالمين .

وبعد ست ساعات كاملات جـاءت البشرى والبشارات ، باسرى الاعداء مكبلين ، وفى السلاسل مغللين ، يجرهم جنود الوطن الابطال باسلحتهم وعتادهم الى مواقع القيادة والنضال ، لـيراهم الرجل المؤمن ورفاقه الامناء ، ليطمئنوا زيادة وزيادة ، ويحمدوا المولى جل وعلا فى عليائه وسمائه ان هيأ لهم النـصر المبين على اعدائنا واعدائه واعـداء الانسانية اجمعين .

العدو قد أفزعته المفاجأة ، فلجأ الى الفرار ، كأنه فى حلقة من حلقات مباريات كرة القدم ، يكر ويفر ، ويجـرى من الميدان ، ولكن لا مفر من الموت والاسر ، فقد حصرته نيران أسلحة الجنـود فى الصميم ، ولقنته درسا جيوش العرب لن ينساه مدى الايام والسنين ، درسا سيكتبه التاريخ لابناء الوطن وابنـاء العروبة لمدى القرون البعيدة القادمة ، ليروه باعينهم مكتوبا فيحفظوه ، وتحكيه لهم عيون قد رات بنفسها الحقيقـة ، وخطته انامل لمسته بجوارحها ، والامر على الطبيعة ، واستشهد فيه من كتب له ربه الجنة خالدا فيها ليفوز بنعيمها مع الانبياء والمرسلين .

قلت للقلم هل بقى فى سر هـذا كثير ؟ قال نعم ان الامر عظيم وكبير ، ولكن كفى الى هنا ، لندع لغيرك مجالا للكتابة فى هذا الموضوع ، ليتم ويسير.

امسكت عن كتابة هذه القصة ولكن لا يزال فى الموضوع سر مكتوم لم يصل القلم فى حيثيات موضوعه باسم هذا الرجل المؤمن الذى عناه ، ولا باسـم هذا المواطن الكريم الذى ارتآه ، فسالته : أيها القلم العزيز ، لو تكرمت مشكورا ، قل لى بربك عن اسم هذا البطل العظيم واسم الوطن الذى خلد هذه البطـولة بابنائه ورجاله الاكرمين . فرد قـلمى وقال : اجعل لى من الذهب مدادا ، حتى تسطر به اسم هذا البطل عرفانا ، قلت له : سوف اجعل لك مدادا اغلى من الذهب ، انه مـداد من كل قلب ، فهل رضـيت وقبلت ؟ وللامـر وافقت وعزمت ؟ فقال قلمى : نعم الاختيـار والاتجاهات ، انه السيد:

« محمد انور السادات »

القائد الاعلى للجيش ورئيس جمهورية مصر العربية ، وانه هو الذى وفقه الله ، مع أبطال العرب ورؤسائهم ورجال الله ان شاء الله .

وهنا توقف القلم بعدما كتب ، كأننى أحلم بانى فى وسط جمـوع غفيرة ، اخذهم العجب مما قيل فى هذا المكتوب ومما يقال : فقلت لهم : اتعجبـون ؟ لا تتعجبوا ؟ سلوه بانفسكم فهو الرجل الصريح فى قوله غير هياب قـوى فى ايمانه يعد لكل أمر الفحساب ، وفاز محمد انور السادات بجنود مصر ورفاقه واتحاد العرب فى الكلمة والقلوب وتمثلت بقول الشاعر :

ليس الفتى بفـتى يستضاء بـه
ولا يـكون له فى الارض آثـارا

وقد تحققت وتحـقق المتعجبون ان مصر والعروبة وسيناء استضاءت بانوار انور السادات وتـرك اثرا خـالدا ، وتغيرت نظرة العالم المغرور ، فى مصر ورجالها بعد العبور ، وظهـر الحـق المغلوب ، واقفا على قدميه منتصـبا ، وهزم الباطل المشئوم واندحـر مكبـلا ساقطا ، ولبس العدو رداء الخـزى الذى هو اهله ، واتشح بوسام العار الذى هو طبعه ، وركن الى بيته المتهدم ، يتخبط فى آرائه ، ويلـقى اللوم على رجاله واصدقائه ، وجمع نفسه ليصحح عباراته ، فخانته العـبرة والعبارة ، وعرف ان مصر برجالهـا اوتاد ، وان العرب فى مجدهم من احفاد لاحفـاد ، وان تاريخ هذه الامة بطولة وشجاعـة وأمجاد ، وان الحق للقوة والقـوة للشعب ، ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

العين و البصر

بين العلم والدين

الأستاذ احمد رجب محمد

العين : العين عضو الابصار وتتركب من :

١ ـ المقلة : وهى كروية الشكل مستقرة فى تجويف الجمجمة على وسادة دهنية وترتبط جدرانها بواسطة ثلاثة ازواج من العضلات تعمل على تحريك العين فى اتجاهات مختلفة حركات ارادية وذلك بتعاون كل عضلتين متقابلتين فاذا ارتخت احداهما انبسطت الاخرى .

٢ ـ الجفنين : ويحفظ العين جفنان متحركان علوى وسفلى عليهما الرموش التى تحفظ العين من المؤثرات الخارجية وتحجز الاتربة عنها ويبطن الجفنان غشاء رقيق شفاف يسمى الملتحمة.

٣ ـ الغدة الدمعية : ويوجد بالزاوية الخارجية لكل عين غدة دمعية تفرز الدموع التى تغسل العين وترطبها وتتسرب الدموع الزائدة الى الانف عن طريق قناة دمعية تصب فى تجويف الانف .

تركيب المقلة : يتركب جدار المقلة من ثلاثة اغلفة هى :

اولا ـ الصلبة : وهو خارجى يتكون من نسيج ليفى أبيض يغلف العين لحمايتها . والصلبة معتمة ماعدا الجزء الامامى منها فهو شفاف ويسمى [بالقرنية] .

ثانيا ـ المشيمية : وهو الغلاف الاوسط وتنتشر فيه كثير من الاوعية الدموية التى تمد أنسجة العين بالغذاء والاوكسجين كما يحتوى على حبيبات سوداء تجعل داخل العين مظلما ويمتد الجزء الامامى من المشيمية على شكل قرص مستدير يسمى [القزحية] بوسطه ثقب صغير يسمى [الحدقة] انسان العين وتتلون القزحية بالوان مختلفة تعطى العين لونها .

ويوجد خلف القزحية عدسة مرنة بللورية شفافة محدبة الوجهين لتجميع الاشعة الضوئية وهذه العدسة ترتبط بالمشيمية بعضلة هدبية .

وتقسم القزحية الحيز من العدسة والقرنية الى غرفتين أمامية وخلفية بهما سائل ملحى .

٣ ـ الشبكية : وهى الغلاف الداخلى وهو الجزء الحساس الذى يتكون عليه الصورة لانها تحتوى على نهايات الالياف الحسية المتصلة بالعصب البصرى . ويلاحظ أن تجويف العين يمتلىء بسائل هلامى شفاف يسمى السائل الزجاجى .

٤ ـ البقعة العمياء : وهى تتصل عندها الشبكية بالعصب البصرى ولا توجد بها خلايا حساسة ولا تتأثر بالصورة .

٥ ـ البقعة الصفراء : وهى بقعة وسط الشبكية على استقامة مركز العدسة ترتكز فيها الخلايا الحساسة وأوضح الصور تتكون عند هذه البقعة .

كيف يتم الابصار :

ـ تنبعث الاشعة من الجسم وتمر خلال القرنية ثم من حدقة العين حيث تسقط على العدسة .

ـ يتغير تحدب العدسة بواسطة العضلة الهدبية فتعمل على تجميع وتركيز الاشعة لتسقط على الشبكية حيث تتكون للجسم المرئى صورة مقلوبة مصغرة .

ـ تتنبه الخلايا الحساسة الموجودة بالشبكية للضوء وتنتقل هذه التنبهات الى المركز العصبى البصرى بالمخ عن طريق العصب البصرى .

ـ يصحح المخ وضع الصورة فنراها معتدلة بالحجم واللون الطبيعى .

فتبارك الله أحسن الخالقين .

ملائمة العين لوظيفتها :

ولقد يسر الله تعالى للعين أن تقوم بوظيفتها خير قيام .
فوجود العين فى التجويف الحجاجى بالجمجمة مما يحافظ عليها .
ووجود وسائد دهنية يقلل من احتكاك المقلة بعظام الجمجمة
ووجود الجفون والرموش يحمى العين من الاتربة .
ووجود غدة دمعية تفرز الدمع لغسل العين وتسهيل حركة الجفون يساعد على نظافتها .
ووجود ست عضلات يساعد على تحريك العين فى جميع الاتجاهات
ووجود الملتحمة يقلل من احتكاك الجفون بالعين .
وشفافية القرنية يسمح بدخول الاشعة الى داخل العين .

وتحكم القرنية بعضلاتها الشعاعية والدائرية فى ضيق واتساع الحدقة ينظم كمية الضوء الساقط على العين .

وكون العدسة البللورية محدبة يجمع الاشعة ويركزها على الشبكية .

ووجود عضلة هدبية متصلة بالعدسة يعمل على تغيير تحدب العدسة المرنة فتسقط الصورة على الشبكية .

ووجود حبيبات سوداء على المشيمية يجعل السطح الداخلى للعين مظلما فتتكون الصورة واضحة .

ووجود السائل المائى الشفاف [الزجاجى] فى فراغ العين يعمل على حفظ كرويتها كما يسمح للضوء بالمرور الى الشبكية.

ووجود خلايا حسية متصلة بالعصب البصرى على المشيمية يساعد على نقل التنبهات الى المخ .

هذه هى العين ووظيفتها من وجهة نظر العلم .. فهى جوهرة غالية لا تقدر بثمن يعرف بها الانسان الخبيث من الطيب ويميز بها الاشخاص والاشياء .

اما من وجهة الدين :

قال تعالى : الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين [٨ البلد] فالله تعالى قد جعل لنا العيون لنرى بها واللسان لنتكلم به الله بصير :

ولقد وصف الله تعالى ذاته بأنه [سميع بصير] و [خبير بصير] و [بكل شيء بصير] و [بصير بالعباد] و [انه بكل شيء بصير] .

فهو تعالى الذى يدرك الابصار ويملك السمع والابصار وهو الذى جعل لكم السمع والابصار والافئدة . قال تعالى : [أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى] .

قال تعالى : [بصير بما يعملون] .

وقال تعالى : [أن الله بما تعملون بصير] .

وقال تعالى : [انه هو السميع البصير] .

وقال تعالى : [انه بعباده لخبير بصير] ة

وقال تعالى : [انه بكل شيء بصير] .

والاسم بصير من أسماء الله الحسنى الذى ندعوه بها ومن هذه الايام نرى ان الله تعالى قد قرن البصر بالسمع وبالمصر فسبحان الله وتعالى عما يصفون .

الاعمى والبصير :

قال تعالى : [وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور] ١٩ فاطر .

اى لا يستوى الاعمى والمبصر ولا تستوى الظلمات والنور ولا ريح السموم وهى رياح تهب نهارا .

وقال تعالى : [مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هـ يستويان مثلا أفلا تذكرون] ٢٤ هود .

والفريقان هما المؤمنون والكافرون فهل يستويان تمثيلا وحالا افلا تعتبرون ؟

وقال تعالى : [قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون] ٥٠ الانعام .

اى أفلا تتفكرون فتميزوا بين مدعى الحق ومدعى الباطل .

وقال تعالى : [ومنهم من ينظر اليك أفانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون] .

اى أانت تقدر على ارشاد العمى وأن انضم عدم البصيرة الى عدم البصر ؟

وقال تعالى : [قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ] ١٠٤ الانعام .

والبصائر هى الدلالات وقد تجلى لكم الحق من ربكم فمن أبصر الحق وآمن به فقد أبصر لنفسه ومن عمى فعليها .

أنــواع العيــون :

وجعل الله تعالى العيون صنفين :

عيون مبصرة ، وعيون عمياء .

العيون المبصرة :

وهى عيون الصالحين القانتين العابدين الحامدين الشاكرين لنعم الله المؤمنين بالله ورسله وكتبه وملائكته وهى عيون لا تعرف الحزن .

ومن هذه العيون :

العيــون القريرة :

قال تعالى مخاطبا موسى : [فرجعناك الى امك كى تقر عينها ولا تحزن] ٤٠ طه .

وقال تعالى : [فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن] ١٣ القصص .

وقرار العين اى طيب النفس فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره وقيل مشتق من القر وهو البرد فان دمعة السرور تكون باردة ودمعة الحزن تكون حارة .

قال تعالى مخاطبا مريم على لسان الملك : [فكلى واشربى وقرى عينا] ٢٦ مريم .

وقال تعالى فى امراة فرعون عندما رات موسى فى التابوت : [وقالت امراة فرعون قرة عين لى ولك] ٩ القصص .

والابناء هم فلذات الاكباد وقرة العين وهم سرور وارتياح النعيم
قال تعالى : [فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون] ١٧ السجدة .

أى لا تعلم نفس الانسان ما أخفى لاهل الجنة مما ترتاح اليه نفوسهم وتسر به قلوبهم جزاء لهم على اعمالهم .

وقال تعالى : [والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما] ٧٤ الفرقان .

اى اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تسر به نفوسنا وترتاح اليه قلوبنا وافض علينا العلم حتى يقتدى بنا الناس فى امر الدين.

عيون فياضة بالدمع :

قال تعالى : [واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين] ٨٣ المائدة .

وهى عيون المؤمنين الذين يسمعون القرآن الكريم فتفيض اعينهم بالدمع مما تحدثه فى نفوسهم من التاثير ومما تحققوه فيه من الحق ويقولون ربنا آمنا به وبمن أنزل عليه فاكتبنا فى زمرة الشاهدين بذلك .

قال تعالى : [لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله] .

وقال تعالى : [مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله] .

وقال تعالى : [انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم] .

هؤلاء هم المؤمنون حقا الذين يسمعون القرآن فتفيض اعينهم بالدمع رهبة وخشية من الله .

عيون تفض البصر :

وقال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون] ٣٠ النور •

وقال تعالى : [وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] ٣١ النور •

وغض عينه وصوته بمعنى كفه وكسره يقال :

اغضض من صوتك •

ومعنى الايتين واضح من عدم اظهار النظر الى النساء وحفظ فروج الرجال عن الزنا وبالنسبة للنساء عدم اظهار الفتنة الا لاقاربهن مع ستر رؤوسهن وصدورهن واعناقهن بغطاء الرأس •

عيون مستلذة :

قال تعالى فى اهل الجنة من الصالحين : [وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون] •

أى فى الجنة ما تشتهيه نفوس الصالحين وتلذ بمنظره أعينهم هذه هى عيون المؤمنين أنها عيون لا تعرف الحسد وعيون لا تزنى وعيون محبة غير حاقدة وهى عيون لا تفسر الشر بالناس .. انها عيون مستنيرة ليس عليها غشاوة تنفر من الفحشاء والمنكر ولا تنظر الا فيما أحله الله لها • انها عيون لا تتجسس ولا تتربص •

انها العيون التى تفيض بالدمع عند سماع القرآن وعند تلاوته

انها عيون الصالحين !

العيون العمياء :

وهى أنواع منها :

عيون عليها غشاوة :

قال تعالى : [لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون] ١٧٩ الاعراف •

وقال تعالى : [وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا] ١٠١ الكهف •

وهؤلاء اعينهم مغطاة عن ذكر الله •

قال تعالى : [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم] ٧ البقرة •

والغشاوة ما يغطى به الشىء وغشاه اى غطاه •

وقال تعالى : [ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون] ٦٦ يس •

وطمسنا اى مسحنا اعينهم حتى تصير ممحاة فكيف يبصرون الطريق وقد محيت أبصارهم •

وقال تعالى : [ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم] ٣٧ القمر •

وقال تعالى : [وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون] ٩ يس •

وهؤلاء الذين طمس الله أعينهم هم قوم لوط الذين أرادوا ارتكاب الفحش مع رسل الله فطمس الله أعينهم ونجاه من القوم الظالمين •

أما الذين قال تعـالى فيهم فاغشيناهم فهم لا يبصرون أى صاروا لا ينتفعون بالنصح وضلوا سواء السبيل • وقلنا لهم ذوقوا عذابى وانذارات نذرى •

قال تعالى : [وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله] ١٣ الجاثية •

وقال تعالى : [أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون] ١٠٨ النحل •

أى ختم الله قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأغلقها ومنعهم من الفهم •

قال تعالى : [أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلـوب اقفالهـا] ٢٣ ــ ٢٤ محمد •

عيـون خائنة :

قال تعالى فيها : [يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق] ١٩ غافر •

وهى العيون ذات النظرة الخائنة او النظـرة المحرمة وهى عيون زانية •

قال تعالى : (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشـة وأنتم تبصرون] ٥٤ النمل •

أى تأتون الفاحشة وأنتم تبصرون فحشها وتتركوا النساء فتعملوا عمل من يجهل قبحها أفلا تزدجرون ؟ •

عيون حزينة :

قال تعالى : [وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم] ٨٤ يوسف •

أى اشتد حزن يعقوب على ولده يوسف لما علم أن الذئب قد أكله حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له فى قلبه كاظم الغيظ •

عيون مطبوعة أبصارها :

قال تعالى : [أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم] ١٨ النحل •

وهى عيون الكفار والمشركين الذين لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون •

عيون ذهب نور بصرها :

قال تعالى : [مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون] ١٧ البقرة •

أى لما اتقدت النار حتى انطفأت تركهم الله تعالى فى ظلام بهيم لا يسمعون ولا يتكلمون ولا يبصرون وهم الكافرون بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الاخر •

عيون خاشعة :

قال تعالى : [قلوب يومئذ واجفـة أبصارها خاشعة] ٩ النازعات •

وقال تعالى : [خشـعا أبصارهم يخرجـون مـن الاجداث كأنهم جراد منتشر] ٧ القمر •

وقال تعالى : (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة (٤٤ المعارج

والقلوب الواجفة هى القلوب المضطربة والابصار الخاشعة هى الابصار المتذللة فيوم القيامة يخرج الناس من القبور كالجراد المنتشر أبصارهم ذليلة وقلوبهم حسيرة •

وبعد فهذا حديث العيون والابصار بين العلم والدين •

فاللهم اجعلنا من أصحاب العيون المبصرة المستنيرة المؤمنة بالله وبكتاب الله وسنة نبيه واللهم اجعلنا من الذين ينظرون الى ما أحل الله ولا ينظرون الى ما حرم الله •

واللهم نور أبصارنا وقلوبنا بالايمان واجعلنا من الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم •

واللهم وجه عيوننا وانظارنا الى كتابك الكريم تنهل منـه ونرتوى ونقتبس منه ونهتدى •

ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير •

والله ولى التوفيق •

طرائف ولطائف

الأستاذ محمد عبده قناوى

• جزاء المهاجرين •

قال تعالى [فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب] صدق الله العظيم ٠

• من الذى وضع التأريخ الهجرى •

ان الذى وضع التاريخ الهجرى هو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وبذلك ضرب لنا المثل فى التجديد واظهار شخصية الاسلام المستقلة ٠

وقصة وضع التاريخ الهجرى تتلخص فيما يلى :

فى السنة الثالثة من خلافة عمر بن الخطاب جمع الصحابة وقال لهم : « ان الاموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت بوقت معين فكيف التوصل الى ما يضبط ذلك ، لقد رفع الى صك موعده شعبان فلا أدرى أى شعبان هو ؟ هل الذى مضى أم الذى نحن فيه ؟ ضعوا للناس شيئا يعرفون به مواقيتهم فناقش الصحابة الامر وتشعبت آراؤهم فمن قائل : « اكتبوا على تاريخ الروم » ٠

وقائل : « اكتبوا على تاريخ الفرس » ٠ فابى عمر الا أن يجعل تاريخ الاسلام اشارة الى حادث اسلامى كبير فاشار بعضهم بان يجعلوه مولد الرسول ، واشار بعضهم بان يجعلوه وفاته ، وأشار على بن أبى طالب بجعله يوم الهجرة فراقت الفكرة قبولا من عمر بن الخطاب وسائر الصحابة لما حققته الهجرة من انتصار الاسلام وانتشاره فاتفقوا أن يكون مبدأ التاريخ الاسلامى هو وقت الهجرة ، ولما كانت الهجرة قد حدثت فى شهر ربيع الاول فان آراء الصحابة قد تعددت حول بداية العام الهجرى وفى النهاية اتفقوا على أن يكون المحرم هو بداية السنة الهجرية وهو الرأى الذى رآه عثمان بن عفان - رضى الله عنه - لان المحرم هو أول السنة العربية فى الجاهلية

• التاريخ الهجرى والميلادى •

ان من الصعوبات الكبيرة التى تواجه الباحثين هى محاولة معرفة ما يقابل الاعوام الهجرية من أعوام ميلادية ولكن العلم الحديث قد حل لنا هذه المشكلة فقد وضع العلمـــاء بالطرق الحسابية الدقيقة جداول تسهل على الباحثين ذلك مــن هـــذه الجداول الجدول المرفق بالمجلد الاول من [دائرة معـــارف الشعب] من صفحة ٢٢٤ الى صفحة ٢٣٢ ويبدأ هذا الجدول من السنة الهجرية الاولى حيث يقابل أولها [١٦ يوليـــه ٦٢٢ ميلادية] وينتهى بسنة [١٥٠٠ هجرية] التى لم تأت بعـد ويوافق أولها من التاريخ الميلادى [٢٨ نوفمبر سنة ٢٠٧٦ ميلادية] والتى لم تأت بعد أيضا ٠

• الرسول قدوة فى حب الوطن •

هاجر الرسول عليه السلام مع صديقه أبى بكر عندما أذن لهما الله بالهجرة فقال الرسول عندما أوشكت مشارف مكة أن تغيب عن نظره :

[والله انك لاحب البلاد الى نفسى ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت] انه حب الوطن الذى ضرب لنا الرسول به أروع مثال نقتدى به ٠

وليس أشق على نفس الانسان مثل فراق الوطن ولذلـــك واسى الله نبيه فقال تعالى [ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد] وقد كان هذا المعاد فى يوم أغر محجل ميمون ألا وهو يوم فتح مكة ٠

• ابن الخطاب مهاجرا •

قال على بن ابى طالب : ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا متخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده اسهما ومضى قبل الكعبه والملا من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكنا ثم أتى المقام فصلى ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم : شاهت الوجـوه من أراد أن تثكله أمه ، أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجتـــه فليلقنى وراء هذا الوادى ثم يجرؤ أحد أن يجيبه ٠٠٠ ياسبحان الله ان الحق أنطقه وأخرسهم !

• ذكرى أبى الشهداء •

فى العـاشر من المحرم يحتفل المسلمون بذكرى استشهاد الشهيد ابن الشهيد وأبى الشهداء فى كل زمان ومكان الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهما وقد قتـــل فى كربلاء بالقرب من الكوفة بالعراق ٠

• كربـــلاء •

كانت تعرف قديما باسم [كوربابل] ثم صحفت الى كربلاء فجعلها هذا التصحيف عرضة لتصحيف آخر يجمع بين الـكرب والبلاء كما وصفها بعض الشعراء ٠ وقد كانت [كربلاء] نكرة لا ذكر لها بين البلدان ولكن منذ مقتل الحسين أصبحت أشهر من أية بلدة أخرى ٠

• الحسين ربيب رسول الله •

لقد تربى الحسين - رضى الله عنه - فى بيت الرسـول وتحت سمعه وبصره فعندما ولـد قال لابويه [أرونى ابنى ما سميتموه ؟] فقال على بن ابى طالب : [حرب !] فقال عليه السلام بل هو [حسين] ٠

وكان عليه السلام لا يصبر على فراقه لحظة واحدة وكـان يجزع اذا سمع بكاءه وكان يقول لفاطمة [ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى] ٠

وقد كان يجلسه ويلاعبه فيروى أبو هريرة : أنه كان عليه السلام يدلع لسانه للحسين فيرى الصبى حمرة لسانه فيهش اليه ويسر ، فرآه عيينه بن بدر فقال متعجبا : [يضع هـذا بهذا ؟ فوالله لى الولد وما قبلته قط ، فيجيبه الرسول الرحيم الرقيق [من لا يرحم لا يرحم] !

وحدث أن كان عليه السلام يصلى العشاء فجـاء الحسين وركب على رأسه اثناء سجوده فلم يرفعها الا عندما قام الحسين فلما سئل عن اطالة السجود قال : [ان ابنى ارتحلنى فخشيت أن أعجله] ٠

وهناك الكثير والكثير مما يدل على حب الرسول لابى الشهداء الحسين وأخيه الحسن رضى الله عنهما .

• لماذا قتل الحسين •

بعد أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة سنة ٦٠ هـ بعث أهل الكوفة بعدة رسائل الى الحسين يدعونه الى القـــدوم اليهم

ليبايعوه بدلا من يزيد ، ولما كان الحسين قد امتنع عن مبايعة يزيد لانه غير كفء لمنصب الخلافة ولان أهل البيت أحق منه بها ، فقد رأى أن نداء أهل الكوفة له هو نداء الواجب يتعين عليه أن ينهض لتلبيته فخرج الى الكوفة ومعه أهل بيته وعدد قليل من أنصاره ، وما ان اقترب من الكوفة حتى بلغته الانباء بان الامور قد تغيرت فيها فقد عين [عبيد الله بن زياد] واليا عليها واستطاع أن يقبض على مسلم بن عقيل ابن عم الحسين الذى أرسله ليمهد له الامر وقتله ، وأعد جيشا لبقاتل الحسين أو يأسره ولما تيقن الحسين من خذلان أهل العراق له بعد أن أكدوا له ولاءهم من ذى قبل عرض على قائد الجيش القادم وهو عمربن سعدبن أبى‌وقاص شر خلف لخير سلف وعلى‌عبيدالله بن‌زياد عروضا ثلاثة كل منها يقدم حلا عادلا منصفا للموقف وهى : اما أن يتركوه يرجع الى مكة وبذلك تنتهى الازمة ، واما أن يتركوه يذهب الى يزيد بن معاوية فيضع يده فى يده ويفاوضه ، واما ان يترك يتوجه الى أحد ثغـــور المسلمين ليشترك معهم فى الجهاد • ولكن ابن زياد رفضها جميعا وأمر الحسين أن يسلم نفسه وينزل على حكمه أو يقاتلوه •

فيرفض الحسين باباء وشمم رفضا شديدا ويشمر ابن‌الصحراء وابن بطل الابطال عن ساعديه مدافعا عن نفسه وعرضه ومن حوله دفاع رجل ثم دفاع عربى ثم دفاع مؤمن ولسان حاله يقول : اما وقد أبى هؤلاء الا الحرب فلينظروا أى فتيان هيجاء يقاتلون وحقا رأى وقال •

● معركة غير متكافئة ●

لم يكن مع الحسين الا سبعون رجلا أو ثمانون يدافعون عنه ، ومعه أهل بيته من نساء وأطفال صغار مما يدل على نيته السليمة على حين أن الجيش الذى يواجهه والذى أرسله ابن زياد بلغ خمسة آلاف فأى معركة غير متـكافئة ؟ وبأى مقياس من مقاييس المنطق والعقل يوازن الانسان بين الطرفين ؟ ولكن انها الخسة والنذالة والضعة لا تفكر بعقل ولا ترعى حقوق الدين أو الانسانية !!

● وحشية وقلوب متحجرة ●

قبل المعركة نكل جيش ابن زياد بالحسين واسرته واصحابه تنكيلا يدل على أن قلوبهم قد أقفرت من الايمــان والرحمة والانسانية وعششت فيها ثعابين الحقد والغدر والقســوة والوحشية • ومن أمثلة ما فعلوه بهم :

● لقد منعوا الماء عنهم فقاسى الحسين ومن معه من‌العطش الامرين ولكنهم تحملوا عذاب العطش فى صبر عجيب ، ولكن هل يعرف الاطفال الصبر وقوة الاحتمال ؟ فقد رأى الحسين ولده عبد الله يتلوى من ألم العطش وقد بح صوته من البكاء فحمله على يديه يهم أن يسقيه ويقول لهؤلاء القساة : [اتقوا الله فى الطفل ان لم تتقوا الله فينا] لقـــد ناداهم باسم الانسانية والرحمة عسى أن ترق قلوبهم فماذا كانت اجابتهم ؟ لقد رمى احدهم الطفل بسهم فاستقر فى احشائه فسقط يتلوى بين ذراعى ابيه !!

● ولما بلغ العطش بالحسين منتهاه حتى لم يعد فى قوس الصبر والاحتمال منزع دنا من الفرات ليشرب فرماه حصين ابن نمير بسهم وقع فى فمه فانتزعه الحسين وجعل يتلقى الـدم بيديه فامتلأت راحتاه بالدم فرمى به الى السماء وقد شخص ببصره اليها وهو يقول [ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم من القوم الظالمين] •

● كان عبد الله بن الحسن ابن أخ الحسين ــ وكان غلاما ــ ينظر من الاخبية فرأى رجلا يضرب عمه بالسيف ليصيبه حين أخطأ زميله فهرول الغلام الى عمه وصاح فى براءة الاطفـال مخاطبا الرجل : [يا ابن الخبيثة أتقتل عمى ؟] فتعمده الرجل بالسيف يريد قتله فتلقى الغلام ضربته بيده فانقطعت وتعلقت بجلدها فاحتضنه عمه وهو يقاتل •

وهناك الكثير والكثير الذى يدل على وحشية هؤلاء القوم •

● كيف قتل الحسين ؟ ●

لم تشهد الانسانية مشهد شهيد يقتل ابشع من مشـهد مقتل الحسين فيحكى لنا المؤرخون أن جنود ابن زياد لما ظفروا بالحسين وجهوا اليه الضربات فى حقد وتشف : فضربه [زرعة ابن شريك التميمى] على يده اليسرى فقطعها ، وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه ، ثم جعل يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف حتى سكن حراكه ، وقد وجدت بعد موته فى جسده ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وثلاثون ضربة غير اصابات النبل والسهام ولم يكتفوا بما فعلوا بل اسرع [شمر بن ذى الجوشن] واحتز رأسه ثم هرع الجنود يسلبون ما على جسمه من ثياب ولم يتركوا عليه الا سراويل ممزقة ، وبعد ذلك أمر ابن زياد عشرة من الفرسان يدوسون جثته بالخيل فداسوها مقبلين ومدبرين حتى رضوا صدره وظهره ثم تركوا الجثث بالعراء ومضوا يفخرون بالنصر القذر الرخيص •

يا لها من وحشية ما بعدها وحشية ، وهمجية فاقت كل الهمجيات ولكن اذا ذهب الحياء فليفعل الانســان المتوحش ما يشاء •

● انتقام السماء ●

لم تمض على مقتل الحسين سنوات قليلة الا وقد كان الله قد انتقم من جميع الذين شاركوا أو اشتركوا فى قتله فقد قام [المختار بن أبى عبيد الثقفى] أحد زعماء الشيعة فى الكوفة ووضع على عاتقه مهمة الانتقام من قتلة الحسين وقد نجح فلم يبق على قيد الحياة رجلا كانت له صلة من بعيد أو قريب فى مقتل الحسين ــ رضى الله عنه •

● فها هو [عمرو بن الحجاج الزبيدى] ــ أحـــد قتلة الحسين ــ عندما سمع بتعقب المختار لقتلـــه الحسين ركب راحلته وذهب فى طريق الصحراء الى غير رجعة فلم يسمع عنه خبر بعد ذلك •

● وها هو [شمر بن ذى الجوشن] ــ وكان أول من حمل على الحسين وحرض عليه الناس حتى قتل ولما قتل تولى هو قطع رأس الحسين فى الوقت الذى لم يجرؤ أحد من القتلة الاقدام على تلك الفعلة الشنعاء ــ هذا الرجل قتل شر قتله وألقيت جثته للكلاب •

● وها هو [عمر بن سعد بن أبى وقاص] ابن الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص وقد كان هذا الابن بئس الخلف لخير سلف فقد كان أحد القواد الذين شاركوا فى قتل الحسين هذا الرجل قتله المختار شر قتلة •

● وها هو [عبيد الله بن زياد] كبير قاتلى الحسين ورأس الاثم كله لقد قتل أشنع قتلة فقد دارت بينه وبين جيش المختار بقيادة [ابراهيم ابن الاشتر] معركة فاصلة عند [نهر الخازر] من فروع دجلة فبعد هزيمة جيشه وجد مقتولا وقد قسم جسمه الى قسمين فرجلاه كانتا فى المشرق ويداه كانتا فى المغرب فاحتزوا رأسه وحرقوا جثته •

● وها هو الحصين بن نمير ذلك الرجل الذى رمى الحسين بسهم فى فمه عندما أراد ان يشرب قد قتل أيضا فى معــركة [الخازر] •

ومن عجيب المصادفات أن معركة الخازر هذه كانت فى‌العاشر من المحرم سنة ٦٧ هـ . وبذلك قتل ابن زياد والحصين بن نمير كبيرا قتلة الحسين فى يوم ذكرى مقتل الحسين فسبحان المنتقم الجبار الذى يمهل ولا يهمل !! •

وهناك الكثير والكثير من القصص التى ترويها لنا كتب التاريخ والتى تبين لنا النهاية البشعة التى انتهى اليها قتلة الحسين سيد شباب أهل الجنة ولكن يكفينا هذا القدر •

وبعد ••• حياك الله يا أبا الشهداء فى يوم ذكراك العطرة لقد علمتنا التضحية وكيف تبذل ، والاباء وكيف يكون ، والشجاعة وكيف تبدو والصبر وكيف يسلك انك نعم القدوة الحسنة وليس هذا غريبا على من جده الرسول وأبوه على بن أبى طالب وأمه فاطمة الزهراء رضى الله عنهم اجمعين •

الفن الإسلامي

أصول روحية للعمارة الإسلامية

المساجد

وصراع الحفاظ على الإيمان

الأستاذ عبد المجيد وافي

لم تكن مساجد الاحياء الا ضرورة تخطيطية من ضرورات اتساع المدن ، كما كانت طبيعة الاتساع والامتداد للمدينة الواحدة عبر الاجيال ، مما يجعلها تضم أكثر من مسجد جامع بتوالى العصور .

فكانت مدينة مثل القاهرة تستوعب جامع عمرو العتيق وجامع ابن طولون، ثم جامع العسكر ـ الذى اندثر ولم يبق منه أثر ـ ثم الجامع الازهر والمسجد الحاكمى ، وجامع بيبرس البندقدارى ، وكلها مساجد يمكن للواحد ، أن يستوعب الالاف بين الخمسة والعشرة فى الصلاة الواحدة .

ثم أضيف الى هذه المساجد التى عبرت عصورها وتوالت ، مساجد تعد جامعة فى عصور لاحقة كمسجد القلعة ، ومشاهد السيدة زينب والشافعى والحسين ، وغيرهم من آل البيت رضى الله عنهم أجمعين .

وقضى اتساع العمران بوجوب انشاء المساجد المتعددة التى قد لايفصل بينها وبين بعضها الاقطاع من حى ، أو شارع بعد شارع ، وتحايل الناس على اتخاذ المصليات فى الحديث من العمائر ، ومايزال كل ذلك قاصرا عن استيعاب الناس فى الجمعة ، حتى لتشغل بهم الطرقات حول كل مسجد .

ولعل هذا الذى نراه من تزاحم الناس حول المساجد ـ جامعها وصغيرها ـ مما دعا الى وجود ما يعرف بالزيادات حول المساجد الجامعة فقد كانت مساجد البصرة والكوفة تحف بها زيادات ، كما حفت الزيادة المعروفة حول مسجد ابن طولون ، وما تزال حوله وان لم تستعمل الان ، فبقيت حرما محيطا بجدار المسجد الخارجى ، يحفها أيضا جدار بنفس ارتفاع المسجد ، وتعلو جدارها شرفات مماثلة لشرفات المسجد الغريبة الشكل ، والتى تشبه أن تكون تشكيلا مجردا لجماعات متماسكة الايدى متراصة بطول الجدران كأنما تعلن تماسك أمة الاسلام كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وقد فتحت فى هذه الجدران الخارجية أبواب مسامته لابواب المسجد .

الا أن مكة والمدينة كرمهما الله ، قد اقتصرتا على مسجد جامع واحد فى كل منهما ، وذلك لمكانة هذين الحرمين الشريفين من الاسلام قبل أن يزاحمهما مسجد آخر فى بلدهما ، أو يدانيهما فى غيرهما وقد حمتهما هذه المكانة عن المنافسة ، فالكعبة قبلة الاسلام ، اليها يحجون وحولها يطوفون تبركا ونسكا ، ومهما اتسعت مكة فاتساعها يصب فى مركزها وهو الكعبة ، وكلما اتسعت مكة مكن الله القائمين على الامر من توسعة الحرم بما يتناسب مع اتساع قلب العالم الاسلامى .

والمسجد النبوى مثوى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ومهبط الوحى ، تلوذ به قلوب المؤمنين ، وتهفوا اليه من كافة بقاع الارض ، ملما بروائح النبوة ، ومدارج الرسالة ومهما اتسعت المدينة المنورة عمران فالمسجد النبوى مركزها ، ولا منافس ل فى مكانته ، ولن يأتى بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، من يش الناس عن مسجد الرسول الامين .

وهذه خاصة المسجدين والمدينتين بخلاف المدن الاخرى حيث يحب الول والحكام أن يتركوا لانفسهم الذكرى ببن مساجدهم الجامعة ، فيها حولهم يلت بهم الاتباع والجند ، وما ان يزول الحا

ومن هنا خرجنا الى اتســاع المدن وتعدد مساجد الاحياء ، وتنوع العمارة وفخامتها أو بساطتها ، من مســاجد مكشوفة أو مسقوفة ، أو مساجد معلقة ، وما استحدث من مساجد العمائر الحديثة .

والتمست لذلك النوع الاخير مثلا ، في مسجد الدباغين من طليطلة الاسلامية .

وطليطلة مدينة ســابقة على الفتح الاسلامى ، لشبه الجزيرة الايبيرية ، حيث كانت المركز الدينى للمســيحية القوطية فى أسبانيا بل مركز الملك ، وقد غنم طارق بن زياد وموسى بن نصير ذخائر عجيبة ، تنم عن مكانة هذه المدينة يومئذ ، وتحدثت كتب السير والتاريخ عن ذلك حديثا عجبا – ليس هذا مكانه .

فلما فتحت سنة ٩٥ من الهجرة النبوية ، بقيت كنائسها على حالهــا ، وأسس المسلمون فيها المسجد تلو المسجد على اتساع رقعة المدينة ، ولم تقتصر مساجدها على المسجد الجامع ، الذى يدعى بعض المؤرخين أنه كان كنيسة قوطية فحولت الى مسجد بعــد الفتح ، وهــذه فرية لا تقبلها حقيقة الهداية الاسلامية ، التى تتمثل فى توجيهات الرسول صــلوات الله وسلامه عليه ، وأسوة خلفائه من بعده .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ، نهى عن العدوان على صوامع العبــاد والكنائس والصلوات .

ثم ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، عنــدما دخل بيت المقدس ، وحلت الصلاة ، فدعاه بطريق القيامة للصلاة فى الكنيسة فرفض حفاظا عليها ، مخافة أن تتخذ صلاته سببا أو سنة لاتخاذ نفس المكان مسجدا .

وكانت طليطلة العزيزة أسبق المــدن الاندلسية سقوطا فى أيدى قوات المسيحية المستردة ، التى قاتلت لاستعادة شــبه الجزيرة من أيدى المسلمين ، اذ سقطت طليطلة فى شهر صفر ٤٧٨ هـ مايو سنة ١٠٨٥م فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة ، بعد ثلاثة قرون ونصف مــن الفتح الاسلامى ، وبعد قرن وربع مــن اعلان ملوك الشمال الاسبانى المسيحيين الخضوع لعبد الرحمن الثالث – الناصر .

ونصت معاهدة الصلح والتسليم التى وقعها ألفونسو على أن تظل للمسلمين مساجدهم ، وألا يتعرض أحد لهــم الى الابد .

ولكن أسقف طليطلة الجــديد ، بدأ بحملة لعودة المسيحية الى الغــزو ، وتهديد المسلمين المستضعفين فى المدينة حتى يتخلوا عن دينهم ومســاجدهم ، وحول المسجد الجامع بالقوة الى كاتدرائية ، ووضعت فيه الصلبان والايقــونات ، والهيكل والمذبح ، وفى ديسمبر ١٠٨٥ م – بعد شهور ثمانية من امضاء المعاهدة – أقيم حفل ملكى لتدشين المسجد كنيســة جامعة .

وظلت عمارة المسجد الاسلامية كما هى بزخارفها ونظامها – رغم ما أضيف اليها من شعارات مسيحية حتى ســنة ١٢٢٧ – أى مقدار قرن ونصف تقريبا – عندما أمر فرديناند الثالث بهدم البنــاء الاسلامى من أساسه وبناء كاتدرائيــة مكانه ، هى البناء القــائم الان ، الذى استغرق بناؤه ثلاثة قرون ، حيث تم افتتاحها ١٤٩٣ – بعد عام من ســقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين فى أسبانيا .

انه تاريخ الالم المرير ، والحقد الظاهر ، الالم على ما ضاع من المسلمين من مجد مؤثل ، فقدوه بخلافاتهم ونزعاتهم الفردية ، وتسابقهم على زواج النصرانيات ، ليدخلوا بأيديهم الجاسوسية الفتاكة الى قصور الحكم ، وفتك الداء بقلوب المســلمين قبل أن يفتك بدولتهم .

والحقد الظاهر الذى لم تستطع العهود والمواثيق أن توقف ناره المتأججة أن تزحف الى معالم الحضارة ومراســم الاديان بالمسخ والتشويه ، وباتت طليطلة وغيرها من المدن التى استسلمت للزحف الصليبى ، تكتب عهود أمانها اليوم ، وتمحى بالفعل غدا ، ومنذ ســقطت طليطلة ، عانى فقراء المسلمين ، فلاحوهم وصناعهم الذين ارتبطوا بالارض ، فــلم يستطيعوا الهجرة – وقد حاولها كثيرون ، كلما سقطت مدينة تركوها الى غيرها ، حتى ازدحمت آخر الامر غرناطة بالمسلمين الفارين من جميع بقاع الاندلس المتساقطة ثم حلت الكارثة الكبرى ، وسقطت غرناطة ، فمن استطاع الفرار الى المغرب فقد فر ، وفى تلك المحنة غرقت ســفن محملة بالنفائس واستولى قراصنة الاسبان على اضعاف ما غرق لينتشر بين دير الاسكوريال – بين طليطلة ومدريد – وبين غيره من ديارات وكنائس أسبانيا .

أما الضعاف الذين ارتبطوا بالارض ولم يستطيعوا الفرار ، فلم تحمهم العهود والمواثيق عن التنصير ، وظلوا بعــد تعميدهم مهددين من محاكم التفتيــش ، بتخريب ديارهم وصلبهم واحراقهــم ، لتطهيرهم من الاسلام ... ؟؟ ، وذلك كان قرار أساقفة طليطلة وغير طليطلة حتى ينحسر اسلام المسلمين بالارهاب .

والعجيب ان مســيحيا فى العصر الاسلامى لم يلق شيئا من ذلك بل كرموا وتركوا لعقائدهم وصلواتهم .

ولكن حلاوة الايمان ظلت تخالط قلوب الناس ، وعندما يأمنون على انفسهم ، يعودون الى القرآن والصلوات يبثونهــا أحزانهم ويرفعون الى الله ضراعتهم ، ويومئذ نشأت بينهم التقية واخفاء الاسلام ، وفى ذلك الجو الارهابى ، اتخذ هؤلاء المستضعفون ، طابقا علويا فى دار مسجدا فى حى الدباغين .

والبحث موصول

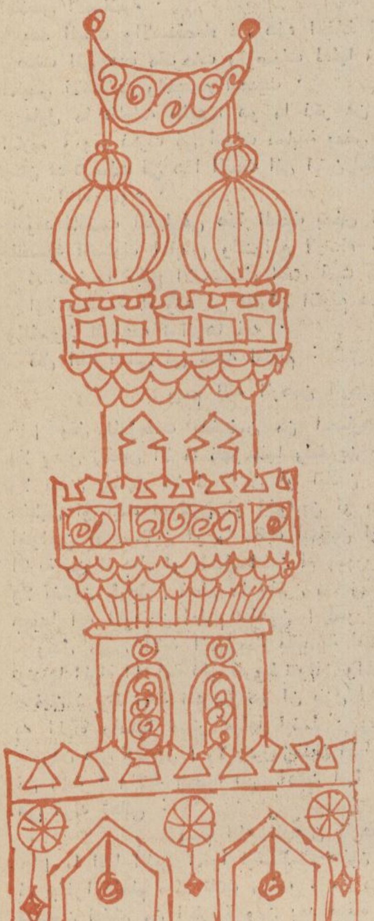

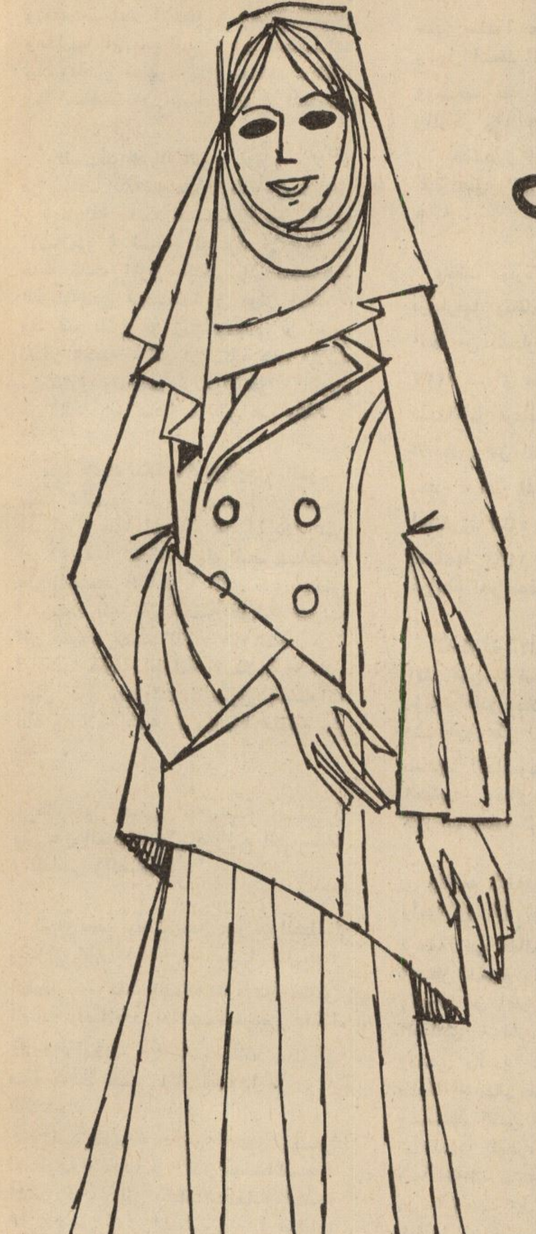

الملبس الإسلامي

حاولت فى هذا البحث أن أوجد علاقة ارتباطية بين الملبس الاسلامى والمجتمع الحديث • وأحدد الاسلوب الذى يمكن أن نتبعه لكى نحقق الوصول الى اقتناع المرأة بارتداء الملابس اللائقة •

ما هو مفهوم هذا النوع من الملابس هل سنعود بها الى الحريم من خلال هذه الفكرة .

وهل نستطيع أن نسيطر على المرأة المصرية أن ترتدى الملابس الاسلامية •

بعد البحث والاستقصاء فى هذه النقاط اعتقد أنى قد توصلت الى عدة مقترحات وتوصيات لعلها تجعلنا نلائم بين الملبس الاسلامى والمجتمع الحديث •

فأول ما تناولته بالبحث هو ما ذكر عن الملبس فى القرآن الكريم ، وقد ذكرت فى أبحاث سابقة بعض ما ورد عن الملبس ولكن قد توصلت فى هذا البحث الى آيتين لعلهما يكونان عونا لى فى هذا الموضوع •

وقد ناقشت أيضا فى هذا البحث بعض آراء علماء النفس بالنسبة للسلوك الملبسى والدوافع لارتداء الملبس •

ثم عرضت نتائج الاستقصاء الذى قمت باجرائه •

أولا بالنسبة لما ورد فى القرآن الكريم عن الملابس الاسلامية والشروط الواجب توافرها فيه •

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

[وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا آيه المؤمنون لعلكم تفلحون] سورة النور الاية ٣١ •

ويدل معنى الاية الكريمة بالنسبة للملابس التى يجب أن ترتديها المرأة المسلمة على شروط تتوافق والمرأة المسلمة .

فمن شروط الاية الكريمة هو ان ينزل الخمار أو ماتغطى به المرأة رأسها لستر عنقها أيضا • وهذه معنى [يضربن بخمرهن على جيوبهن] ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ، الخ ما ذكر فى الاية • والاية الثانية التى اعتقد أنها تفيدنا فى هذا البحث هى قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

[يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم] النور — الاية [٥٨] •

يتضح من كتاب الله الكريم ان للانسان ثيابه الخاصة لكل وقت فى اليوم ، فما يصلح للصباح قد لا يصلح للمساء ، وما يصلح للنوم ليلا أو الاسترخاء ظهرا قد لا يصلح للمناسبات الاخرى فهذه الاوقات يختلف فيها تستركم •

الأستاذة علية أحمد عابدين

فى إطار المجتمع الحديث

وسنناقش رأى علماء النفس بالنسبة للملبس فى هـذا الموضوع

فاعتقد من وجهة نظرى ان الدوافع هى التى تهمنا فى بحثنا هذا ، فتختلف الاستجابات بالنسبة لدافع معين باختلاف الثقافة واختلاف الافراد .

فقد يختلف أسلوب اشباع الحاجة الى ارتداء الملبس بين الناس باختلاف الظروف الاجتماعية، والاقتصادية واختلاف البلاد.

فلو قارنا بين شخصيتين احداهما متمسكة بالتقاليد والاخرى غير ذلك ، لوجدنا انهما يتشابهان من حيث المظهر الادراكى والمظهر الوجدانى .

فكلاهما تدرك حاجتها للملابس وتنزعان الى اشباع الحاجة ، ولكنهما تختلفان تماما من الناحية النزوية وطريقة اشباع الدافع.

فالاولى تتمسك بالتقاليد وباتباع تعاليم الدين وتفضل ارتداء الملابس المحتشمة ، والثانية تشبع هذا الدافع بطريقة أخرى فهى تفضل الملابس المكشوفة التى تتوافق مع بيئتها ومجتمعها ورغبتها . من خلال هذا يمكننا أن نعلم أن تغير الظروف المحيطة بالمرأة ، فالظروف الاجتماعية بالذات لها تأثير عليها من ناحية اقناعها تماما بارتداء الملابس الحشمة ، ولا يأتى ذلك عن طريق القوانين ، أو الشدة أو الاجبار .

وأعتقد أننا لو حاولنا ابراز الموضات المحتشمة فى مجتمعنا الاسلامى بوسائل الاعلام المختلفة وان ما يرتدى داخل المنزل ليس هو الملبس الذى يرتدى فى مكان العمل أو الطرقات العامة أو المجتمعات ، وما يرتدى فى الصباح يختلف عما يرتدى فى المساء .

ويمكن للمرأة أن ترتدى احدى الموضات ولكن مع التحوير البسيط الذى يلائمها .

ونحن لا نستطيع ان نجعلها بين يوم وليلة تنتقل من الشخصية المحبة للظهور التى تريد أن ترتدى كل ما هو عار وملفت الى شخصية محتشمة رزينة .

ولكن بالاقناع والدليل على ذلك أننا فى سن الخامسة عشر نميل الى الثياب المرحة الرياضية بينما فى سن الخامسة والعشرين فاننا نميل الى ارتداء الثياب الاكثر احتشاما واتزانا وفى سن الاربعين نميل الى ارتداء الثياب الاكثر احتراما .

وأعتقد أن المرأة اذا فهمت ماتشاهده فى السينما أو التليفزيون وان الفنانة ترتدى الثياب التى تتلاءم مع دورها فى القصة وتتأكد تماما ان هذه الفتاة اذا خرجت الى الطريق العام بأنها سترتدى ملابس تختلف كل الاختلاف عما ترتديه امامها .

فلابد أن تفهم المرأة جيدا أن كل ثوب لابد أن يرتدى فى المكان المناسب فى داخل المنزل فأمام زوجها سمح لها القرآن الكريم بارتداء ما تريد وان تظهر مفاتنها وبأى صورة من الصور بغير حدود .

وعلمها القرآن أن الملبس يختلف تبعا للاوقات المختلفة أى أن الملبس المناسب يرتدى فى المكان المناسب .

وقد قمت باجراء استفتاء على مائة سيدة وفتاة ووجهت اليهن أسئلة عن أنواع الملابس التى يفضلنها .. وفيما يلى أهم هذه الاجابات :

فقد ذكرت ٧٥ ٪ منهن أنهن يفضلن الملابس المحتشمة .

و ٢٥ ٪ منهن يفضلن غير ذلك .

و ٨٠ ٪ منهن يفضلن الملابس المحتشمة ولكنهن لا يستطعن التوفيق بينها وبين الموضات الحديثة .

و ٢٠ ٪ منهن ذكرن أنهن يخشين ارتداء الملابس المحتشمة لكى لا يتهمن بالتخلف عن المجتمع .

وذكرت ٩٠ ٪ منهن أن الوعى الملبسى أهم ما يمكن للتأثير على السيدات والفتيات من ناحية الاحتشام عن طريق وسائل الاعلام .

و ٧٠ ٪ منهن ذكرن أنه لا يوجد فى الملابس الجاهزة ما يساعدهن على ارتداء الملابس المحتشمة .

واعتقد انى توصلت من خلال هذا البحث الى بعض المقترحات والتوصيات الاتية :

■ بالنسبة للبيئة الاجتماعية :

— الاباء والابناء يرغبن الفتيات فى الملابس المحتشمة ويمتدحنها أمامهن ويحثهن على التدين .

— تقوم الامهات بتعويد بناتهن على الظهور بالمظهر اللائق وان ليس كل مافى مجلات الموضة يمكنها الظهور به فى الطريق العام أو الذهاب الى الجامعة .

وتعلمها كيفية انتقاء ملابسها بما يتناسب مع طبيعة المكان الذى ترتديه فيه .

■ بالنسبة للمدرسة :

— تدريس الوعى والتثقيف الملبسى فى المدارس الاعدادية والمدارس الثانوية .

[قامت الباحثة بالاشتراك فى لجان المناهج المطورة لمادة الاقتصاد المنزلى بالنسبة للمدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية] .

وهناك مجالات فى المنهج تساعد على تدريس الوعى الملبسى بطرق مشوقة مع اهتمام وزارة التربية والتعليم بهذه المادة بالنسبة للطالبات .

واعتقد أن ذلك سيكون أساس القضاء على فوضى الازياء الموجودة فى بلادنا .

■ بالنسبة لوسائل الاعلام :

— العناية ببرامج المرأة والتثقيف الملبسى والتوجيهات لذلك فى الاذاعة والتليفزيون والصحافة .

■ بالنسبة لمصممى الازياء :

— يحاول مصممو الازياء المصريون بالتعاون على تصميم أحدث موضات القبعات التى بها [ايشاربات] لستر الرقبة وعرض هذه الموضات حتى تقبل كل سيدة تريد ان تتمسك بالشريعة الاسلامية وتظهر فى نفس الوقت بصورة تلائم المجتمع الحديث .

— التركيز على عروض الازياء بالملابس المبتكرة التى تلائم الموضات الحديثة وفى نفس الوقت يراعى فيها الاحتشام كلما أمكن .

الزخارف النباتية في العصر العثماني

الأستاذة
ثريا سيد احمد نصر

مما لاشك فيه ان العنصر النباتي فى الزخارف الاسلامية تأثر كثيرا بانصراف المسلمين عن استيحاء الطبيعة وتقليدها تقليدا صادقا .

وكانت أكثر الزخارف النباتية شيوعا فى الفنون الاسلامية [الارابيسك [لوحة [رقم ١] وأصبحت هذه التسمية عامة الى حد أنها كادت تطلق على جميع الزخارف النباتية الاسلامية .

وقد بدأت زخارف [الارابيسك] تظهر فى القرن الثالث الهجرى [٩م[فنراها فى مدينة سامرا بالعراق فى الزخارف الجصية التى كانت تغطى جدران هذه المدينة ، أما فى مصر فكانت فى العصر الطولونى ، وقد تطورت زخارف [الارابيسك] فى العصر الفاطمى الى ان بلغت قمة عظمتها فى العالم الاسلامى منذ القرن السابع الهجرى [١٣ م] .

هذا وقد اتقن المسلمون غير [الارابيسك] زخارف نباتية أخرى وهى أيضا عبارة عن جذوع نباتية وأوراق وغير ذلك ، وبحسب كل اقليم وبحسب كل عصر تختلف دقة تقليد الطبيعة .

أما فى العصر العثمانى فقد قسم العثمانيون الزخارف النباتية تبعا لاسلوبها الفنى وعناصرها الزخرفية الى الطرز الاتية : —

الطراز الرومى :

وهو الاسم الذى أطلقه السلاجقة على الاناضول عندما استولوا عليها وانتزعوها من الدولة البيزنطية الرومانية .

وكان أول من استعمل الزخارف المحورة من الرسوم النباتية هم الاتراك المقيمون فى وسط آسيا ، وكانوا يطلقون عليها اصطلاحا فنيا هو كلمة رومى ، وانتشرت هذه الزخارف بالتالى فى جميع ولايات العالم الاسلامى حتى أسبانيا .

ولما جاء العثمانيون استخدموا ايضا هذا الاسلوب الزخرفى فى المنسوجات وعملوا على تطويره ، الى أن وصل الى درجة عظيمة من الروعة والاتقان ، وأطلقوا عليه الاسم الذى أطلقه السلاجقة فى الاناضول وهو [الرومى] .

طراز الهاتاى :

وقد استخدم السلاجقة ايضا أسلوبا زخرفيا آخر ، عبارة عن الزهور والاوراق النباتية المحورة بالطريقة الصينية . على أن أول من اتخذت هذا أسلوبا للزخرفة هى بلاد التركستان الشرقية التى كان يطلق عليها اسم هاتاى .

وفى العصر العثمانى أصبح أسلوب الهاتاى من اهم أساليبهم الفنية بعد أن طوروه .

وقد وجد الفنانون فى نباتات وزهور بلادهم مصدرا غنيا يأخذون منه عناصر أسلوبهم الزخرفى ، وزهرة القرنفل من الزهور التى فضلوها وأكثروا من استعمالها وكذلك الورد لوحة [رقم ٢] ، وكوز الصنوبر ، واللاله ، وزهر الرمان ، وزهرة كف السبع . وكذلك الزخارف المحورة للاوراق النباتية لوحة [رقم ٢] .

الاشجار :

ورسوم الاشجار من العناصر الهامة فى الزخارف النباتية ايضا ، وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هى : الساق والفروع والاوراق . وشجرة السرو وأشجار الدوم والنخيل من الاشجار التى كثر استخدامها فى الزخارف التركية .

وشجرة السرو من الاشجار التى تزرع فى الجبانات ، بحيث تغطى رائحتها النفاذة على الروائح الضارة من جثث الموتى . وهذه الشجرة ذات مقام خاص عند الاتراك فهى رمز الخلود عندهم ، وذلك لان خضرة أوراقها تدوم طوال فصول السنة ، ولذلك فهى تعبر عن الحياة المتجددة ، الخالدة ، ومن هنا قدس الاتراك اللون الاخضر . ولهذا السبب ، أكثر الفنانون من رسم هذه الشجرة فى زخرفة الاجزاء المقدسة من المبانى والعمائر كالمحاريب والميضات ، ورسموها أيضا على سجاجيد الصلاة ، وطرزوها على الستور والمعلقات ، وفى

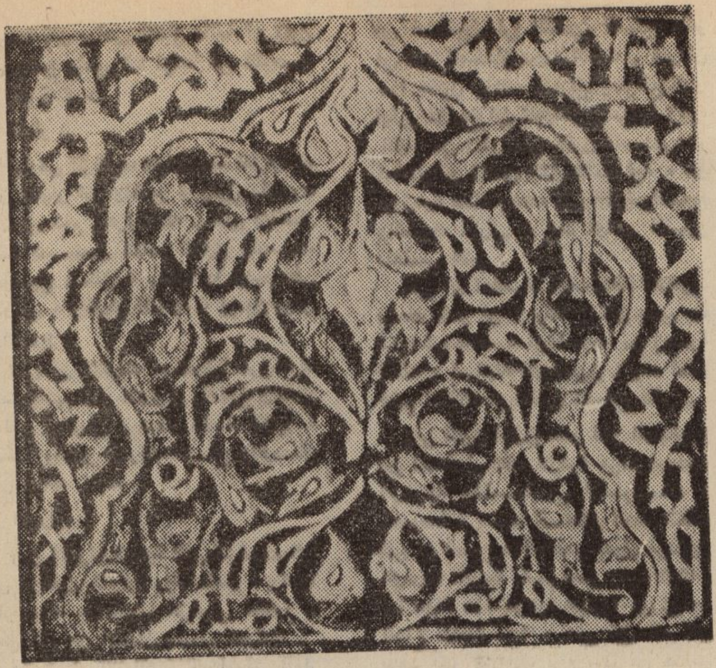

لوحة [رقم ١]

بلاطة حائطية مموهة بالمينا . آسيا الصغرى . القرن ١٥م محفوظة بمتحف المتروبوليتان .

لوحة [رقم ٢]

فوطة مائدة من العصر العثمانى القرن ١٨م .

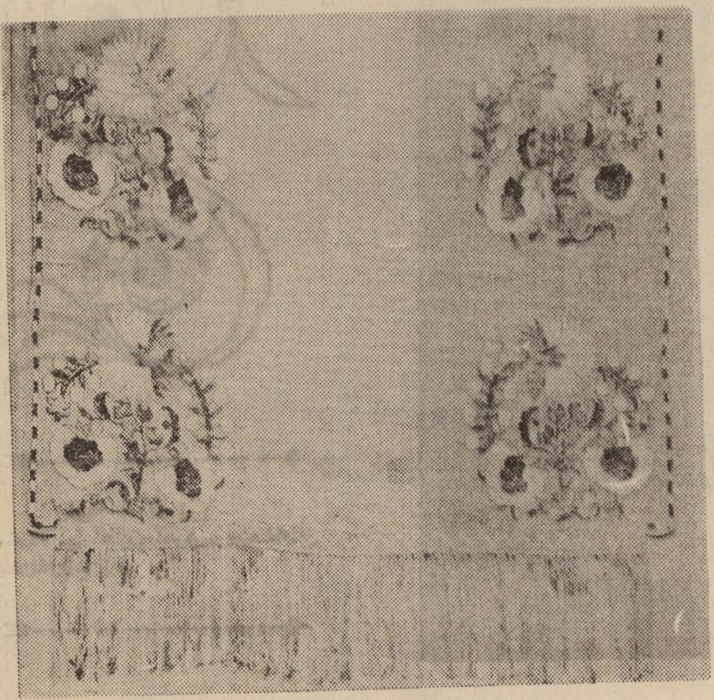

رسمها كان يراعى الفنان دائما أن تكون فى وضع رأسى كما نراها فى اللوحة [رقم ٤] .

الثمار :

أما فى الزخارف الكلاسيكية التركية لم يكن للثمار أثر واضح ، وأول ماظهرت كان فى عصر زهرة اللاله . على أن الثمار كانت تستعمل كعنصر ثانوى وليست كموضوع مستقل ، وغالبا ما ترسم على الاوانى ، وأطباق الفاكهة ، وبدون أوراق أو فروع .

على أن الاتراك استعملوا فى زخارف منسوجاتهم ثمار الكمثرى والخوخ والتفاح والتين والرمان وبصفة خاصة البلح ، هذا ويعتبر الاتراك البلح والرمان من فواكه الجنة .

الاوراق :

ومن الاوراق النباتية التى كثر استعمالها فى الزخارف التركية ورقة العتر ، وكثيرا مارسموها بالاسلوب الزخرفى المحور ، وفى كثير من الاحيان يصعب معرفتها .

واستعمل الاتراك كذلك أوراق الغار والكنكر والعنب فى المنسوجات .

طراز زهرة اللاله :

وقد كتب [ركتا] مقالا عن زهرة اللاله ، ذكر فيه أن الاتراك أخذوها من الهولنديين بواسطة سفير النمسا فى اسطنبول فى القرن السابع عشر فى عهد السلطان محمد الثالث . غير أن هذا القول يخالف التاريخ والواقع المادى فيقرر التاريخ أن الهولنديين عرفوا زهرة اللاله من الاتراك فى القرن السادس عشر أما الواقع المادى الذى لاشك فيه ، هو أن زهرة اللاله وجدت على الخزف والنسيج والسجاد التركى ، منذ أواخر القرن الخامس عشر .

على أن اعتقاد الاستاذة الدكتورة سعاد ماهر أن [ركتا] كان يعنى بما ذكره فى مقاله ، نوعا معينا من زهرة اللاله ، استنبته الهولنديون ، وقد أخذه عنهم الاتراك فى القرن السابع عشر .

وفى القرن الثامن عشر أكثر العثمانيون من استخدام هذه الزهرة فى الموضوعات الزخرفية وخاصة فى المنسوجات ، خصوصا فى عهد السلطان أحمد الثالث الى أن أصبح هذا العصر يعرف فى تاريخ الزخرفة التركية باسم عصر زهرة اللاله . أما هواة هذه الزهرة فتباروا فى زراعة أنواع جديدة منها ، حتى قيل أنه كان يوجد أكثر من ألف نوع منها فى حدائق اسطنبول .

على أن هناك مخطوطات رسمت فيها صور ملونة ببيان خصائص كل نوع ، وانشئت معاهد جديدة تدرس خصائص هذه الزهرة ، وطريقة زراعتها وتهجين أنواع جديدة منها . ولقد بلغ اهتمام الاتراك بهذه الزهرة فى القرن الثامن عشر ، حتى أنه بلغ ما دفع ثمنا لنوع جديد منها فى بعض الاوقات خمسمائة جنيه .

على أن اهتمام الاتراك بزهرة اللاله لم يرجع الى جمالها فقط ، بل يرجع الى بعض المعتقدات الدينية ، قد يكون من اسم الزهرة نفسها ، هذا أن كلمة [لاله] التركية تتكون من نفس الحروف التى يتكون منها لفظ الجلالة [الله] ، ومن هنا اكتسب التشابه فى الحروف الشرف والقدسية عند الاتراك المتمسكين باهداب دينهم .

ومن الزخارف الشائعة عند الاتراك تلك التى تعرف باسم [رشاشة] الورد وفى أبسط أشكالها تحتوى على ورقة نبات منقوشة و [مشرشرة] ولها زهرة تشبه زهرة الورد ، والساق ينتهى عادة بنوع من الخطاف ، وقد وجدت بكثرة على المنسوجات فى القرن الثامن عشر .

وتاريخ [رشاشة] الورد وأصلها لا يمكن التخمين به ، ومع ذلك فقد وجدت لها زخارف ببعض السجاجيد المصنوعة بآسيا الصغرى . وعلى أى حال مهما كان أصلها فهى نموذج تركى خاص وجد فى زخارف المنسوجات المطرزة كما فى اللوحة [رقم ٥] .

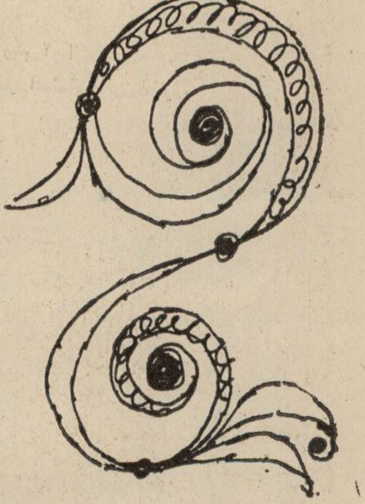

١

لوحة [رقم ٣]
مشكاة من الخزف التركى . من صناعة ازنيك القرن ١٦ م

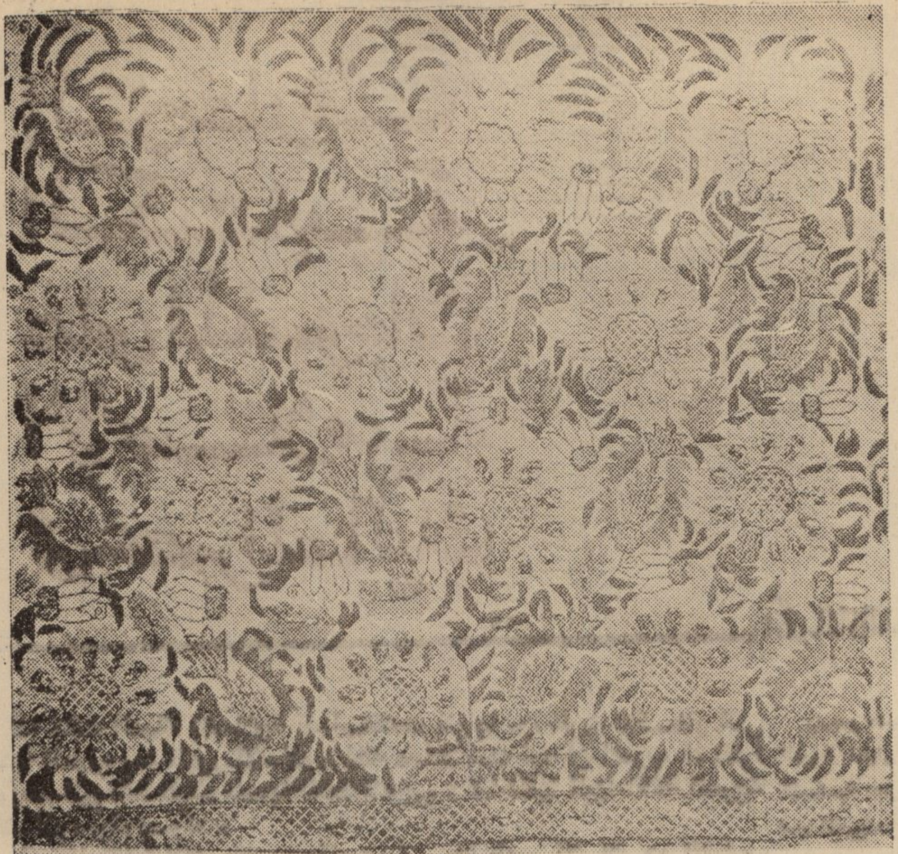

لوحة [رقم ٥]

جزء من « ملاءة سرير » مطرزة ، العصر العثمانى . القرن ١٨م

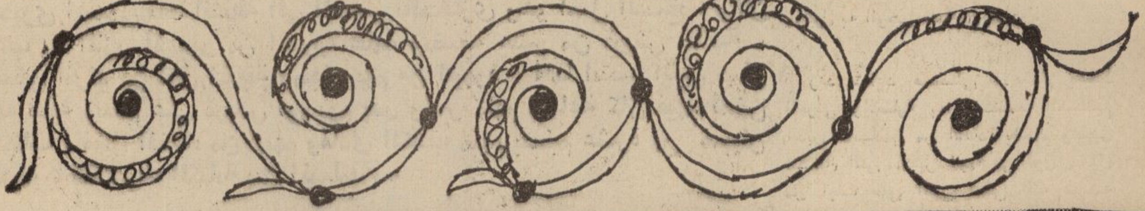

لوحة [رقم ٤]

قطعة نسيج مطرزة من العصر العثمانى القرن السابع عشر الميلادى .

الزخارف الكتابية على المنسوجات الإسلامية فى عصر المماليك

الأستاذة زينات احمد طاحون

اذا كانت الدولة الاسلامية قد استفادت فنونها من فنون الاقطار التى فتحها العرب بعد ظهور الاسلام ، فانه مما لا شك فيه أن العرب قد نقلوا بدورهم الى هذه البلاد نفسها الخط العربى ، كما نقلوا اليها اللغة العربية والاسلام سواء بسواء .

وقد كان الخط الذى يكتب به العرب فى مبدأ ظهور الاسلام هو الانبارى الحيرى المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازى وهو اصل النسخ ، وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، وبعض أفراد من أهل المدينة ومجاوريهم من اليهود ، فلما انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين .

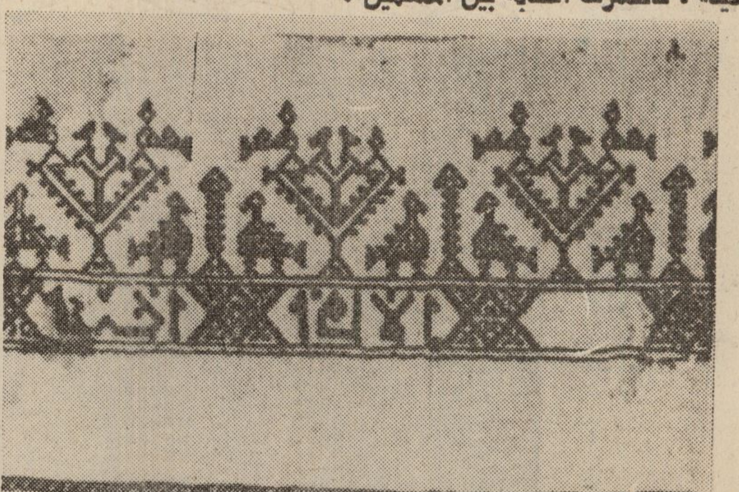

لوحة [رقم ١] قطعة من نسيج الكتان — مصر — القرن الثالث عشر او الرابع عشر ويظهر فى الشريط السفلى ما يشبه الكتابة الكوفية

وترجع عناية المسلمين بالخط فى الدرجة الاولى الى انه كان الوسيلة الاساسية التى حفظ بها القرآن الكريم ، فمن المعروف ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتخذ كتابا يدونون بخط عربى ماينزل به الوحى عليه من آيات .

وقد ساعد على الاهتمام بالخط العربى والعناية به ماتتضمنه تعاليم الدين الاسلامى من اشادة بالعلم وتبجيل الكتابة التى أشير اليها فى أول مانزل من آيات على النبى صلى الله عليه وسلم « **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم** » **كما أقسم الله عز وجل بالقلم والكتابة فى قوله تعالى : « ن والقلم ومايسطرون »** وقد وصف الله تعالى ملائكته فقال : « **كراما كاتبين** »

وفى عهد عمر تم جمع القرآن الكريم بعد أن مات واستشهد كثير من حفظته ، وفى خلافة عثمان كتبت المصاحف وأرسلت نسخ منها الى الاقطار المختلفة حتى يتفادى حدوث أى اختلاف فى القرآن ، وهكذا كان للخط العربى دوره الاساسى فى حفظ القرآن من التحريف وفى تداوله وانتشاره وفى التعبد بتلاوته ، ولهذا لم يقف اعجاب المسلمين بالخط العربى عند حد ما فيه من قيمة جماليه ، بل صار يتصل أيضا بالعاطفة الدينية وهكذا صار المسلمون ينظرون الى الخط بنظرة اكبار وتقدير .

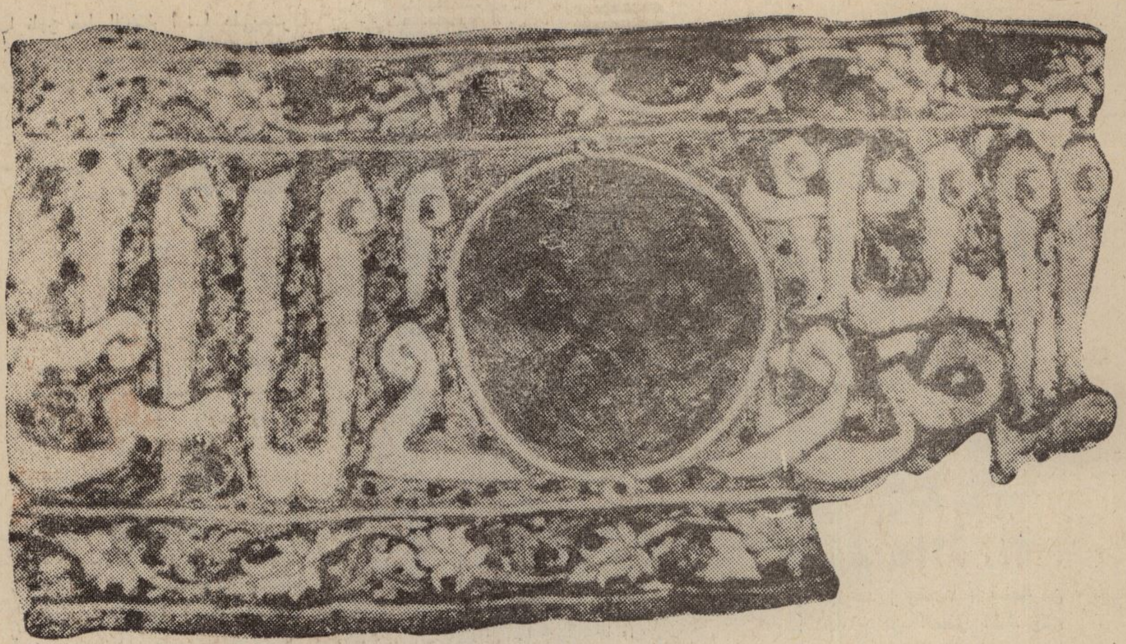

لوحة [رقم ٢] قطعة من القماش الحرير من العصر المملوكى مؤرخة [سنة ١٣٠٠م] وقـوام زخرفتهـا شريط من كتابة بالخط الثلث .

وقد أسهمت الكوفة عندما اتخـذت مقرا للخلافة ايام على بن ابى طالب فى ابتكار نوعين من الخط : النـوع الاول وهو الجاف ذو الزوايا ، والنوع الثانى هو الخط المقور اللين الذى يميل الى التقوس وتقل فيه المستقيمات وقد أصطلح بعد ذلك على ان يطلق أسـم الكوفى على النوع الاول ذى الزوايا .

وقد نال هـــذا الخط حظا وفيرا من التجـديد والزخرفة وبه كانت تكتب المصاحف المجودة الخط ، وحلى القصور والمساجد ، كما كان يستعمل فى سك النقود وزخرفة المنسوجات وخاصـــة الزخرفة المنسوجة حيث انه يمكن ان يعمل تبعا لخيوط السدى واللحمة ، وأيضـا كان يعمل بغرز التطريز التى لها صفات الاستقامة والاركان مثل « غـــرزة الفرع » و « غرزة النباته » و « غرزة النسيج » كما يمكن ان يعمل بغرزة الحشو على الورق المقوى ، وأيضا بحشـو الخيوط ، كما يمكن استعمال « غرزة السلسلة » .

ولم يقف الخط الكوفى عند حـــد تنسيق اشكال الحروف والـكلمات ، فقد أخذ يزود باضافات بقصد التجميل والتحسين ، كما اخذت حروفه وكلماته تكتب باشكال زخرفية مختلفة مما أدى الى تفرعه الى أنواع مختلفة .

وقد ظل الخط الكوفى بمثابة الخط الرسمى حوالى خمسة قرون ومن قطع النسيج المزخرفة بالخط الكوفى والتى ترجع الى العصر المملوكى (لوحة رقم ١)

وعندما انتقل مركز الخلافة فى العصر الاموى الى دمشق انتقل معه مـــركز تجويد الخط الى الشام ، ومما هيـأ الفرصة للعناية بالخط العربى وانتشاره تعريب الدواوين فى عهد الخليفة الاموى عبدالملك بن مروان ، مما أدى الى انتشار الخط العربى فى الاقطار التى خضعت لحكم العرب بحيث صار الخط العربى من أهم مظاهر سيادة الدولة العربيـــة الاسلامية ، بل صار كثير من اللغـــات غير العربية تكتب بخط عربى مثـــل الفارسية والتركية والاردية وغيرها .

وقد وصل الخط فى نهاية صـــدر الاسلام الى نوعين هما : الكوفى أصل الثلث ، ثم الحجازى أصل النسخ ، وكان خلوا من الشكل والاعجـام أى النقط . وقد بقى على هذين النوعين معظم العهد الاموى ، حتى ظهر فى أواخره « قطبة » المحرر الذى كان يتولى كتابة المصاحف لبنى أمية فاستنبط من كل منهما نوعا جـــديدا زاد فى تقويسه الى مانعرفه الان من ثلث ونسخ فصارت الخطوط اربعة .

وقد انقضى العصر الاموى دون ان يحدث فيه سوى هذين الخطين والشكل والاعجام ، وهما اهم ماحدث بالكتابة الخطية فيه ، والذى دعا الى ايجـــاد الشكل والاعجام هو اشفاق المسلمين على تحريف كلم الكتاب الكريم بسبب فساد اللســـان باختلاط العرب بالعجم وظهور اللحن والتحريف فى الالسنة وفى قراءة القرآن .

وفى العصر العباسى نال الخط ما نال كل شىء فيه من النمو والتقدم فقـــد تنافس الكتاب فى تجويده وتفننوا فى تنويعه وخالفوا بين أوضاعه فى بغـــداد وأوضاعه فى الكوفة باختراع الاقـــلام المختلفة .

أما الخط النسخى فقد كان مستعملا بين الناس فى غير الكتابة الرسمية ثم استعمل فى كتابة المصاحف وادخل الدواوين ، وترجع تسمية هذا الخط بالنســـــخ الى انه كانت تنسخ به المصـــاحف .

وقد لعب الخط الثلث دورا هاما فى كتابة المنسوجات فى العصر المملوكى وخاصة فى المنسوجات المطرزة ، وذلك لان الاستدارات يمكن عملها بواسطة غرز التطريز العديدة التى استعملت فى هذا العصر ..

ومن قطع النسيج التى استعمل فى تزينها الخط الثلث (لوحة رقم ٢) وهى عبارة عن قطعة من قماش الحـــرير المطرز من العصر المملوكى مؤرخـــة (١٣٠٠) م وقوام زخرفتها شريط من كتابة بالخط الثلث على أرضية من زخارف نباتية تمثل المراوح النخيلية وعـــود الصليب وقد استعمل فى تطريزها اللون الابيض والبنى والاسود كما اســـتعمل أيضا خيوط من الذهب والفضة والقطعة محفوظة بمتحف المتروبوليتان .

كما ظهر خط النسخ أيضاً على بعض قطع النسيج التي ترجع الى العصر المملوكي ومن أمثلته (لوحة رقم ٣) وهي قطعة من الديباج عليها زخارف بلون برتقالي على ارضية باللون البني، والزخرفة محصورة داخل أشرطة أفقية ، وبها عبارة نصها « عز لمولانا السلطان الملك المؤيد » وتحصر بينها أشرطة أخرى مزخرفة بجامتين منفصتين ، والقطعة محفوظة بمتحف المتروبوليتان .

وقد شـــاع الخلط بين الخط الثلث والنسخ على المنسوجات على الرغم مما بينهما من اختلاف واضح فى الشـــكل ومن امثلة الخلط بين الخط النســخ والخط الثلث على النسيج (لوحة رقم ٤) وهى عبارة عن قطعة نسيج من الحرير الازرق الداكن مطرزة بالوان متعددة وقوام زخرفتها جامة بداخلها شـكل لوزي يحتوي على نسر ذي رأسـين يحيط به كتابة نصها « عز لمولانا السلطان عن نصره » والقطعة محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (رقم السجل ٢١٣٩) .

وكان الفنان يراعى فى تنظيم وحصر الكتابات على المنسوجات داخل أشرطة أفقية أملتها عليه طبيعة الخط العربى نفسه وكانت هذه الاشرطة الكتابية تلتف غالبا حول الاكمام ، وقد تكرر هــذه الاشرطة ويمتد بينها خطوط طوليـــة ، كما كانت هذه الاشرطة توجد حـول فتحة الصدر الامامية وفي طول الثوب كله من الامام ، وأحيانا كانت توجـد هذه الاشرطة فى نهاية الثوب .

وفى بعض الاحيان كانت الكتابـــة داخل جامات مدببة على هيئة الثمار وموزعة فى جميع النسيج وكانه منقوش بهذه الزخرفة (لوحة رقم ٥) وهى قطعة من نسيج الدمقس من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادى) وقوام زخرفتها أوراق نباتية كبيرة على شكل جامات لوزية ، ويتوسط كل جامة زهرة لوتس ، ويحيط بكل زهرة كتابة نسخية نصها « عز لمولانا السلطـان الملك الناصر » وأخرى « ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون » والقطعــة محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقـاهرة (رقم السجل ٢٢٢٦)

أما عن الكتابات التاريخية والنصوص التذكارية الواردة على المنسوجات فقد سجلت لنا عدة حقائق هامة تاريخيـة واجتماعية وسياسية واقتصـــادية ودينية وفنية ، اذ تشتمل غالبا علـى التعريف بصاحب الثوب ،وغالبا مايكون سلطانا مصحوبة بالقابه الفخرية ، ثم ينتهى النص غالبا بيعض الادعيـة له بالعز والنصر ، لذلك فهـــذه النصوص تمكس لنا صورة حية لحيـاة السلاطين فى العصر المملوكى لما تحمله من حقائق هامة واسماء تمكننا غالبا من تاريخ القطعة بفترة زمنية محددة ترتبط

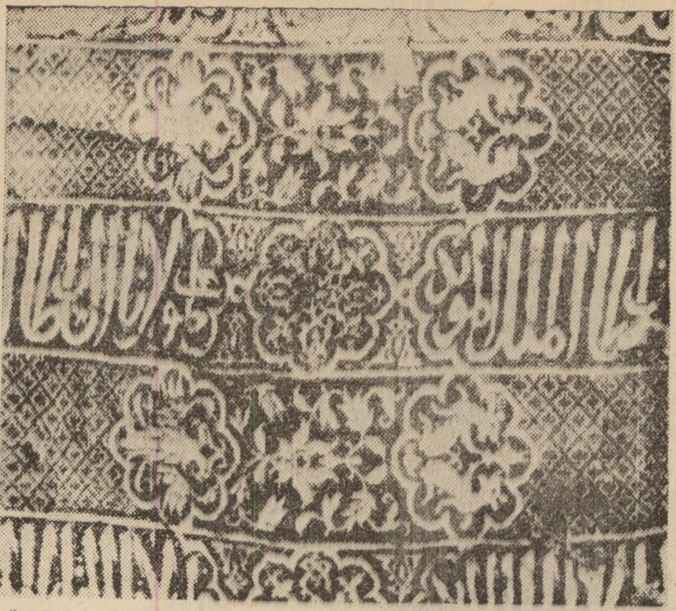

لوحة [رقم ٣] قطعة من الديباج من العصر الملـوكى [بداية القرن ١٤ م] وبهـا عبـارة نصهـا « عز لمولانا السلطان الملك المؤيد » بالخط النسخ .

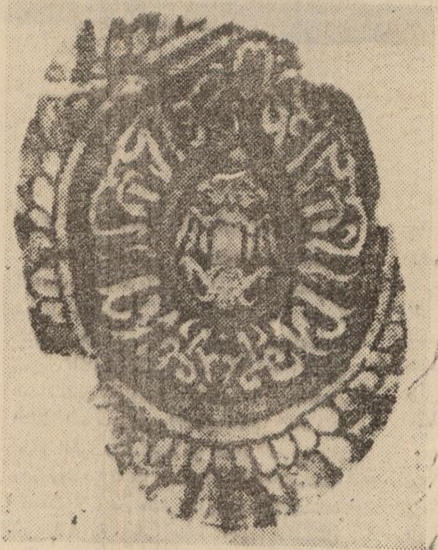

لوحة [رقم ٤] قطعــة نسيج من الازرق الداكن ـ مصر ـ القـرن الثـامن الهجـرى [الـرابع عشر الميـلادى] قوام زخرفتها جامة بداخلها شكل لوزى يحتوى على نسر يحيط به كتابة نصهـا « عز لولانا السلطــان عز نصره » بخط النسخ المشـوب ببعض حروف من خط الثلث .

بسنى حكم هذا السلطان ، ويكشـف لنا اسلوب خط هذه النصوص جانبا من المستوى الفنى بل والحالة الاقتصـادية فى ذلك العصر التى كانت من الانتعاش بالدرجة التى سمحت لهؤلاء الســلاطين بعمل مثل هذه المنسوجات الـكثيرة وتشجيع الفنانين على انتاج هــذه التحف الجميلة والتجديد فى اخراجها بصــورة متكاملة تدل على الرقى والفنى .

ومن العبارات الدينية التى وردت على منسوجات ذلك العصر « الصـبر نعمة الناصر لكل شىء آخر » كما وجـدت أمنية « العافية » على عدة قطع من النسيج المطرز وقد استعمل فى كتابتها الخــط الكوفى .

ومما تجدر الاشارة اليه ان من أسباب العناية بالخط وتطويره نحو فن جميل ماشاع عند المسلمين من تحريم الاسلام لتصوير الكائنات الحية ، ومن ثم وجد المسلمون فى الخط متنفسا لمواهبهم الفنية يعوضهم عن التصوير ويغنيهم عن التعرض للسخط .

ولعل خير ماأختم به هــذا الموضوع هو ان عادة تزيين الملابس والمنسوجات بالكتابة العربية قد وجدت طريقها الى الغرب فى العصور الوسطى يوم كان الغرب يستوحى من الشرق فنـــونه وصناعته ويترسم خطاه فى جميـــع مرافق حياته ـ فقلد النساج الغربيون الكتابة العربية وطرزوها على ثيابهم وتنافس الاغنياء والعظماء من الاوروبيين فى الحصول على المنسوجات الاسلامية ذات الكتابات ، وكثيرا ما كانوا يهبوها الى كنائسهم ، فكان رجال الدين فى بعض الاحيان يؤدون خدمتهم الدينيـة وعليهم ثياب مطرز فيها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

الكعبة المشرفة

والتطريز المستخدم فى الكسوة الشريفة

الأستاذة
فتحية فودة

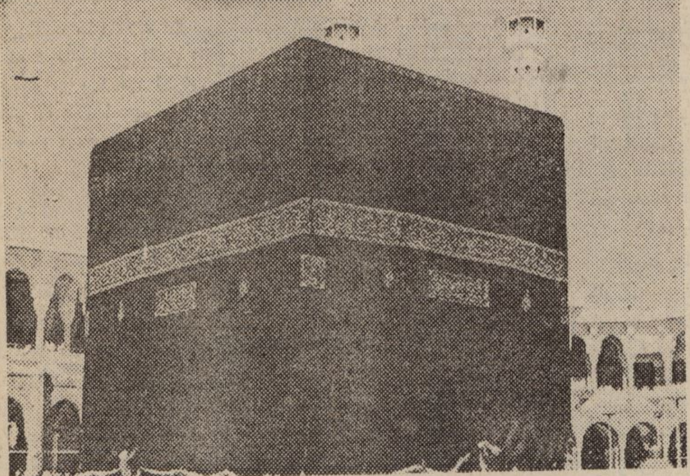

قال الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » « صدق الله العظيم » .

الكعبة هى قبلة المسلمين فى جميع أنحاء الارض واليها يحج المسلمون فى كل عام « زادها الله تكريما وتشريفا » .

والكعبة الشريفة تكسى كل عام بكسوة جديدة فى موسم الحج ولهذه الكسوة تاريخ قديم نوجزه فيمايلى :

فقد كان أول من كسا الكسوة فى الجاهلية هو تبع وذلك بالاوصال وقد كان العرب فى الجاهلية يرون ان كسوة الكعبة تعتبر من المفاخر والواجبات والفضل فقد كانوا يكسونها متى شاءوا وفى اى وقت كان .

ويعتبر سيدنا [اسماعيل عليه السلام] أول من كسا الكعبة الشريفة أيضا وقد كانت كسوة الكعبة الشريفة من عدة أنواع من النسيج مثل : الديباج — والحبر اليمنى — والانسجة العراقية .

فاذا بليت الكسوة أزيلت عنها ووضعت عوضا عنها كسوة أخرى . وهكذا .

وقد كساها النبى « محمد عليه الصلاة والسلام » يوم عاشوراء بعد انقضاء السنة الهجرية فى الاسلام وبداية السنة الجديدة وذهاب الحجاج وذلك يوم عاشوراء .

ويروى ايضا ان النبى « محمد صلى الله عليه وسلم » كساها بالثياب اليمانية وكساها عمر وعثمان رضى الله عنهما بنسيج القباطى وكان يصنع فى مصر .

كما كساها الحجاج بالديباج [والديباج يقصد به الحرير] . كما كانت « الكسوة الشريفة » ترسل اليها كل عام من الملوك والامراء من جميع الانحاء .

هذا وقد كان « للكعبة الكريمة » كسوتين وفى بعض الاحيان ثلاث كسوات ومعظم الكساوى كانت من نسيج القباطى المعروف كما سبق .

والقباطى هو جمع قبطى وهو ثوب من الثياب يصنع فى مصر وهو من أقدم المنسوجات المزخرفة وهذا النوع من النسيج قد ظهر منذ عهد الفراعنة المصريين واستمر خلال العصور حتى العصر القبطى ثم الاسلامى ونسيج القباطى اسماء أخرى تستخدم من البلاد الاوربية [مثل الاوبيسون] فى فرنسا مثلا .

والكسوة الاخرى هى من الوصائل وتعتبر الوصائل ثياب حمر مخططة تصنع باليمن أما البرود فهى ثياب مخططة كانت تصنع أيضا فى بلاد اليمن . كما كانت الكساوى أيضا تصنع من الانماط وهى انواع من البسط وكذلك نسيج الديباج ويقصد بالديباج الحرير المزين والحرير الجيد الصناعة الرقيق والسميك على حد سواء .

هذا وقد كساها الفاطميون أنواع مختلفة من الديباج فالاصفر ثم الاخضر ثم الديباج الاسود .

ولقد بقى اللون الاسود الى يومنا هذا تكسى به « الكعبة الشريفة » كل عام — ومما هو حدير بالذكر ان مصرنا العزيزة هى التى كانت تقوم بصناعة « الكسوة الشريفة » كل عام وترسلها الى الاراضى الحجازية فقد كانت الحكومة المصرية هى التى تنفق وتشرف على الكساوى الشريفة وقد كانت على ثلاثة أنواع — أى كانت مصر ترسل كل عام ثلاثة كساوى الكسوة الخارجية وهى السوداء الكسوة الداخلية وهى حمراء وكسوة ثالثة للحجرة « النبوية الشريفة » وهى الكسوة الخضراء . كما كانت تحتفل مصر بارسال الكسوات احتفالا رائعا .

« والكسوة الشريفة » تصنع الان بالمصانع السعودية وتصنع من الحرير الاسود السميك المبطن بنسيج القطن الابيض الناصع — وعليها شريط عريض أو حزام مطرز بفن التطويز الرائع بالخيوط الفضية والذهبية والقصب للايات القرآنية الشريفة الاتية : —

« بسم الله الرحمن الرحيم » ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » « وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » ومطرز هناك بين الركنين الغربى والشامى هذه الايات المباركة : —

« بسم الله الرحمن الرحيم » . قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبله ترضاها .

وهذه الايات أيضا : « بسم الله الرحمن الرحيم » « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . الا تعلوا على وائتونى

وكتب كذلك « بسم الله الرحمن الرحيم »

« رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » .

وقد طرزت أيضا فى نفس الواجهة :

« بسم الله الرحمن الرحيم » ، لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ، صدق الله العظم

وكذلك هذه الاية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم » : الله لا اله الاهو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بماشاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم . « صدق الله العظيم » .

والى جوارها كتبت هذه الايات : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . « صدق الله العظيم » .

وكذلك « بسم الله الرحمن » « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » « صدق الله العظيم » .

ثم هذه الاية المباركة الفاتحة : « بسم الله الرحمن الرحيم » الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين . « صدق الله العظيم » .

وفى داخل دائرتين فى الجانب الايسر . لا اله الا الله الملك الحق المبين [محمد رسول الله صادق الوعد الامين] ..

كل ذلك مطرزا تطريزا جميلا متقنا جميعها بالاسلاك الفضية والمطرز بالذهب .

« والكسوة الشريفة » تسلم مع الطيب والبخور وتخزن حتى صباح يوم النحر المبارك وتغسل « الكعبة الشريفة » بعد تجريدها من الكسوة السابقة ويشترك فى غسل الكعبة الشريفة الملوك والامراء والعظماء ومعهم جلالة الفيصل ملك المملكة العربية السعودية وذلك بماء زمزم ثم بعطر الورد والعنبر .

ثم يتم استدال الكسوة الجديدة على [الكعبة الشريفة] ومن ثم تبدو وقد ارتدت جديد ثيابها أمام الحجاج بعد رجوعهم من منى حتى ترتفع الاصوات مهللة ومكبرة لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

اللهأكبر .. اللهأكبر .. اللهأكبر ..

والى هنا أصل الى فن التطريز المستخدم فى هذه « الكسوة الشريفة » وهو التطريز بالخيوط المعدنية الفضية والذهبية .

وقد كان هذا النوع من التطريز بالاسلاك الفضية والذهبية والاحجار الكريمة شائعا فى بدء النهضة وما قبلها وكان أكثر استعماله فى الكنائس والمعابد حيث كانت تزين به ملابس القساوسة والستائر والاغطية .

وكان هذا النوع من التطريز محبوبا جدا عند الشرقيين من سكان الهند وبلاد فارس وآسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان عندما كانت تحت حكم المسلمين .

كما أننا نجد أن الاوروبيين يعترفون بانفسهم أنهم مدينون لبلاد الشرق من زمن بعيد فى اقتباس هذا النوع من الفن وخاصة ايطاليا وفرنسا والمانيا وفى وقتنا الحاضر نجد هذا الفن قد بلغ ذروته فى الرقى والتقدم وقد استخدم فى نواحى متعددة مثل ملابس المناسبات والحفلات والازياء المكملة الى غير ذلك مثل الشيلان والحقائب السواريه وملابس العرائس والتيجان الخ ..

كما يستخدم هذا النوع من التطريز كما سبق ان ذكرنا فى عصرنا الحديث أساسا فى تزيين « الكسوة الشريفة » التى تصنع كل عام وتكسى بها [الكعبة المكرمة] وقد تخصص فى عملها عمال مدربون توارثوها عن الاباء والاجداد ولها جمال جذاب رائع ..

وهذا النوع من التطريز الجميل يرتفع الى درجة التحف القيمة الفنية . ويدخل أيضا فى تزيين بعض الشارات الخاصة بزى رجال القوات المسلحة والشرطة .. الخ ..

ومن هنا نستطيع شرح أنواع هذا التطريز :

(١) التطريز المسطح والتطريز الصينى .
(٢) التطريز البارز [الحشو بأنواعه] .
(٣) التطريز الاستامبولى .
(٤) التطريز بالتنتير .
(٥) التطريز فوق الخيوط السميكة .
(٦) التطريز بالاحجار الكريمة .
(٧) التطريز بالترتر والخرز العادى .

هذا والنوع المستخدم أساسا فى تزيين [الكعبة المشرفة] هو الحشو . وتعتبر طريقة التطريز بالحشو من أصعب التطريز وأكثرها تعقيدا اذ يحتاج تنفيذها الى عمليات اعدادية كثيرة يراعى فيها الدقة التامة والا ترتب عليها الاخلال بالشكل الزخرفى المطلوب وهذه العمليات هى :

الرسم على ورق مقوى ثم طبع الرسم على ورق رقيق ثم يخرم الورق الرقيق بخروم دقيقة ورفيعة بعضها بجانب البعض مكان الرسم ويأتى بعد ذلك وضع الورق المخرم على النسيج المراد تطريزه ثم يوضع فوق الورق مسحوق بلون مخالف للون النسيج المراد تطريزه . فينزلق المسحوق خلال خروم الورق فيحدث رسما مطابقا للرسم الذى صمم على الورق المقوى ثم تبدأ بعد ذلك عملية التطريز ..

وطريقة الحشو بالتطريز تنقسم الى ثلاثة أنواع :

النوع الاول : هو الحشو بالورق المقوى وفى هذه الحالة يتحتم أن تكون الزخارف مكونة من أشكال هندسية ومن خطوط مستقيمة وتكون الفرزة المستعملة هى غرزة الحشو العادية مع تثبيت الخيط المعدنى الفضى أو الذهبى بخيط يناسبه فى اللون .

النوع الثانى من الحشو : يستعمل فيه القطن وفى هذه الحالة يتحتم أن تكون الزخارف صغيرة الحجم وعلى شكل دائرى وتبدو هذه الزخارف المطرزة بالحشو بالقطن بارزة جدا .

والنوع الثالث : من الحشو تستعمل فيه الخيوط الكتانية وهذا النوع من الزخارف نستطيع أن نطرز به جميع أنواع الزخارف الهندسية والنباتية وكذلك الحيوانية ويستعمل فى الحشو الكتانى عدد كبير من الغرز فهو يعتمد اساسا على غرزة الرفى ذات الوضع المائل وخاصة فى الزخارف الكبيرة الحجم كالوردة والزهرة أو الحروف الكتابية العريضة أما الزخارف الصغيرة وخاصة فى الفروع النباتية فيستعمل عادة فيها غرزة الحشو العادية كما تستخدم فى العادة غرزة النباته أو الفرع فى تحديد تفاصيل الزخرفة — وتحتاج طريقة الحشو بالخيوط الكتانية الى مهارة فنية عالية كما أن تنفيذها يحتاج الى وقت أطول وجهد أكبر ولذلك فان الحشو بطريقة الخيوط الكتانية يعادل عشرة أمثال الحشو بالكرتون وبالقطن من حيث الجهد والزمن والثمن . كما يمتاز الحشو بالخيوط الكتانية بانه أطول أنواع الحشو بقاء وأقلها عرضة للتلف اذ أن الحشو بالكرتون يتعرض بسرعة الى انكسار الورق المقوى فتتعرض خيوط التطريز الى التلف كذلك فان الحشو بالقطن اذا أسىء استعمال القطع المطرزة فان قطن الحشو يبرز ويعرض خيوط التطريز للتلف أما التطريز بالحشو على الخيوط الكتانية فانه يقاوم سوء الاستعمال ذلك أن خيوط التطريز لا تغطى الحشو فحسب كما هو الحال فى الطريقتين السابقتين ، بل انها تلتقى مع كل خيط من خيوط الحشو على حدة ومن ثم فهناك تماسك وتشابك متين بين الحشو والتطريز . وقد عرف هذا النوع من التطريز فى القرن الثامن عشر الميلادى كما سبق كذلك فان الزخارف الفردية اى بدون مساحة هى عبارة عن خيطين معدنيين وطريقته منفذه على مرحلتين الاول : يثبت الخيط الاول بغرزة اللفق — والثانية : ينفذ تثبيته فى الخيط المعدنى الاول . وغرز تثبيته فوق الفرز المثبتة للخيط الاول .

ولعلى فى النهاية أكون قد وفقت فى هذه المقالة المتواضعة الى شرح نسيج وتطريز [كسوة الكعبة المشرفة] زادها الله تشريفا وتكريما . والله ولى التوفيق .

القصة

بطولة ووفاء

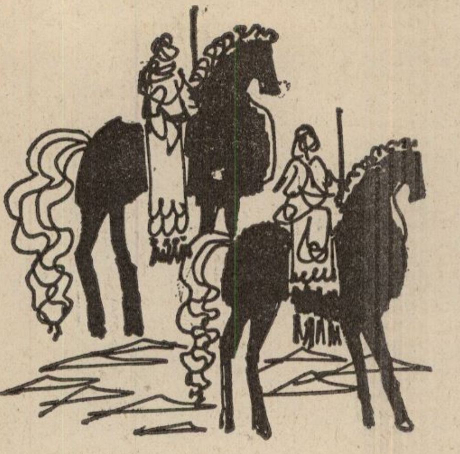

قصة إسلامية تاريخية

وما أن خرج [خالد بن الوليد]من حدود [بنى تميم] يريد اليمامة حتى أسرع [مجاعة بن مرارة]أحد زعماء [بنى حنيفة] الى البزاخة والبطاح ليأخذ بثأره من بنى تميم وبنى عامر وكر راجعا هانئا بما غنم وفى [خسم الحسية] عسكر هو وأصحابه وغلبهم النعاس من الاعياء ولم ينتبهوا الا على وقع الخيل تدهمهم سنابكها اذ ذهب اليهم [خالد] حين علم أنهم من بنى حنيفة ظنا منه أنهم خرجوا لقتاله وأمر بالقضاء عليهم فأخذوا وقتلوا حتى اذا بلغ السيف من [سارية ابن عامر الحنفى] هامته صاح يخاطب خالد [أيها الرجل ان كنت تريد بهذه القرية غدا خيرا أو شرا فاسبق هذا الرجل ، وأشار الى [مجاعة بن مرارة] فدعا نداء العقل والارادة خالدا أن يستبقى [مجاعة] رهينة يدخره للامر ويستشيره عند الحاجة .

وجعله مكبولا عنده فى قبته وجعل على حراسته امراته الجديدة [ليلى ابنة المنهال] وفى [عقرباء] بطرف اليمامة عبأ [مسيلمة] قواته وكذلك فعل خالد والتقى الفريقان وكانت قوة مسيلمة أعظم ما يمكن جمعه فى أكبر قبيل فى جزيرة العرب ولهم وسائل من الايد والتجانس والرأى الجميع والعدد الكثير ما يجعل الغزاة من أجناد خالد يواجهون ما ليس فى طوقهم مواجهة سيما وهم فريق متباين الانساب مختلف الدماء وهم مع هذا لم يسلموا من التنابذ عند أول لقاء بين أهل القرى وأهل البادية فكانت هزيمة المسلمين وزالوا من مواقعهم حتى وصلت قوة من العدو الى فسطاط [خالد] فرأوا امرأته [ليلى] وعندها مجاعة بن مرارة يرسف فى اغلاله وصاح رجل منهم [بليلى] وحمل عليها بسيفه فنادى مجاعة [مه وانى لها جار فنعمت الحرة عليكم بالرجال] وأخذوا يتعقبون المسلمين بعد أن مزقوا القبة وقطعوا حبالها وسارت المعركة فى طريقها وقد عرف [خالد] كيف يعالج الداء وصاح حين شخص هذه العلة النكراء فى غضب القائد (امتازوا ايها الناس لنعلم بلاء كل حى ولنعلم من أين نؤتى] ودوت صيحة خالد فى أسماع جيشه المتنابذ فنبهته الى حقيقة أمره وأخذت كل جماعة ينحاز بعضهم لبعض وهم يقولون [اليوم نستحى من الفرار] وسرت فى جيوش المسلمين كهربة من الهيجان الشديد وثوران من الحمية فتحولت المعركة منذ اللحظة التى انحاز فيها كل فريق واذا جيش مسيلمة يتقهقر وهنا نادى خالد بصيحة المعركة [وامحمداه] وانطلق كالسهم صوب مسيلمة واذا المنية تدنو وشيكة من مسليمة ففر واتباعه وهنا انبعث صوت يقول [يا بنى حنيفة الحديقة] انه نداء الثاكل الذى يريد أن ينقذ ما يمكن انقاذه وهكذا نجا [مسيلمة] من ضربة خالد الاولى وتحصن ومعه أكثر قومه فى حديقته التى كانت تسمى [حديقة الرحمن] واذا بعد المعركة تدعى

الأستاذ: علي الجميلاطي

[حديقة الموت] وفتح باب الحديقة للمسلمين وطفقوا كالسيل المنهمر وقد أخذوا على أهل الحديقة الارض والسماء وقد وقف بنو حنيفة يقاتلون قتال اليائس من الحياة . والموت حينئذ ضربة لازب وكأن الله يريد أن يجعل من [وحشى] العبد الحبشى قاتل [حمزة] عم النبى صلى الله عليه وسلم قاتلا لمسيلمة عدو النبى يوم الحديقة وسمعت بنو حنيفة بقتل مسيلمة بعد قتل العطاريف من قومهم فوهنت عزائمهم واستسلموا للسيف يمضى حكمه وخرج خالد من فسطاطه ليصحب مجاعة بن مرارة فأخذه مكبولا وصار يسأله عن قتلى بنى حنيفة حتى اذا أيقن أنه لم يبق من يستطيع المقاومة منهم أراد أن يزحف على الحصون ليقضى على البقية الباقية ورأى [مجاعة] ما قد عزم عليه خالد وهو يعلم أنه لم يبق فى تلك الحصون سوى خيرات اليمامة وثرواتها وتراثها الادبى من عرض مصون وحريم لم تصل اليه يد السبى والاسترقاق وهو يعلم ايضا ان خالدا قد وثق به بعض الثقة لذا عول على أن يقف فى طريق خالد مستغلا هذه الثقة فماذا يفعل ؟

تقدم الى خالد يقول له [أيها الامير : انه لم يأت الا سرعان الناس ووالله ان الحصون لملوءة رجالا فهل لك الى الصلح على ما ورائي ؟] وهنا صاح خالد : ويلك ما تقول ؟ فأجاب مجاعة فى لهجة الحازم الواثق [هو والله الحق فهل أصالحك عن قومى ؟] وهنا ترتسم فى ذهن خالد خواطر قوامها الحذر وتقدير العوامل المختلفة وعندئذ يمد خالد يده ثم يكتب له عهده الذى فيه ان يحتفظ المسلمون بما غنموا الا السبى وقام مجاعة يودع خالدا قائلا [آتى قومى فأشاورهم وننظر فيما صنعت ثم أرجع اليك] ثم انطلق حتى أتى الحصون وليس فيها غير النساء والصبيان ومشيخة فانية فأمر النساء أن يلبسن الحديد وينشرن شعورهن ويتظاهرن مشرفات من أبراج الحصون ونظر خالد فرأى ما أيقن منه صدق مجاعة ومبلغ ما كان يستهدف له من المقاومة فليحمد اذن ربه ومن معه وليرض بأى مما يقاوله عليه مجاعة مادام فيه سلامة من بقى معه من قوم انهكتهم المعارك وقضى على أكثر أشرافهم وحملة القرآن فيهم ثم رجع مجاعة يقول فى لغة الاسف ولهجة النادم [لقد أبوا على ما صالحتك عليه وقد أشرف لك بعضهم نقيضا على وهم منى براء] وأعاد خالد نظره الى رءوس الحصون وقد اسودت واستأنف مجاعة كلامه [ولكن اذا شئت صنعت شيئا فعزمت على القوم] ورد خالد على الفور ما هو ؟ فقال مجاعة « تصالحنى على نصف ما صالحتنى عليه » فقال خالد [وقد فعلت] فقال مجاعة [وقد صالحتك] وكانت هذه صيغة المصالحة [هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا قاضاهم على الصفراء والبيضاء [أى الذهب والفضة] ونصف السبى والحلقة [السلاح] والكراع [الماشية] وحائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد وذمة أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين على الوفاء] .

وآن لخالد أن يدخل الحصون ليدرك مبلغ ظفره باستسلام هذه الجيوش العظيمة فلما فعل لم يجد الا ابتسامات مرتسمة على شفاه الفتيات تقرأ من ثناياهن الخوف والضراعة والامل المرجي فى وفاء خالد الشهم الابى ونظر خالد الى مجاعة بن مرارة مذهولا من هذه الخديعة الكبرى . وقال له [ويحك خدعتنى] فقال مجاعة [قومى ولم أستطع الا ما صنعت] وكأن خالدا قد أيقن أن الرجل لم يصنع الا ما أملته عليه نبالة المقصد فأجاز الصلح وسرح صاحبه ويأتى [سلامة بن وقس] رسول الخليفة الى خالد بكتاب يأمره فيه الخليفة بأن يقتل كل محتلم وألا يبقى على كل من يقدر على حمل السلاح فيرد بكتاب منه الى الخليفة يقول له فيه [ان صلحى قد سبق كتابك] وهنا يتجلى نبل خالد وشرفه فى أروع صورهما .

وبهذا انتهت المعركة الدامية التى دامت من انفلاق الصبح حتى العصر يمتزج فيها غبار الارض بدماء القتلى فيتطاير منهما فى الهواء أبابيل تقع على الوجوه فتلتصق بها وتتكور على الصدور كأنها بصمات القدر على أجسام الاحياء فتشيل فى نفوسهم كفة الحياة الوادعة وتقوى غريزة النضال فكلما رأى الواحد منهم ثوب المعركة المصطبغ أو شعره المطمخ أحدث احمرار الدماء فى رأسه ثورة [عقرباء] وبطولة [اليمامة] وبسالة [الحديقة] فلا يفزع اذا جد الجد أو رأى الموت تدنو دوانيه على أسنة الحراب فكأن هذه المعركة كانت اعدادا للمستقبل وكانت انشودة البطولة وقداسة الوفاء .

مؤسسة دار الشعب

٩٢ شارع القصر العينى : ت : ٣١٨١٠

تقدم أضخم مجموعة من كتب التراث والدراسات الإسلامية

- **تفسير القرآن الكريم**
  محمد فريد وجدى
- **تفسير القرطبى**
  أبى عبد الله القرطبى
- **تفسير الجلالين**
  للامامين المحلى والسيوطى
- **صحيح البخارى**
  لابى عبد الله البخارى الجعفى
- **تفسير صحيح البخارى**
  د. مصطفى كمال وصفى
- **المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم**
  محمد فؤاد عبد الباقى
- **دائرة المعارف الاسلامية**
  للاساتذة : ابراهيم زكى خورشيد أحمد الشنتناوى ، د. عبد الحميد يونس
- **صحيح مسلم بشرح النووى**
  تحقيق عبد الله أبو زينة
- **الموطأ للامام مالك بن أنس**
  اعداد محمد فؤاد عبد الباقى
- **السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية**
  لابن تيمية
- **فقه السيرة**
  محمد الغزالى
- **الفقه على المذاهب الاربعة**
  تقديم عبد الوهاب خلاف
- **يا أمة القرآن**
  حسين الشافعى
- **منهج الاصلاح الاسلامى فى المجتمع**
  د. عبد الحليم محمود
- **احياء علوم الدين**
  للامام الغزالى
- **قيم الحياة فى القرآن الكريم**
  محمد شديد
- **ويسألونك عن ذى القرنين**
  أحمد حسن الباقورى
- **أدب الاحاديث القدسية**
  د. أحمد الشرباصى
- **الجامع المانع فى احاديث الرسول**
  د. حسن عز الدين الجمل
- **رياض الصالحين فى كلام سيد المرسلين**
  تحقيق عبد الله أبو زينة
- **السنة والعلم الحديث**
  د. عبد الرازق نوفل
- **اسلاميات**
  عباس محمود العقاد
- **محمد أريج من سيرته وقبس من شريعته**
  محمد محمد الدهان
- **المدائح النبوية فى الادب العربى**
  د. زكى مبارك
- **الاسلام دين السعادة**
  موسى محمد على
- **حماية الاسلام للنفس والاعراض**
  د. على عبد الواحد وافى
- **مكانة المرأة فى الاسلام**
  محمد عطية الابراشى
- **من أعلام الفكر الاسلامى**
  محمود عبد الوهاب
- **المسجد النبوى ومزارات أهل البيت**
  اسماعيل أحمد اسماعيل والنبوى جبر سراج
- **الله جل جلاله**
  عبد التواب يوسف
- **ركائز الايمان بين العقل والعاطفة**
  محمد الغزالى
- **شروق الاسلام**
  ابراهيم المصرى
- **شخصيات اسلامية معاصرة**
  ابراهيم البعثى
- **صوت السماء بلال بن رباح**
  عامر العقاد
- **أبناء الرسول فى كربلاء**
  خالد محمد خالد
- **الدين والدولة العصرية**
  محمود الشرقاوى
- **من أحلام الانبياء الصالحين**
  أحمد الصباحى
- **أسماء الله الحسنى**
  أحمد مخيمر
- **من القصص السلامى**
  حسين الطوخى
- **من تلاميذ النبى**
  صلاح عزام
- **العبقرية والزعامة السياسية**
  محمد على الغتيت
- **الفاروق القائد [عمر بن الخطاب]**
  محمود شيت خطاب
- **الاغانى**
  تحقيق : ابراهيم الابيارى
- **حديث عيسى بن هشام**
  محمد المويلحى
- **رابعة العدوية**
  محمود الشرقاوى
- **قصة السموات والارض**
  د. جمال الدين الفندى و.. محمد يوسف حسن

تحت الطبع

- **الاخلاق والمعاملات فى الاسلام**
- **دراسات اسلامية**
- **العبادات فى الاسلام**
  باللغتين العربية والنجليزية
  د. محمد عبد المنعم الجمال
- **الاسلام ورأى فى جريمة « الزنا »**
  مصطفى كمال رفعت
- **سلوك المالك فى تدبير الممالك**
  تحقيق : د. حامد ربيع
- **سيرة بن هشام**
  تقديم : محمود الشرقاوى
- **التفسير الدينى للتاريخ**
  محمود الشرقاوى
- **الفيصل فى المعركة**
  محمد دياب
- **يهود مصر فى العصر الحديث**
  عبد المنعم شميس

مع تحيات الصحافة والنشر بمؤسسة دار الشعب

رئيس مجلس الإدارة و رئيس التحرير

أحمد ابراهيم حمروش

الشعر الإسلامي

لحظة استغفار

الشاعر
أحمد عثمان المراغي

في لحظـــة مرت مــع الاســحار
والليـل فى صـمت بديع ســار
والخــلق فى نــوم عميــق حــالم
والـــكون فى ســبق مــع الاطوار
ومصــاير الايــام تحصى ســيرها
فـوق الحيــاة .. رتيبة التيــار
تــروى حواديت الــزمان لبعضــها
وتقص ماقــد فات مــن أخبـــار
واذا بعينى للبـــرية والـــورى
شــخصت الى « صنع الجليل البارى »
فرايت آى اللـــه فى آفــاقنا
فى النجم .. فى الافلاك فى الاقمــار
فى الريح . فى النســمات . فى هباتها
فى الجـدول الرقراق .. فى الانهــار
فى البحر . فى الامواج . فى دمعاتهــا
للفلك .. رغم .. الموج والاعصـــار
فى البيد . فى الحصيات . فى حباتهــا
فى .. مهمـة .. الاكمات والاحجــار
فيمـــا وراء الـــكون مـــن أسراره
ســبحانه عــالم . خافى الاســرار
فســجدت حمدا فى ضراعة خاشــع
للـــه ... أدعـــوه ... مع الاسحار
يـــارب .. يارحمـــن .. يارب الـــورى
كل الورى .. ناجاك . فـــى اكبــار
نـــاداك . يا اللـــه . عفوا دائمـــا
للمقبليـن .. اليـك . فى اصـــرار
وبـــراءة مـــن كـــل ذنب ضـــالع
فى الغى .. والنزوات ، والاوطـــار
وأقبـل متابــة كل قــلب صــادق
داع دعـــا .. فى لحظـــة استغفار

أقضى الليالى ضراعات

الشاعرة روحية القليني

صليت فجرى وبعد الفجر قرآنى
أتلوه يارب فى سرى واعلانى
لمن سواك أصلى العمر خاشعة
ويشرح الدمع بالاخلاص ايمانى
يارب أنت معى فى كل سانحة
أدعو تبدد أوهامى وأشجانى
وأنت نبع لهذا الكون تغمره
فيرتوى من صفاه كل ظمآن
يارب أنت معى حصن ألوذ به
فلست أخشى وربى ظلم انسان
مادمت ربى معى فالنفس آمنة
وهل أخاف أذى والله معوانى
أدعو تلبى دعائى تستجيب لمن
تقضى الليالى ضراعات بشكران
مهما شكرت فلن أرقى لمنزلة
بقدر ربى من فضل واحسان
أنر فؤادى بنور منك يرشدنى
لموطن الخير من أعماق وجدانى
والنفس تعصمها من شر فتنتها
وأعصم فؤادى من وسواس شيطانى
وانشر ظلالك فى دنياى وارفة
فما أحن ظلال الخالق الحانى
وأمدد يديك الهى بالندى كرما
عطاؤك الفيض يروى كل حران
زدنى من العلم والايمان أنهما
نور الحياة بلا زيف وبهتان
وانسج بفضلك ثوب العفو ينقذنى
فحلو عفوك ينجى كل حيران
بك الغنية ربى لا أمد يدا
ولا أذل لمخلوق لحرمانى
بصر فؤادى بدين الحق بعصمتى
فالدين يارب يعلى كل بنيان

من الشعر إلى الحكمة

لاترسلن القول غير مثقف
ان رمت ان لا تخطئان مرماكا

عود حجاك بين مشكلة تجد
مستسهلا منه الذى يلقاكا

وآعلم بأنك ان تعظم عالما
للعلم كنت معظما مولاكا

خلفاء رسل الله بين عباده
ايذاؤهم ايذاؤه اياكا

بين الشهيد وبينهم قد شفعوا
اكرم بقوم بين ذاولاكا

أياك والنميمة

وذر النميمة كم تجر ضغينة
واحذر من النمام ان يفشاكا

حظر الاله عليه جنته فلا
تفتح له أذنيك أو مثواكا

شاركت للنمام والمغتاب فى
اثميهما ان تستمع اذنانا

واهجر مخالفة الاله جميعها
واهجر لكل مخالف مولاكا

ما أقبح الرضا عن النفس

اس البلاء جميعه
منك الرضا عن نفسكا

اعدى عداتك فاحذر
مسها واحذرن من ربكا

والخير كل الخير فى
عدم الرضاء حليفكا

ولجاهل قال لها
من عالم خير لكا

لاعلم للراضى ولا
جهل لمن منها شكا

لاتيأسن من ربكا
مهما تعاظم ذنبكا

فى جنب ادنى فضله
ماوزن اكبر عيبكا

وهو الغفور وان تجىء
مستغفرا يغفر لكا

اذا لم تنل فى الجد نفسك راحة
فلابد يوما ان ينوء بها الحمل
من الجد ان تعطى من الحل حظها
ليذهب مضنيها فيتصل الشغل
اذا الانسان لم يأخذ بحزم
ويسرع ما استطاع الى الكمال
يعض بنانه اسفا اذ ما
راى مقدراه بين الرجال

فضيلة الشيخ
محمد خليل الخطيب

الطب في الإسلام

دور الإسلام في تحقيق صحة الأجسام ولياقتها البدنية

الدكتورة
ابتسام عبد الحليم

لقد كان من أهم ماعني به الاسلام هو : المحافظة على صحة المسلم ، واكتسابه الوقاية ضد الامراض ، سواء الجسمية منها أو الروحية ، كما ان العبادات : هى الوسيلة التى عن طريقها يستطيع المسلم تنمية نشاطه ، وحيويته ، ومن أهم تلك العبادات أثرا : عبادة الصلاة : بما فيها من ركوع ، واعتدال ، وسجود ، وقيام ، فمن شانها تقوية عضلات الجسم ، وتنشيط دورته الدموية ، مما يؤدى الى بناء الانسجة ، واستخراج الفضلات الناتجة عن العمليات الحيوية بالجسم ، وبذلك يكتسب الجسم القدرة على مقاومة الامراض . وفى حديث الطبرانى : [أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم] . ويبين الحديث ما للصلاة من أهمية فى تسهيل هضم الطعام .

وقد جاء فى كتاب : [اشعة خاصة بنور الاسلام] للكاتب الفرنسى [ناصر الدين رينيه] الذى أعلن اسلامه ترجمة [الاستاذ راشد رستم] تحت عنوان [بساطة الاسلام] قوله :

ان الحركات والاشارات فى الصلاة الاسلامية ذات بساطة ولطف لم يسبق لها مثيل فى صلاة غيرها : كما انها لا تدعو الموجود الى التظاهر والتكلف ، ولا العيون الى الشخوص الى السماء واستنزال الدموع ، كما أنها خالية من مبالغات الورع ، وتكلفات الخضوع : لان الله سبحانه هو العليم بذات الصدور . وحركات الصلاة الاسلامية — فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المسلمين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم — تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية ، فهى مفروضة الاداء خمس مرات فى اليوم الواحد ، وكم من شيخ كبير ، أو رجل بدين ، استطاع كلاهما السجود، والركوع ، والوقوف ، دون كبير عناء ، مما لايستطيع غيرهم فى مثل هذا السن مالم يكن قد تريض على ذلك من قبل .

أضف الى ذلك حكمة الوضوء الذى يسبق كل صلاة ففيها انعاش للبدن الى جانب ما فيها من صحة ونظافة .

هذا وعادة انتظام المواعيد فى كل شىء : فى تناول الطعام ، وفى الذهاب الى المدرسة ، أو الديوان ، أو العمل ، وفى أوقات النوم واليقظة ، وفى أوقات الذهاب الى السوق ، والمذاكرة ، واللعب ومقابلة الناس وهكذا . ويترتب على هذا : ان يتعلم الانسان تقسيم العمل على حسب الاوقات ، وبهذا يستطيع الانسان ان يواجه متاعب الحياة ومشكلاتها .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على ممارسة الرياضة البدنية : وذلك لان [المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف] وذلك ليستطيع الدفاع عن نفسه وليتدرب على القتال فى سبيل الله تعالى وفى اعلاء كلمته ، ومما يثبت ذلك : ماروى عنه [صلوات الله وسلامه عليه] من أنه كان يسابق زوجته السيدة عائشة [رضى الله تعالى عنها] جريا على الاقدام . قالت رضى الله عنها : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ثم سابقنى فسبقنى فقال هذه بتلك .

وقد ثبت طبيا : ان رياضة المشى والجرى من الرياضات التى تكسب الانسان قوة ونشاطا ، ففى المشى علاج لمرضى البول السكرى ، والروماتيزم ، والامساك المستعصى ، والسمنة ، كما ان [اطباء النساء والولادة] يوصون السيدات الحوامل فى الاشهر الاخيرة من الحمل بالمشى وذلك لكى ياخذ الجنين وضعه الصحيح فتسهل ولادته .

كما ان الجرى يعمل على تنشيط الدورة الدموية .

ولم يكتف الاسلام بمجرد الحث على مافيه تحقيق صحة البدن ، ومرونة الجسد عن طريق مباشرة ذلك دون وسائط بل ان هدى الاسلام قد تعدى ذلك الى تشجيع ضروب من النشاط والحركة قد تتخذ فيها الوسائل من حيوان أو غيره كتشجيعه على سباق الخيل ، والجمال فقد ذكر ان رسول الله كان يتسابق على ناقته [العضباء] وكان لا يسابق بها أحدا الا سبقه ، فجاء أعرابى فى يوم على بعير ، وقال : أتسابقني يا محمد ؟ فسابقه النبى [صلى الله عليه وسلم] فسبقه الاعرابى فكبر ذلك على الصحابة ، فقال النبى (صلى الله عليه وسلم : (انه حقا على الله الا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه] .

أما عن السباحة : فقد كتب عمر بن الخطاب فى مقدمة رسالته الى بعض الولاة : [أما بعد فعلموا أولادكم السباحة ، والرماية والفروسية] .

كما ان الحجاج الثقفى قد نصح معلم ولده ، فقال له :

[علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فانه يجد من يكتب عنه ولايجد من يسبح عنه] .

وقد قال [أبو عقيل] : رأيت [أبا هاشم الصوفى] مقبلا من جهة النهر فقلت له : فى أى عمل كنت اليوم ؟

فقال : فى تعليم ماليس ينسى وليس لشىء من الحيوانات عنه غنى .

قلت : وماهو ؟ قال : السباحة .

وعن المصارعة : نجد انه قد روى ان [الرسول] قد صارع رجلا معروفا بالشدة فى الجاهلية يدعى [ركانة] فصرعه الرسول [عليه السلام] فقال الاعرابى : عاودنى فى أخرى .

فصرعه النبى فى الثانية .

فقال الاعرابى عاودنى .

فصرعه عليه الصلاة والسلام فى الثالثة .فكان ذلك اغراء بتعليم المصارعة واتقانها .

اما عن المبارزة بالحراب : فقد كان [صلوات الله وسلامه عليه] يسمح للاحباش بمزاولة اللعب بالحراب فى مسجده الشريف خصوصا فى الاعياد ، وهو ينظر اليهم ، ويشجعهم ، وكان [صلى الله عليه وسلم] يهدف من وراء ذلك : الى تدريب المسلمين واعدادهم للجهاد وغيره . على ان أعظم العبادات مثوبة وأجرا فى الاسلام، وأخطر شعب الايمان اثرا [الجهاد فى سبيل الله] .

فهو يعتمد اعتمادا كبيرا على اعداد المقاتلين ، وتنمية اجسامهم ولياقتهم عن طريق التدريب المتواصل ، والاعداد المستمر تحقيقا لقوله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

وفى حربنا الاخيرة فى رمضان المجيد : تأكد لكل ذى عينين بما لا يدعو مجالا للشك ، ان العنصر البشرى به تقوم المعارك وعليه يتوقف النصر ..

لقد كانت الفرق الخاصة فى الجيش ومنهم أفراد الصاعقة الذين يتمتعون بقدرات بدنية خاصة ، ولياقة صحية متكاملة ، عليهم المعول فى كسب اكثر من موقف حربى ، وهذا بعينه هو سر انتصارات الاسلام المتوالية فى تاريخه الطويل ، فهو نصر يرتبط اصلا باساس من التربية على هدى الاسلام ، ومن ذلك : ماكان يشير اليه الرسول [صلى الله عليه وسلم] ويحث عليه أصحابه فى قوله :

تعلموا السباحة وعلموها ابناءكم]

وقوله :

حق الولد على الوالد : ان يعلمه الكتابة والسباحة والرمى .

صدق رسول الله .

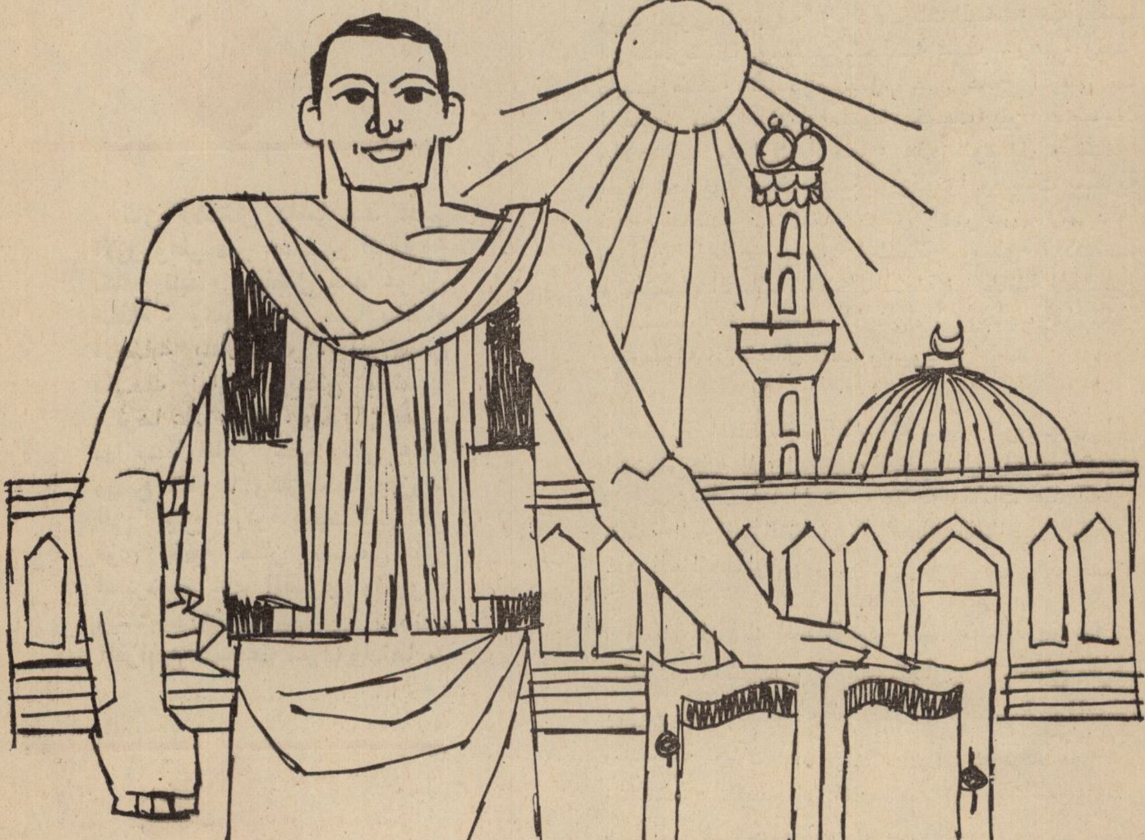

الطب

كان الانسان دائما منذ قديم الازل وعلى ممر عصور التاريخ يكافح للبقاء ويناضل ضد عوامل الفناء ، وكان يخشى فيما يخشاه الاصابة بالامراض ، اذ يحس بضعفه أمامها ويخشى بطشها وأثرها على حياته ، ولم يكن يعرف لها سببا ظاهرا حتى يقضى عليها ويمنع خطرها وكان حينا يعزوها الى أرواح شريرة وحينا آخر الى قوى خفية فكان يسعى الى استرضاء تلك القوى والارواح ويستعطفها ويتقرب اليها بمختلف القرابين لتمنع عنه شرها وأذاها .

واحترفت طائفة من الناس التوسط بين الانسان وتلك القوى المجهولة له وادعت تلك الطائفة أنها يمكنها أن تسترضيها بوسائلها الخاصة فتمنع شرها ، وبهذا نشأت طائفة السحرة لتقوم على علاج المرضى بما ابتدعوا من أساليب ملتوية جمعت بين التعاويذ والاعشاب وتوارث السحرة هذه الوسائل واضافوا اليها تجاربهم جيلا بعد جيل وكونوا وصفات سحرية نجح بعضها فى شفاء بعض الامراض ، ثم بدأوا يقرنون العلاج ببعض الشعائر وبتلاوة الادعية واستعمال التمائم ، ودخل الكهنة فى طائفة المعالجين وتخصصوا فى علاج المرضى الى جانب ما كانوا يمارسونه من اعمال دينية ودنيوية .

واحتاج استكشاف هذا المجهول للوصول الى القضاء عليه الى استقراء الغيب لعل المحاولة تجدى فى معرفة أسباب المرض وعلاجه ونشأت عند العرب طائفة العرافين لتنضم الى جمع المعالجين القائمين على العناية بالمرضى .

وصل كل ذلك الى العرب قبل الاسلام وكانوا فى جاهليتهم ووثنيتهم وبداوتهم يلجأون الى علاج المرضى بمزيج من الكهنة والسحر والتعاويذ والعرافة والخرافة وكان لكل قبيلة عراف يمارس العلاج وتستشيره القبيلة فى كل ما يمر بها من الامور وكان طب العرافين خليطا بين الرقى والبخور وحمل التمائم والتعاويذ وكان بعض هؤلاء العرافين على قدر من الفراسة يستدلون بها من هيئة الانسان ولونه وحركاته

عند العرب فى فجر الإسلام

الدكتور احمد حلمى محمود

على تشخيص حالته ثم يعالجونه بأساطير محفوظة او حصيلة تجارب سابقة فى العلاج أو بما كانت تعالج به حالة أخرى تماثل حالته فى أعراضها كما زاولوا العلاج بالكى والحجامة والفصد .

وقد ظهر فى اواخر الجاهلية بعض الرجال ممن درسوا فن الطب والتطبيب فى المدنيات المجاوره كالتى كانت فى ارض فارس كما فى مدينة جنديسابور ، فاشتهر من اطباء الجاهلية « الحرث بن كلدة وابن حزيم ، وابن أبى رومية التميمى والشمردل » .

ثم بزغ نور الاسلام وانقشعت غيوم الوثنية وارتفعت راية الايمان وتبددت ظلمات الكهانة والشعوذه وولت الجاهلية مدبرة بأنصابها وأزلامها وتملكت العرب عاطفة دينية قوية طغت على غيرها من المشاعر ونزل القرآن وتحدث فى محكم آياته فى كل شأن ، وطرق كل مجال وتحدث عن الانسان وكيف خلقه الله فى أحسن تقويم وكيف كرمه وعلمه الاسماء وكيف سخر له كل ما فيه صحته وراحته وغذاؤه وذكر المرض والشفاء وكرم العلم والحكماء .

واركان الاسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج كلها تهدف الى تقوية صحة القلوب والنفوس والعقل والبدن وأمرنا الله بالمحافظة عليها ونهانا عن تعريضها لما يضرها ويؤذيها فقال تعالى « **ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيما** » . وجعل الاسلام من القواعد المقررة أن كل ما أضر بالجسم والعقل فهو حرام ، فحرم الخمر واكل الميتة والدم ولحم الخنزير .

وجاء النبى صلى الله عليه وسلم بدعوته السامية وقد وحى الله اليه ما اوحى ، وعلمه ربه من علمه ما لم يكن يعلمه فأحسن تعليمه ، وأتت الاحاديث النبوية بالنصائح والتوجيهات تبين كيف يسير ركب الانسان فى الحياة فى الطريق الصحيح الذى يؤدى الى السعادة وتضمنت كثيرا من النصائح الطبية للوقاية والعلاج فى شعار « **أن لبدنك عليك حقا** » وقد أدت تلك التوجيهات والنصائح مهمتها على أحسن وجه فى عصر كان العلم يومئذ قاصرا عليها ثم تأكدت صحة قواعدها ورسوخ أسسها مع مرور الزمن وظهور الكشوفات العلمية .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم على دراية ببعض مبادىء العلاج والدواء ، وقد روى أن وفدا من نجران قدم الى رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان فيه الطبيب الشمردل أحد أطباء الجاهلية أتى ليرى مدى علم الرسول عليه الصلاة والسلام فسأل النبى عن بعض الامراض وعلاجها وكان الرسول يجيبه على كل سؤال ثم قام الرسول فسأله بدوره عن بعض الامراض وعلاجها فبهت الشمردل وعجز عن الجواب وقال « يا محمد ، والذى بعثك بالحق ، لانت أعلم منى بالطب » ثم أسلم الشمردل .

وقد وضع النبى عليه الصلاه والسلام قواعد اساسية للحفاظ على الصحة وتجنب المرض وجمعت أحاديثه هذه التوجيهات والنصائح ولا نستبعد أن يكون قد دس عليها بعض الاحاديث المفتعلة بفعل

الاعاجم فتبدو غير متسقة مع أتجاهات الاحاديث الاخرى .

وقد ورد فى الحديث « **ما انزل الله داء الا وانزل له شفاء** » وهذا يدل على ايمان بقوة العلاج وفائدته ودافع الى البحث عنه ورفع للروح المعنوية للمريض المؤمن ليتوقع الشفاء ويبحث عن العلاج .

ويروى أن المقوقس عظيم القبط كان قد أهدى للنبى جرية وعسلا وطبيبا فقبل النبى الجارية والعسل ورد الطبيب وقال « **لا حاجة لنا به** ، نحن قوم لا نأكل حتى **نجوع واذا أكلنا لا نشبع** » أى لا نأكل حتى الشبع ، ورجع الطبيب الى المقوقس وقال له « أرسلتنى الى رجل جمع الطب فى كلمتين . وفعلا تدور الايام ويتقدم الطب وتتأكد صحة هذا القول وجوهريته فى المحافظة على الصحة .

وقد جاء فى الاحاديث النبوية ذكر بعض العلل كالصداع والرمد والجذام والحمى والطاعون ولسعة الحية والعقرب ، وأشار النبى كثيرا الى العلاج بالحمية والكى والحجامة والعسل والنباتات واللبن .
وقد ذكر اللبن فى الاحاديث النبوية لبيان فائدته وقيمته الغذائية وقد بينت الابحاث العلمية فيما بعد أنه غذاء كامل يضم كل عناصر الغذاء ويلجأ الى استعماله المرضى والاطفال ، ويقول الحديث « **ليس شىء يجزى عن الطعام والشراب غير اللبن** » .

كما أكد النبى صلى الله عليه وسلم أهمية نظافة الفم والاسنان حين قال « **لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة** » .

وقد أشارت بعض الاحاديث الى امكان انتقال العدوى مع الحض على الوقاية منها والابتعاد عن أسبابها ، اذ ورد فى الحديث « اذا سمعتم بالطاعون **بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا منها** » وفى حديث آخر « **فر من المجذوم فرارك من الاسد** » وروى مسلم أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم أتى مع وفد قومه ليبايع النبى فلما عرف النبى بذلك أرسل اليه يقول « **انا قد بايعناك فارجع** » .

كما بينت الاحاديث علما بطرق انتقال الامراض فيقول « **لا تبولوا فى الماء الراكد ثم تتوضئوا منه** » والعلم الحديث فعلا ينهى ذلك منعا لنقل الامراض المتوطنة كالبلهارسيا . وفى حديث آخر « **اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسل سبعا احداهن بالتراب** » وذلك اتقاء لما قد ينقله من أمراض الى الانسان كما أمر النبى بتغطية الطعام والشراب منعا لتلوثه بالغبار وما قد يحمله من مسببات الامراض ومنعا أيضا لتعرضه للحشرات التى تحمل معها الامراض ، فورد فى الحديث الشريف « **خمروا آنيتكم** » أى غطوها ، وفى حديث آخر « **غطوا الاناء وأوكئوا السقاء** » .
قضت دعوه النبى ورسالة الاسلام على الكهانة وعلى العلاج بالسحر والشعوذة ، فجرد علم الطب من خرافاته التى كانت تعتنقها الامم الاخرى وحرم لبس الطلسم والتمائم والتعاويذ ومنع ممارسة رجال الدين للعلاج اذ ان الرسالة المحمدية قد ظهرت فى وقت كان العالم يتخبط فيه فى دياجير الجهل وكانت اوروبا منذ القرن الخامس للميلاد وما تلاه من قرونها الوسطى المظلمه وقد دمرتها الغزوات المتتابعة التى اجتاحتها بين القرن السادس والتاسع الميلادى وكانت الحرب مستمرة بين الفرس والدولة البيزنطية فى همجية ووحشية قضت على كل اثر من آثار العمران والحضارة ، فجاء الاسلام يقدس العلم كما لم يقدسه أى دين آخر « **وقل رب زدنى علما** » ، ويرفع العلماء الى أعلى المراتب « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط** » .

وفى ظل سماحة الاسلام اعترف المسلمون منذ فجر الدعوه بالاطباء من كل دين فى الوقت الذى كانت فيه الكنيسة الغربية تحرم صناعة الطب لانهم اعتبروا المرض حينذاك عقابا من الله لا ينبغى للانسان أن يصرفه عمن استحقه ، فظل الطب هناك محجورا عليه حتى الى اوائل القرن الثانى عشر للميلاد ابان الحضارة الاندلسية .

وسمح الاسلام للاطباء من غير المسلمين بممارسة مهنتهم بين المسلمين وكان الحديث يقول « **خذ الحكمه ، لا يضرك من أى وعاء خرجت** » وفعلا طلب النبى من الحارث بن كلده ولم يكن مسلما علاج سعد ابن أبى وقاص من مرضه .

ويعتبر الاسلام اول من قرر مسئولية من يدعى الطب ، ففى الحديث الشريف « **من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن** » أى مطالب بالمسئولية عما حدث للمريض فهذا المبدأ الذى وضعه الاسلام يحرم مزاولة الطب الا لمن درسه وعرف أسراره ويحمله مسئولية ما يفعل .

وفى هذا الوقت استمر الحال على هذه الطريقة بعد النبى فى عهد الخلفاء الراشدين يتبع فى العلاج ما ورد فى أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام وما هو مأثور من أقوال الاطباء فى الجاهلية واستمر المسلمون فى استشارة من وجد بينهم من الاطباء .

ومن هذا يتبين أن الطب والعلاج كان له نصيب من الاهتمام والتقدير فى فجر الاسلام بتأييد من توجيهات الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

شخصيات إسلامية

السيّدة فاطمة الزهراء

رضى الله عنها

ـ ١٣ ـ

وقد لمست الزهراء من ابيها صلى الله عليه وسلم حبه ومودته وحنوه وشفقته ، فكانت نعم البرة به صلى الله عليه وسلم ، اخلصت له فى حبها وولائها وحنوها ووفائها له ، فآثرته على نفسها . وحين تقدمت السن بأمها كانت فاطمة رضى الله عنها هى التى تتولى تدبير بيت ابيها صلى الله عليه وسلم ، تقوم بادارته ، وتنجز ما يصلحه ، وتبعث الهدوء والروعة فيه ـ وكانت تسارع الى كل ما يرضى اباها رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسكب له الماء ليغتسل ، وتهيىء له طعامه ، وتغسل ثيابه ، فوق ما كانت تشترك مع النساء فى الغزو .

الأستاذ توفيق أبو علم

ففى غزوة احد خرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماء ، وكن قد جئن اربع عشرة امرأة منهن فاطمة عليها السلام يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ويداوينهم ـ ومنهن ام سليم بنت ملحان ، وعائشة ام المؤمنين رضى الله عنهما تحملان على ظهورهما القرب ، ومنهن حمنة بنت جحش ، وكانت تسقى العطشى وتداوى الجرحى ، ومنهن ام ايمن تسقى الجرحى ، فلم يجد محمد بن مسلمة عند النساء ماء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عطش عطشا شديدا ، فذهب محمد ابن مسلمة الى قناة حتى استقى من جسى . فاتى بماء عذب ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ، وجعل الدم لا ينقطع ، وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن » ، فلما رأت فاطمة عليها السلام الدم لا يرقأ وهى تغسله ، وعلى يصب الماء عليها بالمجن ،اخذت قطعة حصير فاحرقتها حتى صارت رمادا ، ثم الصقتها بالجرح فاستمسك الدم ، وكان هذا الحصير يعمل من البردى ، وكانت حين رأت الذى بوجه ابيها صلى الله عليه وسلم اعتنقته ، وجعلت تمسح الدم ، والاسى يملكها لبرها بأبيها وحفاظا لحقه ، وعن على رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق ، اذ جاءته فاطمة بكسرة من خبز فرفعتها اليه ، فقال : ماهذه يا فاطمة ؟ قالت : من قرص اختبزته لابنى ، جئتك منه بهذه الكسرة فقال : **يا بنية أما انها لاول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام .**

وروى الزمخشرى فى الكشاف عند قصة زكريا ومريم عليهما السلام ، عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جاع فى زمن قحط ، فأهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم آثرته بها ، فرجع بها اليها ، وقال : **هلمى** يابنيه . وكشف عن الطبق ، فاذا هو مملوء خبزا ولحما ، فبهتت ، وعلمت انها نزلت من الله سبحانه وتعالى ، فقال لها : انى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فقال : الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ، ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته رضى الله عنهم حتى شبعوا ، وبقى الطعام كما هو ، واوسعت فاطمة جيرانها .

اما منزلتها وقدرها عند ابيها صلى الله عليه وسلم فقد كانت رضى الله عنها بالمحل الارفع من أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضر ابو سفيان الى بيت فاطمة قبل فتح مكة مستنجدا مستجيرا ، فان قريشا ـ حين احست بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يتركها ان نقضت عهده وخفرت ذمته ـ ارسلت

ابا سفيان ليكون رسولَ سلام ، ويعملَ على تأخير الزحف ، فقصد ابا بكر وعمر وعثمان فلم يغنوا عنه من الامر شيئاً ، فسار الى بيت فاطمة ، فدخل عليها ، وكلمها فى ان تجير بين الناس ، مما هو آية على نفوذ فاطمة عند والدها ، ولولا ذلك لما مشى كبير قريش وزعيمها اليها ليسألها الوساطة وان تجيره ، وقد ابت عليه فاطمة ذلك وقالت : انما أنا امرأة ، ولا يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد ، فلم تشأ ان تفتات على ابيها ، وهى تعلم انها لو اجارت أبا سفيان لقبل ابوها صلى الله عليه وسلم جوارها ، وكانت بمثابة أمن وسلام ، ولكنها — وهى الحريصة على حق ابيها صلى الله عليه وسلم وما يجب عليها نحوه — ابت ان تساير ابا سفيان فيما يطلبه ، وهو يعلم انها لو اجارته لما وقف امامها احد ، ولنفذ ابوها صلى الله عليه وسلم وعدها ، واوفى بعهدها ، وهكذا أدب اولاد الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين .

ولما اجارت أم هانىء بنت ابى طالب حموين لها : عبد الله بن ابى ربيعه والحارث بن هشام المخزوميين ، دخل عليها اخوها على بن ابى طالب يريد قتلها ، وقال : تجيرين المشركين ؟ فاغلقت عليهما بيتا ، ثم ذهبت الى خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء ، فشكت الى فاطمة عليها السلام ما أتاه على ، فلم تشكها ذلك الا لما تعرفه من قدر فاطمة عند ابيها وزوجها ، ولكن فاطمة رضى الله عنها ما كانت ترضى الا بما يرضاه الله تعالى ، فلا ترضى ان يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد .

ولما قدم وفد نجران ، وارسل نصارى نجران العاقب والسيد فى نفر لمباهلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الرسول ومعه فاطمة وعلى والحسن والحسين عليهم السلام ، فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو اقسمت على الله ان يزيل الجبال لازالها ، ولم يباهلوا — وصالحوا على الفى حلة ثمن كل حلة اربعون درهما ، وعلى ان يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل لهم عليه الصلاة والسلام ذمة الله وعهده ، على الا يفتنوا عن دينهم ، ولا يبشروا ولا يجشروا ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به .

وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها : كانت فاطمة اذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقبلها ورحب بها واخذ بيدها وأجلسها فى مجلسه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته واخذت بيده وأجلسته فى مجلسها ، وكان الرسول دائما يختصها بسره ، ويرجع اليها فى امره .

زواج السيدة فاطمة :

ان السيدة الزهراء لما انارت فى سماء الرسالة شمس جمالها ، وتم فى افق الجلالة بدر كمالها ، امتدت اليها مطالع الافكار ، وتمنت النظر الى حسنها ابصار الاخيار ، واحس صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بقيمة فاطمة لدى ابيها ، وعلموا انها بلغت مرحلة النضج بكل ابعادها ، فتباروا لخطبتها من ابيها ، طلبا للشرف ، ورغبة فى الكرامة ، وحرصا على التقرب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان لابد لكبار الصحابة ان يتقدموا لطلبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى طليعتهم ابو بكر وعمر وغيرهما . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض فى كل مرة بوجهه عنهم ، بعد ان يتصل بالزهراء نفسها فتظهر عدم رغبتها ورفضها العرض الخطبة والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتصل بالزهراء فى هذه القضايا لانه لا يعلم من يستحق ان يكون لها كفؤا ولكن روح الشريعة الاسلامية هى التى تفرض على الاباء الا يبتوا فى موضوع زواج بناتهم وأبنائهم دون الاطلاع على مدى رغبتهم أو رفضهم للفتيات ان كانوا رجالا ، أو رغبتهن أو رفضهن فيما لو كن نساء . والرسول صلى الله عليه وسلم انما يعكس لنا واقع الشريعة المقدسة ومعين الرسالة الالهية القويمة الذى يفرض ذلك ويرسمه للمجموعة الانسانية لخلق الاسرة الصالحة المتحابة المتعانقة القلوب والعواطف ، لكى يخلق المجتمع الصالح المتين المتكاتف كالبنيان المرصوص بدون ان تلعب به الاهواء .

واستمر الرسول عليه الصلاة والسلام يعرض بوجهه عمن يخطب ابنته الزهراء عليها السلام ويرده بقوله : « **انتظر فيها أمر القضاء** » .

وفى اسد الغابة انها لما خطبها ابو بكر وعمر فردهما قال لكل منهما « انتظر بها القضاء او قال : « انها صغيرة »

ولله در من قال

من مثل فاطمة الزهراء فى نسب
وفى فخار وفى فضل وفى حسب

والله فضلها حقا وشرفها
اذ كانت ابنة خير العجم والعرب

ويقول السيد محمد صادق الصدر فى كتابه « حياة امير المؤمنين » وكان ابو بكر اول من عرض الى خطبة الزهراء عليها السلام فرده الصادق الامين :

ردا جميلا مقنعا قائلا : « **يا ابا بكر لم ينزل القضاء بعـــد** » ! وقد سمع بالامر عمر فتقدم الى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بما تقدم اليه رفيقـه وصاحبه فاعاد عليه الجواب نفسه وعندئذ ذهب ابو بكر وأبو حفص الى عبد الرحمن بن عوف يطلبان منه الخطبة وقالا له : « انت اكثر قريش مالا فلو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم فخطبت فاطمة زادك الله مالا الى مالك وشرفا الى شرفك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله زوجنى فاطمة فاعرض عنه رسول الله فاتاهما فقال قد نزل بى مثل الذى نزل بكما » وهنا فهما ان رسول الله لا يطلب مالا وانما يطلب علما وفضلا فمن هو ذلك الرجل الذى يتصف بصفات تميزه على غيره وتجعله كفؤا لان يكون صهرا للرسول وبعلا للزهراء البتول ؟! ـ هذا ماكان يفكر به الشيخان لذلك كانا يرغبان رغبة ملحة فى معرفة تلك الشخصية العظيمة القريبة من الله والحبيبة الى رسوله صلى الله عليه وسلم فتوجها الى على عليه السلام لانهما يعرفان منزلته الرفيعة عند الله والرسول ـ وقالا له « قد عرفنـــا قرابتك من رســول الله وقدمك فى الاسلام فلو اتيت رسول الله فخطبت اليه فاطمة لزادك الله فضلا الى فضلك وشرفا الى شرفك » وقال غيرهما من اصحاب الرسول كما روى ذلك انس بن مـــالك لعلى : « **لو خطبت الى النبى لخليق ان يزوجكها** »

وفى يوم اجتمع الصديق والفاروق وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم فى مسجد الرسول فتذاكروا امر فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فقال ابو بكر : قد خطبها الاشراف فردهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم .

ويحدثنا ابن عباس فيقول : « كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تذكر فلا يذكرها احد لرسول الله الا اعرض عنه فقال سعد بن معاذ الانصارى لعلى بن ابى طالب : انى والله ما ارى رسول الله يريد بها غيرك » ـ ومن هنا نعلم ان الكلمة قد اجمعت على ان الرجل المنتظر لمثل هذا الزواج هو على عليه السلام .

ولماذا لا يكون هو ذلك الرجل ؟ ! وهو اقـــرب اصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم اليـه واسبقهم الى الاسلام . واقدمهم فى الايمان واعلمهم بالسنة واكبرهم تضحية واشـدهم اخلاصـا لله وللرسول وللدين .

ومن كانت هذه صفاته فهو جد قريب من اذهان الناس عندما تعرض الاسماء وتستعرض الشخصيات الكبيرة التى تطمع بهذا القران .

من مواعـظ لقـــمان

قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنى ، اذا آتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس فان آفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم . وان أفاضوا فى غير ذلك فتخل عنهم وانهض . يابنى ، استعذ بالله من شرار الناس وكن من خيارهن على حذر [مثل هذا قول أكثم بن صيفى : احذر الامين ولا تأمن الخائن فان القلوب بيد غيرك) .

وقال لقمان : يابنى ، لا تركن الى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بها فانك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقا أهون عليه منها فانه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ولا بلاءها عقوبة للعاصين . يابنى ، لاتضحك من غير عجب ، ولاتمش فى غير آرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك ، يابنى ، لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك ، فان مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما تركت ، يابنى ، انه من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، يابنى ، زاحم العلماء بركبتيك ، وانصت اليهم بأذنيك فان القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الارض الميتة بمطر السماء .

عويمر بن عامر
(أبو الدرداء)

لامراء بعد قول الله تبارك وتعالى ، فى أن الاخرة للانسان خير من الاولى . لان الدنيا فانية والاخرة باقية .. الدنيا أمد والاخرة أبد .. الدنيا دار مرور والاخرة دار قرار .. الدنيا متاع الغرور والاخرة نعيم مقيم .

ومع ذلك فان الاسلام مع حرصه على الدعوة للاخرة لا ينسى الدنيا « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » الاسلام لا يشجب ولا يرفض الا الدنيا التى تتحكم فى العقول وتتسلط على الاهواء والنفوس .. فاذا عوفى صاحبها من هذا التحكم ومن هذا التسلط عززت الطريق الى الاخرة ، وكانت جزءا منها وسبيلا ممهدا اليها

ومما لا ريب فيه أن أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا حريصين على الاخرة أكثر من حرصهم على الدنيا استجابة واقتداء بسلوك القائد العظيم ومعلم الانسانية ومربيها على عين الله ، وهاديها الى الصراط المستقيم ، ومطهرها من رجس الاوثان وعبادة الاصنام ، وداعيها الى اخلاص العبادة للواحد القهار .

وبالاضافة الى هذا السلوك الذى لمسوه فى حياة الرسول الاعظم ، سمعوا منه كثيرا : أن من جعل الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره وجعل فقره فى عينيه ،ولم يأخذ منها الا ما كتب له .. ومن جعل الاخرة همه ، جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا صاغرة .

وقد صور الاولون الدنيا فى صورتها الحقيقية وأعطوها حجمها قالوا !

مثل الرفد الذى تطلبه
مثل الظل الذى يجرى معك
أنت لاتدركه متبعا
واذا توليت عنه تبعك
انت للمال اذا امسكته
واذا انفقته كان المال لك

والصحابة بعامة كانوا على درجة كبيرة من التقوى وصلاح الحال ، واخلاص العبادة لله وحده ، مع طهارة القلب وحب الخير للناس ، وهم اى الصحابة يتفاضلون فيما بينهم ، لان التفاضل احرى ان يكون بينهم ، وهو موجود حتى بين الرسل : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .

لهذا كان عويمر بن عامر من أفاضل الصحابة مع فقه وحكمة ، وخيركم من تفقه فى دينه - والله يؤتى الحكمة من يشاء ، ولهذا كان عويمر يكره أن يسب أحد من الناس أمامه ، فهو يكره العمل السىء ولا يكره صاحب لذاته .

ذكر ابن الاثير فى آسد الغابة . روى أيوب عن أبى قلابة أن أبا الدرداء مر على رجل أصاب ذنبا - وكان الناس يسبونه ، فقال ، ارايتم لو وجد تموه فى قليب - البئر التى لم تطو بعد أى لم تبطن بالحجارة ، والقليب يذكر ويؤنث - ام تكونوا مستخرجيه .. ؟ قالوا : بلى قال : فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذى عافاكم .. فقالوا : افلا نبغضه « قال انما أبغض عمله فاذا تركه فهو أخى .

فأبو الدرداء يقنع الناس ببساطة معجزة بالا يسبوا أخاهم ، لان الانسانية تتطلب منهم أن ينقذوه اذا تعرض لخطر مع انه يرونه عاصيا ، وعليهم بعد انقاذه ان يعملوا على هديه .

ذلك أدب النبوة الذى أدب به الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه ، كما أدبه هو ربه .. أيها المسلمون

الأستاذ عبد المنعم حسن أدرفوى

تمسكوا بهذه الخلائق العظيمة وفرقوا فى المعاملة والنظرة بين المرء وعمله ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى .

فاين نحن الان مما كان عليه الرسول واصحابه من ترفع وسمو عن الصغائر والسفاسف .. اننا نخلط بين العمل وصاحبه ، بل نحاول بكل الجهد أن ننال منه ونحط ن قدره ولو بالباطل ونشيع عمله بين الناس ليبغضوه وينفروا منه .. اننا اصبحنا اليوم نختلق النقائص والمثالب والعيوب لغيرنا ، ونسلبه محاسنه .

ومما يدل اصدق الدلالة على فضل ابى الدرداء أن الرسول عليه الصلاة والسلام آخى بينه وبين سلمان الفارسى الذى قال عنه : سلمان منا آل البيت لانه جدير بهذا الانتساب وقمين بهذه الصلة .

وقد ذكرنا كثيرا أن المؤاخاة التى غرسها الرسول عليه الصلاة والسلام بين اثنين من اصحابه احدهما من المهاجرين والاخر من الانصار كانت ذات تاثير ايجابى وفعال فى بناء الدولة الاسلامية ،كما أن هذه المؤاخاة لم تجىء اعتباطا ، وانما قامت على التماثل بين الاخوين فى الصور المعنوية والجسيمة . لان التآلف بينهما كان متطابعا ورسول الله أفضل من يدرك ذلك .

وعويمر بن عامر ينتمى نسبه الى الخزرج من الانصار ، ويقال عويمر بن قيس بن زبير وقيل عويمر ابن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج .

وقال الكلبى : اسمه عامر بن زيد بن قيس بن عبسة ابن امية بن مالك بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج وامه محبة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابه ، واذا كان اسلام ابى الدرداء قد تاخر بعض الشىء ، فلم يشهد بدرا وشهد أحدا بعدها المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واذا قيل انه لم يشهد احدا واول ما شاهده الخندق ، فانه آخذ مكانه بين الصحابة الذين سبقوه فى الايمان ويكفيه فخرا أن يقول الرسول عنه ، عويمر حكيم أمتى ، فكثير من الصحابة المكيين والمدنيين قد تأخر اسلامه ، بل كثير منهم كان يحارب الاسلام ، ولكنهم بعد اعتناقه أصبحوا من أعلامه كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

وروى صالح المرى عن جعفر بن زيد العبدى : أن أبا الدرداء لما نزل به الموت بكى ، فقالت له أم الدرداء : وأنت تبكى يا صاحب رسول الله ؟ قال : نعم ومالى لا ابكى ولا أدرى علام أهجم من ذنوبى .

وقال شميط بن عجلان : لما نزل الموت بابى الدرداء جزع جزعا شديدا ، فقالت له أم الدرداء : ألم تك تخبرنا أنك تحب الموت ؟ قال : بلى وعزة ربى ، ولكن نفسى لما استقينت الموت كرهته ثم بكى وقال : هذه آخر ساعاتى من الدنيا لقنونى لا اله الا الله ، فلم يزل يرددها حتى مات .

فالرجل لم يجزع من الموت لانه يفارق الدنيا ، وانما جزع خوفا من العقاب فى الاخرة ، ولذلك دعا اليه ابنه بلالا وقال له : ويحك يا بلال : آعمل للساعة اعمل لمثل مصرع ابيك واذكر به مصرعك وساعتك ، فكان قد ، ثم قبض .

وروى عن أبى الدرداء أنس بن مالك وفضالة بن عبيد وابو أمامه وعبد الله بن عمر وابن عباس وأبو ادريس الخولانى وجبير بن نفير وابن المسيب وغيرهم

وقد حدث عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيعجز أحدكم أن يقرأ كل ليلة ثلث القرآن ،فقالوا: نحن أعجز من ذلك وأضعف قال ، فان الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزء من أجزاء القرآن .

وفى هذا تأكيد للوحدانية والاقرار لله وحده بالعبودية وهى سنام الاسلام ، كما أن فى ذلك تيسيرا على المؤمنين فى قراءة القرآن : فاقرأوا ما تيسر منه .

وروى عن عوف بن مالك أنه رأى فى المنام قبة من أدم فى مرج أخضر ،قال قلت لمن هذه القبة ؟ قيل : هذه لعبد الرحمن بن عوف ،فانتظرناه حتى خرج فقال يا ابن عوف هذا الذى أعطى الله عز وجل بالقرآن، ولو اشرفت على هذه الثنية ، اعلى المسيل فى رأس الجبل ، ارايت ما لم تر عينك ولم تسمع أذنك ، ولم يخطر على قلبك مثله ، أعد الله لابى الدرداء .. انه كان يدفع الدنيا بالراحتين والصدر ، فتأمل ما حظى به ابو الدرداء من مكانة عند الله .

وقد ولى أبو الدرداء قضاء دمشق فى خلافة عثمان، وتوفى قبل ان يقتل عثمان بسنتين .

وكان أبو الدرداء أقنى الانف ، أى أن أنفه طويل وأرنبته رقيقة مع حدب فى وسطة ، وكان أشهل ، والشهلة حمرة فى سواد العين ، وقد تكون هذه الصفات فى مظهر صاحبها مدعاة الى الهيبة والاحترام

أبو هريرة

رضى الله عنه

فضيلة الشيخ أحمد على منصور

هو على المشهور عبد الرحمن بن صخر ، الدوسى الازدى اليمنى ، ولد قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بثمانى سنوات ، فى عشيرة سليم بن فهم : من قبيلة ازد باليمن ، ونشأ يتيما ، يرعى الغنم لاهله ، وغلبت عليه كنيته ، حتى أغنت عن اسمه ، فقد كانت له هره صغيرة ، يعطف عليها ، ويوفر لها ما تحتاج اليه من الطعام والشراب ، فلازمته فى غدواته وروحاته ، فكنوه أبا هريرة . وتقلبت به الاحوال ، فاتى عليه حين من الدهر عمل فيه أجير البسرة بنت غزوان ، بما يقوم بكفايته ، فكانت اذا ركبت الابل مع قومها ، يحدو أبو هريرة ، ويردد اناشيد خاصة ، ويرسل نغمات معينة ، لتسرع الابل فى سيرها ، واذا انزلوا بمكان قام لهم بما يلزمهم .

ثم قدم مع قومه الدوسيين على النبى صلى الله عليه وسلم ، فى العام السابع من الهجرة ، فأسلم وحسن اسلامه ، ولفقره اتخذ سبيله الى الصفة ، وهى موضع مظلل بالناحية الشمالية ، من مسجد النبى ، صلوات الله وسلامه عليه ، وأقام أبو هريرة مع أهلها ، ممن لا منازل لهم بالمدينة المنورة ولا عشائر ، وصحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاث سنوات ، وأحبه حبا جما ، ولازمه وواظب على مجلسه الشريف ، وأعطاه الله تعالى حافظة قوية ، فكل قول أو فعل او تقرير ، يصدر من المشرع الاعظم — صلى الله عليه وسلم — يعيه أبو هريرة ، ويردده فى نفسه مرات ، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يكرم أهل الصفة ومنهم أبو هريرة ، ماوسعه الكرم ، وكان أصحابه رضى الله تعالى عنهم ، يأتسون به فى ذلك ، ولا سيما جعفر بن ابى طالب ، رضوان الله عليه ، فقد أخرج الترمذى والحاكم باسناد صحيح ، عن ابى هريرة ، رضى الله عنه قال :

ما احتذى النعال ، ولاركب المطايا ، ولاوطىء التراب ، بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، افضل من جعفر بن أبى طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ماكان فى بيته . وكان خير الناس للمساكين بعد النبى الصادق الامين . وليس بغريب بعد ذلك ان يكثر أبو هريرة رضى الله عنه ، من رواية الحديث عن صاحب الشريعة ، عليه الصلاة والسلام . لانه دخل الاسلام راغبا ، ولازم الرسول الاعظم مطمئنا راضيا ، وأقام بالصفة صابرا ، ووطد نفسه على حفظ السنة مجتهدا ، ودأب على ذلك قائما وقاعدا ، يراقب العلى القدير فيما يفعل ويترك ، ويرجو رحمته آناء الليل وأطراف النهار ، ويضع نصب عينيه قول سيد الاولين والاخرين :

« من كذب على متعمد افليتبوأ مقعده من النار ، على ان رجال الاحاديث وجامعى الصحاح وكتب السنة ، التى تلقاها المسلمون بالقبول فى المشارق ، لهم مقاييس مضبوطة ، وموازين متقنة ، وقواعد دقيقة ، يطبقونها على ما يقبلون ويجمعون ، ودرج على ذلك الخلف عن السلف ، وسيبقى العمل عليه ، حتى تبدل الارض غير الارض والسموات .

وقد يقوم ببعض الاذهان ان أبا هريرة قد يجنح لكثرة أحاديثه ، الى رواية بعضها بالمعنى ، أو يبالغ فى جانب منها ، ويعززون رأيهم بما يرويه مما يصعب عليهم فهمه وهضمه من أمور تتعلق ببعض السمعيات وسواها ، وبموقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منه ذات يوم حين قال له : اكثرت من الرواية ، وأحربك أن تكون كاذبا ، ولتتركن الحديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أو لالحقنك بأرض دوس .

ولعل عمر رضوان الله عليه كان يريد حمله على تحرى الصدق والدقة التامة فيما يروى ، أو التانى فى الاكثار من رواية السنة ، حتى يتم جمع القرآن العظيم ، لئلا يدخل فيه ماليس منه على ان هناك من الصحابة من أكثر الرواية عن الرسول الكريم غير أبى هريرة ، واذا شغل سواه من كبار الصحابة بالحكم والخلافة غيرها ، فانه لم يشغل هو بسواها ، وعلى ذلك فلا غرو ولا عجب فى أكثاره منها . واحاديثه البعيدة عن ادراك بعض الناس أولها شراح السنة بما يقبله العقل السليم ، ولايتعارض مع أحكام الدين الحنيف .

وأدرك أبو هريرة الخلاف بين على ومعاوية ، وكان يحاول ما استطاع ان يرضى الطرفين ، فيغشى قصر معاوية فى دمشق الشام ، ويحاول معاوية اجتذابه لصفوف الامويين ، فيبالغ فى اكرامه ، ويقدم له الوان الاطعمة ومنها المضيرة ، من أنواع الحلوى الممتازة ، فكانت تعجبه ، حتى اطلق عليه بعض الكاتبين « شيخ المضيرة » واتهم بالتشيع للامويين ، ولكنه كان يقصد عليا بالكوفة ويصلى وراءه ، ويجله لمنزلته السامية فى الاسلام ، ومكانته عند خير الانام ، عليه الصلاة والسلام ، ولا يغيب عنه انه زوج الزهراء ، وابن عمه ، وصاحب المواقف المشرفة ، حتى كان من الرسول الاعظم بمنزلة هارون من موسى ، بيد انه لانبى بعده ، وقال فيه وهو لاينطق عن الهوى : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

ولقد عرف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، لابى هريرة موقفه من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، فأحلوه منهم فى المكان اللائق به ، واستعمله عمر بن الخطاب على البحرين ، ولما أثرى هناك وكثر ماله ، ناقشه فى ذلك وأمره برده لبيت المال ، فصدع بالامر ، ونفذ ما أشار به أمير المؤمنين . ولما بعث معاوية بسر بن أرطاة والى المدينة الى الحجاز ، استخلفه عليها أباهريرة ، وكان مروان بن الحكم واليها بعد ذاك ينيبه عنه فى ولايتها ، ثم اتخذ له قصرا بالعقيق ، وارضا حول قصره وبذى الحليفة ، فرغبت اليه مخدومته بسرة بنت غزوان ، أخت الامير عتبة بن غزوان ، فى ان يتزوج بها ، وتم ذلك ، وقضى بقيةحياته معها معززا مكرما ، مرعى الجانب من الحاكمين والمحكومين ، حتى مات بقصره بالعقيق ، فى السنة التاسعة والخمسين من الهجرة النبوية الكريمة ، عن ثمانين سنة . وحمل الى المدينة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه أمير المدينة المنورة حينذاك ، الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، عرفانا بقدره ، وجزاء له على ماقدمللاسلام والمسلمين .

ولما أخبر عمه معاوية بالشام عن وفاته ، كتب اليه يقول : أنظر من ترك ، وادفع الى ورثته عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، وافعل اليهم معروفا . ومن الانصاف للحقيقة والواقع ان نصرح هنا بأن ما صح من الاحاديث التى رويت عن ابى هريرة وجمعتها كتب السنة المعتمدة ، يتلالا فى جنباتها الاشراق ويلمع بين ثناياها نور النبوة الوهاج ، وتنفذ أشعتها الى العقول النيرة بنور الايمان واليقين وتحس لها حلاوة تفوق حلاوة الشهد ، وتستهوى على الافئدة ، وتأخذ بمجامع القلوب ، وتعمل عملها فى النفوس ، وتطبعها على مكارم الاخلاق وحميد الصفات .

وان للاحاديث الصحيحة ضوءا كضوء النهار ، وفيها ما فيها من البهجة والرونق ، أما ما يخالف القرآن ، والسنة المتواترة عن سيد ولد عدنان ، وقواعد الدين والايمان ، ولا يخضع لما يقع تحت الحس والمشاهد بالعيان ، فانه يحمل فى طياته ما تقشعر منه الابدان ، ويجعله ظاهر البطلان ، لمخالفة المنقول ، ومباينة المعقول ، ومناقضته الاصول ، وتقوم الشواهد الصحيحة ، وتجارب العلم الثابتة ، على رده لمجافاته الطباع السليمة ، وبعده عن معالم المجتمع الفاضل ، الذى رسمه النبى الكريم للمسلمين ، على اختلاف السنتهم والوانهم ، حتى يصيروا آمرين بالمعروف ، وناهين عن المنكر ، ومؤمنين بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبامام الهدى نبيا ورسولا .

ورضى الله عن أبى هريرة فى الاولين ، ورضى عنه فى الاخرين ، ورضى عنه فى الملا الاعلى الىيوم الدين ، ورضى عن أصحاب الرسول أجمعين ، فقد هداهم مولاهم الى الحق فاتبعوه ، والى طريق الهدى فسلكوه ، ولتبق ذكراهم على كر الغداة ومر العشى ، ومابقى فى الدنيا وفاء ، وماذكر الاخلاص والمخلصون .

أبو سليمان الخطابي

٣١٩ - ٣٨٨ هـ

ومفهومه لإعجاز القرآن الكريم

الأستاذ
أحمد جمال العمري

اعجاز القرآن الكريم موضوع من الموضوعات الهامة التى شغلت الفكر الاسلامى منذ القديم ، وأخذت حيزا كبيرا من اهتمامات علماء المسلمين فى مؤلفاتهم ·· فمنذ القرن الثانى الهجرى بدأت الدراسات الاسلامية تظهر حول هذا الموضوع هـــل القرآن معجز ؟ ولماذا ؟ وما أوجه الاعجاز فيه ؟

وقد بدأ هذه الدراسات ــ على ما نعلم ــ الفراء [ت٢٠٧هـ] العالم اللغوى النحوى الكوفى ، فأخرج للناس كتاب « معانى القرآن » · وقد اهتم فيه بالجانب اللغوى ، وعنى أكثر ماعنى بالقراءات وتوجيهها ، ثم أعقبه أبو عبيدة [ت ٢١٠ هـ] العالم اللغوى البصرى ، فأخرج كتاب « اعجاز القرآن » ، وقـــد اتجه فيه الى الكشف عن اسرار اسلوب القرآن وتابعهمـــا ابن قتيبة [ت ٢٧٦ هـ] حيث ألف كتاب «بيان مشكل القرآن» ، واهتم فيه كثيرا بالطابع الادبى واللغوى ، وان لم يفته الجوانب الفقهية ·

كل ذلك فى القرن الثالث ــ حتى اذا ما وصلنا الى القرن الرابع الهجرى ، نجد أنه كان من أخصب القرون فى تاريخ الدراسات القرآنية ، ففيه نضجت نظريات العلماء ، وتحددت اتجاهاتهم ، ووضحت مناهجهم فى تبيين غوامضه ، وكشف سر اعجازه · من أبرز من اهتموا بهذا الموضوع فى هـــذا القرن أبو سليمان الخطابى [٣١٩ ــ ٣٨٨ هـ] العالم الاديب، اللغوى المحدث ، فى رسالته « بيان اعجاز القرآن » التى ألفها ردا على المقولات والتأولات التى خاض فيها العلماء حول هذا الموضوع ، فظهرت رسالته حاوية العـــديد من الافـــكار الجديدة ، التى تساير التطور العلمى والثقافى والحضارى الذى ساد المجتمع الاسلامى ·

وقبل أن نتعرف على مفهوم الخطابى لاعجاز القرآن ــ الذى ضمنه رسالته ــ سنلقى الضوء على ذلـــك العالم الجليل ، لنتعرف عليه ، وعلى دراساته ، وجهوده فى سبيل العلم ·

أولا ــ الرجـــــل :

أما اسمه فهو : « حمد [أو أحمد] بن محمد بن ابراهيم » ، وأما كنيته فهى : « أبو سليمان » ، ولقبه الخطابى نسبة الى جده الاكبر زيد بن الخطاب أخى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وينسب الرجل أحيانا الى « بست » احـــدى مـــدن بلاد كابل الفارسية ، لانه ولد ونشأ وتوفى فيها ، لذلـــك يقولون : الخطابى البستى ·

وقد اتفقت المصادر على أنه ولد سنة ٣١٩ هـ ، وبدأ تعليمه فى مسقط رأسه ، شأنه شأن أنداده ، وحفظ القرآن والحديث حتى اذا يفع تحلق فى الحلقات العلمية التى كانت تعقد فى المساجد ، ويبدو أن هذا التعليم ، فى هذه الاماكن ، لم يكن ليروى ظماه او يشبع نهمه ، فشد رحاله الى مواطن العلم والعلماء ، وأخذ يطوف البلاد الاسلامية ، والمراكز الثقافيـــة شرقا وغربا ، ينهل من فيوض العلماء ، ويروى غلته ، يذكرون انه رحل الى العراق ، وتلقى العلم فى أكبر أقاليمها « البصرة وبغداد » وحفظ الحديث على الائمة فى كل مصر حل به ، وكل مكان نزل فيه ، ثم درس الفقه على أبى بكر القفال الشاشى ، وأبى على بن أبى هريرة ، وعدد كبير من فقهاء الشافعية · ودرس الادب واللغة على مجموعة من علماء بغداد مثل أبى عمر الزاهد ، وأبى العباس الاصم ، وأحمد بن سليمان النجار وغيرهم ، ثم شد رحاله الى أرض الحجاز ، حيث أقام بمكة فترة من الزمان ، عاد بعدها الى خراسان ، واستقر به المقام أخيرا فى نيسابور ، حيث عكف على التصنيف والتأليف ، بعد أن جمع من خلال جولاته الطويلة علما وفيرا من علماء عصره البارزين ، فى مختلف الاقطار والامصار ، وأصبح حجة فى المسائل العلمية والفقهية ، من كثرة ما أخذ ودرس ، واستوعب واجتهد ، وكان نتاج فكره من أخصب ما عرفته الثقافة الاسلامية

ذاع صيته ، وصار مرجعا هاما يقصده الناس ، ويتحلقون حوله طلبا لعلمه ، وانتفاعا بمحفوظه الواسع .

كان من أبرز تلاميذه – الذين رووا عنه : أبو بكر محمد ابن الحسين المقرىء ، وأبو الحسن على بن الحسن الفقيه ، وأبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسى ، وأبو عبد الله محمد بن على النسوى ، وأبو حامد الاسفراييني ، والحاكم النيسابورى ، وغيرهم . وقد اعترف الجميع بغزارة علمه وتقواه وورعه ، ووصفوه بأنه « امام فاضل كبير الشأن ، جليل القدر » واشادوا بفكره وحفظه ورجاحة عقله .

وفى أخريات حياته ، يحن الخطابى الى موطنه ، فينتقل الى بلاد ما وراء النهر ، ومنها الى مسقط رأسه « بست » ، ليقيم بها بقية حياته ، التى قاربت السبعين عاما ، حتى اختاره الله الى جواره سنة ٣٨٨ هـ .

آثاره : وقد ترك الخطابى آثارا قيمة ، معظمها فى العلوم الدينية ، خاصة الحديث والفقه ، حفظ القدر لنا بعضها ، وسقط البعض الاخر من يد الزمن . وأهم آثاره :

١ – معالم السنن . وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية

٢ – غريب الحديث . وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة عاشر افندى باستانبول .

٣ – شرح أسماء الله الحسنى .

٤ – شرح الادعية المأثورة .

٥ – شرح البخارى .

٦ – كتاب الاعتصام . وتوجد منه نسخة مخطوطة بالاسكوريال .

٧ – اصلاح غلط المحدثين . وتوجد منه نسخة مخطوطة بالاستانة

٨ – كتاب أعلام الحديث . وتوجد منه نسخة مخطوطة بالموصل .

٩ – بيان اعجاز القرآن . وقد طبع بدار المعارف بمصر بتحقيق الاستاذين محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام.

١٠ – كتاب معالم التنزيل .

ثانيا – مفهومه لاعجاز القرآن :

يقرر الخطابى فى بداية رسالته حول اعجاز القرآن – أن الناس قصر فهمهم عن ادراك السر الحقيقى وراء هذا الاعجاز وأكثروا الكلام فى هذا الباب قديما وحديثا [حتى عصره] ، وذهبوا فيه كل مذهب ، ولكن أغلبهم لم يقف عند الحقيقة التى أرادها الله من جعل القرآن الكريم معجزة الرسول الامى صلى الله عليه وسلم ، فتعذر عليهم معرفة وجه الاعجاز على وجه اليقين . ذلك أن النبى عليه السلام ، بعد أن تلقى وحى ربه قرآنا عربيا ، تحدى به العرب جميعا على اختلاف قبائلهم – وهو الذى نزل بأفصح لغاتهم ولهجاتهم – « تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه » ، وقد ظل – صلى الله عليه وسلم – يطالبهم به أكثر من عشرين عاما ، مظهرا لهم النكير ، زاريا على أديانهم ، مسفها آراءهم وأحلامهم حتى نابذوه وناصبوه الحرب . وقد كان قومه – قريش خاصة – موصوفين برزانة الاحلام ، ووفارة العقول والالباب ، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع ، والشعراء المفلقون . وقد وصفهم الله تعالى فى كتابه بالجدل واللدد ، فقال سبحانه : [ماضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون] [الزخرف ٥٨] ، وقال سبحانه « وتنذر به قوما لدا » « مريم ٩٧ » .

ويسرد الخطابى الاسباب التى خاض فيها القوم ، معتقدين أنها وحدها أساس اعجاز هذا القرآن ، فيقول : « ذهب قوم الى أن العلة فى اعجازه الصرفة – أى صرف الهمم عن المعارضة وان كانت مقدورا عليها ، غير معجوز عنها ، الا أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجارى العادات صار كسائر المعجزات .

ثم يذكر حقيقة هامة ، وهى أن المعجزة ليس بحجمها ولكن بقيمتها فيقول :

« وليس ينظر فى المعجزة الى عظم حجم ما يأتى به النبى ، ولا الى فخامة منظره ، وانما تعتبر صحتها بأن تكون أمرا خارجا عن مجارى العادات ناقضا لها ، فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق ما جاء بها » .

ويفند الخطابى هذا الرأى قائلا : « وهذا وجه قريب ، الا أن دلالة الاية تشهد بخلافه ، وهو قوله سبحانه : [قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا] [الاسراء ٨٨]

ثم ينتقل الى رأى آخر ارتآه بعض العلماء – فيقول :

« وزعمت طائفة أن اعجازه انما هو فيما يتضمنه من الاخبار عن الكوائن فى مستقبل الزمان ، نحو قوله سبحانه : [الم ، غلبت الروم فى أدنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين] [الروم ١ – ٣] ، وكقوله سبحانه : [قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد] [الفتح ١٦] .

ونحوهما من الاخبار التى صدقت أقوالها مواقع أكوانها .

ويرد الخطابى على ذلك قائلا : انه لا يشك فى أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع اعجازه ، ولكنه ليس بالامر العام الموجود فى كل سورة من سور القرآن ، وقد جعل الله سبحانه فى صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها ، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثلها ، فقال : [فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين] [البقرة ٢٣]

ثم ينتقل الى أبرز الاراء الوافدة عن العلماء ، وهو الرأى القائل : ان سر الاعجاز يرجع الى بلاغته ، ويحلل هذا الرأى تحليلا دقيقا ، محددا عناصر الاعجاز فى كتاب الله ، مقدما ذلك بتمهيد يتحدث عن قضية الذوق الادبى ، ومدى الاستناد الى ارتياحه العام دون تحديد فقال :

« وزعم آخرون أن اعجازه من جهة البلاغة ، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا فى تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد ، وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له واحاطة العلم به ، ولذلك صاروا اذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التى اختص بها القرآن ، الفائقة فى وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذى يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا : انه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم مباينة القرآن غيره من الكلام ، وانما يعرفه العالمون عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده ... وقد توجد لبعض الكلام عذوبة فى السمع ، وهشاشة فى النفس لا توجد مثلها لغيره ، والكلامان معا فصيحان ، ثم لا يوقف الشىء من ذلك على علة . قلت : وهذا لا يقنع فى مثل هذا العلم ، ولا يشفى داء الجهل به ، وانما هو أشكال أحيل به على ابهام » . فالخطابى لا يرضى أن يجعل الارتياح النفسى وحده سبب الاستحسان الادبى الا اذا ارتبط بتعليل وتدليل .. وهذا ما تكفل الخطابى بتفسيره وتوضيحه حين تناول أسلوب القرآن بالتحليل فقال : « ان أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها فى نسب البيان متفاوته ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق المرسل ، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود ، دون النوع الهجين المذموم ، الذى لا يوجد فى القرآن شىء منه البتة .

فالقسم الاول : أعلى طبقات الكلام وارفعه ، والقسم الثانى : أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث : أدناه وأقربه ، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الاقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها بشعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين ، لان العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة فى الكلام تعالجان نوعا من الوعورة ، فكان اجتماع الامرين فى نظمه مع نبو كل منها على الاخر فضيلة خص بها القرآن ، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بينة لنبيه ، ودلالة على صحة ما دعا اليه من أمر دينه » .

هذه واحدة .. وواحدة أخرى — أوضحها الخطابى — وهى أن الاسلوب الادبى يعتمد على ثلاثة أشياء ، لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط له ناظم . فاذا تأملت القرآن وجدت هذه الامور منه فى غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئا من الالفاظ افصح لا اجزل ولا اعذب من الفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تاليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه ، وأما المعانى — فلا خفاء على أى عقل أنها هى التى تشهد لهـا العقول بالتقدم فى أبوابها ، والترقى الى أعلى درجات الفضل فى نعوتها وصفاتها ، وقد توجد هذه الفضائل على التفرق فى أنواع الكلام ، فاما أن تكون مجموعة فى نوع واحد منه ، فلم توجد الا فى كلام العليم القدير .. ويتمم الخطابى هذه الفكرة بقوله : « ان القرآن انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ فى أحسن نظوم التاليف ، مضمنا أصح المعانى ، من توحيد له عزت قدرته ، وتنزيه له فى صفاته ، ودعاء الى طاعته ، وبيان بمنهاج عبادته ، من تحليل وتحريم ، وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وارشاد الى محاسن الاخلاق ، وزجر عن مساوئها ، واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه » .

بيد أن الخطابى لم يقف — فى رسالته — عند حدود التفنيد والتحليل ، بل يضع بين يدى القارىء حقيقة علمية هامة — يضمنها مقالته — تعد من أروع وأمتع الحقائق على الاطلاق ، وأقربها الى عقول الناس وقلوبهم ، فيقرر أن القدماء جميعهم كانوا يقفون عند الاطار الظاهرى ، دون أن يتعمقوا لب المسائل أو يتلمسوا جذورها ، يقفون عند المظهر ، ولا يفطنون الجوهر .. فيقول : ان هناك « فى اعجاز القرآن وجها آخر ، ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه الا القليل من آحادهم ، وذلك « صنيعة بالقلوب وتاثيره فى النفوس » ، فانك لا تسمع كلاما غير القرآن ، منظوما ولا منثورا ، اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ، ومن الروعة والمهابة فى أخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى اذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها » .

ويضرب الخطابى لذلك العديد من الامثلة — منها : « أن أعداء الرسول — صلى الله عليه وسلم — من رجال العرب وفتاكها ، أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت فى مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الاول ، وأن يركنوا الى مسالمته ، ويدخلوا فى دينه ، وصارت ، اوتهم موالاة ، وكفرهم ايمانا .

فالخطابى بهذا المفهوم يكون اول من أشار الى العامل النفسى ، المحرك لقلب الانسان وعقـله ، المخاطب لاعمق الاحاسيس فى نفسه وكيانه ، وتلك لعمرى — من أعظم آياته ودلائل معجزاته ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هـذا التأثير فى قوله : [لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله] [الحشر ٢١] وقوله : [الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منـه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله] [الزمر ٢٣] وقوله : [واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا] [الانفال ٢] وقوله : [واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق] [المائدة ٨٣]

وخلاصة ما يمكن أن نصل اليه من دراستنا لمفهوم الخطابى حول اعجاز القرآن : انه يناقش فكرة الصرفة ، وفكرة تضمن القرآن للاخبار المستقبلة ، ولا يرتضيهما شرحا لاسرار الاعجاز ثم يناقش القائلين بأن سر اعجازه يكمن فى بلاغته ، مناقشة علمية موضوعية ، وهو وان أيدهم فى ذلك الا أنه عاب عليهم اعتمادهم على التقليد ، وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الاقناع ، لذلك اجتهد هو فى توضيح الاعجاز البلاغى فى القرآن الكريم : ودلل على ان القرآن يجمع فى سوره وآياته امـورا تعجز عنها قوى البشر ، ثم فند العديد من الاراء التى أوردها المعترضون من شبه ضد أسلوب القرآن .

على أن أهم مافى رسالة الخطابى ، ما أثبته فى نهايتها ، فقد قدم وجها آخر للاعجاز غاب عن كل الذين تناولوا هـذا الموضوع قبله ، وهو أثر القرآن فى القلوب وتاثيره فى النفوس والعلاقة بين النواحى الروحية والنفس الانسانية ، فكانت نظرته هذه أعمق النظرات فى موضوع اعجاز القرآن ، وكانت فكرته أقرب الافكار الى القلوب والاذهان .. وهذه الفكرة هى بعينها التى أقام عليها — من بعد — عبد القاهر الجرجانى بحثه فى أسرار البلاغة ، حيث اعتبر أن مصدر البلاغة فى الكلام : تأثير فى النفوس .

هذا هو الخطابى ، وهذه هى مقالته ، [الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما] ، [ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا] .

من أعلام محافظة دمياط في القرن الماضى وأوائل هذا القرن

تعد مدينة دمياط ، من أعرق المراكز الثقافية الاسلامية في مصر ، ومن أكثرها انجابا للعلماء الاجلاء ، الذين أسهموا بنصيب وافر ، فى اثراء العلوم الاسلامية ونشرها .

ومن أشهر مساجدها ، التى كانت تؤدى تلك الرسالة ، ذلك الذى يعرف باسم [جامع البحر] على شاطىء النيل ، وكان يضم فى القرن الماضى عددا من حلقات العلوم الاسلامية واللغوية والادبية ، التى يتصدرها بعض العلماء من ابناء المدينة ، والمنطقة المحيطة بها ، فكان أشبه بمعهد دينى كبير ، يؤمه الطلاب من كل صوب ، قبل ان يرحلوا الى مدينة طنطا لاستكمال علومهم بالجامع الاحمدى ، ثم الى القاهرة ، للاستزادة من هذه العلوم ، بالجامع الازهر الشريف .

الأستاذ ابرهيم محمد الفحام

وقد ظل [جامع البحر] — الذى كان يضم أماكن لايواء العلماء ، والطلاب الغرباء - يؤدى رسالته هذه ، مستقلا عن الجامع الازهر ، حتى الحق به عى سنة ١٨٩٥ .

« وكانت تلك الرسالة الكريمة ، تؤدى أيضا بالمسجد المتبولى ، الذى عرف كذلك بالمدرسة المتبولية ، نسبة الى العارف بالله الشيخ ابراهيم المتبولى ، حتى ألحقت الدراسة فيها — بدورها — بالجامع الازهر ، وانضم النشاط العلمى بالمسجدين معا فى سنة ١٩٠٩ ، حيث تبلورا فى المعهد الدينى الحالى بدمياط

وكان بعض العلماء من أبناء المدينة يؤدون واجبهم فى ذلك المجال ، الى جانب ممارستهم لنشاطهم الصناعى والتجارى ، الذى ورثوه عن آبائهم .

ومن أولئك العلماء الشيخ شمس الدين محمد بن مصطفى بن حسن الدمياطى ، المعروف بشيخ علماء دمياط ،وقدولد بها فى سنة ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م وتوفى بها سنة ١٢٨٧ هـ [١٨٧٠] م . وكان قد تلقى بتلك المدينة علومه الاولى ، قبل ان يرحل لاستكمالها بالجامع الازهر . ثم عاد الى موطنه ، حيث اشتغل بصناعة الحرير ، والاتجار فيه ، دون ان يشغله ذاك عن الاستزادة من العلم ، وأداء واجبه فى مجالى التعليم والارشاد ، فتخرج على يديه كثير من العلماء الافاضل .

وكان قد أصيب بالصمم ، فابتكر طريقة للتفاهم مع أصحابه وطلابه ، وكانوا يخاطبونه بها .

وقد وضع — رحمه الله — بعض المؤلفات النافعة ، ومنها رسالة فى مبادىء علم تفسير القرآن الكريم ، وشرح كتاب اللمعة فى حل الكواكب السبعة ، فى الميقات ، وحاشية على شرح الملوانى على السمرقندية ، الى غير ذلك من الحواشى والشروح .

وقد تولى مشيخة العلماء بالمدينة بعده ، ولده الشيخ عبد الحى الخضرى ، ظل يؤدى رسالته اكثر من ٣٠ سنة ثم خلفه ولده الشيخ عبد الرحمن ،الذى ظل يؤدى رسالته اكثر من ٢٠ سنة أخرى .

وقد أسهم فى ازكاء الحركة العلمية والثقافية بالمدينة بعض رجال الادارة ، من ذوى الميول العلمية والادبية ، كالمحافظين ووكلائهم ، الذين تقربوا الى العلماء ، وشجعوهم ، وعقدوا الندوات العلمية فى دورهم : وفى المساجد .

وفى مقدمة هؤلاء العالم الجليل [على آصف باشا] الذى تولى محافظة دمياط سنة ١٨٨٨ وكان ذا المام واسع بالعلوم الشرعية واللغوية ، وقد أمضى فترة طويلة من حياته الدراسية بالجامع الازهر ، حيث تعرف على كثير من علمائه : وصادقهم ، ومنهم امام الشيخ أحمد الحلوانى ، نزيل بلدة [رأس الخليج] القريبة من دمياط .

ولذلك ، فما ان عين محافظا لدمياط ، حتى دعا الشيخ الحلوانى لمعاونته فى احياء الحركة العلمية بالمدينة ، وتعاون معهما فى ذلك غيرهما من علماء تلك المنطقة ، فعقدت الندوات العلمية العديدة

التى كانت تناقش فيها الموضوعات الشرعية والادبية .

وقد ضمن الشيخ [أحمد الحلوانى] بعض آراءه التى طرحها فى تلك الندوات، حول ما أثير من الموضوعات العلمية بعض كتبه مثل كتابين [الحكم المبرم] و [الاشارة الاصفية] .

ومن أدباء دمياط وعلمائها الذين تخرجوا فى تلك الندوات ، وأفادوا من علمائها [سليمان عياد] و [عبد الفتاح الدرس] .

وامتد نشاط أولئك العلماء الى البلدان المجاورة ، حيث كان يدعوهم اليها بعض أعيانها وعلمائها ، من المهتمين بالدراسات الاسلامية ، أمثال [الشيخ شلبى المقدم] عمدة [فارسكور] الذى استمد ثقافته الدينية من الجامع الازهر، وكان يدعو علماء دمياط وفارسكور وغيرهما لحضور ندواته العلمية الحافلة. وكان من أشهر روادها الاستاذ متولى حشيش ، مأمور مركز فارسكور ، من أبناء بلدة [شربين] القريبة من تلك المنطقة .

كما كان يدعى الى تلك الندوات — التى كان يتصدرها الشيخ أحمد الحلوانى عادة — [الشيخ محمد الجمل] شيخ علماء [المحلة الكبرى] وغيره من علماء اقليمى الدقهلية والغربية .

وقد نعمت دمياط فى آواخر القرن الماضى بعالم آخر من اعلام الادارة ، الذين يتمتعون بقدر واف من الثقافة الدينية والادبية ، وهو [مصطفى بك وجدى] الذى عين وكيلا لمحافظ دمياط نحو ١٨٩٤ . وكانت ايامه بالمدينة حافلة بجلسات العلم ، التى يؤمها العلماء من كل صوب .

وفى ذلك الوسط المبارك ، شب ابنه العلامة (محمد فريد وجدى) صاحب المؤلفات الاسلامية العديدة . الذى كان يشترك فى الندوات العلمية ، التى يعقدها والده بمنزله ، وهو لم يزل فى سن الفتوة ، فانتابته — فى البداية — وساوس الشك ، الا أنه لم يلبث ان اجتاز تلك المحنة بسلام ، وصار من أرسخ الناس ايمانا ، بفضل بصيرته الواعية ، ومطالبته العديدة الواعية ، فى مختلف العلوم .

وقد وصف تلك التجربة بقوله :

[كان أهم ماوجهنى الى البحث فى العلوم الدينية ، حادث الشك فى العقيدة، الذى أدى بى الى الشك فى كل شىء ، حتى فى الدين وعلومه . فقد كنت فى من السادسة عشر طالبا فى المدرسة التحضيرية . وكان ابى مصطفى وجدى موظفا فى الحكومة المصرية . حدث حينئذ ان اختير وكيلا لمحافظة دمياط ، فكان لابد من انتقالى مع عائلتى الى هذه المدينة ، التى اشتهر أهلها بدماثة الاخلاق ، والتفقه فى الدين ، وميلهم الى الاداب .

ولما نزلنا هذه البلدة مع ابى ، أقبل علماؤها وكبار أهلها يرحبون به ، فكان يجتمع فى دارنا عدد كثير منهم . وكانت تدور اثناء المجلس عدة مناقشات دينية ، وجدت فيها مجالا للبحث والتفكير. غير اننى كنت اذا ناقشت أحد العلماء فى مسألة تتعلق بالكون والخلق ، أسرع ابى لقفل باب المناقشة ، وأمرنى بألا أخوض فى المسائل الدينية ، أو أبدى فيها رأيا ، فكنت امتعض لذلك : وأرى ان فيه حجرا على العقل بلا مسوغ ، وأخذت أبحث عن السبب الذى أدى بهم الى هذا الجمود ، وقلت فى نفسى لابد ان يكون مايدرسونه من الكتب عقيما .

ومن هنا تزلزلت عقيدتى ، وشرع الشك يتسرب الى نفسى ، حتى صرت لا أرتاح الى رأى واحد ، يتضمنه كتاب : ولا أقتصر على فكرة معينة ، يجتهد بعض العلماء فى اثباتها ، بما أوتى من قوة الحجة ، وساطع البرهان .

وجعلت اتناول بالقراءة والدرس ، جميع الكتب الدينية والكونية والاجتماعية. وسائر مايتعلق فيها بعلم النفس ، وأكببت على ذلك عدة سنين ، فاكتسبت علما غزيرا ، واتسع امامى نطاق الحياة ، وجال نظرى فى الكائنات جولات افادتنى فيما اتناوله بالبحث والدرس ، حتى صرت لا اقنع بفكرة ، دون ان اعنى بدرسها وتمحيصها ، معتمدا فى ذلك على تجاربى الذهنية التى مرت بى .

وقد افادنى هذا الشك استقلالا فى الفكر ، واعتمادا على النفس ، ورغبة فى استعياب مايقع بين يدى من الكتب على اختلاف أنواعها بصبر وجلد ، كما افادنى فى البحث ، حتى زال الشك عنى ، وارتاحت نفسى] .

وكان من بواكر ثمار دراساته فى تلك المجالات كتابه [الفلسفة الحقة] وكتاب اخر ألفه باللغة الفرنسية — وهو بدمياط — دافع فيه عن الاسلام ،ورد على التهم التى الحقها به المفترون زورا ، وأثبت بالادلة الحسية ، وبالاستناد الى البدائه المسلم بها ، ان الاسلام [روح المدينة الحقيقية ، وعين أمنية النفس البشرية ، ونهاية ماترى اليه القوة العقلية] .

وقد التقى العلامة [السيد محمد رشيد رضا] صاحب [المنار] بفريد وجدى فى [دمياط] فى تلك الاونة ، وتباحثا معا فى العلوم الاسلامية ، وكتب عنه فى رسالة بعث بها الى صديقه العلامة [الشيخ عبد القادر المغربى] بالشام فى أوائل ١٨٩٨ وتحدث فيها عن جولاته فى بعض مدن الوجه البحرى ، ومادار بينه وبين علمائها ، فأشار الى دمياط ، ومن لقيه فيها من العلماء ، حتى وصف فريد وجدى بأنه [شاب زكى نبيه بصر اهل دمياط بحالة الاسلام وكانت وجهته مثلنا دينية ، يطالع الاحياء — اى احياء علوم الدين للغزالى — وله اعتناء بالفلسفة] .

ووصف مدينة دمياط انها [قوية فى التمسك بالدين ، لانظير لها فى مدن مصر] .

وقد أسفر النشاط العلمى فى مدينة دمياط ، عن انشاء واحدة من أقدم الجمعيات الادبية فى مصر ، وهى الجمعية الادبية الشرقية] التى نشر خبر افتتاحها فى عدد مارس ١٨٩٧ من مجلة [الهلال] .

المكتبة الإسلامية

كتاب الاعتبار

تأليف الأمير

أسامة بن منقذ

عرض وتحليل

الدكتور علي صافي حسين

يعد هذا الكتاب من أجل كتب التراث الاسلامى وأنفعها فى مجال القتال والكفاح والنضال فى سبيل الزود عن زمار الاسلام والجهاد من أجل حماية الاعراض والاوطان .

عرض وتحليل الكتاب :

انه كتاب جليل القدر عظيم الفائدة فى تاريخ بطولات الاسلام وفى تبيان أمجاد العرب فى مصر والشام وما قاموا به من ضروب الكفاح والنضال فى سبيل تحرير الاوطان الاسلامية من دنس المعتدين الاثمين من جحافل الفرنجة وجيوش الصليبيين ثم هو كتاب من أهم المراجع العالمية فى تاريخ المقاومات الشعبية والحروب الوطنية ذات الصبغة الفدائية وقد قرأت هذا الكتاب فى دقة وانعام فوجدته يتألف من جزئين كبيرين • الاول : فى ذكر أيام أسامة بن منقذ ووقائعه وحروبه وغزواته فى شمال سورية وجنوبها ضد عساكر الرومان •

وكيف حرر المسلمون بقيادة أسامة قلعة شيزر وكيف استولى هذا الامير بعد ذلك على حصن كيفا .

وفصول هذا الجزء تفيض بالحماسة الدينية والحمية الوطنية وتزخر بأشعار أسامة وقصائده التى أنشدها فى وصف المعارك التى خاضها ضد الفرنجة والغزوات التى قادها ضد الرومان • ثم هو أعنى أسامة بن منقذ قد وصف فى هذا الجزء سيرة حياته ورحلاته وقص فيه حكايات مهمة عن شجاعته فى تلك الايام وما صادفه من صروف الاقدار مع بيان ما كانوا يألفونه من العادات والاحوال فى ذاك الزمان •

اما الجزء الثانى من هذا الكتاب فهو فى بيان دور أهل الشام وما قاموا به من أعمال البطولة وضروب النضال فى قتال الفرنجة ومحاربة الرومان اذ يصور لنا كيف كانوا يخرجون جماعات اثر جماعات فى تلك الايام فى جنح الظلام لمهاجمة جيوش الفرنجة وحصون الرومان فى انطاكية وطرسوس وطرابلس وصور وغير ذلك من المدن والامصار فى بلاد الشام ثم ان هذا الجزء يضع أيدينا على أصل نشأة المقاومة الشعبية وحرب العصابات ضد الغزاة وأن أهل الشام كانوا من أسبق شعوب العالم الى تنظيم المقاومات الشعبية والقيام بالاعمال الفدائية فى سبيل الدفاع عن العرض والمال والوطن وجملة القول فى هذا الكتاب أنه بجزئيه يدور حول الجهاد والنضال والحرب والقتال ضد الغزاة المستعمرين من الفرنجة والصليبيين

اهتمام دور النشر بهذا الكتاب :

لقد عنى بتحقيق وطبع هذا الكتاب مختلف دور النشر الكبرى فى شتى أنحاء العالم فقد حققه الدكتور فليب ؟ بأمر من جامعة برستول فى أمريكا كما نشره وعنى بتحقيقه العلامة حرتويك ويرنبرج ومعه ترجمة الى اللغة الفرنسية كما قام الاب جورج شورمان بترجمة هذا الكتاب الى اللغة الالمانية والنسخة التى بين أيدينا من طبع جامعة برستول الامريكية •

التعريف بالمؤلف :

وبعد أن تناولنا هذا الكتاب بالعرض والتحليل يجمل بنا أن نعرف جمهرة القارئين بشخصية مؤلف هذا الكتاب فنقول وبالله التوفيق •

ان مؤلف كتاب الاعتبار كان ولم يزل ذا شهرة عريضة وصيت بعيد ــ ولا عجب ــ فهو الامير أسامة بن منقذ الذى جمع بين السيف والقلم والعلم والعمل اذ كان كاتبا جهبذا وشاعرا مغلقا ــ من جهة ــ وقائدا محنكا ومجاهدا مظفرا ــ من جهة أخرى ــ وقد أرخه وترجم حياته عدد غير قليل من أصحاب التراجم والطبقات ومن صنفوا فى تاريخ الاسلام وكتبوا فى مجال التعريف بالادباء والشعراء بوجه عام ومن جمعوا بين الزعامة العسكرية والادبية بوجه خاص نذكر منهم على سبيل المثال العماد الاصفهانى وابن خلكان وصلاح الدين الصفدى وجلال الدين السيوطى وابن العماد الحنبلى • فقد أجمع هؤلاء وغيرهم على أن نسب مؤلف هذا الكتاب وكنيته ولقبه هكذا أبو المظفر أسامة ابن مرشد ابن على بن مقلد بن نصير بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى الملقب مؤيد الدولة محب الدين ومعنى هذا أن اسمه أسامة واسم أبيه مرشد وأنه اشتهر بابن منقذ الذى هو جد أبيه وأن كنيته أبو المظفر لكثرة ظفره بالاعداء وانتصاره عليهم وأن لقبه مزدوج لانه ملقب بلقبين اثنين الاول مؤيد الدولة لانه أسهم فى تشييد دولة الفاطميين وتوطيد أركانها فى بلاد الشام والثانى محب الدين • قال المؤرخون :

انه لقب بذلك لكثرة قتاله وشدة جهاده فى سبيل الدفاع عن الدين ضد الفرنجة والصليبيين •

ــ هذا ــ وقد أجمع المؤرخون على أنه ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة هجرية فى حصن شيذر بالقرب من مدينة حماة فى شمال سورية اذ كانت تلك القلعة موئلا لبنى منقذ أسرة هذا المؤلف وأنهم كانوا يزودون عنها هجمات جحافل الفرنجة وعساكر الروم ويذكر ابن العماد الحنبلى أن أسامة بن منقذ هذا قد تلقى علومه الدينية واللغوية فى ذلك الحصن ثم ارتحل فى سبيل الاستظهار الى دمشق وكانت داره معروفة بالغوطة وقد اشتهر أمره فى دمشق وذاع صيته حتى شاءت الاقدار أن يترك أسامة بلاد الشام الى أرض وادى النيل حيث أقام فى رحاب الفاطميين أمدا غير قصير كان فيه أميرا وآمرا ذا حظوة كبرى ومنزلة عظيمة لدى خلفاء الفاطميين وقد ظل على ذلك الحال حتى آلت الامور فى مصر الى الوزير الصالح بن روزيك فلم يرضى أسامة بن منقذ عن ذلك فترك مصر وذهب الى دمشق وكان الرومان قد استولوا فى تلك الايام على حصن شيزر فاخذ أسامة يحارب الرومان ويقاتلهم أشد القتال حتى أجلاهم عن تلك القلعة ثم انتهى به الامر الى الاقامة فى حصن كيفا وقد ظل به حتى استولى الملك الناصر صلاح الدين الايوبى على دمشق وكان معجبا بالامير أسامة بن منقذ فاستدعاه الى دمشق وقربه اليه وأدناه من مجلسه وقد ظل أسامة أثيرا لدى صلاح الدين حتى مات رحمه الله سنة أربع وثمانين وخمسمائة هجرية • والمؤرخون مجمعون على أنه دفن فى جبل قاسيون •

آثاره :

بعد أن تكلمنا على حياة أسامة بن منقذ من الناحيتين العسكرية والسياسية ننتقل الى الحديث عن آثاره العلمية والادبية فنقول انه كان ذا أثر كبير فى تطوير الشعر العربى من الناحيتين الشكلية والموضوعية حيث جدد فى أساليب الشعر ومناهجه وغير موضوعاته وجدد أغراضه ــ ولا عجب ــ فقد كان شعره كله أو على الاقل جله فى وصف الحروب الاسلامية فى مصر والشام ضد جيوش الفرنجة والرومان وفى حصن ابناء العروبة والاسلام على قتال الفرنجة وحرب الصليبيين من أجل المحافظة على الديار والزود عن الزمار وكان له مع ذلك كله مؤلفات كثيرة ومصنفات عديدة فى اللغة والادب والتاريخ نذكر منها على سبيل المثال كتاب البديع فى نقد الشعر ولباب الاداب ولعل أنسب مؤلفاته لظروفنا الحاضرة وأجدرها بالعناية والقراءة والدراسة فى هذه الايام هذا الكتاب الذى نحن بصدد عرضه وتحليله فى هذا المقال •

الانسان والمسئولية في الإسلام

تأليف
الأستاذ عبد المحسن المنشاوى

عرض وتلخيص محمد فاوى عسر

كلمة انســـان مشـــتقة من الانس ، والانس هو الطمأنينة والامن والمحبة ، وقد اودع الله فى الانســـان السر الكبير الذى تتيه فيـــه العقول وتحتـــار فيه الالباب ــ فسبحان من اودع فيه هذا السر وخلقه وسماه انسانا .

كانت هـــذه الكلمات الطيبة الجامعة هى فاتحة كتاب الاستاذ احمد عبد المحسن المنشاوى ــ العدد ١٦٣ فى سلســـلة كتب اسلامية التى يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاســـلامية ــ وللفـــائدة المرجوة رأيت ان أقدم عرضـــا للكتـــاب أرجو أن يكون صورة طيبة له .

والانسان بهذا المفهوم هو مخـــلوق وجبت عليه المسئولية بكامل أبعـــادها ومعانيها وأهدافها . وجعله الله خليفة له على الارض . هذا الكوكب الذى شاء الله تعالى ان يكون اعظم الكواكب قدرا ومكانة وشأنا . وقد أودع الله فى هذا الكوكب من الاسرار مالم يجعله فى غيره من الكواكب ــ سواء منها ما كان فى جوفه أو ما يظهر على سطحه ــ وعندما جاء قوله تعـــالى للملائكـــة « انـــى جاعل فى الارض خليفـــة » . فقد ذكر الانسان بوظيفته ومسئوليته الكبرى حتى يقع هذا المخلوق فى التعظيم والتقـــدير والاحتـــرام فـــى افئدة الملائكـــة وفى هذا أيضا اشارة الى أن المسئولية خلقت قبل الانسان وتقررت قبل وجوده . وبالتالى فان تقييم الانسان وتقديره يكون بتقديره للمسئولية ــ وبهذا فقد أودع الله تعالى فى الانسان تلك القوة التى يستطيع بها أن يحرك الحياة . وهذه القوة هى قوة العلم أولا وقوة العمـــل ثانيا .

ولقد وهب الله تعالى القوتين لاول مخلوق هو آدم عليه السلام . فعلمه وأقدره . وبهذا كان تفضيل آدم على الملائكة والجن فاسجدهم الله له سجود تقدير واحترام . ولم يعط الله لادم كل العلم وانما أعطاه العلم اللازم لتحريك الحياة فى الارض .

وكل قوة من القوتين لابدلها من مقومات حتى تتحقق . فقوة العلم تحتـــاج الى وسائل الادراك وسهولة البيان . وقوة العمل تحتاج الى هذا القوام الذى عليه الانسان الذى يجعله اقدر على الحركة والعمل . ولقد أدرك الانسان منذ هبوطه على هذا الكوكب مسئوليته عن نفســـه ومسئوليته عن الحياة ومسئوليته عن هذا الكوكب . فاخذ يسعى فى سبيل رزقه ورزق أولاده وأسرته وأخذ يصارع أعداء الحياة من وحوش ضارية وغيرها ـــ يسخر بعضها ويتجنب بقدر الامكان شر البعض الاخر .

ولمـــا كان الامن لابد منه للانسان فى هذه الحياة حتى يتقدم العمران وتزدهر الحياة وحتى تتحرك الارض حركتهـــا المثمرة .

والعدل لابد منـــه على طريق الانسان يساند الامن ويتضامن معه حتى لا يعرقل الظلم سير قافلة الحياة . وبهذا يقرر القرآن الكريم القصاص العادل حتى لا تتوقف قافلة الخلافة عن سيرها .

وبالمفهوم العام الذى ادركه الانسان فى مسئوليته عن الحياة أدرك أن مسئوليته الكبرى هى مساندة المصلحين . فلم يتخل عنهم بل أسهم بنصيب كبير من المساندة والحماية لهـــذه الدعوات .. والايات فى كتاب الله كثيرة تثبت أن الانسان آمن برسالته وبمسئوليته فى هذه الحياة ولم يكتف بالايمان وانما قـــرنه بالعمل والجهد .

والدين هو أعز ما يملك الانسان ــ ولا حياة لمن فقد دينه او قيمة عقيدتـــه ــ ومسئولية المسلم عن دينه هى رسالته فى الامة الاسلامية ، وهى تقييمه فى جماعة المسلمين ــ وبمقدار ما يتحمل من تلك المسئولية يكون انسان الاسلام وعضو جماعة المسلمين ــ وتتركز هذه المسئولية فى قيمة اعتقاده فى دينـــه وفى قيمة اعتقاده فى مقدساته وفى قيمة أصول دينه .

أما قيمة اعتقاده فى دينه فهو ايمانه وتصديقه ويقينـــه بانه الدين الحق ــ لا تناقض فى اصوله ولا تفـــاوت فـــى معتقداته وقواعده ولا شك فى مقدساته ولا اختلاف فى شرائعه وأموره تقوم كلها على الوحدانية الخالصة والتنزيه الكامل لله وحده لا شريك له ــ والمسئولية هنا أخطر من أن تكون كلمة تقال وانما هى رسالة تحتاج الى تأصـــيلها فى القلب وتثبيتها فى اليقين وتركيزها فى العقل والحفاظ عليها من كل مايزعزعها مـــن فتن الحياة وهزاتها وخاصة اذا علمنا انه لابد لكل مؤمن من فتنة وقدر يمتحن به فى ايمانه ويقينه ــ يقول سبحانه وتعالى (الم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين] . ولكى تتأصل العقيدة فى القلب وتزداد قوة لابد وأن يكون النظر الى آيات الله وفى ملكـــه وخلقه دائما من المؤمنين .

والايمان له ستة أركان هى التصديق بالله تعالى والتصديق بملائكته والتصديق برسله والتصديق بكتبه والتصديق بيوم القيامة والتسليم بالقدر .

أما الدين ككل فله أصول أربعة هى : العقيدة ويشترط فيها اليقين والعبـــادة ويشترط فيها الاخلاص والمعاملة ويشترط فيها الصدق والاخلاق ويشترط فيهـــا الاحسان ولين الجانب وخفض الجنـــاح للمؤمنين .

وهناك نوع آخر من المســـئولية ــ تعرض له المؤلف ــ يسال عنه المسلم مسئوليته عن دينه تلك هى مسئوليته عن السمع والطاعة ــ واذا التزم بهما المسلم امكن للمسئوليات الاخرى ان تترتب عليها

.. ومراحل الالتزام بالسمع والطاعة بكون بالاستماع الى قانون هذه الامة ودستورها ووعى ما جاء به القرآن الكريم من شرائع والتزامات وفروض — والمرحلة الثانية هى مرحلة تطوير السمع والطاعة يقول تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول] . وقد كانت مسئولية السمع والطاعة عند المسلمين الاول مبنية على الوعى فى السمع والاجادة فى الطاعة . فهم كانوا يناقشون ما يسمعون مناقشة الفرض منها وضوح الامر وبيانه وادراك حدوده واهدافه . والمسلمون الاوائل كانوا على هذه الصورة مع رسول الله وان كانت قد تطورت بعد أن انتقل الى الرفيق الاعلى.

ويعتبر الاسلام المارقين عن السمع والطاعة عصاة على الامة وعلى الجماعة ان تحاربهم وتضرب على أيديهم بعد ارشادهم ونصحهم فان التزموا كان ذلك توبة منهم — والا اعتبروا عصاة ونالوا جزاءهم .

وهناك فرع آخر من المسئولية ترتبت فى ذمة المسلم فى دولة الاسلام وهى مسئولية لها وزنها وخطرها وقيمتها فى الحياة وعلى الحياة كلها وهى مسئولية المسلم عن حدود الله ومحارم الامة . والحد معناه فى الشريعة ادراك كل حق وقيمته . وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « ان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا معه وحق العباد على الله تعالى ان هم عبدوه ولا يشركون به شيئا أن يدخلهم الجنة » حقوق الله على العباد كثيرة تقوم على التوحيد الخالص والتنزيه الكامل والتفويض التام والرضا بقضاء الله وقدره وعبادته سبحانه وتعالى بما فرض عليهم مع الاخلاص فى العبادة وذكر الله تعالى كثيرا .

والحقوق المتبادلة بين العباد بعضهم البعض قد فصلت تفصيلا فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومن بينها الحدود — وحتى يجعل الله لها القدسية والتعظيم نجد فى كل آيةمن آيات الحدود انها حدود الله تعالى [ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه [— [ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب] . والشعائر هى حدود الله وأيضا للعباد .

والفرد والجماعة فى الدولة مسئولون عن الحدودوقد بين القرآن الكريم تبادل هذه المسئولية فى آيات كثيرة منها : [يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله] . وقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط] . ويقول صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم فى حدود الله والقاعد فيها كمثل قوم استهموا سفينة فكان لبعضهم أعلاها ولبعضهم أسفلها . وكان الذى فى أسفلها اذا طلب الماء مر على الذى فى أعلاها . فقال أحدهم : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا فنشرب منه ولا نؤذى غيرنا — فان هم ضربوا على يده نجا ونجوا جميعا . وان هم تركوه هلك وهلكوا .

وهناك مسئولية من أعظم المسئوليات فى عقل كل مسلم هى مسئولية الدعوة الى الله تعالى . وهى مسئوليةلا تخلو منها نفس ولا تبرأ منها ذمة . ولو تحققت باقل مسئولياتها أو باقل امكانياتها فلابد من أدائها ولو بآية واحدة . ولو بحديث واحد . ولو بقصة واحدة على شرط الصدق — يقول صلى الله عليه وسلم : [بلغوا عنى ولو آية واحدة من كتاب الله تعالى وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » . — وقال أيضا : « نصر الله خلفائى — قيل ومن خلفاؤك — قال الذين يحملون أحاديثى ويرددونها للناس » . ويشترط فى الداعى ايمانه بما يدعواليه أولا ولابد من التمسك به ثانيا واليقين به ثالثا حتى تكون الدعوة قوة نابعة من الداعى تتضامن مع قوة الدعوة نفسها وهذا يحدد مقدار نجاحها فى الحياة وسيطرتها على القلوب . وألف الناس لها .. يضاف الى ذلك أن يتصف الداعى بقوةالحجة وصدق البرهانووضوح الادلة مع مراعاة آداب الدعوة — لان الدعوة ما هى الا ثورة على التقاليد والمعتقدات الفاسدة والقيم والاخلاق الموروثة من مصادرمنحرفةاما بعاملاجتماعى اوبعامل عقيدى كالشرك مثلا أو لانحراف السلوك مثلا أو لانحراف السلوك لاشباع غرائز من شأنها التصارع مع المجتمع .والشريعة الاسلامية قد حملت كل واحد منا مسئولية الدعوة الى الله تعالى ولم يخص بها الرسول فقط .

ومسئولية الامر بالمعروف والنهى عن المنكرلازمةمن لوازم مسئوليتنا عن الدعوة الى الله تعالى . وبهما تؤدى مسئولية الدعوة . وقد ورد فى الاية الكريمة قوله تعالى : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ! .

والامر بالمعروف شق الدعوة ،وشقها الثانى النهى عن المنكر . وهو مكمل للامر بالمعروف أو مكمل للدعوة الى الله سبحانه وتعالى . فلا فائدة فى الامر بالمعروف والسكوت عن المنكر — وقد قال العلماء ان مسئولية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مسئولية كفاية اذا قام بها البعض سقطت عن الباقين — الا أن المؤلف يرى أنها فرض على كل مسلم ومسلمه لاتبرأ ذمتهم الا اذا أمروا جميعا بالمعروف ونهوا جميعا عن المنكر .ويستدل على ذلك بقوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى] . وقوله تعالى : [كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] .

وهناك مسئولية أخرى تعرض لها المؤلف وهى مسئولية المسلم عن قوة الامة ودعمها المالى والعلمىوالسياسى . وهى مسئولية لها قيمتها وخطرها فىحياة الامة وحياة الجماعة وحتى نتبين تلك المسئولية فانه يجب أن نتصدى لمصادر القوة فى الحياة ولا شك أن أولها هو العلم . [علم الانسان مالم يعلم] . [وما يعقلها الا العالمون] . [انما يخشى الله من عباده العلماء] . [هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون] هذه بعض آيات الله فى العلم وفضله وفضل العلماء . يقول صلى الله عليه وسلم : « ساعة يقضيها العالم فى طلب العلم قائما أو قاعدا أو نائما [مضجعا] تعدل عند الله عبادة سنة » .

كما يقول عليه الصلاة والسلام : « مداد العالم يعدل دم الشهيد » : وكان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر أن جعل فداء الواحد من أسرى المشركين تعليم عشرة اولاد من ابناء المسلمين القراءة والكتابة .

ثم ان المال دعامة قوة الامة — وعلى قدر قوة اقتصاد الامة تكون مكانتها عند الامم — وقد دعا الاسلام الى السعى وراء اكتساب المال بالطرق المشروعة لكى يتحقق الاكتفاء الذاتى للامة . كما جعل الله تعالى للمجاهدين باموالهم وانفسهم درجة أعظم . وقد شهد التاريخ للمسلمين الاول بنجاحهم فى ارساء قواعد الاقتصاد الاسلامى — وتمكنوا من ضرب اقتصاد اليهود فى المدينة المنورة فى أول الهجرة .. والمال فى الاسلام له حرمة واجبة الرعاية . فيجب أن يأتى المال من حلال وان ينفق فى حلال — وحارب الاسلام الاسراف والتبذير وأكل مال الناس بالباطل وغيرها — كما رفع يد السفيه عن ماله محافظة عليه .

والدعم السياسى مصدر من مصادر قوة الامة ومسئولية أخرى بجانب

البقية صفحة ٢٠٠

أبو الشهداء

أبو عبد الله الحسين بن على

تأليف الأستاذ توفيق أبو علم

عرض : محمود مصطفى قايد

تقول أسماء بنت عميس : بعد حول من مولد الحسن ولدت السيدة الزهراء الحسين ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أسماء هات ابنى ، فدفعته اليه صلى الله عليه وسلم ، فى خرقة بيضاء فاستبشر به وأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ، ثم وضعه فى حجره وبكى ..

قالت أسماء : فقلت : فداك أبى وأمى مم بكاؤك ؟

قال : على ابنى هذا .

قلت : انه ولد الساعة .

قال : يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتى .

هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل شىء عن حياة الحسين وسيرته بايجاز بالغ وحكم قاطع لا يحتاج الى تأويل أو افتراء .

هذا هو الحسين ، ثانى السبطين سيدى شباب أهل الجنة وريحانتى المصطفى ، وأحد الخمسة أصحاب العبا وسيد الشهداء . أبوه الامام على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، ورث منه جانب البأس والقوة والشجاعة والاقدام والمجاهرة بما يعتقد .. وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ منها صلابة العود والشدة فى الحق والجرأة .

فى بداية الكتاب يبرز المؤلف أهمية أهـــل البيت ومكانتهم السامية فيقول : لما كانت الشريعة المحمدية سارية الى يوم الدين ، فقد كرمه الله وحباه بأظهر ذرية ، وجعل منهم أئمة الهدى فى كل جيـــل باستعدادهم الفطرى وعلمهم المكسوب والموهوب فهدوا الناس الى الصراط المستقيم وأبانوا معالم الطريق بحسن مسلكهم وغزارة علمهم وقوة مذاقهم وايثارهم الله على ما سواه فاخرجوا الناس من الظلمات الى النور .. يقول الله تعالى فيهم : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فهم محفوظون بعناية ربانية من المعاصى ومهيئون بملكة رحمانية للطاعات .

وقد افترض الله على المؤمنين مودتهم وجعلها من دعـــائم الايمان القوية ، فقال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » .

مكانة الحسين من الرسول :

كان الحسين أحب الى رسول الله من أهل بيته جميعـــا لا يدانيه احد فى هذا الحب الا أخوه الحسن .. لذلك فان الحديث — فى معظم الامور — عن الحسين يقودنا الى الحديث عن الحسن .

حدث أن كان الحسن والحسين يصطرعان فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويها يا حسين » ، فقـــالت فاطمة : « يا رسول الله لم لا تقول ويها يا حسن ؟ » فقـــال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان جبريل عليه السلام يقول وبها يا حسن » — وويها كلمة اغراء وتحريض — ، فسرى عن فاطمة رضى الله عنها وابتسمت حين عرفت ذلك .

والقاب الحسين كثيرة منها الرشيد ، الطيب ، الزكى ، الوفى ، السيد ، المبارك ، السبط ، التابع لمرضات الله وأعلاها رتبة ما لقبه به صلى الله عليه وسلم فى قوله عنه وعن اخيه « انهما سيدا شباب أهل الجنة » وكذلك السبط فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حسين سبط من الاسباط » أى امة من الامم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أحشر أنا والانبياء فى صعيد واحد ، فينادى معاشر الانبياء ، تفاخروا بالاولاد فأفتخر بولدى الحسن والحسين » .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بيد الحسين بن على وهو يقول : « أيها الناس هذا حسين بن على فاعرفوه ، فوالذى نفسى بيده لجد الحسين أكرم على الله من جد يوسف بن يعقوب ، هذا الحسين جده فى الجنة ، وأبوه فى الجنة ، وأمه فى الجنة ، وعمه فى الجنة ، وعمته فى الجنة ، وخاله فى الجنة ، وخالته فى الجنة وأخوه فى الجنة ، وهو فى الجنة » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بفاطمة رضى الله عنها قد اقبلت تبكى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : « ما يبكيك ؟ لا أبكى الله لك عينا » فقالت يا أبت ، ان الحسن والحسين قد ذهبا منذ اليوم ولم أعلم أين ذهبا وان عليا مشى على الدالية منذ خمسة أيام ليسقى البستان ، وقد استوحشت لهما ، قال صلى الله عليه وسلم لها : « لاتبكين ، فان خالقهما ألطف بهما منى ومنك » ثم قال : « يا أبا بكر ، اذهب فاطلبهما ، وأنت ياسلمان » ولم يزل يوجه حتى مضت طائفة فى طلبهما ، فرجعوا ولم يصيبوهما فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قام ووقف على باب المسجد وقال : « الهى بحق ابراهيم خليلك وبحق آدم صفوتك ، ان كان قرتا عينى فى بر ، أو بحر ، أو سهل ، أو جبل فاحفظهما وسلمهما لامهما فاطمة سيدة نساء العالمين » فنزل الامين جبريل وقال : « السلام عليك يارسول الله ، الحق يقرئك السلام ويقول لك : لا تحزن ولا تغتم ، الغلامان هما الفاضلان فى الدنيا والاخرة وهما سيدا شباب أهل الجنة وانهما فى حديقة بنى النجار ، وقد وكلت بهما ملكا يحفظهما ، ان قاما أو قعدا أو ناما أو استيقظا » ففرح النبى صلى الله عليه وسلم فقام ومعه صحابته حتى دخل الحديقة فوجدهما نائمين فجثا النبى صلى الله عليه وسلم على ركبته وانكب عليهما يقبلهما ويقول « حبيبى ، حبيبى » حتى استيقظا فحملهما النبى صلى الله عليه وسلم على كتفيه ، الحسن على عاتقه الايمن والحسين على عاتقه الايسر وكان يقول كلما قبلهما : « من أحبكما فقد أحبنى ، ومن أبغضكما فقد أبغضنى » فقال أبو بكر رضى الله عنه : « أعطنى احمل أحدهما يارسول الله » قال : « نعم المطى مطيهما ، ونعم الركبان هما » ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم سائرا حتى دخل المسجد وبعث بهما الى ابنته فاخذتهما الروحة والهزة وتولاها السرور والحبور .

وعن ام ايمن ، قالت : جاءت فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت يارسول الله أنحلهما ، قال : « نحلت هذا الكبير المهابه والحلم ، ونحلت هذا الصغير المحبة والرضا ، وبفضل هذه النحلة النبوية ترى الناس من كل قرن مجمعين على محبته منكبين على التقرب من حضرته » .

وأمثلة أخرى كثيرة يسردها المؤلف فى سلاسة اللفظ وأسلوب مشوق رائع عن مدى ما يتمتع به الحسين من مكانة سامية عند الله وعند رسوله عليه الصلاة والسلام وعند الناس أجمعين الى يوم يبعثون .

وقد كان الحسين ملء العين والقلب من خلق وفى ادب وسيرة وكانت فيه مشابهة من جده وأبيه الا أنه كان فى شدته أقرب الى أبيه . كان كثير الصوم والصلاة والحج ، فقد حج خمسا وعشرين حجة ماشيا على قدميه كان متواضعا يجالس المساكين .

ربى الحسين رضى الله عنه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد ، وأمير المؤمنين الامام على الذى كان كلامه بعد كلام الرسول عليه السلام وفاطمة الزهراء التى تفرغ عن لسان أبيها صلى الله عليه وسلم فلا غرو ان كان أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء .. وقد تعلم فى صباه العلم والادب والفروسية .. كانت عنده ملكة للخطابة ممتازة ..

نســـاء الحسين :

① الرباب بنت امرىء القيس الكلبية وهى أم ابنه عبد الله الذى قتل معه وأم ابنته سكينة . ولم تتزوج أحدا بعده وماتت بعد مقتله بسنة .

② ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى وهى أم المقتول بكربلاء .

③ أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله ، وكانت زوجة لاخيه الامام الحسن فلما حضرته الوفاة أوصى أخاه الحسين بزواجها وقد ولدت للحسين ابنته فاطمة رضى الله عنها .

④ أم جعفر بن الحسين ، وهى قضاعيه .

⑤ شهربانو بنت كسرى يزدجرد واسمها جهان شاه أى ملكة العالم . وولدت له الامام على زين العابدين .

⑥ عائشة بنت خليفة بن عبد الله بن الحرث وكانت زوجة للامام الحسن .

⑦ حفصه بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وأبوها شقيق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

⑧ عاتكه بنت زيد بن عمرو بن نفيل . ومن رأى بعض العلماء أن زواج الامام الحسين من عاتكه بنت زيد بعيد كل البعد لما بينهما من التفاوت فى السن ، ولما ثبت من أن أباه أعرض عن زواجهــا .

⑨ جاريه للامام الحسين أعتقها ثم تزوجها .

أولاد الحســـين :

على الاكبر وعلى الاوسط زين العابدين وعلى الاصغر ومحمد وعبد الله وجعفر وزينب وسكينة وفاطمة ، وقد تزوجت فاطمة ابن عمها الحسن بن الحسن وتزوجت سكينة من مصعب بن الزبير

ولم يبق للامام الحسين من الذكور سوى الامام على زين العابدين وقد كانت نجاته بأعجوبة فقد كان مريضا وكان عمره يوم كربلاء ثلاثا وعشرين سنة وكان قد تزوج وله ولده محمد الباقر .

الامام الحسين وبيعة يزيد بن معاوية :

بعث يزيد بن معاوية بعد موت أبيه الى الوليد بن عتبه والى المدينة يأمره باخذ البيعه على اهلها وخاصة على الحسين رضى الله عنه وكان الوليد متورعا عن أن ينال الحسين منه بسوء لمعرفته بمكانته ولما بلغ يزيد ما صنع الوليد عزله عن المدينة وولاها عمرو بن سعيد بن العاص . ثم خرج الحسين من المدينة الى مكة . ولما علم اهل الكوفه بامتناع الحسين عن البيعة ليزيد اوفدوا وفدا الى الحسين رضى الله عنه لمبايعته وحثه على القدوم اليهم .

وفى يوم الثلاثاء الثامن من ذى الحجة سنة ٦٠ هـ خرج الامام الحسين ومعه اثنان وثمانون رجلا من أهل بيته وأصحابه فلما وصل الى العراق سأل عن الناس فقيل له ان الاشراف قد استمالهم ابن زياد بالاموال وبقية الناس لك . وأشاروا عليه بالرحيل الى كربلاء فلما وصلها قال لاصحابه : هذا موضع كرب وبلاء ..

جمع ابن زياد الجموع وجهز جيشه فى الف مقاتل بين فارس وراجل ونزلوا لشاطىء الفرات فحالوا بين الحسين وبين المياه وعندئذ ضاق الامر على الامام الحسين وعلى أصحابه واشتد بهم العطش .. وبدأت المعركة وقتل من اصحاب الحسين ما يزيد على الخمسين ثم استؤنف القتال حتى صاروا تمام المائتين . واستمر أبو الشهداء يقاتل وحده تسقط ذريته من حوله ، ثم قاتل الامام راجلا قتال الفارس الشجاع ، ولم يزل يقاتل حتى أصابه اثنتان وسبعون جراحه الى أن أتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه ثم حمل عليه الفرسان وتوالت عليه الضربات والطعنات حتى سكن حراكه . فحزوا رأسه الشريف . وأرسل عمر بن سعد بالرأس الشريفة الى ابن زياد . بعد هذه المجزرة اتفقت الاقوال فى مدفن جسد الامام الحسين هناك أما الرأس الشريفه فاختلفت حولها الاقوال .. فمنها أن الرأس قد أعيد بعد فترة الى كربلاء فدفن فيها مع الجسد ومنها أنه دفن فى البقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء ومنها أنه دفن بدمشق ومنها أنه قد طيف بالرأس فى البلاد حتى دفن بعسقلان وبقى حتى استولى عليها الافرنج فى الحروب الصليبية فبذل لهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمصر ثلاثين الف درهم على أن ينقله الى القاهرة حيث دفن بمشهده المشهور .

تلك هى الرحلة الطويلة الدامية التى انتهت نهاية محزنة .. ومهما كانت الاقوال التى أوردها المؤلف فى نهاية كتابه فان خروج الامام الحسين من مكة الى العراق حركة لا يسهل الحكم عليها بمقياس الحوادث اليومية لانها حركة من أندر حركات التاريخ فى باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسية لا تتكرر كل يوم ولا يقوم بها كل رجل ولا يأتى الصواب فيها أن أصابت من نحو واحد ينحصر القول فيه ولا يتأتى الخطأ فيها — ان أخطأت — من سبب واحد يمتنع الاختلاف عليه . وقد يكون التصرف فيها من أصوب الصواب وأخطأ الخطأ فرق صغيرا من فعل المصادفة والتوفيق .

لقد طلب الحسين رضى الله عنه خلافة الراشدين حيث لا تتسنى خلافة الراشدين وكان الصراع بين الحسين ويزيد أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين ، بذل الحسن فيها روحه وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو ابو الشهداء وينبوع شهادة متعاقبة لايقرن بها ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين ..

وفقنا الله الى ما يحبه ويرضاه ..

الشركة المصرية للأغذية

بسكومصر

أجود المنتجات

BISCOMISR

بسكومصر القاهرة | ايركا الاسكندرية | ارابيسكو الاسكندرية

وتقدم الشركة
انتاجها الجديد من
البسكويت الشعبى
بسعر الباكو
١٠ و ٥ مليمات

نبيٌّ

●● حينمـا ينطلق الانسـان الى الفضاء الخارجى حيث الكون الفسيح اللانهائى فسوف يعود ليحس بعجزه أمام هذا الملكوت، وسيرى من أسراره ما ينخلع له قلبه ، وبعد أن يفرغ جهده فى الجراحة واستبدال القلوب والرئات والمعى، سيكتشف أنه لايقل عجزا أمام سلطان الموت عن الإنسان البدائى ، فسيظل الموت يجىء من حيث لا يعـلم الانسان وبالطريقة التى لم تكن تخطر له على بال فيعود الانسان للايمان بأن وراء هذا الكون سرا رهيبا ، وقوة مدبرة ، ومصدر كل ما فيه من طاقة ومخلوقات وهو الله سبحانه وتعالى

تأليف
الأستاذ أحمد حسين

عرض وتحليل
على عياد

●● ولهذا العصر .. عصر الفضاء ، واستبدال اعضـاء جسم الانسان ، والتقدم العلمى الرهيب يقدم الاستاذ احمد حسين هذا الكتاب عن (سيرة الرسول ورسالة الاسلام) كما تنطق بهما كتب السيرة والاحاديث النبوية ونص القرآن الكريم .

●● ويرى المؤلف .. بحق ـ ان العقيدة الاسلامية تقوم على « الامرين معا » ولا يغنى احدهما عن الاخر . فالاسلام يطير بجناحين : الايمان بالله وبرسالة محمد ، ومن هنا كان ركنه الاول الشهادتين : اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والشهادتان اشبه بالروح والجسد لا يمكن فصل احداهما من الاخرى ، فلن تستطيع ان تحيط بسيرة سيدنا محمد الا من خلال عمق التعاليم الاسلامية ونصاعتها وخيريتها بالنسبة للانسانية وحل مشاكلها ، ولن تستطيع ان تحيط بهذه التعاليم الاسلامية الا من خلال استعراضنا لحياة سيدنا محمد .

●● لقد خلت المكتبة الاسلامية الحديثة من كتاب يجمع بين الرسول والرسالة حيث يتلقى المطالع تعاليم الرسالة من خلال سيرة الرسول ، ويتعرف على ملامح السيرة من خلال تفهم التعاليم .

● ● ●

●● وقد وضع الاستاذ احمد حسين ـ بهذا الكتاب ـ اللبنة الاولى فى هذا العمل الشامخ الذى نرجو له ان يكتمل فتتحقق بذلك النية الصادقة لمؤلفنا الكبير الذى تمنى دائما ان يضع بين يدى بنى الانسان هذا الرسول الذى جاء هاديا للانسانية ، وهـذه التعاليم التى جاءت لخير البشرية فى مجموعها ككل .

●● واذا كان هذا الكتاب ، يعرض السيرة النبوية والتعاليم الاسلامية من زاويتها الانسانية ، واثرها بالنسبة للبشرية فى مجموعها ، فانه ينفرد بسمتين عن كل ما سبقه من كتب تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

■ السمة الاولى هى التجربة الذاتية للمؤلف الذى امضى الجزء الاكبر من حياته فى كفاح معنوى وسياسى من اجل القضايا المصرية والعربية والاسلامية وكان ـ كما يقول ـ يستهدى فى كل اقواله وافعاله بهدى القرآن وسيرة الرسول ، وكان الاسلام وتعاليمه ، واستلهام الاسوة من سيدنا محمد هو الاسـاس والمنطلق الذى انطلقت منه افكاره ودعواته .

■ اما السمة الثانية التى ينفرد بها هذا الكتاب فهى مسايرته العصر فى اسلوبه العلمى ، ومخاطبة العقل ، وعدم اللجوء الى المسلمات ، والاجتهاد قدر الطاقة بعرض القضايا مجردة عن كل تحيز ثم مناقشتها بموضوعية قبل القطع فيها بقرار .

●● والذى يطالع هذا الكتاب يجد هذه السمة بالذات متحققة فى كل قضية تناولها ولذلك فان النتائج التى توصل اليها المؤلف أيجابية وتتمشى مع المنطق والعقل ولا تصطدم فى الوقت ذاته بالمبادىء الثابتة فى الاسلام .

● ● ●

●● واذا كان منهج الاسلام وجوهر دعوته يتجه الى اعلاء

الإنسانية

سلطان العقل وتحريره من الاوهام ، وتقديم الدليل على كل قضية ، فان منهج المؤلف يسير فى نفس الاتجاه - وكما يقول هو - « سيكون من اعظم ما نرحب به فى علاجنا أحداث السيرة ان نقبل تحدى العلم الحديث ونرحب به لانه السبيل الى تجديد ايماننا »

●● وعادة فان الذين تناولوا سيرة الرسول عليه السلام بدأوا حديثهم دائما بالكلام عن العرب قبل الاسلام ونسبه صلى الله عليه وسلم ولكن المؤلف يبدأ بداية جديدة ، فتحدث اولا عن الله عز وجل فمن العبث - كما يقول - « ان نتحدث عن سيرة نبى او رسول مبعوث من الله عز وجل اذا كان قارىء الكتاب فى شك من وجود الله ذاته ، فضلا عن ان يكون منكرا جاحدا لوجودالله ، فلا مناص اذا من الاطمئنان لوجود الله قبل التحدث عن رسول الله » فاذا انتهى المؤلف الى تقرير ذلك انتقل الى التحدث عن سيدنا محمد بصفة عامة كما تبدو صورته للمؤرخ ايا كانت هويته ليصل من ذلك الى اثبات ضرورة الاهتمام بدراسة سيرته واستعراض تعاليمه من الوجهة الانسانية .

● ● ●

●● وعند هذه النقطة اجاب المؤلف عن هذا التساؤل : هل القرآن موحى به من لدن الله عز وجل ام هو من وضع وتأليف سيدنا محمد ، ووصل فى اجابته الى نتيجة واحدة هى ان القرآن معجزة كبرى لا يمكن الا ان يكون الله سبحانه وتعالى هو صاحبها وباعثها والموحى بها .

● ● ●

●● حتى اذا انتهى المؤلف من عرضه العام لملامح السيرة النبوية من وجهة النظر التاريخية البحتة ، فانه ينتقل بنا الى بحث مصادر هذه السيرة وتقويم مدى حجيتها وقيمتها من الناحية العلمية ومدى اقرار غير المسلمين قبل المسلمين بقدرها وخطرها من حيث هى مصدر يعول عليه .

● ● ●

●● واذا كان القرآن الكريم هو مصدر المصادر للسيرة النبوية ، فقد رأى المؤلف ان يبين هنا : كيف وصل القرآن الينا وكيف نقل بالتواتر ، وكيف جمع ، ومدى الاطمئنان الى ان هذا الكتاب الذى يوجد بين ايدينا هو بعينه ونصه وحروفه القران الذى رواه محمد صلى الله عليه وسلم على اصحابه باعتباره الوحى المنزل عليه من السماء .

●● كذلك تحدث المؤلف عن السنة ، وكيف جمعت الاحاديث ومدى الدقة التى اتبعت فى اختيار الصحيح منها والتمييز بينه وبين الفاسد ، ومن هم العلماء الذين اضطلعوا بهذه المهمة ، ووزن ما قاموا به بموازين النقد الحديث .

●● فاذا ما فرغ المؤلف من ذلك مضى فى دراسة السيرة ، ممهدا لها باستعراض سريع لتاريخ العالم السابق عليها ، وتاريخ الجزيرة العربية الى ما قبل ميلاد سيدنا محمد ، ثم الظروف السائدة عام ميلاده ، حتى اذا تحقق الميلاد تتبع المؤلف الاحداث من ميلاده عليه السلام حتى بعثه .

●● ولعل من المفيد بعد هذا العرض العام للكتاب ان نقدم بين يدى القارىء تلخيصا لاحد فصوله ، وقد اخترنا الفصل الذى جعل المؤلف عنوانه « محمد الانسان .. اين مكانه ؟ » ذلك لان الاستاذ احمد حسين رأى ان يبين عظمة النبى عليه السلام، ليس من خلال اراء اتباعه ، وانما من خلال اراء مشاهير المفكرين فى العالم الذين لا يدينون بالاسلام والذين رأوا فى سيدنا محمد اعظم عظماء التاريخ .

● ● ●

●● كذلك فان المؤلف يعطى فى هذا الفصل تلخيصا لسيرة سيدنا محمد كما يتحدث عن القران واعجازه ليصل منه الى الاجابة على هذا التساؤل : هل سيدنا محمد حكيم وفيلسوف ؟ ام هو اعظم المشرعين ، وحين يجيب عن هذا التساؤل ويقرر فى النهاية انه اعظم المشرعين فانه يتحدث عنه عليه السلام كأعظم مؤسس دولة ومنشىء حضارة واعظم نبى ورسول ، ثم يورد اشادة المجمع المسكونى الكاثوليكى بالتعاليم الاسلامية ، ويتساءل فى نهاية الفصل : ايكون محمد الها ؟ واذا لم يكن كذلك ، فاى شىء هذا العظيم فوق العظماء ، العلم فوق الاعلام ، الذى لم تعرف البشرية له مثيلا او قرينا من قبل او من بعد ؟ لقد اجاب على ذلك بنفسه فقال : انه رسول الله قد اوحى اليه .

● ● ●

●● بعد هذا الاجمال السريع للافكار التى وردت فى ذلك الفصل من الكتاب يحسن ان نقدم من خلاله ايضا اقتباسات من اراء المفكرين من شخصية الرسول العظيم

■ تقول دائرة المعارف البريطانية :

●● قليلون هم الرجال الذين احدثوا فى البشرية الاثر العميق الدائم الذى احدثه محمد ، لقد احدث اثرا دينيا عميقا منذ دعا اليه حتى الان هو الايمان الحى والشريعة المتبعة لاكثر من سبع سكان العالم » على ان اثره التاريخى يبدو بالاكثر عندما نذكر انه فى اقل من عشرين سنة مذ بدأ دعوته قوض دعائم امبراطوريتين عتيدتين « البيزنطية والفارسية » مؤسسا على انقاضهما حضارة جديدة »

« ولقد ارسى مذ جاء بدعوته التى هى عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الاجتماعية والسياسية ، وقد اعقب موته ان سجل خلفاؤه الاحاديث التى رويت عنه ، وادق التصرفات والافعال التى قام بها ، فاتخذ المؤمنون من هذه الاحاديث نبراسا ومثلا اعلى يحتذون به فى حياتهم اليومية جيلا بعد جيلا »

● ويقول هـ . ج . ويلز

●● « كان يمكن لاى متنبىء تاريخى يستعرض حياة البشر فى مستهل القرن السابع الميلادى ان يتوقع بحق انه لن تمضى بضعة قرون حتى تقع كل اوربا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار ، فلم يكن فى اوربا الغربية اى اشارة تدل على امكان قيام النظام فضلا عن الوحدة : والامبراطوريتان البيزنطية والفارسية كانتا فى طريقهما نحو الانحلال والدمار »

« ولكنّ هذا المتنبىء كان سيخطىء فى تقديره ، فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو بمائة عام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ومدوا حكمهم ولغتهم من اسبانيا الى حدود الصين مقدمين للعالم ثقافة جديدة ، ومنشئين دينا لايزال حتى اليوم احد القوى الحيوية فى العالم »

« وكان محمد بن عبد الله هو الذى اشعل الجزيرة العربية ودفعها لتحقيق ذلك كله والذى ظل حتى سن الاربعين لا يميز نفسه بشىء غير عادى عن بقية معاصريه »

■ ويقول ول دورانت العالم الامريكى بعد ان يستعرض تاريخ سيدنا محمد »

●● « اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من اثر فى الناس ، قلنا : ان محمدا كان من اعظم عظماء التاريخ فقد اخذ على نفسه ان يرفع المستوى الروحى والاخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه اى مصلح آخر فى التاريخ كله ، وقل ان نجد انسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به ، واستطاع فى جيل واحد ان ينشىء دولة عظيمة وان يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى نصف العالم »

●● ويمضى الاستاذ احمد حسين فيقدم لنا المزيد من آراء جهابذة التاريخ فى عظمة النبى عليه السلام مما يجعلنا نحيل القارىء على الكتاب ذاته الذى اصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

● ● ●

●● وقبل ان نختم هذا العرض نترك للمؤلف الاجابة على سؤال قد يتردد فى ذهن القارىء عن العبرة من دراسة سيرة الرسول ..

■ يقول الاستاذ احمد حسين .

●● « ان اعظم عبرة نخرج بها من حياة الرسول . ان نتعلم كيف نستخدم عقولنا فى كل امر يعرض علينا من مشاكل الحياة وان نتدبر ونخطط ونحذر ونقدم ونحجم ونخفى ونعلن تبعا للظروف والضرورات ومقتضيات الواقع وكل موقف من المواقف ، فسيدنا محمد لم يكن يخبط فى دعوته الى سبيل الله خبط عشواء استنادا على تأييد السماء له ، ولم يكن يسبح فى ديننا الخيال والغموض ، وانما كان يبدأ من الواقع والاستناد الى ما يحيط به من حقائق »

« واذا كانت رسالته تقوم على رفض هذا الواقع من حيث عبادة الاصنام والاشراك بالله فهذا هو الجزء الالهى من دعوته والذى قام به تأدية لتكليف الله اياه للقيام به فهو على استعداد ان يضحى بحياته فى سبيلها .

« ولكن بعد ان يقرر هذا المبدأ والاصل الالهى فلا مانع بعد ذلك من استعمال عقله وحكمته فى سبيل نقله الى الناس وتثبيته وتدعيمه ، فهو يدعو اليه سرا حيث يكون من الحكمة ان تبدأ الدعوة سرا حتى تجد لها انصارا ، وتضرب جذورها فى الارض فاذا زالت مقتضيات السرية بأن اشتد ساعدها فهنا يكون الجهر بها

« وعندما يبدأ الأذى ينصب على اتباعه فليس لهم فى مثل هذه الحالة الا الصبر والاحتمال ، والحكمة والتسامح ، فليس هناك ما يخفف من ضراوة العدوان والتعذيب الا الصبر ، والرد على الاساءة بالاحسان ، فاذا اشتد الأذى ، وناء بحمله المؤمنون ، فالهجرة الى بلد يلتمس فيه الامان يكون خير حل للمشكلة ، ومن هنا كانت الهجرة الاولى الى الحبشة .

« واذا كان من تقاليد قريش الا تتعرض لابناء العائلات الكبيرة ذات القوة والمنعة ، فلا بأس ان يستظل سيدنا محمد بهذا التقليد فينشر الدعوة فى حماية عمه ابى طالب ، وان ظل مشركا ، فلما مات ابو طالب ، وفقد سيدنا محمد النصير ، فقد ذهب الى الطائف باحثا عمن يحل محل عمه فى حمايته ورعايته .

« وعندما ضاقت عليه مكة هاجر الى المدينة ، فلما توفرت له اسباب القوة والمنعة فى بيئته الجديدة باسلام الانصار ، فقد تطور بأسلوبه فى الدفاع عن العقيدة ، فاصبحت القوة تدفع بالقوة ، والعدوان بالمقاومة ، وهو فى جهاده وحربه وقتاله لا يعتمد اعتمادا اساسيا على المعجزات والخوارق القدسية التى قد تنزل من السماء ، وانما يخطط للمعركة كأوفى ما يكون التخطيط الحربى ، ويستمع الى مشورة الناصحين فى اختيار انسب المواقع لتدور فيه المعركة ويعدل عن رأيه ، ثم يستعرض الجيش وينظم الصفوف ويزود المقاتل القوى بالسلاح القوى ، ويرسل الطلائع ، ويموه بالنسبة لغاياته واهدافه ، ويقول قولته الخالدة المأثورة التى تلخص كل قوانين الحرب من ان الحرب خدعة ، واذا شاءت الظروف ان يبرم مع خصومه معاهدة فهو يقدر الظروف والامكانيات ويقابل الطرف الاخر فى منتصف الطريق ، ولا يتمسك بعبارة معينة او كلمة معينة ، فهو ما دام قد اراد صلحا او هدنة او ابرام معاهدة .. فهو يعرف الا بد لتحقيق ذلك من اجراءات .. كما فى صلح الحديبية مثلا »

●● وهكذا فان المتصفح معنا لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الكتاب الذى عرضناه بايجاز شديد سوف يرى اننا بازاء حياة بشرية كاملة استخدم فيها الرسول عليه السلام خلاصة التجارب البشرية ، ومعطيات العقل ، واخر مبتكرات العلم .

وقد نهج الخلفاء الراشدون منهاج رسول الله وهم يواجهون سلسلة من الوقائع والاحداث التى لا عهد لهم ولا للعرب بمثلها فاستعملوا عقولهم لحل الوف المشاكل التى لم يرد فيها قرآن او سنة .

●● وبعد .. فقد وعد المؤلف – شفاه الله – بان يتبع هذا الكتاب بثلاثة كتب اخرى يتم بها الحديث عن السيرة النبوية والتعاليم الاسلامية ، ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى ان يتحقق هذا الامل فيكتمل هذا العمل الرائد الذى يضع امام الشباب سيرة الرسول وتعاليم الاسلام بأسلوب العصر ، وبما يجيب على ما يدور فى اذهانهم من تساؤلات هى وليدة العلم الحديث والثقافة الوافدة .

هـذا .. وبالله التوفيق .

بقيـة مقـال « الانسـان والمسئولية فى الاسلام »

مسئولية الفرد فى الامة من العلم والمال .. واول أصول هذه الدعامة هو اقامة المجتمع الاسلامى كله فى نطاق أسرة واحدة مترابطة تجمعهم أسرة واحدة ورابطة واحدة ألا وهى الاخوة فى الاسلام – أخوة كاملة بكل معانيها –

يقول عز وجل : [انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم] . ويقول سبحانه وتعالى : [محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم] . ويتحمل المسلم مسئوليته فى الحفاظ على السر وعدم اذاعته والتحدث به حتى لا ينتفع به العدو سواء كان هذا السر سياسيا أو اقتصاديا أو حربيا .

وأخيرا فان هناك مسئولية المسلم عن وحدة الامة وحمايتها من التفرقة . وقد عمق الاسلام الدعوة الى الوحدة حيث جعل الرحم بين الناس واحدة وان تعددت الارحام الصغرى . ثم ان التقوى كل التقوى فى الرحم وأن الله رقيب على هذه الصلة – ومحاسب الناس عليها . وقد جاء فى الحديث الشريف : « ان الله بعدما فرغ من الخلق تعلقت الرحم بالعرش وقالت – هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال الله للرحم : عهد على لاصل من وصلك ولاقطع من قطعك – وقد أذاب الله الفوارق بين الناس حيث ردهم الى ذكر واحد وأنثى واحدة وأقام التقييم والتقدير على أساس التقوى والعمل الصالح .

ولنذكر دائما قوله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنتى ! » .

الإفتاء

أنت تسأل

والمفتى يجيب

؟!

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

س ١ : من الحاج فايز نجيب أيوب

يستفسر عن نبى الله ابراهيم الخليل عليه السلام ان كان من بنى اسرائيل أم لا ؟

الجواب .

الثابت بنص القرآن الكريم أن ابراهيم عليه السلام قد رزقه الله على الكبر اسماعيل واسحاق قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام « **الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء** » الاية ٣٩ سورة ابراهيم .

وقد تزوج اسماعيل من قبيلة جرهم وهى قبيلة عربية اقامت مع اسماعيل وامه هاجر بجوار البيت الحرام حين فجر الله الماء تحت قدمى اسماعيل ـ وهو طفل رضيع وكان ذلك بداية لاجابة دعوة ابراهيم حين أودع ابنه اسماعيل وامه عند البيت الحرام ودعا ربه ضارعا اليه « **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » فاسماعيل جد لعرب الحجاز .

ورزق الله اسحاق بن ابراهيم يعقوب ويعقوب اب لسيدنا يوسف واخوته . قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « **واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء** » ٣٨ سورة يوسف .

فابراهيم أب لانبياء بنى اسرائيل وشعوبهم بدءا من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الى موسى وعيسى عليهم السلام كما ان ابراهيم أب لرسول الله وخاتم النبيين النبى العربى القرشى المبعوث فى عرب الحجاز سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ـ قل تعالى « **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** » .

فقد دعا ابراهيم واسماعيل وهما يرفعان قواعد الكعبة أن يبعث الله فى الامة العربية رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم فاستجاب الله دعاءهما وبعث فى الامة العربية من نسل اسماعيل محمدا صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة**

مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم أياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » . ومن هنا سمى ابراهيم عليه السلام « بأبى الانبياء » انبياء بنى اسرائيل والنبى العربى الخاتم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى يتصل نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام . قال تعالى فى سورة العنكبوت [**وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب**] فالقرآن به كثير فكل نبى أرسل وكل كتاب أنزل بعد ابراهيم ففى ذريته صلوات الله وسلامه عليه .

فليس ابراهيم من بنى اسرائيل بل بنو اسرائيل هم نسل يعقوب من اسحاق بن ابراهيم كما أن العرب نسل اسماعيل بن ابراهيم .

وقديما اختلف اليهود مع النصارى حول ابراهيم وادعت كل طائفة انه منهم فانكر القرآن عليهم ذلك لانهم جاءوا بعده وأن الاحق بالانتساب اليه هم الذين أطاعوه واتبعوا رسالة الاسلام الحنيف قال تعالى : « **يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم . وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . هانتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المؤمنين** » الايات ٦٥ ـ ٦٨ سورة آل عمران .

س ٢ : من الامام محمد بلقائد امام جامع سيدى مرزوق تلمسان الجزائر

امرأة مات عنها زوجها وتزوجت بآخر وانجبت منه خمسه أولاد ثم علم زوجها اخيرا انها زفت اليه بعد تسعين يوما فقط من وفاه زوجها الاول . فما حكم هذا الزواج بعد هذه العشرة الطويلة ؟ وما مال هذه الاسره المهددة بالتشرد والانهيار ان كان هناك فسخ للعقد ؟

الجواب :

من المقرر شرعا أن عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام . قال تعالى « **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** » وهذا لغير الحامل .

أما الحامل المتوفى عنها زوجها فتبل عدتها وضع الحمل لقوله تعالى « **وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن** » وقيل تعتد بأبعد الاجلين : وضع الحمل أو مضى اربعة اشهر وعشرة أيام أيهما ابعد ـ اعمالا للايتين الكريمتين .

فان كانت السيدة موضوع السؤال حاملا من زوجها المتوفى ووضعت حملها بعد وفاته ثم تزوجت بعد وضع الحمل وبعد تسعين يوما فقط من وفاته فزواجها صحيح على الرأى القائل بأن الحامل المتوفى عنها زوجها عدتها وضع الحمل ولو كان ذلك قبل مضى الاشهر والايام المذكورة .

أما اذا توفى عنها وهى غير حامل وتزوجت بعد تسعين يوما فقط من وفاة زوجها فان هذا الزواج فاسد لانها معتدة الغير والنكاح فى العدة غير صحيح .

أما نسب الاولاد الى ابيهم فانه صحيح لان هذا كما يقول الفقهاء : وطء بشبهة وعلى الزوج ان يفسخ هذا العقد وأن يترك زوجته فورا . وعليها أن تعتد منه بوضع الحمل ان كانت حاملا ، فان لم تكن حاملا وكانت من ذوات الحيض فعليها ان تعتد بالحيض ثلاث حيضات كوامل فان لم تكن من ذوات الحيض فعدتها مضى ثلاثة اشهر من تاريخ الفسخ .

ويجوز لزوجها ـ بعد انقضاء العدة ـ أن يعود اليها بعقد جديد مستكمل لجميع أركانه وشروطه والله أعلم .

س ٣ : من السيد المهندس محمد محمود هاشم ـ تفتيش محطات جنوب الدلتا بشبرا الخيمة

عقد شاب على فتاة بوكالة خالها وبشهادة تسنين طبية وكان عمرها الحقيقى فى ذلك الوقت ١٢ عاما وبعد البلوغ عارضت فى الزواج وظلت تعارض حتى بلغت الان عشرين عاما ولم يدخل بها الزوج حتى الان وطول هذه المدة كان يعطيها هدايا وبعض المصروفات لاستكمال تعليمها فضلا عن انه دفع المهر كاملا لوكيلها .

ونظرا لان هذه الزوجة مصرة على طلب الطلاق من زوجها فما رأى الدين فى أحقية الزوج فى استرداد المهر وقيمة الهدايا والمصروفات المدرسية اذا وافق على الطلاق تنفيذا لرغبتها ؟

الجواب

بالنظر الى شهادتى التسنين فان زواجها صحيح ولا يحق لها طلب الفسخ لان الزواج تم بتوكيلها

وتوكيلها صحيح لصدوره ممن يملك التصرف وتلزمه الاحكام وهو العاقل البالغ الا اذا ثبت أنها كانت مكرهة على ذلك .

فاذا ثبت انها كانت غير بالغة كان التوكيل غير صحيح وتوقف العقد على أجازتها وثبت لها خيار البلوغ وكان لها طلب الفسخ بعد البلوغ والامر فى ذلك موكول الى حكم القاضى .

فاذا اعتبر الزواج غير صحيح وتم الفسخ فللزوج استرداد جميع ما دفعه من المهر وغيره من المصروفات والهدايا القائمة ـ وما هلك من الهدايا لا استرداد لقيمته لانها هبة وهلاك الهبة يمنع من الرجوع فيها . واذا اعتبر الزواج صحيحا وتم الطلاق قبل الدخول فللزوجة نصف المهر المسمى لان المقرر شرعا **ان الطلاق قبل الدخول يوجب للزوجة نصف المهر المفروض ـ فاذا كانت قد قبضت بنفسها او بوكيلها جميع المهر المفروض لها فللزوج استرداد نصفه .**

قال تعالى « **وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقده النكاح ، وأن تعفوا اقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير** » ٢٣٧ سورة البقرة .

ولا حق للزوج فى استرداد شىء من الهدايا او المطالبة بقيمة شىء منها لانها هبة والزوجية مانعة الرجوع فى الهبة .

أما المصروفات التى كان يدفعها لها لاستكمال تعليمها فان كان يدفعها على أنها دين عليها فله أن يطالب بها لان الزوجية لا تسقط الدين والدين لا يسقط الا بالاداء أو الابراء وان كان يدفعها هدية لها فهى هبة لا رجوع فيها كغيرها من الهدايا التى تتم بين الزوجين ـ والله أعلم .

س ٤ : من عبد الغنى على حسانين باروط محافظة بنى سويف

تزوج من أمرأة وكان أسمها فى بطاقتها الشخصية منى محمد عبد القادر الشهيرة بسيدة كملة أحمد وتاريخ ميلادها ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٢٥ وعاشرها كما يعاشر الزوج زوجته ثم اتضح له أن اسمها الحقيقى هو سيدة محمد عبد القادر وتاريخ ميلادها ٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٢٤ وان شقيقتها هى التى تسمى منى محمد عبد القادر وان سيدة هى زوجتى التى أعاشرها وانها قد باشرت عقد زواجها الى بنفسها وانا الان فى حيرة فهل زوجتى التى أعاشرها هى زوجتى الحقيقية وانها حلال ام أن معاشرتى لها حرام وان زوجتى هى أختها المسماة « منى » ؟

الجواب

مادامت زوجتك التى تعاشرها هى التى تم بينك وبينها عقد الزواج من ايجاب وقبول واستكمل العقد اركانه وشروطه فان الزواج صحيح وهى حلال ومعاشرتك لها حلال والخطأ فى الاسم لا أثر له فى صحة عقد الزواج . وعليك أن تتخذ الاجراءات القانونية لتصحيح اسم زوجتك طبقا لشهادة ميلادها وموافقة للواقع الحقيقى محافظة على حقوق الزوجية وحرصا على حقوق الاولاد نسبا وميراثا وغير ذلك .

س ٥ : من المواطن منصور اسماعيل عطيه قلين ـ كفر الشيخ

أرى عندما يوضع المتوفى فى القبر يقرءون عليه سوره « يس » فلماذا سورة يس بالذات ؟

الجواب

لعل ذلك يرجع الى ما ورد فى شأن سورة يس وترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قراءتها على الموتى .

عن معقل بن يسار ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« قلب القرآن يس ـ لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم » رواه أحمد وابو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجة والحاكم وصححه .

س ٦ : من م . ع . ج . س

هل يصل ثواب قراءة القرآن للميت ؟

الجواب

اختلف العلماء فى انتفاع الميت بقراءة القرآن ووصوله اليه غير أنهم متفقون على أن الدعاء للميت ينفعه فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال :« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث :

صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » فاذا ما قرأت القرآن او تصدقت او صليت أو فعلت غير ذلك من العبادات ودعوت الله سبحانه ان يجعل ثواب هذه القراءة أو هذه العبارة لفلان المتوفى فانه سيصله باذن الله تعالى وفضله ـ والله أعلم .

والمراعى ، ومساهمة العمال فى الارباح ، وانشاء كتائب التعليم ومنح المرأة حقوقها السياسية وتمكينها من المشاركة الاجتماعية البناءة . وقد مضيتم قدما على طريق الاصلاح والتطوير والتنمية الذى نعرف من تجربتنا أنه طريق طويل شاق محفوف بالصعوبات ، بما يتطلب عزيمة جبارة لا تهن وارادة صلبة لا تلين وهو يتطلب فوق كل هذا ايمانا بالشعب لا يتزعزع ، وبأنه هو جوهر الماضى والحاضر والمستقبل .

تحديات واحدة ومستقبل واحد

ولعلكم تتفقون معى فى أن ايران المؤمنة باسلامها هى بالضرورة نصير قوى للامة العربية ، **فلسنا نتصور أن يقوم بيننا الا أمتن الروابط وأوثق الوشائج التى تستند الى التاريخ والعقيدة الواحدة والمصلحة المشتركة** ، وأنا واثق من نظرتكم للشعوب العربية جميعا باعتبارها الحليف الطبيعى لشعب ايران الذى لا يمكن ان يقوم بينها وبينه تناقض حقيقى أو مصلحة متعارضة ، فنحن نواجه تحديات واحدة ، ونسير الى مستقبل واحد ، ولا يصح أن نسمح لاحد بأن يحجب عنا الرؤية الصحيحة أو يضع العراقيل فى طريق تنمية العلاقات بين الشعب الايرانى وكافة الشعوب العربية .

وقد أرسينا معا قواعد راسخة وأصولا ثابتة للتعاون بين بلدينا وشعبينا ، بما يحقق المصلحة المشتركة والخير المتبادل وطبيعى ألا يقف هذا التعاون عند حد ، وان تمتد آفاقه فتشمل جميع الميادين السياسية والثقافية والاقتصادية ، حتى نقيم نموذجا طيبا وقدوة تحتذى فى العلاقات بين الدول والشعوب ، ونحن عازمون على أن نتعهد هذا التعاون فنجعله مستمرا متصاعدا بغير حدود .

أيها الاخ العزيز : أسعدنا تأييدكم وتأييد شعبكم الاخوى العظيم للموقف العربى ، ويقيننا أن كل هذا نابع من اقتناعكم بالحق العربى ، وحرصكم الاكيد على الحفاظ على المقدسات الاسلامية ، كما اننا واثقون من انكم تقفون بجانب شعب فلسطين ، وتؤيدون القرارات التى اتخذت تكريما لحق الشعب الفلسطينى فى الذود عن كيانه وهويته ومصالحه ، واختيار منظمة التحرير التى أقامها ممثلا وحيدا له ، وأضفتم أنكم لن تقبلوا أى تغيير لهوية القدس . وما كان هذا القول ليصدر الا عن وعى عميق وحكمة راسخة وشعور صادق بالاخوة والانسانية والعدالة .

وان أخوتك الفلسطينيين ليستمدون من تأييدك ومناصرتك عونا فى كفاحهم المشروع من أجل حقوقهم التى اعترف بها المجتمع الدولى ، ونضالهم ضد قوى العنصرية التوسعية التى أدانتها كافة الشعوب المحبة للسلام ، وسوف يسجل لكم هذا الموقف العظيم فى تاريخ الاخوة والتضامن العربى الايرانى بأحرف من نور .

وكما استطعتم أنتم أن تصونوا استقلال بلادكم السياسى والاقتصادى ، وتحافظوا على تراثها الحضارى وقيمها العريقة ، فاننا قد قطعنا على أنفسنا العهد والميثاق أن نضحى بكل عزيز علينا فى سبيل تحرير أرضنا واستعادة حقوقنا كاملة غير منقوصة ، ووضع نهاية لهذا العبث بمقدرات الشعوب والاستهتار بارادة المجتمع الدولى ، ونقيم صرح سلام عادل ودائم نستطيع من خلاله أن نتعاون معكم ونسير على طريق واحد تكون فيه شعوبنا فخورة بماضيها العريق ، آمنة فى حاضرها ، مستبشرة بمستقبل سعيد .

جلالة الاخ العزيز

الله يعلم كم سعدت بزيارة بلادكم العزيزة ذات الحضارة العريقة وبالالتقاء بكم فى بلادكم . وكم زادت سعادتى بزيارتكم وصاحبة الجلالة العزيزة لبلادنا ، فقد أتاحت لنا هذه الزيارة الكريمة فرصة الترحيب بكم على ارض مصر ، التى بينها وبين بلادكم أوثق الروابط منذ آلاف السنين .

ونحن أخوة ، جعلنا الاسلام كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، كما قال نبى الاسلام العظيم .

وقد عبر عن هذا المعنى شاعر ايران ، وشاعر الانسانية **سعدى الشيرازى** حين قال :

بنو آدم اعضاء فى جسد واحد
لانهم فى الخلقة من جوهر واحد
فاذا اشتكى منه عضو فى ليل أو نهار
ظلت سائر الاعضاء بلا قرار

ونحن لن ننسى لكم وقوفكم الى جوارنا فى وقت الشدة .

ولذلك اسمحوا لى أيها السادة أن أدعوكم للوقوف تحية لصاحب الجلالة وقرينته وشعبه العريق ، وتحية للاخوة والتضامن بين الشعبين الايرانى والمصرى وتعبيرا عن أصدق آيات الود والاخاء والمحبة التى نكنها لهذا الشعب الشقيق .

والسلام عليكم ورحمة الله

نص كلمة شاه ايران المعظم [بقيــة]

انى قد أشرت الان الى العلاقات المدنية الواسعة لبلدينا طوال القرون الاسلامية ولكنى أود أن أشير هنا الى أن شعبينا العريقين كانا يرتبطان مع بعضهما البعض بالعلاقات الثقافية والمدنية الواسعة والتبادل الواسع فى المجالات العلمية والفنية وذلك منذ زمن بعيد وحتى قبل العهد الاسلامى وأن قوة مصر الخلاقة والتراث المعنوى لتلك القوة أسوة بسائر الاثار القديمة مع ما لها من عظمة والتى سوف نشاهد بعضا منها فى زيارتنا هذه ان هذا التراث يعد بالنسبة للشعوب ذات حضارات قديمة كايران ومصر كينبوع دائم للالهام ومصدر مثير لبعث الوطنية وكما ذكرتم فان الشعب المصرى يسعى حاليا الى استعادة مستقبله على أسس من تراثه التليد .

السادات ربان ماهر

وانكم حاليا يا فخامة الرئيس قد بدأتم بالسير على هذا الطريق الصعب ولكنه ملىء بالفخر بدأ بيد مع شعب وضع مصيره فى أحرج الاوقات من تاريخه الطويل جدا بين أيديكم بثقة واطمئنان وباعتبارى كصديق ودود وحميم لكم فانه يسعدنى أن أجد فى هذه الدقائق المصيرية أن يقود سفينه هذا الشعب الاصيل والعريق ربان حاذق ومحنك حيث يدرى كيف يسير بهذه السفينة الى شاطىء الامان من خلال الامواج الهائلة والعواصف .

وان مشاكلهم الكثيرة فى هذا الطريق لا تخفى على أحد ولا يعرف قيمة ومكانة قائد حقيقى فى التاريخ الا عندما يجابه مثل هذه المشاكل وليس أمامكم الان الا أن تكونوا رجل حرب ورجل سلم أى أن تعلنوا التعبئة العامة لكافة القوات الوطنية فى سبيل احقاق حقوقكم المشروعة والتى نالت تأييد أغلبية شعوب العالم والى جانب ذلك تقومون بوضع الاسس العامة البناءة لايجاد مستقبل اقتصادى اجتماعى ثقافى للشعب .

ونحن نتتبع المساعى التى تحدث فى الوقت الحاضر فى مختلف المجالات الصناعية والزراعية والفنية وخاصة التعليمية فى جمهورية مصر العربية بكل رغبة ونأمل أن تتهيأ ظروف فى القريب العاجل من شأنها ان تشغل كافة القوى المادية والمعنوية لبلدكم فى المشاريع فى هذا الطريق البناء فقط والذى استطيع ان أقوله لكم بكل ثقة ان بلدى كبلد صديق ومسلم وشقيق والذى يبذل مساعيه دائما فى سبيل تقدم وسعادة العالم الاسلامى بأسره يرجو من صميم قلبه التوفيق لكم فى هذا السبيل .

ايران تساهم فى التعمير

ولقد تم التوقيع على اتفاقية التعاون فى الاقتصاد بين بلدينا فى الشهر الماضى وان نتبادل وجهات النظر المستمر للاخصائيين فى الصناعة والاقتصاد للبلدين ومساهمة ايران بكل رغبة فى البرامج الخاصة بتجديد بناء ما خلفته الحرب من جرا بورسعيد فى مصر لهى نماذج من هذا التعاون وقد جاء مثل هذا التعاون حاليا فى مجال العلاقات الثقافية حيث أرجو ان يأتى بالمزيد من توطيد العلاقات الفكرية والمعنوية بين شعبينا وتوسيع التبادل والسفارات والمقابلات بين الطرفين .

قد لا تكون هناك حاجة لان أشير الى هذه الحقيقة من أننا فى مجال السياسة كنا ولا نزال حيثما اقتضت الضرورة من مؤيديكم بكل جد وذلك عملا للمبادىء التى نعتمد عليها اعتمادا دائما أما فيما يخص الاراضى المحتلة فقد اعلنت بصراحة فى السابع من حزيران عام ١٩٦٧ ان عهد الاحتلال والاستيلاء على اراضى الغير قد ولى ولقد دافعنا عن وجهة نظرنا هذه بعد ذلك مرارا أما فيما يتعلق ببيت المقدس فلا شك بأننا نؤيدكم فيما أيدته هيئة الامم المتحدة بكل وضوح وانه بالنسبة لمسألة فلسطين فلقد اعلنا رأينا صراحة فى هذا الشأن ونتمسك بالرأى الذى أعلناه فى هيئة الامم المتحدة .

واننا نعتقد بانه لابد من أن يبذل منتهى المساعى للبحث عن حل حاسم ونهائى للمشاكل القائمة فى هذا البلد على أساس الاحترام لقرارات هيئة الامم المتحدة لاسيما وان المنطقة اصبحت اليوم من أخطر مناطق العالم لا يهدد مصير سكان المنطقة فقط بل راح يهدد السلم والمستقبل للعالم بأسره .

ان قيادتكم الحكيمة يافخامة الرئيس وأساليب عملكم التى قد جمعت بين الثقة ورؤية الحقيقة لم تكن مكللة بالنجاح بالنسبة لمصر فحسب بل لدبلوماسية العالم العربى أيضا وانى لارجو من صميم قلبى ان تكلل مساعيكم الدائبة بالنصر والتوفيق حتى النهاية لان عالمنا المتازم يحتاج اليوم أكثر من أى شىء آخر الى زعماء من ذوى المنطق والواقع والحكمة

وفى هذه الفرصة أود ان أحيى اصالة عن نفسى ونيابة عن شعبى ذكرى الجنود الشجعان من القوات المسلحة المصرية والمدنيين المصريين الذين استشهدوا فى بسالة فى اكتوبر ١٩٧٣ فى سبيل الدفاع عن الحقوق والامانى الوطنية والقومية واسأل الله تعالى ان يغمر ارواحهم الطاهرة لقد مات هؤلاء الابطال ليبقوا للشعب العريق ما هو أغنى من الحياة .

وبهذه التمنيات القلبية أدعو الحاضرين ان يشربوا كؤوسهم على نخب صحة وسعادة فخامتكم وقرينتكم الكريمة متمنيا التقدم والرفاهية للشعب المصرى الشقيق وعلى أمل توطيد الصداقة والتعاون المتزايد بين الشعبين المصرى والايرانى والتفاهم والسلام العالمى .

الأسرة المسلمة

الأمومة في نظر الإسلام

الأستاذ مشر الطرازي الحسيني

[٣١]

بعدما بحثنا فى الفصل السابق عن حقوق المراة وهى أم ، رأينا ان نبحث عن الامومة فى نظر الاسلام . وطبعا ان البحث عن الامومة يتضمن البحث عن الابوة ايضا ، لما بينهما من التلازم الذى ادى الى ذكرهما متلاحقين فى نصوص الايات القرآنية والاحاديث النبوية .

فنقول : ان الام والاب هما الباعثان لتكون الاطفال ووجود الاولاد [ذكرا أو انثى] كما ان تربيتهم من مرحلة الولادة الى مرحلة البلوغ ، وتثقيفهم بما يجب من الثقافة الدينية والاخلاقية والاجتماعية ايضا انما يتم على أيدى الابوين [الام والاب] مما يقتضى جهودا مضنية على مدى سنوات من العمر . ولهذا فان العالم الانسانى فى الغابر والحاضر من تاريخ الانسانية ، يقدر حقوق الام والاب وينظر اليهما نظرة الاحترام ، ويعظم الامومة والابوة فى شخصيتهما الكريمة فى ساحة الكون .

وقد أبدى الاسلام اهتماما بالغا بحقوق الابوين لم يسبق مثله فى سائر الاديان ، وبينها بيانا واضحا فى نصوص الكتاب والسنة اجمالا وتفصيلا .

فمن الايات : قوله تعالى [ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما ، الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعلمون] الاية ٨ – العنكبوت .

[الاستنباط من الاية]

أخبر الله سبحانه بقوله [ووصينا الانسان بوالديه حسنا) انه قد وصى الانسان ان يفعل بوالديه من البر والعطف رعاية لحقوقهما عليه .

١ – وبقوله [وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما] قد نهى الانسان عن اطاعة الوالدين ، اذا هما بذلا جهدهما ليشرك أولادهما بالله سبحانه وهو لاشريك له .

اقول : وكذلك اذا امر الوالدان [أو أحدهما] أولادهما بارتكاب أى معصية من المعاصى فلا اطاعة لهما ، وهذا على اساس « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » كما فى الحديث النبوى .

٢ – وبقوله [الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعلمون] هدد بالمصير الى الله والمجازاة على الاعمال كلها ، ومنها قوله تعالى [ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالديك ، الى المصير ، وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلاتطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون] الآيه ١٤ – ١٥ من سور لقمان .

[الاستنباط من هذه الاية]

اخبر الله سبحانه بقوله [ووصينا الانسان بوالديه] عما وصى به عالم الانسانية [من التوصيات القدسية] بشأن الوالدين ، الام والاب .

[٢] وبقوله [حملته أمه وهنا على وهن ،] بين ماتقاسيه الام من ضعف على ضعف ومن المتاعب والالام المتتابعة فى مراحل الحمل حتى الوضع ، بيانا رمزيا ، وبهذا أشار الى حقوقها الواجبة على أولادها ، كما اهتم بها بافرادها بالذكر تفصيلا ، بعد ان ذكرها مع الاب اجمالا .

[٣] وبقوله [وفصاله فى عامين] ذكر الانسان بما تتحمل الام مدة سنتين للاتمام ارضاع أطفالها عن تطوع ، أو عن ايجاب [عند عدم وجود المرضعة أو رفض لبنها] وبهذا ذكر الاولاد بحقوق الام ووجوب رعايتها ، وذلك ديانة وانسانية .

[٤] وبقوله [ان اشكر لى ولوالديك] أوضح توصيته القدسية ، وأمر الانسان بتأدية الشكر له سبحانه ولوالديه ، تقديرا لحقوقه وحقوقها .

أقول : لقد جمع الله تعالى الامر بشكره وشكر الوالدين فى سلك واحد ، وبهذا اشار الى قدسية حقوق الوالدين ، واهتم بها أى اهتمام كما لايخفى على المتدبر .

[٥] وبقوله [الى المصير] أوعد الانسان بمصيره اليه سبحانه ، لمجازاته على أعماله الحسنة [منها شكره لله

البقية صفحة ٢١٠

الشباب المسلم فى دورة الجامعات الإفريقية

الأستاذ ناصف سليم

لم يكن الاستعمار ساذجا عندما أتخذ من الرياضة وسيلة لتحقيق مآربه الظاهره والباطنة ، ولكنه كان يعلم جيدا ان الشباب هو الذى يقبل على الرياضة ، وان الجمهور يحرص على متابعتها ، وما هذه المنح الرياضية والهدايا المختلفة من الشعوب القادره المتقدمة رياضيا الا دليلا على ذلك .

وفى افريقيا حرص الاستعمار على ان ينشىء ملاعب بجوار الكنائس اكثر بكثير من حاجة الناس اليها ، ودعا اليها الشباب والفتيات . واصبح العرى الكامل تقليدا متحدثا عند الرياضيين بعد التدريب حين يبغون ازالة العرق والوسخ ، وقبله حين يرتدون زيه المناسب .

ولا انكر أن الشعار الرياضى السائد الذى يتردد دائما ويقول : « الرياضة لا وطن لها ولا دين » الا شعارا مغلفا بمعانى الحب والود ، ولكنه فى الواقع غير قائم . هم يقولون يجب أن نجنب الرياضة كل الاتجاهات الدينية فلا تتخذ وسيلة لدعوة أيا كانت ، ويجب أن نجنبها العصبية لوطن ، فيجب مثلا ان تلتقى كل الشعوب فى ميدانها . لكنهم لا يعملون بهذه الشعارات فى الواقع .. فهم اعنى المستعمرين هم الذين دسوا روح الكراهية بين الافريقيين الذين يتكلمون الفرنسية والذين يتكلمون الانجليزيه ، ووقف مستعمر مع فريق ضد مستعمر آخر وفريق آخر .. ولم تعد ترى مباراة تقام بين هؤلاء واولئك دون أن تنشب معركة .. او تنتهى بما لا ينتمى الى الرياضة من تعرف .

كذلك يحاول المستعمر ان يفرق رياضيا بين الافريقيين الذين يقطنون شمال افريقيا ، ويحاول نسبتهم اليه ، وبين الافريقيين فى باقى القارة ويحاول هو اظهار محبته لهم وحرصه على مصالحهم .

ولكن دورة الجامعات الافريقيه الاخيرة التى اشتركت فيها مصر بكل ثقلها ، بددت خطط المستعمرين ، بل كان اشتراك مصر نفسه دعوة للتسامح بين الاخوة ، ونموذجا فريدا لما يجب ان يكون عليه المسلم من سلوك وتعامل وتعاون مع الاخرين دون ان يقف واعظا من فوق منبر ، أو رافعا شعارا دينيا من وسط ساحة !

ووجدت الاخوة فى افريقيا يقبلون علينا فى ود وصفاء اما راغبين فى التعليم بالازهر الشريف ، واما راغبين فى دراسة التدريب الفنى لمختلف اللعبات ، واما للاستفسار عن حل لمشكلة دينية .

وقلت : انهم ما كانوا يقبلون علينا الا بعد ان رأوا سلوكا طيبا تشرف به مصر ويعبر عن روح الاسلام .

● فالذين يصلون فى البعثة المصرية أكبر عددا من بعثات كاملة فى الدورة الجامعية بغانا .

● والذين أجادوا الاداء فى المباريات ، اقنعوا الجميع بتفوق كل بطل مستقيم .

● وفتيات الكره الطائرة فى مصر بزيهن الاسلامى فى الدورة كان علامة مميزة ترفع من شان المسلم وتجعله يعتز بنفسه ودينه وأمته ، فما بالك بالسلوك نفسه فى المطعم وفى الملعب .

● وتجنب المشاكل والاستفزاز من أهم الدعائم فى نجاح المهمة وليس ذلك عن ضعف بل عن تسامح هو من صميم روح الاسلام .

● ون هنا فانى اطلب دائما بان تضاعف الشعوب الاسلاميه من اهتمامها بالشباب والرياضة ، لانه وسيلة دعوة غير مباشرة للاسلام ولان سلوكه اذا استمر واصبح عادة فى الملاعب الرياضيه يؤدى الى ما يدعو اليه العلماء ..

ولكن ذلك بالطبع لن يغنى عن العلماء القادرين على فهم نفسية المسلم الافريقى ، فهم أقدر من غيرهم على الدعوة ، وخاصة اذا تجاوزت المسجد الى مواقع الشباب ، فهم قادة المستقبل وحكام الشعوب . واعداد الواحد منهم كاعداد جيش . وكم رأينا من شباب فهم الاسلام ووعاه فكان دعوة له ، وكان سلوكه نموذجا حيا لتعاليمه .

● ولقد أحس الشباب الافريقى فى دورة الجامعات الافريقيه بنوعية السلوك عند شباب مصر ، فاحترمه وقدره ورأيت فريق سيراليون يقف صفا واحدا فى انتظام كهيئة المصلين وامامهم رئيسهم ويهتف قائلا : ايجيبت [مصر] السلام عليكم . ويردد زملاؤه هتافه ، فيصفق لهم الفريق المصرى والجمهور المصرى .

رأوا اننا مسلمون نعتز بالاسلام فحيونا بتحية الاسلام . فاقشعرت الابدان ، واحسسنا بعزة المسلم وكيانه . وأدركت كم يكسبنا السلوك احترام الاخرين .

● ولكنى ايضا اعترف ان سلوك الشباب المسلم حقا فى العالم المضطرب الان يبدو غريبا ، ولكنه حين يكون سمة لبعثة عامه ، لا يبدو شاذا ولا غريبا ، لان شباب العالم غير قادر على مقاومة تيار اشباع

الرغبات الجسدية من رقص رخيص ، أو شرب خمر متواصل ، واختلاط مريب . وهذا ما نمنع منه أبطالنا ولاعبينا .

● ومع تقرير هذا المنع ، فان اللهو المحمود كثير والمزاح متوفر ، والسمر الذى لا يزعج الاخرين مطلوب لمنع الملل والسآمة . وهكذا يجب أن نعايش كل المجتمعات فى اطار الحلال الذى أقره الدين ، ونبذ الحرام الذى انعمت به علينا المدنية . ولا أعتقد ان احدا يستطيع ان يتهم الشباب المسلم بالتزمت ، او التخلف ، او الرجعية او الجمود ، اذا استطاع ان يوازن بين الجد والمرح ، بين أداء الواجب وبين اشباع رغبات النفس . وأظن كذلك اننا بهذا نكون فى آخر زماننا « أمة وسطا » كما أراد الله . نؤثر فى الحياه ونتعلم ونعلم ، ولا ننس نصيب النفس من الحياة .

غاية ما فى الامر أننا فى حاجة الى قادة متخصصون فى هذا الامر ، يجيدون عملية التوازن ، واقناع الشباب بواجبه نحو الله والناس والنفس . ذلك لان الشباب يصطدم دائما بآراء متناقضة ، مضطربة ، فتجعل بعض الشباب يوغل فى الدين بغير رفق ، وبعضه يوغل فى شئون الحياة بدون رحمة لنفسه أو نظر الى الحياة الاخرة .

بقية مقال « الامومة فى نظر الاســلام »

ولوالديه] وعلى اعماله السيئة [منها كفرانه لنعم الله تعالى وعدم رعايته لحقوق والديه] وبهذا التهديد قد أكد أمره الايجابى برعاية حقوق الوالدين .

[٦] وبقوله [وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما] نهى الانسان عن اطاعة والديه فى الشرك [والمعصية ايضا] كما سبق التفصيل فى الاستنباط عن الاية الاولى .

[٧] وبقوله [وصاحبهما فى الدنيا معروفا] امر الانسان ان يصاحب والديه بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الحسنة ، حتى ولو كانا مشركين ، مما يفيد اهتمام الاسلام بحقوق الوالدين.

[٨] وبقوله [واتبع سبيل من أناب الى] أمر الانسان باتباع عباده الصالحين الذين انابوا اليه سبحانه بالايمان والاعمال الصالحة [ومنها رعاية حقوق الوالدين] مع تاكيد رمزى للنهى عن اطاعة الوالدين فى الشرك والمعصية .

[٩] وفى ختام الاية بقوله [ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون] نبه الانسان بالمصير اليه لمجازاته على اعماله .

[سبب نزول هاتين الايتين]

قال المفسرون : نزلت الايتان بشأن سعد بن مالك الزهرى [على ماقاله ابن اسحاق] وبشأن أن ضمة بنت ابى سفيان بن امية ، لما اسلم سعد وكان بارا بوالديه قالت له امه (وهى مشركة) ماهذا الذى أحدثت ؟ والله لا اكل ولا أشرب حتى ترجع الى ماكنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك ياقاتل امه ! ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ، ثم مكثت يوما أخر وليلة ، فجاءها وقال ياأماه ! لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى ، فكلى ان شئت وان شئت فلا تأكلى ! فلما أيست منه أكلت وشربت ، فانزل الله الايتين تثبيتا لسعد وتذكيرا للمؤمنين .

ومنها : قوله تعالى [ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا] الاية ١٥ — الاحقاف .

[الاســتنباط]

لقد اخبر الله تعالى بقوله [ووصينا الانســان بوالديه احسانا) انه وصى الانسان وامره بالاحسان لوالديه بان يعاملهما معاملة حسنة ، ويعاشرهما معاشرة حسنة ، رعاية منه لحقوقهما على ذمته كانسان .

[٢] وذكر بقوله [حملته أمه كرها ووضعته كرها] متاعب الام التى تقاسيها فى مدة الحمل واثناء الوضع ، ويبدى اهتمامه الالهى [بافراد ذكرها] بحقوقها على ذمة أولادها . ذكورا واناثا .

[٣] وبقوله [وحمله وفصاله ثلاثون شهرا] يقدر مدة الحمل ستة اشهر [على الاقل] ومدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا [على الاكثر] ويقدر المجموع ثلاثين شهرا ، وبهذا أيضا يشير الى ماتقاسى الام فى مدة الحمل الى الوضع والفصال من المتاعب والالام ، التى تستوجب حقوقا لها على ذمة أولادها ، ديانة انسانية .

أقول : قلنا مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا على الاكثر ، ذلك لان الله تعالى يقول : [والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة] الاية ٢٣٣ — البقرة

ومنها : قول الله سبحانه [وقضى ربك] أى أمر ربك أمرا مقطوعا به (ان لا تعبدوا الا أياه) وحده لاشريك له [وبالوالدين احسانا] وان تحسنوا بالوالدين احسانا توجبه عليكم حقوقهما : [اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف] وهى كلمة تضجرو كراهية يقوله الانسان عند التضيق من معاملة أى انسان أخر ، ولكنها منهى عنها مقابل الوالدين بنص هذه الاية .

[ولا تنهرهما] أى لاتنرجرهما عما يفعلانه أو يقولانه من فعل او قول لا يعجبك «وقل لهما» بدل التضجر والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب ، وهنا قال الامام النسفى فى تفسيره : « ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما ، حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ، ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لايكاد يصبر الانسان معها » انتهى .

[واخفض لهما جناح الذل] أى اخفض لهما جناحك الذليل [من الرحمة] من فرط رحمتك ورقة قلبك لهما ، وعطفك عليهما وذلك لكبر سنهما وضعفهما وافتقارهما اليوم اليك ، وقد كنت افقر خلق الله اليهما بالامس . وقال الزجاج : وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك فى الرحمة . [وقل رب أرحمهما كما ربيانى صغيرا] يعنى : ولا تكتف برحمتك عليهما التى لابقاء لها ، وادع الله بألا يرحمهما رحمته الباقية : واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك .

أقول : هذا الدعاء مخصوص للوالدين المسلمين ، ولايجوز الاسترحام لوالد مشرك أو والدة مشركة ، لقوله تعالى [ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم] الاية ١١٣ — التوبة . وانما يجوز لهما الدعاء بالهداية والايمان كما فى تفسير الخازن ، والامام النسفى .

[ربكم اعلم بما فى نفوسكم] اى بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة فى خدمتهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما ، [ان تكونوا صالحين] أبرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر للوالدين بعد تقصير بشانهما وانبتم ورجعتم الى الله واستغفرتم . [فان الله كان للاوابين غفورا) يعنى : غفورا للذين يؤوبون ويتوبون . الاية ٢٢ — ٢٥ — الاسراء .

أقول : هذه أيات بينات من القرآن الكريم ذكرناها [انتخابا] وفسرناها ، مع استنباط الاحكام من نصوصها ورموزها فى موضوع [الامومة فى نظر الاسلام] وسيكون صحبتنا مع القراء الاعزاء فى العدد القابل [الاحاديث النبوية فى الامومة] ان شاء الله الموفق .

إعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القــارىء

دعاء وابتهال وتكبير ورجاء ان يمدنا الله بنصر من عنده وفيض من رحمته وتأييد من لدنه نحقق من خلاله الارتقاء الى درجات من العزة . وخطوات من التجمع . وقدرات على الاعطاء . مـع مطلع العام الهجرى الجـديد ...

فحرى بنا نحن ابناء الامـة المحمدية ان نتخذ من ذكرى الهجرة النبوية الشريفة دستور عمـل ومنهج سلوك واسـلوب حيـاة حتى نكـون اهلا لمعطياتها وفتوحاتها وانتصاراتها ..

والحق يقال اننا اصبحنا بعد فتوحات العاشر من رمضـــان اهــلا لهذا التكريم وذاك النصر الكبير والفتح المبين خاصة اذا ما ضاعفنا الجهد وانكرنا الذات وقبلنا عن ايمـان ما تفرضه علينا المعركة من تضحيات ونبذنا تلك الاشاعات المغرضة والصيحات المريضة التى تصدر عن هوى اثيم .

ووقفنا خلف قائدنا المؤمن صانع النصر وموحد الصف ومحرك الامور فى طريق النصر . وصمدنا مع مبادئه فى ثقة المؤمن . وصبر الواثق . وعزم لا يفل وقناة لا تلين ورجـــاء لا يخيب . وحب يهون معـه الصعاب وتحقق من خلاله الامال وتشفى الالام .

القرآن الكريم

بقلم الصديق محمد كامل رزق
نقيطـة ــ المنصورة

القرآن الكريم ، وحى الله الذى نزله على رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، هاديا ومرشدا وموجها .. ضـمنه الله ما يحتـاجه البشر من ادوية وعلاج لمشاكلهم وامراضهم .

وقد تلقى صـحابة رسـول الله ، عليه الصـلاة والسلام ، القرآن الكريم بالحفظ فى الصدور والتدوين فى السطور ، واحاطوه بعناية فائقة لم يشهدها كتاب مرسل قبله ، وقد يبدو ذلك واضحا حينما كان سيدنا زيد بن ثابت يجمع القرآن ، وبقيت آية من سـورة فظل يبحث عنها مع الصحابة حتى وجدها وتأكد من حقيقتها بمراجعتها على جمع من الصحابة .

ولقــد تكفل المولى ، تبـارك وتعالى ، بحفظ هذا الـكتاب الخـالد فقال « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » ، والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يرى قوة التأكيد بلفظ الجمع ، مما يدل على الشـدة ، فتأمل مثلا كلمة « **انــا** » ، وهذه النون المشددة الثقيلة ، ثم «**نحن**» ، وما توحيه من معنى العصبة والجماعة ، ثم « **نزلنا** » أيضا بلفظ الجمع و « **لحافظون** » ، وهكذا تترابط الالفاظ ، وتتضـام الكلمات مع ما يماثلها فى الشدة والقوة والوكادة ، لتبرز أمامنا الآية الكريمة وهى أكثر ما تكون قوة وشـدة .

وظل القرآن الكريم محل عناية المسلمين وموضع عنايتهم منذ صدر الاسلام حتى يومنا هذا ، وسيظل هكذا برعاية الله وعنايته ، ما دامت الارض أرضـا ، والسـماء سماء .

ولقد كان من فضل الله العظيم ، أن هدى العقل

البشرى الى اختراع اسطوانات التسجيل ؟ مما جعل المسلمين يستغلون هذا الاختراع الرائع في تسجيل كتاب الله ، مما يؤكد صدق قول ربنا « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » .

« رباه »

بقلم الصديق البدرى عبد الرحمن زايد
مدرسة كشك الثانوية بزفتى

تحية مباركة طيبة لا تقدم الا لشخص مبارك طيب يقف على باب مبارك طيب من أبواب مجلة مباركة طيبة لم تقل جهدا فى خدمة المسلمين والاسلام فى كل بقاع الارض ، فملأ صوتها الاسماع شرقا وغربا ، فكانت ــ بحق ــ منبر الاسلام فى كل مكان .

وقد أعجبنى ــ يا سيدى ــ بابكم « مع القراء » ، حيث يفتح مجال اللقاء بأفكار القراء وخواطرهم وآرائهم ، وقد تكون هذه هى المرة الاولى التى أتجرأ وأكتب فيها للمجلة ، ولكننى آمل أن أجد الترحيب والتشجيع من مجلتكم الكريمة فأظل صديقا لها على الدوام .

ولكى افتح باب صداقتى المرجوة ــ بعون الله ــ أقدم هذه المحاولة الشعرية ، آملا أن تحوز اعجاب سيادتكم وعندها قد لا أكون طامعا اذا طلبت ورجوت النشر أو ابداء الرأى ، فهل تتكرمون بالاطلاع عليها ؟ .. ولكم منا جزيل الشكر .

رباه يا رب الوجود ... رباه يا سر الخلود
رباه ما هذى النعم ... أغدقتنى رغم الجحود
رباه فضلك عمنى ... يشدو بنعماء وجود
رباه خيرك هاطل ... تنمو به كل الورود
رباه نورك ساطع ... ملء السما ملء الوجود
رباه انى عاجز ... عن حصر نعماء تسود
رباه انا نعبدك ... برهاننا طول السجود
برهاننا الدمع الغزير ... برهاننا انا جنود

● المجلة ترحب بك صديقا عزيزا ، وهى تؤكد هذا الترحيب بنشر رسالتك والقصيدة التى خطها قلمك .. شكرا .. ولك توفيق الله .

رسالة الجزائر

بقلم الصديق محمد الحافظ الاشراف
الواد الواحات ــ الجزائر

يسعدنى أن أحمل يراعى لاكتب هذه الاسطر الى مجلتى التى طالما قرأتها منذ عرفت المجلات وشأنها، ولكم أشفى غليل نفس كلها لهفة للاطلاع على المواضيع التى تتناول الدراسات الاسلامية ؟ وما له علاقة بها ، وشأنى ككل مسلم وعربى بالخصوص عانى من محاولات الاستعمار لمحو الشخصية العربية الاسلامية ولو أدبيا ، وما انجرف اليه بعض من شباب الامة السمحاء التى قال عنها أصدق القائلين « **كنتم خير امة أخرجت للناس** » ، وان قلت هذا فأنا لست متعصبا ، ولكنى بالعكس أشاطر الرأى كل من كان رأيه يريد من التفتح ما يخدم أمتنا وديننا ودنيانا من العلوم والاختراعات والتقدم الفكرى لا التبرج والانجراف بسيول البدع والخرافات الغربية التى كثيرا منها خصص لتضليل أمثال هؤلاء الشباب ، أو هى بدع من أناس كرههم حتى مجتمعهم الذى نشأوا فيه ، وهكذا أشكر كل من عمل على توعية شبابنا المسلم .

وبعد .. رجاء المعذرة عن طول الكلام ، وأرجو منكم ادراج اسمى فى ركن بريد التعارف .

● نشكر لك اهتمامك بقضايا الاسلام والشباب وثناءك على مجلتك « منبر الاسلام » ، التى يسرها ان تحقق رغبتك بنشر صورتك فى بريد التعارف ، مع تمنياتنا بالتوفيق .

رسالة الجزائر

بقلم : الصديق ديلول لخضر
سيدى خالد ــ بسكرا

اهدى لكم سلامى الحار وتحياتى الخالصة فى داخل هذه الرسالة التى تنقل السلام منا اليكم ولكافة اخواننا بجمهورية مصر العربية .

انى أكتب هذه الرسالة والشوق يدفعنى الى الاشتراك فى مجلتكم الشائقة « منبر الاسلام » والحافز الذى أدى بى الى مراسلتكم هو : ــ

اولا : ــ انى اسكن فى الجنوب الجزائرى بقرية «سيدى خالد» جنوب بسكرة بـ ١٠٠ كم ولاية الاوراس ولذلك يصعب على شراؤها فى كل شهر .

ثانيا : ــ لا تصل الى مدينة بسكرة مجلتكم وان وصلت فتصل الاعداد القديمة بينما الاعداد الجديدة تباع فى المدن الكبرى فقط .

ولدى من مجلتكم بعض الاعداد ومعجب كثيرا بها وخاصة فى بعض الابواب مثل « الشريعة الاسلامية » و «الاسرة المسلمة» و « أنت تسأل والمفتى يجيب » وغيرها من الابواب . اننى ظمآن لان ارتوى من تلك المواضيع الدينية لاتزود بالعلم والايمان اكثر فى ظل الشريعة الاسلامية المثلى .

● المجلة اذ تشكر لك هذه المتابعة ، وذلك التشوق ، يسرها أن تكون عند حسن ظن القارىء ، وبالنسبة للاشتراك فيرسل باسم السيد رئيس تحرير منبر الاسلام .

الاسم : سعيد امبارز حسين

البلد : مصر

السن : ٢٧ سنة

المهنة : موظف

الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة

العنوان : ص.ب ١٣٥٠ القاهرة

الاسم : احمد حدادعبدالمعطى

البلد : مصر

السن : ٢٥ سنة

المهنة : موظف

الهواية : المراسلة وتبادل الطوابع والمناظر

العنوان : رمل الانجب المنوفية

الاسم : ابراهيم حواس

البلد : تونس

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب

الهواية : الاطلاع

العنوان : نهج القراق عدد ٢٢

الاسم : مصطفى يوسف ابراهيم

البلد : مصر

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب بمعلمين قنا

الهواية : جمع المناظر ومراسلة الشباب

العنوان : قناشارع الحمامالقديم امام معوض كريم

الاسم : لطفى المولى

البلد : تونس

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : الرياضة الفكرية والبدنية وتبادل الافكار

العنوان : طريق العين كلم ٨ صفاقس تونس

الاسم : محمد عبد الوهاب السودانى

البلد : مصر

السن : ١٦ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والصور والاطلاع

العنوان : ابشواى الملق ـ قطور طنطا

الاسم : عبد الحفيظ ميهوبى

البلد : الجزائر

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : الملاكمة وجمع الطوابع

العنوان : حى ٥ جويلية شارع زين رقم ١٠ باتنة

الاسم : احمد العكروت

البلد : الجزائر

السن : ٢٢ سنة

المهنة : طالب بكلية العلوم السياسية

الهواية : الاطلاع وتبادل الاراء والمناظر

العنوان : رقم ٧٢براقى الجزائر العاصمة

الاسم : نجيب البقلوطى

البلد : تونس

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب

الهواية : المراسلة ودراسة الاداب

العنوان : نهج محمد على عدد ١٤ صفاقس

الاسم : جمال حسنين حسن

البلد : مصر

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والمناظر

العنوان : سوهاج شارع النباتين البحرى

الاسم : عماد صلاح الدين يوسف

البلد : مصر

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب ثانوى

الهواية : المراسلة وتبادل الصور والاراء

العنوان : ٤٣ شارع رمسيس شقة ٧٢ معروف القاهرة

الاسم : صدوقى محمد

البلد : الجزائر

السن : ١٧ سنة

المهنة : طالب بالمعهدالاسلامى

الهواية : المراسلة وتبادل الاراء

العنوان : حى بروسلى رقم ح ٢١بقعة كنون الاصنام

الاسم : محمدالصديق بن خليفة

البلد : تونس

السن : ٢٣ سنة

الهواية : المطالعة الدينية

العنوان : طريق قرمده ك ١٣

الاسم : عبد الحميد عبدالمنعم محمد آدم

البلد : مصر

المهنة : طالب

السن : ١٩ سنة

الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى

العنوان : بولاق الدكرور ش محمد الشهالى رقم ٣٨ شقة ٥

اقـــرأ في هذا العدد

■ معالم الطريق :

- استقبال شعبى حافل لشاه ايران فى القاهرة ٣
- الرئيس أنور السادات مع أهالى سيناء فى يوم العيد ٧
- الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء يفتتح الموسم الثقافى للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٩
- كلمة الاستاذ محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٠
- كلمة الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس مجلس الوزراء ١٤

■ دراسات قرآنية :

تفسير سورة البقرة	الاستاذ أحمد حسين	١٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	٢٤
الاعجاز	الاستاذ فتحى رضوان	٢٧
أسماء يوم القيامة فى القرآن الكريم	الدكتور أحمد الحوفى	٣٠
من وحى المدينة : ساعة فى منازل الوحى	الدكتور محمد خليفة	٣٢
الفاتحة معجزة القرآن	الاستاذ محمد العفيفى	٣٤
من أخلاق القرآن : المودة	الدكتور أحمد الشرباصى	٣٨
حول كتاب الله	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى	٤٢
قيم كبرى فى الاسلام : ماذا صنع القرآن ؟	الدكتورة نعمات أحمد فؤاد	٤٤
دعوة القران الكريم الى بناء الامة الاسلامية	الدكتور أحمد عمر هاشم	٤٦
تأملات فى البيان القرآنى	الدكتور ابراهيم عوضين	٤٩
القرآن [شبه وردود]	الدكتور عبد العزيز صالح رضوان	٥٢
السيرة فى ضوء القرآن الكريم	الاستاذ محمد شديد	٥٦
تناول القرآن لظاهرة النسيان	الدكتور السيد رزق الطويل	٥٨
تصوير العقيدة فى القصص القرآنى	الاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر	٦١

■ التشريع الاسلامى :

النظم المالية فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس	٦٤
الحارس الدائم	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٦٧
المفهوم السيكيولوجى لقطع يد السارق فى الاسلام	الاستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب	٧٠
الصلاة فى ميزان الاسلام سياسيا	الاستاذ ابراهيم هلال	٧٣
الرحلة المقدسة ومعركة المصير	الشيخ أحمد كامل الخضرى	٧٦
القتل فى الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى	المستشار عبد الستار آدم	٨٠
الصلح بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى	الدكتور يس محمد يحيى	٨٢
ملامح شخصية المؤمن كما يحددها الرسول صلى الله عليه وسلم	الاستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى	٨٤
التبعة والمسئولية بين العالم والقاضى	الاستاذ عبد العظيم منصور	٨٨
العمل للدين والدنيا	الدكتور محمد جمال الدين عواد	٩٢

■ التصوف :

الصوفية فى الهامهم	الإستاذ حسن كامل الملطاوى	٩٤

■ العلم والايمان :

شعب مسلم فى افريقيا يكافح الاستعمار	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١٠٠
عام من الايمان	الاستاذ احمد زين	١٠٢
من دعائم النصر : الايمان والسكينة	الدكتور محمد سعاد جلال	١٠٤
النقدم الحضارى القائم على العلم والايمان	الشيخ محمد مصطفى ابو العلا	١٠٦
الاسلام بين المادة والروح	الاستاذ عبد المنعم مغربى	١٠٩
الفكر الاجتماعى الاسلامى	الدكتور زيدان عبد الباقى	١١١
الاسلام يحرر الضمير	الاستاذ عبد الفتاح العدوى	١٢١
حول المفاهيم الدينية	الشيخ عبد الحميد بلبع	١٢٦
القاديانية نهاية ٨٠ عاما من الفتنة	الاستاذ محمد دياب	١٢٨
الاسلام دين الحق والهدى	الاستاذ مصطفى مجدى رءوف	١٣١
عناية الاسلام بالحرية والكرامة الانسانية	الشيخ عبد الحكيم سرور	١٣٣
فى ذكرى العاشر من المحرم	الاستاذ صلاح عزام	١٣٥
مفهوم السعادة فى الاسلام	الاستاذ احمد ابو طه	١٣٦
الديمقراطية فى الاسلام	الاستاذ محمد النظامى	١٣٨
فى مواجهة الادب الصهيونى	الاستاذ فتحى الابيارى	١٤٠
قصة اليوم والغد	الاستاذ عبد السلام القوصى	١٤٣
العين والبصر بين العلم والدين	الاستاذ احمد رجب محمد	١٤٦
طرائف ولطائف	الاستاذ محمد عبده قناوى	١٤٩

■ الفن الاسلامى :

اصول روحية للعمارة الاسلامية	الاستاذ عبد المجيد وافى	١٥٢
الملبس الاسلامى فى اطار المجتمع الحديث	الاستاذة علية عابدين	١٥٤
الزخارف النباتية فى العصر العثمانى	الاستاذة ثريا سيد احمد نصر	١٥٦
الزخارف الكتابية على المنسوجات الاسلامية	الاستاذة زينات طاحون	١٦٠
الكعبة المشرفة والتطراز المستخدم فى الكسوة الشريفة	الاستاذة فتحية فودة	١٦٣

■ القصة :

بطولة ووفاء	الاستاذ على الجمبلاطى	١٦٦

■ الشعر :

لحظة استغفار	الشاعر احمد عثمان المراغى	١٧٠
اقضى الليل ضراعات	الشاعرة روحية القلينى	١٧١
ان من الشعر لحكمة	الشيخ محمد خليل الخطيب	١٧٢

■ الطب :

دور الاسلام فى تحقيق صحة الاجسام	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٧٤
الطب عند العرب فى فجر الاسلام	الدكتور احمد حلمى محمود	١٧٦

■ شخصيات اسلامية :

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها	الاستاذ توفيق ابو علم	١٨٠
عويمر بن عامر رضى الله عنه	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	١٨٣
ابو هريرة رضى الله عنه	الشيخ احمد منصور	١٨٥
ابو سليمان الخطابى	الاستاذ احمد جمال العمرى	١٨٦
من اعلام الاسلام بالريف المصرى	الاستاذ ابراهيم الفحام	١٨٩

■ المكتبة الاسلامية :

كتاب الاعتبار	عرض الدكتور على صافى حسين	١٩٢
الانسان والمسئولية فى الاسلام	عرض محمد فاوى عسر	١٩٣
ابو الشهداء	عرض محمود فايد	١٩٥
نبى الانسانية	عرض على عيـــاد	١٩٨

■ الافتـــاء :

انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود	٢٠٢

■ الاسرة المسلمة :

الامومة فى نظر الاسلام	الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٢٠٨
الشباب المسلم فى دورة الجامعات الافريقية	الاستاذ ناصف سليم	٢٠٩
مع القراء	اعداد : فؤاد هيبـــة	٢١١
بريد التعـــارف		٢١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم للعالم الإسلامي

المصحف المجوّد

" ١٢٠ اسطوانة "

لأول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم مجوّدا بأصوات كبار القراء

كل جزء من القرآن الكريم على أربعة اسطوانات طويلة المدى تجويد القراء الأربعة سرعة ٣٣⅓ لفة

" مع كل اسطوانة غلاف فاخر "

سعر بيع الاسطوانة الواحدة ٦٤ قرشا

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفي الحكومة والقطاع العام

المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والنطق الصحيح لآيات القرآن الكريم

كل جزأين على ٥ أسطوانات

الثمن للجزأين ٢ جـ / ١٨٢ مليم

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفي الحكومة والقطاع العام

أسطوانات القرآن المرتّل

" رواية حفص عن عاصم "

	جنيه	مليم
٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغلاف فاخر	٢٣	٨٢٦
٤٤ أسطوانة مع غلاف عادي ...	١٩	٣٥٢

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة ٢٩ جنيه ٩٠٩ مليم

سرعة ٣٣⅓ لفة في الدقيقة

مخازن البيع

القاهرة :

مخازن القرآن المرتل :

٧٦ شارع الجمهورية : الدور الثالث

الاسكندرية :

فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٤٢ شارع سعد زغلول - الدور الرابع

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء

٧ اسطوانات داخل كتيب مشروحة بالكلمة والصورة

باللغات : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الألمانية

واللغات الآسيوية : الأندونيسية ، الأوردية

واللغات الافريقية : السواحلية ، الفولانية

ولغات أمريكا اللاتينية : الأسبانية ، البرتغالية

سعر البيع للكتيب الواحد **٥٠** قرشا

مطابع الأهرام التجارية